تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٣

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري





فيه

تفسير سورة البقرة

من ١٢٤ — ١٩٥

والآثار من ١٩٠٧ — ٣١٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

« هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ۝ هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ » .

أحمدُهُ حَمْدَ لا غافلٍ عن سبوغِ نعمه وتتابُعِ آلائه ، وأذكُرُه ذكرَ لا ساهٍ عن عِزّة سلطانِه ولطيف رحمته ، وأستغفره استغفارَ لا ناسٍ لفداحة ذنبه وعظيم زلاّته . وأصلّى وأسلّم على محمد النبىّ الأمىّ الذى اصطفاه من خلقه لبلاغ رسالته إلى عباده ، وأكرمه بالشفاعة يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم . وأسألُه سبحانَه أن يجعلنا من الذين يستمعون القولَ فيتبعون أحسنَه ، ومن الذين لا يخافونَ فى مرضاته لومة لائم . وأضرعُ إليه أن يبعثنا يومَ القيامة ثابتين على ما وهبَ لنا من الإقرار بتوحيده ، لننجو من عقابه وعذابِه ، فهو أرحمُ بنا مِنّا ، وألطفُ بنا من أمّهاتنا وآبائنا . اللّهُمَّ لا ملجأ منك إلاّ إليك ، فاغفر لنا وارحمنا وتب علينا وتوفّنا مسلمين .

* * *

وبعد ، فهذا الجزء الثالث من تفسير أبى جعفر الطبرىّ ، قد أعان الله على إتمام تحقيقه وتمحيصه وطبعه ، قد تحرّيتُ فى مراجعته وضبطه

ما بلغه جهدى من التثبُّت . وقد كنت أشرتُ فى مقدّمة الجزء الأوّل أن النسخة المخطوطة قد فُقِد منها الجزء الثانى والثالث ، فوقَع هذا الجزء فى المفقود من المخطوطة ، فكان ذلكَ مدعاةً لإطالة المراجعة ، حتى شقَّ علىّ الأمرُ فى بعض المواطن ، ولكنّى بذلتُ ما وسعنى . ومما يؤسفُ لَهُ أنى ظننتُ فى مقدمة الجزء الأول ، أن ابن كثير وغيره يكثرون النَّقل عن ابن جرير ، فتبيَّنَ لى بعد التوغُّل فى تفسير الطبرى أنَّهم لما أوغلوا فى تفسيرهم ، قلَّ نقلهم عَنْه ، فصارَ فقدان المخطوطة ، وقلة نقلِهم عنه سببًا فى تلمُّسِ المعانى تلمُّسًا فى المصادر المختلفة ، حتى أستطيع أنْ أقيم النصوصَ على وجهها المرضىّ ، وأرجو أن أكون قد وُفِّقت فى ذلك بعضَ التوفيق بتيسير الله وعونِه .

وأسأل الله أن يعين على التمام ، وأنْ يسدّد خطواتنا إلى الصواب ، وأن يتغمّدَ ما نحنُ له أهلٌ من السَّهْو والخطأ ، وهو ولىّ التوفيق ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإذ ابتلى »، وإذ اختبر .

* * *

يقال منه : «ابتليتُ فلاناً أبتليه ابتلاء»، ومنه قول الله عز وجل : ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ﴾ [سورة النساء : ٦] ، يعنى به : اختبروهم .[1]

* * *

وكان اختبار الله تعالى ذكره إبراهيم ، اختباراً بفرائضَ فرضها عليه ، وأمرٍ أمره به . وذلك هو « الكلمات » التى أوحاهنّ إليه ، وكلفه العمل بهن ، امتحاناً منه له واختباراً .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة « الكلمات » التى ابتلى الله بها إبراهيم نبيّه وخليله صلوات الله عليه .

* * *

فقال بعضهم : هى شرائع الإسلام ، وهى ثلاثون سهما .[2]

* ذكر من قال ذلك :

١٩٠٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات » ، قال :

---

(١) انظر ما سلف فى الجزء ٢ : ٤٨ ، ٤٩

(٢) السهم فى الأصل واحد السهام التى يضرب بها فى الميسر ، وهى القداح . ثم سمى ما يفوز به الفالج سهماً ، ثم كثر حتى سمى كل نصيب سهماً . وقوله هنا يدل على أنهم استعملوه فى كل جزء من شىء يتجزأ وهو جملة واحدة . فقوله : « سهما » هنا ، أى خصلة وشعبة . وسيأتى شاهدها فى الأخبار الآتية .

قال ابن عباس : لم يُبتلَ أحد بهذا الدين فأقامه إلاّ إبراهيم ، ابتلاه الله بكلمات ، فأتمّهن. قال: فكتب الله له البراءة فقال: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وفَّى ﴾ [سورة النجم : ٣٧] . قال : عشرٌ منها فى « الأحزاب » ، وعشر منها فى « براءة » ، وعشر منها فى « المؤمنين » و « سأل سائل » ، وقال : إنّ هذا الإسلام ثلاثون سهما .(١)

١٩٠٨ — حدثنا إسحق بن شاهين قال ، حدثنا خالد الطحان ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما ابتُلى أحدٌ بهذا الدّين فقام به كلّه غيرُ إبراهيم ، ابتلى بالإسلام فأتمه ، فكتب الله له البراءة فقال : « وإبراهيم الذى وفَّى » ، فذكر عشراً فى « براءة » [١١٢] فقال : ﴿ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحامِدُونَ ﴾ إلى آخر الآية ،(٢) وعشراً فى « الأحزاب » [٣٥] ، ﴿ إِنَّ المسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ ﴾ ، وعشراً فى « سورة المؤمنين » [١–٩] إلى قوله ﴿ والَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ، وعشراً فى « سأل سائل » [٢٢ — ٣٤] ﴿ والَّذِينَ هُمْ على صَلاتِهِمْ يُحافِظُون ﴾ .

١٩٠٩ — حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبّويه قال ، حدثنا على بن الحسن قال ، حدثنا خارجة بن مصعَب ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الإسلام ثلاثون سهماً ، وما ابتُلى بهذا الدين أحَدٌ فأقامه إلاّ إبراهيم ، قال الله : ﴿ وإبْراهيم الَّذِى وفَّى ﴾ ، فكتب الله له براءةً من النار .(٣)

---

(١) سيأتى بيانها فى الأثر التالى .

(٢) فى المطبوعة : « الآيات » ، والصواب ما أثبت .

(٣) الخبر ١٩٠٩ — عبد الله بن أحمد بن شبويه : هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن ثابت بن مسعود بن يزيد ، أبو عبد الرحمن ، عرف بابن شبويه ، وهو من أئمة الحديث ، كما قال الخطيب . مترجم فى تاريخ بغداد ٩ : ٣٧١ ، وله ترجمة موجزة فى ابن أبى حاتم . ووقع فى المطبوعة هنا « عبيد الله بن أحمد ابن شبرمة » . وهو تحريف وخطأ . صححناه من التاريخ ، ومما سيأتى فى التفسير .

على بن الحسن بن شقيق بن دينار : ثقة ، من شيوخ أحمد ، والبخارى ، وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، وفى شرح المسند : ٧٤٣٧ .

وهذا الخبر سيأتى بهذا الإسناد ، فى التفسير : ٢٧ : ٤٣ (بولاق) . وكذلك رواه أبو جعفر بهذا الإسناد ، فى التاريخ ١ : ١٤٤ .

وذكره ابن كثير ١ : ٣٠٢ ، ونسبه أيضاً لابن أبى حاتم ، والحاكم . وذكره السيوطى ١ : ١١١ — ١١٢ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وابن مردويه ، وابن عساكر . وهذا الإسناد صحيح .

* * *

وقال آخرون : هى خصال عشر من سُنن الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٩١٠ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإذ ابتلَى إبراهيمَ رَبُّه بكلمات » ، قال : ابتلاه الله بالطهارة ، خمسٌ فى الرأس ، وخمس فى الجسد . فى الرأس : قصُّ الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسِّواك ، وَفرْق الرأس . وفى الجسد : تقليم الأظفار ، وَحلق العانة ، والخِتان ، ونَتْفُ الإبط ، وَغسل أثر الغائط والبول بالماء .(١) ١/٤١٥

١٩١١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن ابن عباس ، بمثله — ولم يذكر أثر البول .

١٩١٢ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا سليمان قال ، حدثنا أبو هلال قال ، حدثنا قتادة فى قوله : « وَإذ ابتلى إبراهيمَ رَبُّه بكلمات » ، قال : ابتلاه بالختان ، وَحلق العانة ، وغسل القُبُل والدُّبُر ، والسواك ، وقصّ الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونَتْف الإبط . قال أبو هلال : ونسيت خَصْلةً .

١٩١٣ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن مطر ، عن أبى الجلد قال : ابتُلِى إبراهيم بعشرة أشياءَ ، هن فى الإنسان ، سُنَّة :

---

(١) الخبر : ١٩١٠ — وهذا الإسناد صحيح أيضاً .

وهو فى تفسير عبد الرزاق (مخطوطة دار الكتب المصورة) ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه أبو جعفر فى التاريخ ١ : ١٤٤ ، من تفسير عبد الرزاق . بهذا الإسناد .

وكذلك رواه الحاكم ٢ : ٢٦٦ ، من طريق ابن طاوس عن أبيه ، به . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير ١ : ٣٠١ . وكذلك ذكره السيوطى ١ : ١١١ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى سننه .

الاستنشاق ، وقصّ الشارب ، والسِّواك ، ونتْف الإبط ، وقلْم الأظفار ، وغسل البراجم ، والختان ، وحلْق العانة ، وغسل الدبر والفرْج [١] .

• • •

وقال بعضهم: بل « الكلمات » التى ابتُلى بهنّ عشرُ خِلال ، بعضُهنّ فى تطهير الجسد ، وبعضهن فى مناسك الحجّ .

• ذكر من قال ذلك :

١٩١٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لَهيعة، عن ابن هبيرة ، عن حنش، عن ابن عباس فى قوله: « وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن » ، قال : ستة فى الإنسان ، وأربعة فى المشاعر . فالتى فى الإنسان : حلق العانة، والختان ، ونَتف الإبط، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب ، والغُسل يوم الجمعة . وأربعة فى المشاعر : الطواف ، والسَّعى بين الصفا والمروة ، ورمى الجمار ، والإفاضة .[٢]

• • •

وقال آخرون: بل ذلك: « إنى جاعلك للناس إماماً » ، فى مناسك الحج .

• ذكر من قال ذلك :

١٩١٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت إسمعيل ابن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله: « وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن» ، فمنهنّ : « إنى جاعلك للناس إماماً » ، وآيات النسك . [٣]

١٩١٦ — حدثنا أبو السائب قال ، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت إسمعيل

---

(١) الخبر : ١٩١٣ — مطر : هو ابن طهمان الوراق . وأبو الجلد : بفتح الجيم وسكون اللام ، سبق بيانه: ٤٣٤. وفى المطبوعة « أبو الخلد » بالخاء المعجمة بدل الجيم، وهو تصحيف تكرر فيها كثيراً .

البراجم جمع برجمة (بضم الباء وسكون الراء وضم الجيم) : وهى ظهور القصب من مفاصل الأصابع .

(٢) الخبر : ١٩١٤ — ابن هبيرة : هو عبد الله بن هبيرة السبائى المصرى ، وهو ثقة ، وثقه أحمد وغيره ، وخرج له مسلم فى الصحيح . حنش ، بفتحتين وبالشين المعجمة : هو ابن عبد الله السبائى الصنعانى ، من صنعاء دمشق — وهى قرية بالغوطة من دمشق — وهو تابعى ثقة .

وهذا الخبر رواه أيضاً ابن أبى حاتم ، عن يونس بن عبد الأعلى . عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، بهذا الإسناد — كما فى ابن كثير ١ : ٣٠٢ . وهو إسناد صحيح .

(٣) يأتى بيان آيات النسك فى الخبرين التاليين .

ابن أبي خالد، عن أبي صالح مولى أم هانئ في قوله : « وإذ ابتلى إبراهيم رَبُّه بكلمات »، قال : منهن « إني جاعلك للناس إماماً » ، ومنهن آيات النُّسك ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٧ - ١٢٨] .

١٩١٧ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمهن »، قال الله لإبراهيم : إني مُبتليك بأمرٍ فما هو؟ قال: تجعلني للناس إماماً! قال : نعم . قال : ومن ذُرِّيتي . قال : لا ينال عهدي الظالمين . قال : تجعل البيتَ مثابة للناس. قال : نَعم. [قال] : وأَمْناً . قال: نعم. [قال]: وتجعلنا مسلمين لك ومن ذُريتنا أمَّةً مُسلمةً لك . قال: نعم.[قال]: وتُرينا مناسكنا وتَتوب علينا . قال:نعم . قال : وتجعل هذا البلد آمناً . قال: نعم . قال:وتَرزُق أهله من الثمراتِ من آمن منهم . قال : نعم .

١٩١٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩١٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، أخبره به عن عكرمة ، فعرضته على مجاهدٍ فلم يُنكره .

١٩٢٠ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه . قال ابن جريج : فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة جميعاً .

١٩٢١ - حدثنا سفيان قال ، حدثني أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربه بكلمات فأتمهن »، قال : ابتلى بالآيات التي بعدَها : « إنّي جاعلكَ للناس إمَاماً قالَ ومنْ ذُرّيتي قالَ لاَ ينالُ عهدي الظالمين » .

١٩٢٢ - حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن

الربيع فى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن » ، فالكلمات : « إنّى جَاعلك للناس إمَاماً » ، وقوله : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابةً للناس » ، وقوله : « واتخِذوا من مَقام إبراهيم مُصلًّى » ، وقوله : « وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل » الآية ، وقوله : « وإذْ يرفع إبراهيم القواعدَ من البيت » الآية . قال : فذلك كله من الكلمات التى ابتُلى بهن إبراهيم .[1]

١٩٢٣ — حدثنى محمد ابن سعد[2] قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمّهن » ، فمنهن : « إنّى جاعلك للناس إمَاماً » ، ومنهن : « وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت » ، ومنهنّ الآيات فى شأن النسك والمقام الذى جعل لإبراهيم ، والرِّزق الذى رُزق ساكنو البيت ، ومحمد صلى الله عليه وسلم فى ذريتهما عليهما السلام.

١/٤١٦

* * *

وقال آخرون : بل ذلك مناسكُ الحجّ خاصة .

• ذكر من قال ذلك :

١٩٢٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا سلم بن قتيبة قال ، حدثنا عُمر بن نبهان ، عن قتادة ، عن ابن عباس فى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ رَبُّه بكلمات » ، قال : مناسك الحج .[3]

١٩٢٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان ابن عباس يقول فى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات » ، قال : المناسك .

---

(١) فى المطبوعة : « فذلك كلمة من الكلمات » ، والصواب من ابن كثير ١ : ٣٠٣ .

(٢) فى المطبوعة : « محمد بن سعيد » ، وهو خطأ ، وهو إسناد دائر فى الطبرى . وانظر رقم : ٣٠٥ .

(٣) الخبر : ١٩٢٤ — هذا الإسناد ضعيف من ناحيتين . أما سلم — بفتح السين وسكون اللام — ابن قتيبة أبو قتيبة : فإنه ثقة ، خرج له البخارى فى صحيحه . وأما الضعف ، فلأن « عمر بن نبهان الغبرى » بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة : ضعيف جداً ، ذمه الإمام أحمد ، وقال ابن معين : ليس بشىء . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٣٨/١/٣ . والوجه الآخر من الضعف : أنه منقطع ، لأن قتادة لم يدرك ابن عباس .

١٩٢٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال ، قال ابن عباس : ابتلاه بالمناسك .

١٩٢٧ — حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه، قال : بلغنا عن ابن عباس أنه قال : إن الكلمات التي ابتُلي بها إبراهيمُ، المناسكُ .

١٩٢٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا شريك، عن أبي إسحق، عن التميمي ، عن ابن عباس قوله : « وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلماتٍ »، قال : مناسك الحج .

١٩٢٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن التميمي ، عن ابن عباس في قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات »، قال : منهن مناسك الحج . [1]

* * *

وقال آخرون : هي أمور ، منهنّ الختان .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٠ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا سلم بن قتيبة، عن يونس بن أبي إسحق ، عن الشعبي : « وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلمات »، قال : منهن الختان .

١٩٣١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا يونس ابن أبي إسحق، قال : سمعت الشعبي يقول، فذكر مثله .

١٩٣٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا يونس ابن أبي إسحق قال ، سمعت الشعبي — وسأله أبو إسحق عن قوله الله : « وإذ ابتلَى

---

(١) الخبران : ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ — أبو إسحق: هو السبيعي ، عمرو بن عبد الله الهمداني ، الإمام التابعي الثقة ، التميمي : هو « أربدة » بسكون الراء وكسر الباء الموحدة . ويقال « أربد » بدون هاء . وهو تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ١ / ٢ / ٦٤ ، وابن أبي حاتم ١ / ١ / ٣٤٥ ، وقد عرف بأنه راوي التفسير عن ابن عباس . وفي المسند : ٢٤٠٥ — في حديث آخر « عن أبي إسحق ، عن التميمي الذي يحدث التفسير » . لم يرو عنه غير أبي إسحق السبيعي .

إبراهيمَ ربُّه بكلمات » ـ ، قال : منهن الختان ، يا أبا إسحق.

* * *

وقال آخرون : بل ذلك الخلال الستّ : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التى ابتلى بهن فصبر عليهن .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٣ ـ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أبى رجاء قال : قلت للحسن : « وإذ ابتلَى إبراهيم ربُّه بكلمات فأتمهن » . قال : ابتلاه بالكوكب ، فرضى عنه ؛ وابتلاه بالقمر ، فَرَضى عنه ؛ وابتلاه بالشمس ، فرضى عنه ؛ وابتلاه بالنار ، فرضى عنه ؛ وابتلاه بالهجرة ، وابتلاه بالختان .

١٩٣٤ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : إى والله ، ابتلاه بأمرٍ فصبَرَ عليه : ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر ، فأحسنَ فى ذلك ، وَعرف أن ربَّه دائم لا يزول ، فوجَّه وجهَه للذى فَطر السموات والأرض حنيفاً وما كان من المشركين ؛ ثم ابتلاه بالهجرة ، فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله ؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة ، فصبر على ذلك ؛ فابتلاه الله بذبح ابنه وبالختان ، فصبر على ذلك .

١٩٣٥ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عمن سمع الحسن يقول فى قوله : « وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربه بكلمات » ، قال : ابتلاه الله بذبح وَلده ، وبالنار ، وبالكوكب ، والشمس ، والقمر .

١٩٣٦ ـ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا سلم بن قتيبة قال ، حدثنا أبو هلال ، عن الحسن : « وإذا ابتلى إبراهيمَ رَبه بكلمات » ، قال : ابتلاه بالكوكب ، وبالشمس والقمر ، فوجده صابراً .

* * *

وقال آخرون بما :

١٩٣٧ ـ حدثنا به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

أسباط ، عن السدى : الكلمات التى ابتلى بهن إبراهيم ربه : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧-١٢٩]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه ، وأمره أن يعمل بهن فأتمهن ، كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل.[1] وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله فى تأويل « الكلمات » ، وجائز أن تكون بعضه . لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك ، فعمل به ، وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه . وإذ كان ذلك كذلك ، فغير جائز لأحد أن يقول : عنى الله بالكلمات التى ابتلى بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شىء ، ولا عنى به كل ذلك ، إلا بحجة يجب التسليم لها : من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من الحجة . ولم يصح فى شىء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ، ولا بنقل الجماعة التى يجب التسليم لما نقلته. ٤١٧/١

غير أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى نظير معنى ذلك خبران ، لو ثبتا ، أو أحدهما ، كان القول به فى تأويل ذلك هو الصواب . أحدهما ، ما : —

١٩٣٨ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا رشدين بن سعد قال ، حدثنى زبان بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله : ﴿ الَّذِى وَفَّى ﴾ ؟ [سورة النجم : ٣٧] لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [سورة الروم : ١٧ ، ١٨] حتى يختم الآية.[2]

---

(١) فى المطبوعة : « وأتمهن » بالواو ، والأجود ما أثبت .

(٢) الحديث : ١٩٣٩ — إسناده منهار لاتقوم له قائمة. وقد ضعفه الطبرى نفسه، هو والحديث الذى بعده . وقال ابن كثير ١ : ٣٠٤ — بعد إشارته إلى ذلك : « وهو كما قال ، فإنه لا يجوز روايتهما إلا ببيان ضعفهما ، وضعفهما من وجوه عديدة ، فإن كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء ،

والآخر مهما ما : —

١٩٣٩ — حدثنا به أبوكريب قال ، حدثنا الحسن بن عطية قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإبراهيم الذى وَفّى » ، قال : أتدرون ما « وفّى » ؟ قالوا : اللهُ ورسوله أعلم . قال : وفّى عمل يومه ، أربعَ ركَعاتٍ فى النهار.(١)

مع ما فى متن الحديث مما يدل على ضعفه » .

رشدين بن سعد : ضعيف جداً ، وقد فصلنا القول فيه فى شرح المسند : ٥٧٤٨ ، و « رشدين » : بكسر الراء وسكون الشين المعجمة وكسر الدال وبعد الياء نون ، ووقع فى المطبوعة وفى ابن كثير « راشد » وهو تصحيف .

زبان بن فائد المصرى الحمراوى : ضعيف أيضاً . قال أحمد : « أحاديثه مناكير » ، وضعفه ابن معين مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٠٥ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٦١٦ . وقال ابن حبان فى كتاب المجروحين (ص : ٢١٠ مخطوط مصور عندى) : « منكر الحديث جداً ، يتفرد عن سهل بن معاذ بنسخة كأنها موضوعة » . و « زبان » : بالزاى المعجمة وتشديد الباء الموحدة . ووقع فى المطبوعة « ريان » بالراء والتحتية ، وهو تصحيف .

سهل بن معاذ بن أنس الجهنى : ضعيف أيضاً ، ضعفه ابن معين . وقال ابن حبان فى كتاب المجروحين (ص : ٢٣٢) : « روى عنه زبان بن فائد ، منكر الحديث جداً . فلست أدرى أوقع التخليط فى حديثه منه أو من زبان بن فائد ؟ فإن كان من أحدهما فالأخبار التى رواها أحدهما ساقطة » .

وهذا الحديث — على ما فيه من ضعف شديد — رواه أحمد فى المسند : ١٥٦٨٨ (ج ٣ ص ٤٣٩ حلبى) . بل إنه روى هذه النسخة ، التى كاد ابن حبان أن يجزم بأنها موضوعة .

(١) الحديث : ١٩٣٩ — ضعفه أيضاً الطبرى ووافقه ابن كثير ، كما قلنا فى الذى قبله .

الحسن بن عطية بن نجيح الكوفى : ثقة ، روى عنه البخارى فى الكبير ٢/١/٢٩٩ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وروى عنه أبو حاتم وأبو زرعة ، وقال أبو حاتم . « صدوق » . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٧ . وهو غير « الحسن بن عطية بن سعد العوفى » ، السابق ترجمته فى : ٣٠٥ .

إسرائيل : هو ابن يونس بن إسحق السبيعى ، وهو ثقة ، مضى فى : ١٢٩١ .

جعفر بن الزبير الحنفى ، أو الباهلى ، الدمشقى ثم البصرى : ضعيف جداً . مترجم فى التهذيب ، وفى الكبير للبخارى ١/٢/١٩١ ، وفى الضعفاء له ، ص : ٧ ، وقال : « متروك الحديث ، تركوه » ، وفى ابن أبى حاتم ١/١/٤٧٩ . وقال ابن حبان فى كتاب المجروحين (ص : ١٤٢) : « روى عن القاسم مولى معاوية وغيره ، أشياء كأنها موضوعة » . وقال أبو حاتم : « روى جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، نسخة موضوعة ، أكثر من مئة حديث » .

وأما القاسم : فهو ابن عبد الرحمن الشامى ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وقد مختلف فيه ، والراجح أنه ثقة ، وأن ما أنكر عليه إنما جاء من الرواة عنه الضعفاء . وقد بينا ذلك فى شرح المسند : ٥٩٨ ، وما علقنا به على تهذيب السنن للمنذرى : ٢٣٧٦ .

* * *

قال أبو جعفر : فلو كان خبر سهل بن معاذ عن أبيه صحيحاً سنده ، كان بيِّناً أن الكلمات التى ابتلى بهن إبراهيم فقام بهن ، هو قوله كلما أصبح وأمسى : « فسبحانَ الله حينَ تُمسونَ وحينَ تُصبحون . وله الحمدُ فى السموات والأرض وعشيًّا وحينَ تُظهِرون » — أو كان خبر أبى أمامةَ عدولاً نَقَلتُه ، كان معلوماً أن الكلمات التى أوحِينَ إلى إبراهيم فابتُلى بالعمل بهن : أن يصلِّى كل يوم أربعَ ركعات . غير أنهما خبران فى أسانيدهما نظر .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى معنى « الكلمات » التى أخبر الله أنه ابتلى بهن إبراهيم ، ما بيَّنا آنفاً . ولو قال قائل فى ذلك : إن الذى قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس ، أولى بالصواب من القول الذى قاله غيرهم ، كان مذهباً . لأن قوله : « إنى جاعلك للناس إماماً » ، وقوله : « وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أن طهِّرا بيتِىَ للطائفين » وسائر الآيات التى هى نظيرُ ذلك ، كالبيان عن الكلمات التى ذكر الله أنه ابتلى بهن إبراهيم .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فأتمهن » ، فأتم إبراهيمُ الكلمات . و« إتمامه إيَّاهن » ، إكماله إياهن ، بالقيام لله بما أوجب عليه فيهن ، وهو الوفاء الذى

والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦ : ١٢٩ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وغيرهم ، وقال : « بسند ضعيف » .

(١) وقد نقل ابن كثير فى تفسيره ١ : ٣٠٤ هذه الفقرة من أول قوله « ولو قال قائل » ثم عقب عليه بقوله : « قلت : والذى قاله أولا : من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر ، أقوى من هذا الذى جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله . لأن السياق يعطى غير ما قالوه ، والله أعلم » . لم يأت ابن كثير بشىء ، فإن قول الطبرى بين ، وهو قاض بأن الصواب هو القول الأول ، وأن هذا الثانى لو قيل كان مذهباً . وهذه كلمة تضعيف لا كلمة تقوية .

قال الله جل ثناؤه : ﴿ وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [سورة النجم : ٣٧] ، يعنى وفَّى بما عهد إليه ، « بالكلمات » ، بما أمره به من فرائضه ومحنته فيها ،[1] كما : —

١٩٤٠ — حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « فأتمهن » ، أى فأدَّاهن .

١٩٤١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فأتمهن » ، أى عمل بهن فأتمهن .

١٩٤٢ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فأتمهن » ، أى عمل بهن فأتمهن .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « إنّى جاعلك للناس إماماً » ، فقال الله : يا إبراهيم ، إنّى مصيِّرك للناس إماماً ، يُؤتمّ به ويُقتدى به ، كما : —

١٩٤٣ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه ، عن الربيع : « إنى جاعلك للناس إماماً » ، ليؤتم به ويقتدى به .

* * *

يقال منه : « أممتُ القومَ فأنا أؤُمُّهم أمًّا وإمَامة » ، إذا كنت إمامهم .

* * *

وإنما أراد جل ثناؤه بقوله لإبراهيم: « إنّى جاعلك للناس إماماً »، إنّى مصيّرك تؤُم مَن بعدك مَن أهل الإيمان بى وبرسلى ، تتقدمهم أنت ،[2] ويتبعون هَدْيك ، ويستنُّون بسُنتك التى تعمل بها ، بأمرى إيَّاك ووحيى إليك .

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى: وفى بما عهد إليه بالكتاب فأمره به من فرائضه ومحنه فيها » ، وهى عبارة مضطربة لا تستقيم ، وكأن الصواب ما أثبته .

(٢) فى المطبوعة : « فتقدمهم أنت » ، ليست بشىء .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : قال إبراهيم — لمّا رفع الله منزلته وكرّمه، فأعلمه ما هو صانع به ، من تصييره إماماً فى الخيرات لمن فى عصره ، ولمن جاء بعدَه من ذريته وسائر الناس غيرهم ، يهتدَى بهَديه ، ويقتدَى بأفعاله وأخلاقه —: يا رب ، ومن ُذريتى فاجعل أئمة ُيقتدى بهم ، كالذى جعلتنى إماماً ١/٤١٨ ُيؤتم بى ويقتدى بى . مسألةٌ من إبراهيم ربَّه سأله إيَّاها ، كما : —

١٩٤٤ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال إبراهيم : « ومن ُذريتى » ، يقول : فاجعل من ذريتى من ُيؤتم به ، ويقتدى به .

* * *

وقد زعم بعض الناس أنّ قولَ إبراهيم : « ومن ذرِّيتى » ، مسألةمنه ربَّه لعقبه أن يكونوا على َعهده ودينه ، كما قال : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٥]، فأخبر الله جل ثناؤه أنّ فى عَقبه الظالم المخالف له فى دينه ، بقوله : « لا َينال عَهدى الظالمين » .

* * *

والظاهرُ من التنزيل يدلّ على غير الذى قاله صاحب هذه المقالة . لأن قول إبراهيم صلوات الله عليه : « ومن ُذريتى » ، فى إثر قول الله جل ثناؤه : « إنّى َجاعلك للناس إماماً » . فعلوم أن الذى سأله إبراهيم لذرِّيته ، لو كان غيرَ الذى أخبرَ ربُّه أنه أعطاه إياه ، لكان ُمبيَّناً .[1] ولكن المسألة لما كانت مما جرَى ذكرُه ، اكتفى بالذكر الذى قد مضى ، مِنْ تكريره وإعادته ، فقال : « ومن ذريتى » ، بمعنى : ومن ذريتى فاجعل مثلَ الذى جعلتنى به ، من الإمامة للناس .

---

(١) قوله : « لكان مبيناً » ، أى لجاء ما سأل إبراهيم ربه مبيناً فى الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١٢٤)

قال أبو جعفر : هذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن أنّ الظالم لا يكون إماماً يَقتدى به أهلُ الخير . وهو من الله جل ثناؤه جوابٌ لما يُتَوَهم فى مسألته إياه[1] : أن يجعل من ذريته أئمة مثله . فأخبر أنه فاعل ذلك ، إلا بمن كان من أهل الظلم منهم ، فإنّه غير مصيِّره كذلك ، ولا جاعِله فى محل أوليائه عنده ، بالتكرمة بالإمامة . لأن الإمامة إنما هى لأوليائه وأهل طاعته ، دون أعدائه والكافرين به .

* * *

واختلف أهل التأويل فى العهد الذى حرّم الله جل ثناؤه الظالمين أن ينالوه .

فقال بعضهم : ذلك « العهد » ، هو النبوة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٥ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قال لا يَنالُ عَهدى الظالمين » ، يقول : عهدى ، نبوّتى .

فمعنى قائل هذا القول فى تأويل الآية : لا ينال النبوّة أهلُ الظلم والشرك .

* * *

وقال آخرون : معنى « العهد » : عهد الإمامة .

فتأويل الآية على قولهم : لا أجعل من كان من ذريتك بأسرهم ظالماً، إماماً لعبادى يُقتدى به .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قال لا يَنالُ عهدى الظالمين » ، قال : لا يكون إمامٌ ظالماً .

---

(١) فى المطبوعة : « لما توهم » ، وهى خطأ ، والصواب ما أثبته ، بالبناء للمجهول .

١٩٤٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قال الله : « لا ينالُ عَهدى الظالمين »، قال: لا يكون إمامٌ ظالماً .

١٩٤٨ — حدثنا المثنى قال،حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة بمثله .

١٩٤٩ —حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور، عن مجاهد فى قوله: « قال لا ينالُ عهدى الظالمين »، قال: لا يكون إمامٌ ظالم يقتدى به .

١٩٥٠ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .

١٩٥١ — حدثنا مشرّف بن أبان الحطاب قال، حدثنا وكيع ،عن سفيان: عن خصيف، عن مجاهد فى قوله : «لا ينال عهدى الظالمين »، قال: لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به .(١)

١٩٥٢ — حدثنا محمد بن عبيد المحاربى قال، حدثنا مسلم بن خالد الزّنجى، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « لا ينال َعهدى الظالمين »،قال : لا أجعلُ إماماً ظالماً يقتدى به .

١٩٥٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) الخبر : ١٩٥١ — مشرف بن أبان أبو ثابت الحطاب ، شيخ الطبرى : ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٤ ، وذكر أنه يروى عن ابن عيينة ، وغيره . مات ببغداد سنة ٢٤٣ . ولم أجد له ترجمة ولا ذكراً غير ذلك ، و « مشرف » : بوزن « محمد » ، كما نص على أنه الجادة فى المشتبه للذهبى ، ص : ٤٨٤ ، والتبصير للحافظ ابن حجر (مخطوط مصور) .

ووقع فى المطبوعة « مسروق » ، وهو خطأ بين، وقد مضى فى : ١٣٨٣ باسم «بشر بن أبان الحطاب» . وهو خطأ أيضاً . ثم هو سيأتى على الصواب : « مشرف » — فى : ٢٣٨٢ .

وأما « الحطاب » ، فهكذا هو الثابت هنا بالحاء المهملة ، وفى تاريخ بغداد « الخطاب » بالمعجمة . ولم أستطع الترجيح بينهما .

ابن جريج ، عن مجاهد : « لا ينال عهدى الظالمين » : قال : لا يكون إماماً ظالم .
قال ابن جريج : وأما عطاء فإنه قال : « إنى جاعلك للناس إماماً قالَ وَمن ذريتى » ، فأبى أن يجعل من ذريته ظالماً إماماً . قلت لعطاء : ما عهده ؟ قال : أمرُه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه لاعهدَ عليك لظالم أن تطيعه فى ظُلمه .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٤ — حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لا ينال عهدى الظالمين » ، يعنى : لا عهدَ لظالم عليكَ فى ظلمه ، أن تطيعه فيه .

١٩٥٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله ، عن إسرائيل ، عن مسلم الأعور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « قال لا ينالُ عهدى الظالمين » ، قال : ليس للظالمين عهدٌ ، وإن عاهدتهُ فانقُضْه .

١٩٥٦ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن سفيان ، عن هرون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : ليس لظالم عهدٌ . ١/٤١٩

* * *

وقال آخرون : معنى « العهد » فى هذا الموضع : الأمان .

* فتأويل الكلام على معنى قولهم : قال الله لاينال أمانى أعدائى ، وأهل الظلم لعبادى . أى : لا أؤمنهم من عذابى فى الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قال لا ينال عهدى الظالمين » ، ذلكم عند الله يوم القيامة ، لا ينال عهده ظالم ، فأما فى الدنيا ، فقد نالوا عهد الله ، فوارثوا به المسلمين وغازَوْهم وناكحوهم به .[1] فلما كان يوم القيامة قصر الله عهدَه وكرامته على أوليائه .

---

(١) فى المطبوعة : « وعادوهم » ، والصواب من الدر المنثور ١ : ١١٨ ، وقوله : « غازوهم » أى كانوا معهم فى الغزو وشاركوهم فى الغنائم .

١٩٥٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا ينال عهدى الظالمين » ، قال : لا ينال عهد الله فى الآخرة الظالمون ، فأما فى الدنيا فقد نَاله الظالم ، وأكل به وعاش .

١٩٥٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم : « قالَ لا ينالُ عهدى الظالمين » ، قال : لا ينال عهد الله فى الآخرة الظالمون . فأما فى الدنيا فقد ناله الظالم فأمِن به ، وأكل وأبصر وعاش .

* * *

وقال آخرون : بل «العهد» الذى ذكره الله فى هذا الموضع : دين الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٠ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال الله لإبراهيم : « لا ينالُ عهدى الظالمين » ، فقال : فعهد الله الذى عهد إلى عباده ، دينُه . يقول : لا ينال دينُه الظالمين . ألا ترى أنه قال : ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [سورة الصافات : ١١٣] ، يقول : ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحقّ .

١٩٦١ – حدثنى يحيى بن جعفر قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « لا ينال عهدى الظالمين » ، قال : لا ينال عهدى عدوٌّ لى يَعْصِينى ، ولا أنْحَلُها إلا وَلِيًّا لى يطيعنى . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الكلام ، وإن كان ظاهرُه ظاهرَ خبرٍ = عن أنه لا ينال من ولد إبراهيم صلوات الله عليه عهدُ الله – الذى هو النبوة والإمامة لأهل الخير ،

(١) الأثر : ١٩٦١ – يحيى بن جعفر ، هو يحيى بن أبى طالب ، وانظر الأثر رقم : ٢٨٤ .

بمعنى الاقتداء به فى الدنيا ، والعهد الذى بالوفاء به ينجو فى الآخرة مَن وَفَى لله به فى الدنيا[١]ــ من كان منهم ظالماً متعدِّياً جائراً عن قَصْد سبيل الحق[٢]=فهو إعلامٌ من الله تعالى ذكره لإبراهيم : أن من ولده من يُشرك به ، ويجورُ عن قصد السبيل ، ويظلمُ نفسه وعبادَه ، كالذى : ـــ

١٩٦٢ ــ حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتّاب ابن بشير ، عن خصيف ، عن مجاهد فى قوله : « لا ينال عهدى الظالمين » قال : إنه سيكون فى ذرِّيتك ظالمون[٣]

* * *

وأما نصب « الظالمين » ، فلأنّ العهدَ هو الذى لا ينال الظالمين .

وذُكِر أنه فى قراءة ابن مسعود : « لا ينالُ عهدى الظالمون » ، بمعنى : أن الظالمين هم الذين لا ينالُون عهدَ الله .

* * *

وإنما جاز الرفع فى « الظالمين » والنصب ، وكذلك فى « العهد » ، لأن كل ما نالَ المرءَ فقد نالَه المرءُ ، كما يقال : « نالنى خيرُ فلان ، ونلت خيرَه » ، فيوجَّه الفعل مرة إلى الخير ، ومرة إلى نفسه .

* * *

وقد بينا معنى « الظلم » فيما مضى ، فكرهنا إعادته .[٤]

* * *

---

(١) سياق هذه الجملة المعترضة : « . . . لا ينال من ولد إبراهيم عهد الله . . . من كان منهم ظالما . . . »

(٢) وسياق هذه الجملة التى اعترضتها الجملة الطويلة السالفة : « وإن كان ظاهره ظاهر خبر . . فهو إعلام من الله . . . » ، وهكذا دأب أبى جعفر رضى الله عنه .

(٣) الأثر : ١٩٦٢ ــ فى المطبوعة « عتاب بن بشر » ، وهو خطأ . هو عتاب بن بشير الجزرى أبو الحسن ويقال أبو سهل الحرانى (تهذيب التهذيب) والتاريخ الكبير للبخارى ٤/١/٥٦ .

(٤) انظر ما سلف ١ : ٥٢٣ ــ ٥٢٤ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾

قال أبو جعفر : أما قوله : « وإذ جعلنا البيت مثابة » ، فإنه عطف بـ « إذ » على قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات » . وقوله : « وإذ ابتلى إبراهيم » معطوف على قوله : « يا بنى إسرائيلَ اذكروا نعمتى » ، واذكروا « إذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه » ، « وإذْ جعلنا البيتَ مثابة » .

* * *

و « البيت » الذى جعله الله مثابةً للناس ، هو البيت الحرام .

* * *

وأما « المثابة » ، فإن أهل العربية مختلفون فى معناها ، والسبب الذى من أجله أنِّثت .

فقال بعض نحويى البصرة : ألحقتْ الهاء فى « المثابة » ، لمّا كثُر من يثوب إليه ، كما يقال : « سيَّارة » لمن يكثر ذلك ، « ونسّابة » .

وقال بعض نحويى الكوفة : بل « المثاب » و « المثابة » بمعنى واحد ، نظيرةُ « المقام » و « المقامة »[1] . و « المقام » ، ذكّر — على قوله — لأنه يريد الموضع الذى يُقام فيه ، وأنث « المقامة » ، لأنه أريد بها البقعة . وأنكر هؤلاء أن تكون « المثابة » كـ « السيارة ، والنسابة » . وقالوا : إنما أدخلت الهاء فى « السَّيارة والنَّسَّابة » تشبيهاً لها بـ « الداعية » .

* * *

و « المثابة » « مفعلة » من « ثاب القوم إلى الموضع » ، إذا رجعوا إليه ، « فهم يثوبون إليه مثاباً ومثابةً وثواباً » .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « نظيره » والأرجح ما أثبت .

(٢) لم تذكر هذه المصادر فى كتب اللغة ، « المثاب ، والمثابة » مصدران ميميان قياسيان ، فإغفالها فى كتب اللغة غير غريب ، وأما قوله « وثواباً » ، فهذا إن صح عن الطبرى ، فهو جائز فى العربية أيضاً ، ولكنهم نصوا على أن مصدر « ثاب » هو « ثوباناً ، وثوباً ، وثؤوباً » فأخشى أن تكون محرفة عن إحداها . وأما « الثواب » فى المعروف من كتب العربية فهو الاسم من « أثابه يثيبه إثابة ، وهو الثواب » ، وهو المجازاة على الصنيع .

فمعنى قوله : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابة للناس » : وإذ جعلنا البيت مرجعاً للناس ومعاذاً ، يأتونه كلَّ عام وَيرجعون إليه ، فلا يقضُون منه وطراً . ومن « المثاب » ، قول وَرَقة بن نوفل فى صفة الحَرَم : ٤٢٠/١

مَثَابٌ لأَفْنَاء القَبَائِلِ كُلِّهَا تَخُبُّ إِلَيْهِ اليَعْمَلاَتُ الطَّلاَئِحُ(١)

ومنه قيل : « ثابَ إليه عقله » ، إذا رجع إليه بعد عُزُوبه عنه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل *

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا [أبو عاصم قال ، حدثنا] عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وإذ جَعلنا البيت مَثابة

---

(١) من أبيات طويلة لورقة بن نوفل فى البداية والنهاية لابن كثير ٢ : ٢٩٧ ، والبيت فى تفسير أبى حيان ١ : ٣٨٠ ، بهذه الرواية ، وقبل البيت فى ذكر أبينا إبراهيم عليه السلام :

فَمتبعٌ دِينَ الَّذِى أَسَّسَ البِنَا وكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ رَاجِحُ

وأَسَّسَ بُنْيَاناً بِمَكَّةَ ثَابِتاً تَلأْلأُ فِيهِ بِالظَّلاَمِ المَصَابِحُ

مَثَابًا لأَفْنَاء . . . .

بنصب « مثاباً » بيد أن الشافعى روى هذا البيت فى الأم ٢ : ١٢٠ لورقة بن نوفل ، وعجزه .

* تَخُبُّ إليه اليَعْمَلاَتُ الذَّوامِلُ *

وكذلك جاء فى القرطبى ٢ : ١٠٠ ، وعدها أبو حيان رواية فى البيت ، وبهذه الرواية ذكره صاحب اللسان فى (ثوب) منسوباً لأبى طالب ، وفى (ذمل) غير منسوب . والظاهر أن الشافعى رحمه الله أخطأ فى رواية البيت . وأخطأ صاحب اللسان فى نسبته ، اشتبه عليه بشعر أبى طالب فى قصيدته المشهورة .

وأفناء القبائل : أخلاطهم ونزاعهم من ههنا وههنا . وخبت الدابة تخب خبباً : وهو ضرب سريع من العدو . واليعملات جمع يعملة وهى الناقة السريعة المطبوعة على العمل ، اشتق اسمها من العمل ، والعمل الإسراع والعجلة . والطلائح جمع طليح . ناقة طليح أسفار : جهدها السير وهزلها ، فهى ضامرة هزلا . يعنى الإبل أنضاها أصحابها فى إسراعهم إلى حج البيت . وأما « الذوامل » فى الرواية الأخرى ، فهو جمع ذاملة . ناقة ذمول وذاملة : وهى التى تسير سيراً ليناً سريعاً .

للناس» ، قال : لا يقضُون منه وَطراً .[1]

١٩٦٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٩٦٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابةً للناس » ، قال : يثوبون إليه ، لا يقضون منه وَطراً .

١٩٦٦ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابةً للناس » ، قال : أما المثابة ، فهو الذي يَثوبون إليه كل سنة ، لا يدعه الإنسان إذا أتاهُ مرَّةً أن يعوَد إليه .

١٩٦٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي ، قال حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابة للناس» ، قال : لا يقضُون منه وَطراً ، يأتونه ، ثم يرجعون إلى أهليهم ، ثم يعودون إليه .

١٩٦٨ — حدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال ، حدثني الوليد بن مسلم قال ، قال أبو عمرو : حدثني عبدة بن أبي لبابة في قوله : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابةً للناس » ، قال : لا ينصرِف عنه منصرفٌ وهو يرى أنه قد قضى منه وَطراً .

١٩٦٩ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبدالملك ، عن عطاء في قوله : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابة للناس » ، قال : يثوبون إليه من كل مكان ، ولا يقضون منه وطراً .

١٩٧٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء مثله .

١٩٧١ — حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا سهل بن عامر قال ،

---

(١) الأثر : ١٩٦٣ — ما بين القوسين ساقط من الأصول . وهذا إسناد دائر ، أقربه إلينا رقم : ١٩٤٦ ، فأتممته على الصواب .

حدثنا مالك بن مغول، عن عطية فى قوله : « وإذْ جَعَلنا البيتَ مَثابة للناس »، قال : لا يقضُون منه وَطَراً .[١]

١٩٧٢ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن : قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي الهذيل قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : « وإذْ جَعَلنا البيتَ مَثابةً للناس »، قال : يحجّون ويثُوبون .

١٩٧٣ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا الثورى ، عن أبي الهذيل ، عن سعيد بن جبير فى قوله: « مثابةً للناس »،قال : يحجُّون ثمّ يحجّون ، ولا يقضون منه وطراً .[٢]

١٩٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا ابن بكير قال، حدثنا مسعر ، عن غالب ، عن سعيد بن جبير : « مَثابةً للناس »، قال : يثوبون إليه .[٣]

١٩٧٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « وإذْ جَعَلنا البيتَ مَثابة للناس وأمْناً » ، قال : مَجمعاً .

١٩٧٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « مَثابةً للناس » ، قال : يثوبون إليه .

---

(١) الخبر : ١٩٧١ — شيخ الطبرى « محمد بن عمارة الأسدى» ، كما مضى فى : ٦٤٥ ، ١٥١١ ، وكما ذكرنا أنه يروى عنه فى التاريخ كثيراً . وفى المطبوعة « محمد بن عمار » .

سهل بن عامر : هو البجلى ، وهو ضعيف جداً ، ترجمه البخارى فى الصغير ، ص : ٢٣٤ ، وقال: « منكر الحديث ، لا يكتب حديثه » . وترجمه ابن أبي حاتم ٢/١/٢٠٢ وروى عن أبيه قال : « هو ضعيف الحديث ، روى أحاديث بواطيل ! أدركته بالكوفة ، وكان يفتعل الحديث » . وترجم فى لسان الميزان٣ : ١١٩ — ١٢٠ ، ووقع اسم أبيه فى التاريخ الصغير « عمار » ، وهو خطأ ناسخ أو طابع .

(٢) الخبران : ١٩٧٢ — ١٩٧٣ — أبو الهذيل : هو غالب بن الهذيل الأودى ، يروى عن أنس ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/١/٩٩ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٤٧ . وسيأتى باسمه فى الخبر بعدها .

(٣) الخبر : ١٩٧٤ — غالب : هو أبو الهذيل فى الخبرين قبله . مسعر ، بكسر الميم وسكون السين وفتح العين : هو ابن كدام — بكسر الكاف وتخفيف الدال — وهو أحد الأعلام . الثقات .

١٩٧٧ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « مثابةً للناس » ، قال : يثوبون إليه .

١٩٧٨ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وإذْ جَعلنا البيت مثابةً للناس » ، قال : يثوبون إليه من البلدان كلِّها ويأتونه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَمْنًا ﴾

قال أبو جعفر : و « الأمن » مصدرٌ من قول القائل : « أمِنَ يأمَنُ أمْناً » .

* * *

وإنما سماه الله « أمْناً » ، لأنه كان فى الجاهلية مَعاذاً لمن استعاذ به . وكان الرجل منهم لو لقى به قاتلَ أبيه أوأخيه، لم يَهجْهُ ولم يعرض له حتى يخرج منه، وكان كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٧]

١٩٧٩ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وأمْناً » ، قال : من أمّ إليه فهو آمن، كان الرجل يلقَى قاتل أبيه أوأخيه فلا يعرِضُ له .

١/٤٢١

١٩٨٠ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « أمْناً » ، فمن دخله كانَ آمناً .

١٩٨١ — حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله : « وأمناً » ، قال : تَحرْيمُه، لا يخافُ فيه من دخله .

١٩٨٢ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله: « وأمْناً » ، يقول : أمناً من العدوّ أنْ يَحمل فيه السلاح ، وقد كان فى الجاهلية يُتخطف الناسُ من حولهم وهم آمنون لا يُسبَوْن .

١٩٨٣ — حدثت عن المنجاب قال ، أخبرنا بشر ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « وأمْناً » ، قال : أمناً للناس .

١٩٨٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : « وأمناً » ، قال : تحريمُه ، لا يخاف فيه من دخله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأه بعضهم : « وَاتخِذُوا منْ مَقام إبراهيمَ مُصلًّى » بكسر « الخاء » ، على وجه الأمر باتخاذه مصلًّى . وهى قراءة عامة المصريْن الكوفة والبصرة، وقراءة عامة قرأة أهل مكة وبعض قرأة أهل المدينة .[1] وَذهبَ إليه الذين قرأوه كذلك ، من الخبر الذى : —

١٩٨٥ — حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حميد ، عن أنس بن مالك قال ، قال عمر بن الخطاب : قلت : يا رسول الله ، لو اتخذتَ المقامَ مُصلى ! فأنزل الله : « واتخذوا من مَقام إبراهيم مُصلى » .

١٩٨٦ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى— وحدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية — جميعاً ، عن حميد ، عن أنس ، عن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مثله .

---

(١) كان فى المطبوعة : « قراء » فى هذه المواضع ، فرددتها إلى ما جرى عليه الطبرى فى الأجزاء السالفة .

١٩٨٧ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: قلت : يا رسول الله، فذكر مثله .[1]

* * *

قالوا : فإنما أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية ، أمرًا منه نبيَّه صلى الله عليه وسلم باتخاذ مَقام إبراهيم مصلًّى. فغيرُ جائز قراءتها — وهى أمرٌ — على وجه الخبر .

* * *

وقد زعم بعض نحويى البصرة أن قوله : « واتخِذُوا من مَقام إبراهيم مُصلًّى » ، معطوفٌ على قوله : « يا بَنى إسرائيل اذكروا نعمتى » و « اتخذوا من مَقام إبراهيم مُصلًّى ». فكان الأمر بهذه الآية ، وباتخاذ المصلى من مقام إبراهيم — على قول هذا القائل — لليهود من بنى إسرائيل الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، . . . . كما حُدِّثنا [عن] الربيع بن أنس .[2] بما : —

١٩٨٨ — حدثت [به] عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه قال : من الكلمات التى ابتُلى بهن إبراهيم قوله: « واتخِذوا من مَقام إبراهيم مُصلًّى » ، فأمرهم أن يتخذوا من مَقام إبراهيم مصلًّى ، فهم يصلون خَلف المقام .[3]

* * *

(١) الأحاديث : ١٩٨٥ — ١٩٨٧ ، هى حديث واحد بأربعة أسانيد صحاح. وهو مختصر من حديث مطول ، رواه أحمد فى المسند : ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٥٠ ، عن هشيم ، وعن ابن أبى عدى ، وعن يحيى — ثلاثتهم ، عن حميد ، عن أنس . ورواه البخارى أيضاً ، عن مسدد ، عن يحيى . كما ذكره ابن كثير ١ : ٣٠٩ — ٣١٠ ، من رواية البخارى وأحمد ، ثم ذكر أنه رواه أيضاً الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، وقال الترمذى : « حسن صحيح » .

(٢) كان فى المطبوعة : « كما حدثنا الربيع بن أنس » ، وهو خطأ ، فزدت « عن » بين القوسين ، فبين أبى جعفر الطبرى والربيع بن أنس دهر طويل . وانظر التعليق التالى .

(٣) الأثر : ١٩٨٨ — هو جزء من الأثر السالف رقم : ١٩٢٢ وهو «عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس » ، فزدت ما بين الأقواس ، ليستقيم الكلام . وسيأتى أيضاً برقم : ٢٠٠١ ولكنى وضعت هذه النقط فى الموضع السالف ، لأنى أخشى أن يكون فى الكلام سقط . وذلك أنه بدأ فقال : إن الأمر بهذه الآية على قول هذا البصرى — لليهود من بنى إسرائيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم عقب عليه بقوله : «فأمرهم أن يتخذوا مقام إبراهيم مصلى ، فهم يصلون خلف المقام » . ولست أعلم أن اليهود الذى كانوا على

فتأويل قائل هذا القول : وإذ ابتلى إبراهيمَ ربه بكلمات فأتمهن ، قال : إني جاعلك للناس إماماً ، وقال : اتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى .

* * *

قال أبو جعفر : والخبر الذى ذكرناه عن عمر بن الخطاب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلُ ، يدلّ على خلاف الذى قاله هؤلاء ، وأنه أمرٌ من الله تعالى ذكره بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين به ، وجميعَ الخلق المكلفين .

* * *

وقرأه بعضُ قرأة أهل المدينة والشامُ : ﴿ وَاتَّخَذُوا ﴾ بفتح «الخاء» ، على وجه الخبر .

* * *

ثم اختلف فى الذى عطف عليه بقوله : « واتخَذوا » إذ قرئ كذلك ، على وجه الخبر .

فقال بعض نحويى البصرة : تأويله ، إذا قُرئ كذلك : وإذْ جعلنا البيتَ مثابةً للناس وأمناً ، [وإذِ] اتخَذوا من مقام إبراهيم مصلى .[1]

وقال بعض نحويى الكوفة : بل ذلك معطوفٌ على قوله : « جعلنا » ، فكان معنى الكلام على قوله : وإذْ جعلنا البيت مثابةً للناس ، واتخذوه مصلى[2]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول والقراءة فى ذلك عندنا : « واتخِذوا »

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يصلون فى البيت الحرام خلف المقام ، فلذلك وضعت هذه النقط ، لأنى أرجح أنه قد سقط من كلام الطبرى فى هذا الموضع ما يستقيم به هذا الكلام . ولم أجد فى الكتب التى تنقل عن تفسير الطبرى ما يهدى إلى صواب هذه العبارة .

والذى أستظهره أن يكون سقط من هذا الموضع ، توجيه الأمر فى هذه الآية إلى إبراهيم وذريته من ولد إسماعيل ، فيكون الضمير فى قوله : «فأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، فهم يصلون خلف المقام» إلى ذرية إبراهيم من ولد إسماعيل ، وهم العرب من أهل دين إسماعيل ، وبقاياهم من أهل الجاهلية ، الذين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليقيمهم على الحنيفية ملة إبراهيم ، وهى الإسلام .

(١) الزيادة التى بين القوسين ، لا بد منها ، وإلا لم يكن بين هذا القول والذى يليه فرق . ويعنى البصرى فى هذا التأويل أن العطف على جملة « وإذ جعلنا » ، فتكون « إذ » مضمرة فى قوله تعالى : « واتخذوا » .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٧٧ وهو تأويله .

بكسر « الخاء » ، على تأويل الأمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، للخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرناه آنفاً ، وأنّ :

١٩٨٩ — عمرو بن على حدثنا قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا جعفر بن محمد قال ، حدثنى أبى ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : « واتخِذوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى » .(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « واتخِذوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى » ، وفى « مقام إبراهيم » . فقال بعضهم : « مقام إبراهيم » ، هو الحج كله .

٤٢٢/١

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس فى قوله : « مقام إبراهيم » ، قال الحج كله مقامُ إبراهيم .

١٩٩١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واتخذوا من مَقام إبراهيم مصَلًّى » ، قال : الحج كله .

١٩٩٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : الحج كله « مقام إبراهيم » .

* * *

وقال آخرون : « مقام إبراهيم » ، عَرَفة والمزدلفة والجمارُ .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » ، قال : لأنّى قد جعلته إماماً ، فمقامُه : عَرَفة والمزدلِفة والجِمارُ .

---

(١) الحديث : ١٩٨٩ — عمرو بن علي : هو الفلاس ، من كبار الحفاظ الثقات ، روى عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم . وشيخه يحيى بن سعيد : هو القطان الإمام .

والحديث جزء من حديث جابر — الطويل — فى الحج كما سنذكر فى : ٢٠٠٣ ، إن شاء الله .

١٩٩٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « واتخِذُوا من مَقام إبراهيم مصلّى » ، قال : مَقامه : جَمعٌ وَعرَفة ومِنًى — لا أعلمه إلاّ وقد ذكر مكة .

١٩٩٥ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس فى قوله : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى » ، قال : مقامه ، عرَفة .

١٩٩٦ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا داود ، عن الشعبى قال : نزلت عليه وهو واقف بعرفةَ ، مقام إبراهيم : ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٣] ، الآية .

١٩٩٧ — حدثنا عمرو قال ، حدثنا بشر بن المفضل ، قال : حدثنا داود ، عن الشعبى مثله

* * *

وقال آخرون : « مقام إبراهيم » ، الحرَم .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٨ — حدثت عن حماد بن زيد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « واتخذُوا من مقام إبراهيم مصلى » ، قال : الحرم كُله « مقام إبراهيم » .

* * *

وقال آخرون : « مقام إبراهيم » الحجر الذى قام عليه إبراهيم حين ارتَفَع بناؤُه ، وضَعُف عن رَفع الحجارة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٩ — حدثنا ابن سنان القزاز قال ، حدثنا عبيدالله بن عبد المجيد الحنفى قال ، حدثنا إبراهيم بن نافع قال ، سمعت كثير بن كثير يحدّث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جعل إبراهيم يبنيه ، وإسمعيل يناوله الحجارة ، ويقولان : « ربَّنا تَقبَّل منا إنك أنتَ السميع العليم » . فلما ارتفع البنيان ، وضعُف الشيخ عن

رفع الحجارة ، قام على حجر ، فهو « مقام إبراهيم » [١]

* * *

وقال آخرون: بل « مقام إبراهيم »، هو مقامه الذى هو فى المسجد الحرام .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « واتخِذوا من مَقام إبراهيمُ مصلّى »، إنما أمرُوا أن يصلّوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه . ولقد تكلّفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها.[٢] ولقد ذكر لنا بعضُ من رأى أثرَ عقِبه وأصابعه فيه، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وَانمحى . [٣]

٢٠٠١ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « واتخذوا من مَقام إبراهيم مصلى » ، فهُم يُصلون خلفَ المقام . [٤]

٢٠٠٢ — حدثنى موسى [٥] قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واتخِذُوا من مقام إبراهيم مصلى »، وهو الصلاة عند مَقامه فى الحج . و « المقام » هو الحجر الذى كانت زَوجَتُهُ إسمعيل وضعته تحت قَدَم إبراهيم حين غَسلت رأسه ، فوضع إبراهيم رجله عليه وهو راكبٌ، فغسلتْ شِقَّه ، ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله فى الحجر ، فوضعته تحت الشقّ الآخر ، فغسلته فغابت رجله

---

(١) الحديث : ١٩٩٩ — هو قطعة من الحديث الآتى : ٢٠٥٦ . وسنخرجه هناك ، إن شاء الله . وشيخ الطبرى هنا « ابن سنان القزاز » : هو « محمد بن سنان » ، مضت ترجمته فى : ١٥٧ . وفى المطبوعة « سنان » بحذف « ابن » ، وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « مما تكلفته » ، والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٣١١ .

(٣) فى المطبوعة : « أصابعه فيها » ، والصواب من تفسير ابن كثير . خلق الشىء وأخلق واخلولق : بلى .

(٤) الأثر : ٢٠٠١ — هو الأثر السالف : ١٩٨٨ ، وانظر التعليق عليه .

(٥) كان فى المطبوعة « حدثنى يونس » ، وهو خطأ محض بل هو إسناده الدائر فى التفسير — إلى السدى ، وأقربه رقم : ١٩٨٠ .

أيضاً فيه ، فجعلها الله من شعائره فقال : « واتخِذُوا من مقام إبراهيمَ مُصَلّى » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ، ما قاله القائلون : إنّ « مقام إبراهيم » ، هو المقام المعروف بهذا الاسم ، الذى هو فى المسجد الحرام ، لما روينا آنفاً عن عمر بن الخطاب ، [1] ولما : —

٢٠٠٣ — حدثنا يوسف بن سلمان قال ، حدثنا حاتم بن إسمعيل قال ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : استلمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرُّكن ، فرَمَلَ ثلاثاً ، ومشى أربعاً ، ثم تقدّم إلى مقام إبراهيم فقرأ : « واتخِذوا من مقام إبرَاهيمَ مُصَلّى » . فجعل المقامَ بينه وبين البيت ، فصلى ركعتين . [2]

* * *

فهذان الخبران يُنْبئان أن الله تعالى ذكره إنما عَنى بـ « مقام إبراهيم » الذى أمرنا الله باتخاذه مصلًّى — هو الذى وصفنا .

ولو لم يكن على صحة ما اخترنا فى تأويل ذلك خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) انظر ما سلف رقم : ١٩٨٥ — ١٩٨٧ .

(٢) الحديث : ٢٠٠٣ — يوسف بن سلمان ، شيخ الطبرى : هو أبو عمر الباهلى البصرى ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٢٣ — ٢٢٤ . وفى المطبوعة « سليمان » بدل « سلمان » ، وهو خطأ .

حاتم بن إسمعيل المدنى : ثقة مأمون كثير الحديث ، أخرج له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٧٢ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٥٨ — ٢٥٩ ، وابن سعد ٥ : ٣١٤ .

جعفر بن محمد : هو جعفر الصادق ، بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . وهو ثقة صادق مأمون ، من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلا . وإنما يكذب عليه الشيعة الروافض . أما رواية الثقات عنه فصحيحة .

وهذا الحديث قطعة من حديث جابر — الطويل — فى صفة حجة الوداع . وقد مضت قطعة منه : ١٩٨٩ ، من رواية يحيى بن سعيد القطان ، عن جعفر الصادق .

وستأتى قطعة منه ، بهذا الإسناد : ٢٣٦٥ .

والحديث بطوله — رواه الإمام أحمد فى المسند : ١٤٤٩٢ (ج ٣ ص ٣٢٠ — ٣٢١ حلبى) عن يحيى القطان ، عن جعفر .

ورواه مسلم فى صحيحه ١ : ٣٤٦ — ٣٤٧ ، عن أبى بكر بن أبى شيبة وإسحق بن راهويه — كلاهما عن حاتم بن إسمعيل ، عن جعفر الصادق ، به .

وسلم ، لكان الواجب فيه من القول ما قلنا . وذلك أنّ الكلام محمول معناه على ١/٤٢٣ ظاهره المعروف ، دون باطنه المجهول ، [1] حتى يأتى ما يدلّ على خلاف ذلك ، مما يجب التسليمُ له . ولا َشكّ أن المعروف فى الناس بـ «مقام إبراهيم» ، هو المصلَّى الذى قال الله تعالى ذكره : « واتخِذُوا من َمقام إبراهيم ُمصَلًّى»

* * *

[قال أبو جعفر : وأما قوله تعالى: « مُصلًّى »]، فإن أهل التأويل مختلفون فى معناه .[2] فقال بعضهم : هو المدَّعَى .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واتخذوا من مقام إبراهيم ُمصَلًّى» ، قال : مصلى إبراهيم ، ُمدَّعًى .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: اتخذوا مصلًّى تصلُّون عنده .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٥ — حدثنى بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : أمِروا أن يصلُّوا عنده .

٢٠٠٦ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هو الصلاة عنده .

* * *

قال أبو جعفر : فكأن الذين قالوا : تأويل : « المُصلى » ههنا ، المدَّعَى ، وَجَّهوا « المصَلَّى» إلى أنه « ُمفعَّل » ، من قول القائل: « صلَّيت » بمعنى دعوت.[3]

---

(١) انظر تفسير « الظاهر والباطن » فيما سلف ٢ : ١٥ ، واطلبه فى الفهارس .

(٢) الزيادة بين القوسين لا بد منها .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٤٢ - ٢٤٣ .

وقائلو هذه المقالة، هم الذين قالوا : إن مقامَ إبراهيم هو الحج كله .

* * *

فكان معناهُ فى تأويل هذه الآية : واتخذُوا عَرَفة والمزدلفة والمشعرَ والجمار ، وسائر أماكن الحج التى كان إبراهيم يقوم بها، مدَاعِيَ تدعونى عندها ، وتأتمُّون بإبراهيم خليلى عليه السلام فيها ، فإنى قد جعلته لمن بعده — من أوليائى وأهل طاعتى — إماماً يقتدون به وبآثاره ، فاقتدوا به .

* * *

وأما تأويل القائلين القولَ الآخر ، فإنه : اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلًّى تصلون عنده ، عبادةً منكم ، وتكرمةً منى لإبراهيم .

* * *

وهذا القول هو أولى بالصواب ، لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وَعهدنا »؛ وأمرنا ، كما : —

٢٠٠٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما عَهده ؟ قال : أمرُه

٢٠٠٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنى ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وَعهدنا إلى إبراهيم »، قال : أمرناه .

* * *

فمعنى الآية : وأمرنا إبراهيم وإسمعيل بتطهير بيتى للطائفين. « والتطهير » الذى أمرهما الله به فى البيت، هو تطهيرُه من الأصنام، وعبادة الأوثان فيه ، ومن الشرك بالله .

* * *

فإن قال قائل : وما معنى قوله : « وَعهِدنا إلى إبراهيمَ وإسمعيل أن َطهرا َبيتِىَ للطائفين » ؟ وهل كان أيامَ إبراهيم — قبل بنائه البيتَ — بيتٌ يطهَّر من الشرك وعبادة الأوثان فى الحرم ، فيجوز أن يكونا أمِرا بتطهيره ؟

قيل : لذلك وجهان من التأويل ، قد قال بكل واحد من الوجهين جماعة من أهل التأويل .[1]

أحدهما : أن يكون معناه : وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أن ابنيا بيتِى مطهَّراً من الشِّرك والرَّيْب[2] ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٩] ، فكذلك قوله : « وَعهدنا إلى إبراهيمَ وإسمعيل أن طهرِّا بيتِى » ، أى : ابنيا َبيتِى على ُطهر من الشرك بى والرَّيْب ، كما : —

٢٠٠٩ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وَعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أنَ طهرَّا بيتِى » ، يقول : ابنيا بيتِى [للطائفين] .[3]

فهذا أحدُ وجهيه .

والوجه الآخر منهما : أن يكونَا أمِرا بأن يطهرامكانَ البيت قبل ُبنيانه ، والبيتَ بعد بنيانه ، مما كان أهلُ الشرك بالله يجعلونه فيه — على َعهد نوح وَمن قبله — من الأوثان ، ليكون ذلك سنّة لمن بعدَهما ، إذ كان الله تعالى ذكره قد جعل إبراهيم إماماً يقتدى به َمن بعده ، كما : —

٢٠١٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله :

---

(١) فى المطبوعة : « قد كان لكل واحد من الوجهين » ، وهو كلام هالك .

(٢) الريب هنا : الشر والخوف من قولهم : رابنى أمره ، أى أدخل على شراً وخوفاً ، وكأن ذلك مردود إلى قوله تعالى : « مثابة للناس وأمنا » .

(٣) هذه الزيادة ، من تفسير ابن كثير ١ : ٣١٥ .

« أنْ طهِّرا » ، قال : من الأصنام التي يعبدُون ، التي كان المشركون يعظمونها.[١]

٢٠١١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير : « أنْ طهِّرا بيتِيَ للطائفين » ، قال : من الأوثان والرِّيَب .

٢٠١٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، مثله .

١/٤٢٤ ٢٠١٣ — حدثني أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : من الشرك

٢٠١٤ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أبو إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن مجاهد : « طهِّرا بيتِيَ للطائفين » ، قال : من الأوثان .

٢٠١٥ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « طهِّرا بيتِيَ للطائفين » ، قال : من الشرك وعبادة الأوثان .

٢٠١٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، بمثله — وزاد فيه : وقول الزُّور .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى « الطائفين » في هذا الموضع .

فقال بعضهم : هُمُ الغرباء الذين يأتون البيت الحرامَ من غَرْبَةٍ .[٢]

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره ١ : ٣١٤ — ٣١٥ ، بعد أن ساق هذا الوجه ، وهذا الأثر : « قلت : وهذا الجواب مفرع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم عليه السلام ، ويحتاج إثبات هذا إلى دليل عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم » .

(٢) الغربة والغرب (بفتح فسكون) : النوى والبعد . يعني من أتاه من مكان بعيد .

٢٠١٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا أبو حصين ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « للطائفين» ، قال : من أتاه من غَرْبة .

* * *

وقال آخرون : بل « الطائفون » هُمُ الذين يطوفون به ، غرباء كانوا أو مِنْ أهله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٨ — حدثنا محمد بن العلاء قال، حدثنا وكيع ، عن أبى بكر الهذلى ، عن عطاء : « للطائفين » ، قال : إذا كان طائفاً بالبيت فهو من « الطائفين » .

* * *

وأولى التأويلين بالآية ما قاله عطاء . لأن « الطائف » هو الذى يطوف بالشىء دُون غيره . والطارئ من غَرْبة لا يستحق اسم « طائف بالبيت» ، إن لم يطُف به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « والعاكفين » ، والمقيمين به . « والعاكف على الشىء » ، هو المقيم عليه ، كما قال نابغة بنى ذبيان :

عُكُوفاً لَدَى أَبْيَاتِهِمْ يَثْمِدُونَهُمْ رَمَى اللهُ فِى تِلْكَ الأَكُفِّ الكَوَانِعِ[1]

---

(١) ديوانه : ٦٣ من أبيات قالها لزرعة بن عامر العامرى . حين بعثت بنو عامر إلى حصن بن حذيفة وابنه عيينة بن حصن : أن اقطعوا حلف ما بينكم وبين بنى أسد ، وألحقوهم ببنى كنانة ، ونحالفكم ونحن بنو أبيكم . وكان عيينة هم بذلك ، فقالت بنو ذبيان : أخرجوا من فيكم من الحلفاء ، ونخرج من فينا ! فأبوا ، فقال النابغة :

لِيَهْنِ بنِى ذبيانَ أنّ بلادَهُمْ خَلَتْ لهُمُ من كُلّ مولًى وتابِعِ

سِوَى أَسَدٍ، يَحْمُونَها كُلّ شارقٍ بأَلْفَىْ كَمِىٍّ ، ذِى سلاحٍ ، ودَارِعِ

ثم مدح بنى أسد، وذم بنى عبس ، وتنقص بنى سهم ومالك من غطفان وعبد بن سعد بن ذبيان ، وهجاهم بهذا البيت الذى استشهد به الطبرى ، ورواية الديوان « قعوداً » ، و « يشمدونها » ، والضمير للأبيات .

وإنما قيل للمعتكف « معتكف » ، من أجل مقامه فى الموضع الذى حبسَ فيه نفسه لله تعالى .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله : « والعاكفين » .

فقال بعضهم : عَنى به الجالسَ فى البيت الحرام بغير طَوافٍ ولا صَلاةٍ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن أبى بكر الهذلى ، عن عطاء قال : إذا كان طائفاً بالبيت فهو من الطائفين ، وإذا كان جالساً فهو من العاكفين .

* * *

وقال بعضهم : « العاكفون » ، هم المعتكفون المجاورُون .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٠ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا شريك ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة : « طهِّرا بَيتى للطائفين والعاكفين » ، قال : المجاورُون

* * *

وقال بعضهم : « العاكفون » ، هم أهل البلد الحرام .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا

وقوله : « يشمدونهم » أصله من قولهم : « ثمد الماء يثمده ثمداً » ، نبث عنه التراب ليخرج . وماء مثمود : كثر عليه الناس حتى فنى ونفد إلا أقله . وأخذوا منه : « رجل مثمود » ، إذا ألح الناس عليه فى السؤال ، فأعطى حتى نفد ما عنده . يقول : يظل بنو سعد ومالك لدى أبيات عبد بن سعد يستنزفون أموالهم . يصفهم بالخسة وسقوط الهمة . ومن روى : « يثمدونها » وأعاد الضمير إلى « أبياتهم » ، فهو مثله ، فى أنهم يلازمون بيوتهم ويسترزقونها ، يهزأ بهم .

والكوانع جمع كانع : وهو الخاضع الذى تدانى وتصاغر وتقارب بعضه من بعض ، كأنه يتقبض من ذلته . يصفهم بالخسة والطمع والسؤال الذليل . وقوله : « رمى الله » يعنى أصابها بما يستأصلها ، ورواية الديوان : « فى تلك الأنوف » ، فمعناه : رمى فيها بالجدع ، وهو دعاء عليهم ، واشمئزاز من حقارتهم .

أبو حصين ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « والعاكفين » ، قال : أهل البلد .

٢٠٢٢ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والعاكفين » ، قال : العاكفون ، أهلُه .

* * *

وقال آخرون : « العاكفون » ، هم المصلُّون .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٣ ـ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس فى قوله : « طهّرا بيتى للطائفين والعاكفين »، قال : العاكفون ، المصلُّون .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بالصواب ما قاله عطاء ، وهو أن « العاكف » فى هذا الموضع ، المقيمُ فى البيت مجاوراً فيه بغير َطوافٍ ولا صلاة . لأن صفة « العكوف » ما وصفنا : من الإقامة بالمكان . والمقيمُ بالمكان قد يكون مقيماً به وهو جالسٌ ومصلٍّ وطائفٌ وقائمٌ ، وعلى غير ذلك من الأحوال. فلما كان تعالى ذكره قد ذكر ــ فى قوله : « أنْ َطهرا َبيتى للطائفين والعاكفينَ والرُّكّعِ السجود » ــ المصلِّين والطائفين ، علم بذلك أن الحال التى َعنى الله تعالى ذكره من « العاكف » ، غير حال المصلى والطائف ، وأن التى عنى من أحواله ، هو العكوف بالبيت ، على سبيل الجوار فيه ، وإن لم يكن مصلِّياً فيه ولا راكعاً ولا ساجداً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (١٢٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « والركّع » ، جماعةَ القوم الراكعين فيه له ، واحدهم « راكع » . وكذلك « السجود » هم جماعة القوم الساجدين فيه له ،

واحدهم « ساجد » — كما يقال : « رجل قاعد ورجال قعود » و « رجل جالس ورجال جُلوس » ، فكذلك « رجل ساجد ورجال سجود » .[١]

* * *

وقيل : بل عنى « بالركّع السجود » ، المصلّين .

* ذكر من قال ذلك :

١/٤٢٥ ٢٠٢٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عطاء: « والركّع السجود »، قال: إذا كان يُصلّي فهو من « الركّع السُّجود » .

٢٠٢٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والركّع السجود »، أهل الصلاة .

* * *

وقد بينا فيما مضى بيَان معنى « الركوع » و « السجود » ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .[٢]

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وإذْ قَالَ إبراهيمُ رَب اجعلْ هذا بلدًا آمناً »، واذكروا إذْ قال إبراهيم : رَبّ اجعل هذا البلد بلداً آمناً .

* * *

قال أبو جعفر : يعني بقوله « آمناً »، آمناً من الجبابرة وغيرهم، أن يسلّطوا

---

(١) مما استظهرته من أمر هذا الجمع ، جمع فاعل على فعول : أن كل فعل ثلاثي جاء مصدره على « فعول » بضم الفاء ، فجمع « فاعل » منه على « فعول » ، كهذه الأمثلة التي ذكرت هنا ، وكل ما سواها مما قيدته كتب اللغة ، ومما هو منثور في الشعر .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٥٧٤ — ٥٧٥ ، ثم ٢ : ١٠٣ — ١٠٥ ، ٥١٩ .

عليه ، ومن عقوبة الله أن تناله كما تنالُ سائر البلدانِ ، من خسف وائتفاكٍ وغرق ،[1] وغير ذلك من سخط الله ومَثُلاته التي تصيبُ سائر البلاد غيرَه ، كما :

٢٠٢٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن الحرَمَ حُرِّم بحِياله إلى العرش. وذكر لنا أن البيتَ هبط مع آدم حين هبطَ . قال الله له : اهبِط معكَ بَيتى يُطاف حوله كما يُطاف حول عرشى . فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين ، حتى إذا كان زمان الطُّوفان — حين أغرق الله قوم نوح — رفعه وطهَّره ، ولم تصبه عقوبة أهل الأرض . فتتبَّع منه إبراهيم أثرًا ، فبناه على أساس قديم كان قَبله .

* * *

فإن قال لنا قائل : أوما كان الحرم آمناً إلاّ بعد أن سأل إبراهيمُ ربَّه له الأمان ؟

قيل له : لقد اختُلِف فى ذلك . فقال بعضهم : لم يزل الحرم آمناً من عقوبة الله وعقوبة جبابرة خلقه ، منذ خلقت السموات والأرض . واعتلُّوا فى ذلك بما : —

٢٠٢٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، قال سمعت أبا شُرَيح الخزاعى يقول : لما افتتحت مكة قتلت خُزَاعة رجلاً من هُذيل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : « يا أيها الناس ، إن الله حرَّم مكة يوم خلق السموات والأرضَ ، فهى حَرَامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسفك بها دماً أو يَعضِدَ بها شجرًا . ألا وإنها لا تحلّ لأحد بعدى ،

---

(١) فى المطبوعة : « وانتقال » مكان « وائتفاك » ، وذاك لفظ بلا معنى هنا و بلا دلالة . والائتفاك الانقلاب ، وهو عذاب الله الشديد الذى أنزله بقوم لوط ، فقال سبحانه فى سورة هود : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ ، وهذا هو الائتفاك، ائتفكت بهم الأرض: أى انقلبت فصار عاليها سافلها ، فسمى الله هذه القرى، قرى لوط ﴿ الْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ فى سورة التوبة : ٧٠ ، وفى سورة الحاقة: ٩ ، وقال فى سورة النجم : ٥٢ — ٥٣ ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ۞ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴾

ولم تُحَلَّ لى إلا هذه الساعة، غَضَباً على أهلها. ألا فهى قد رَجعت على حالها بالأمس. ألا ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ. فمن قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل بها! فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يُحلَّها لك ». [1]

٢٠٢٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان — وحدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير — جميعاً، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمكة حين افتتحها: هذه حَرَمٌ، حرّمها الله يوم خَلقَ السموات والأرض، وخَلقَ الشمس والقمر، ووَضع هذين الأخشبَيْن، لم تحلّ لأحد قبلى، ولا تحلُّ لأحد بعدى، أحلَّت لى ساعةً من نهار. [2]

* * *

(١) الحديث: ٢٠٢٧ — هذا مختصر من حديث صحيح مطول:

فرواه أحمد فى المسند: ١٦٤٤٨ (ج ٤ ص ٣٢ حلبى)، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن محمد بن إسحق، بهذا الإسناد.

ورواية ابن إسحق ثابتة أيضاً — مطولة — فى سيرة ابن هشام ٤ : ٥٧ — ٥٨ (حلبى)، و ٨٢٣ — ٨٢٤ أوربة، ٢ : ٢٧٧ — ٢٧٨ (من الروض الأنف).

ورواه أيضاً، بنحوه، أحمد: ١٦٤٤٤ (ج ٤ ص ٣١)، والبخارى ١ : ١٧٦ — ١٧٧، و ٤ : ٣٥ — ٣٩ (فتح)، ومسلم ١ : ٣٨٣ — ٣٨٤ كلهم من طريق الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى، عن أبي شريح.

وقوله فى الحديث: «أو يعضد بها شجراً»، أى يقطعه، يقال «عضد الشجر»، من باب «ضرب» قطعه.

وقوله: «غضباً على أهلها»: هذا هو الصحيح الثابت فى رواية ابن إسحق، فى المسند، وسيرة ابن هشام، وفى المطبوعة: «عصى على أهلها». وهو تصحيف.

(٢) الحديث: ٢٠٢٨ — هذا الحديث رواه الطبرى بإسنادين، عن ثلاثة شيوخ: فرواه عن أبي كريب محمد بن العلاء، عن عبد الرحيم بن سليمان الرازى. ثم رواه عن ابن حميد — وهو محمد بن حميد الرازى، وعن ابن وكيع — وهو سفيان بن وكيع، كلاهما: أعنى ابن حميد وابن وكيع، عن جرير بن عبد الحميد الضبى. ثم يجتمع الإسنادان: فيرويه عبد الرحيم بن سليمان وجرير بن عبد الحميد «جميعاً عن يزيد بن أبي زياد».

وهذه الأسانيد ظاهرها الصحة، وإن كان سفيان بن وكيع ضعيفاً، كما بينا فى: ١٦٩٢ — فإن الطبرى لم يفرده بالرواية عنه، بل قرن به محمد بن حميد الرازى، وهو ثقة — إلا أن فى الحديث انقطاعاً، بين مجاهد وابن عباس. وقد سمع مجاهد من ابن عباس حديثاً كثيراً، ولكن هذا الحديث بعينه رواه «عن طاوس عن ابن عباس».

قالوا : فمكة ، منذ خُلقت ، حَرَمٌ آمن من عقوبة الله وعقوبة الجبابرة .

قالوا : وقد أخبرت عن صحة ما قلنا من ذلك الرواية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرناها . قالوا : ولم يسأل إبراهيمُ ربَّه أن يؤمنه من عقوبته وعقوبة الجبابرة ، ولكنه سأله أن يؤمن أهله من الجدُوب والقُحوط ، وأنْ يرزق ساكنَه من الثمرات ، كما أخبر ربه عنه أنّه سأله بقوله : « وإذْ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وَارْزق أهله من الثمرات مَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر » . قالوا : وإنما سأل ربه ذلك لأنه أسكن فيه ذريته ، وهو غيرُ ذى زرع ولا ضَرْع ، فاستعاذ ربَّه من أن يهلكهم بها جوعاً وعطشاً ، فسأله أن يؤمنهم مما حَذِر عليهم منه .

قالوا : وكيف يجوزُ أن يكون إبراهيمُ سأل ربه تحريم الحرَمِ ، وأن يُؤمنه من عقوبته وعقوبة جَبابرة خلقه ، وهو القائل — حين حلّه ونزَله بأهله وولده : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٧] ؟ قالوا : فلو كان إبراهيم هو الذى حرَّم الحرَم ، أو سأل ربه

و « يزيد بن أبى زياد الكوفى مولى بنى هاشم » : صدوق ، فى حفظه شىء بعد ما كبر ، قال ابن سعد ٦ : ٢٣٧ « كان ثقة فى نفسه ، إلا أنه اختلط فى آخر عمره ، فجاء بالعجائب » . وقال يعقوب ابن سفيان : « ويزيد — وإن كانوا يتكلمون فيه لتغيره — فهو على العدالة والثقة ، وإن لم يكن مثل الحكم ومنصور » . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٣٤ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٦٥ . فلعله وهم فى حذف « طاوس » بين مجاهد وابن عباس .

والحديث فى ذاته صحيح .

فرواه أحمد بنحوه مطولا : ٢٣٥٣ ، ٢٨٩٨ ، من طريق منصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس .

وكذلك رواه البخارى ٤ : ٤٠ — ٤٢ ، ومسلم ١ : ٣٨٣ ، من طريق منصور .

ومنصور بن المعتمر : سبق توثيقه . ١٧٧ . وهو أثبت حفظاً من مئة مثل يزيد بن أبى زياد . بل قال يحيى القطان : « ما أحد أثبت عن مجاهد وإبراهيم — من منصور » . وقدمه الأئمة — فى الحفظ — على الأعمش والحكم .

بل إن هذا الحديث نفسه : ذكر الحافظ فى الفتح أنه رواه الأعمش عن مجاهد عن النبى صلى الله عليه وسلم — مرسلا ، يعنى بحذف طاوس وابن عباس ، ثم قال : « ومنصور ثقة حافظ ، فالحكم لوصله » . أى أن هذه الزيادة زيادة ثقة ، يجب قبولها والحكم لها بالترجيح .

وقوله فى هذه الرواية : «ووضع هذين الأخشبين» . هذه الزيادة لم أجدها فى شىء من الروايات الأخر . و « الأخشبان » ، بلفظ التثنية : هما جبلا مكة المطيفان بها . انظر النهاية لابن الأثير ، ومعجم البلدان لياقوت .

تحريمه، لما قال: «عند بيتك المحرم» عند نزوله به، ولكنه حرم قبله، وحرم بعده.

* * *

وقال آخرون: كان الحرمُ حلالاً قبل دعوة إبراهيم كسائر البلاد غيره. وإنما صار حراماً بتحريم إبراهيم إياه، كما كانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالاً قبل تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها. قالوا: والدليل على ما قلنا من ذلك، ما: — ٤٢٦/١

٢٠٢٩ — حدثنا به ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن إبراهيم حرم بيت الله وأمّنه، وإني حرّمتُ المدينة ما بين لابتيها، لا يُصاد صيدها، ولا تقطع عضاهها.(1)

٢٠٣٠ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، [حدثنا ابن إدريس — وأخبرنا أبو كريب قال]، حدثنا عبد الرحيم الرازي، [قالا جميعاً]: سمعنا أشعث، عن نافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن إبراهيم كان عبدَ الله وخليله، وإني عبدُ الله ورسوله، وإن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، عضاهها وصيدها، ولا يُحمل فيها سلاح لقتال، ولا يقطع منها شجر إلا لعلف بعير.(2)

---

(1) الحديث: ٢٠٢٩ — إسناده صحيح. عبد الرحمن بن مهدي: هو الإمام الحافظ العلم. سفيان: هو الثوري.

أبو الزبير: هو المكي، محمد بن مسلم بن تدرس، تابعي ثقة. أخرج له الجماعة. جابر: هو ابن عبد الله، الصحابي المشهور.

والحديث رواه مسلم ١: ٣٨٥، بنحوه، من طريق محمد بن عبد الله الأسدي، عن سفيان، بهذا الإسناد. بلفظ «إن إبراهيم حرم مكة» إلخ.

ونقله ابن كثير ١: ٣١٦، وقال: «وهكذا رواه النسائي، عن محمد بن بشار بندار، به». و «بندار»: لقب محمد بن بشار.

اللابتان: هما الحرتان بجانبي المدينة، وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها.

العضاه، بكسر العين وتخفيف الضاد المعجمة وآخره هاء: كل شجر عظيم له شوك.

(2) الحديث: ٢٠٣٠ — أبو السائب: هو مسلم بن جنادة، مضت ترجمته: ٤٨.

ابن إدريس: هو عبد الله بن إدريس الأودي. سبقت ترجمته في: ٤٣٨.

٢٠٣١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا قتيبة بن سعيد قال ، حدثنا بكر ابن مضر ، عن ابن الهاد ، عن أبي بكر بن محمد ، عن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، عن رافع بن خديج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ إبراهيم حرَّم مكة ، وإنى أحرِّم المدينة ما بين لا بَتَيْها .(١)

عبد الرحيم الرازى : هو عبد الرحيم بن سليمان الرازى الأشل الكنانى — الذى مضت له رواية فى الحديث ٢٠٢٨ — وهو ثقة كثير الحديث . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٣٣٩ .

أشعث : هو ابن سوار الكندى ، ضعفه بعضهم ، ووثقه آخرون . وقد رجحنا توثيقه فى شرح المسند : ٦٦١ . مترجم فى التهذيب، والكبير للبخارى ١/٢/٤٣٠ ، وابن أبى حاتم ١/١/٢٧١ — ٢٧٢ .

نافع : هو مولى ابن عمر ، الثقة الثبت الحجة .

وقد كان هذا الإسناد : مغلوطاً فى المطبوعة هكذا : « حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا حدثنا عبد الرحيم الرازى : سمعت أشعث . . . » نقص منه « ابن إدريس » . فكان ظاهره أن أبا كريب وأبا السائب روياه عن عبد الرحيم الرازى عن أشعث . والصواب ما أثبتناه ، نقلا عن ابن كثير ١ : ٣١٦ ، عن هذا الموضع من الطبرى .

فصحة الإسناد : أنه يرويه الطبرى عن أبى كريب وأبى السائب . كلاهما عن عبد الله بن إدريس ، ثم يرويه الطبرى عن أبى كريب وحده ، عن عبد الرحيم الرازى — وأن عبد الله بن إدريس وعبد الرحيم الرازى سمعاه جميعاً من أشعث .

وهذا الحديث من هذا الوجه ، قال فيه ابن كثير : « وهذه الطريق غريبة ، ليست فى شيء من الكتب الستة » . وأزيد عليه : أنى لم أجدها فى المسند أيضاً ، ولا فى غيره مما استطعت الرجوع إليه من المراجع .

ثم أشار ابن كثير إلى أن أصل معناه ثابت عن أبى هريرة ، من وجه آخر ، فى صحيح مسلم . وهو حديث مالك فى الموطأ ، ص : ٨٨٥ ، عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة : « كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم بارك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا . اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وإنى عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة ، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ، ومثله معه » . وهو فى صحيح مسلم ١ : ٣٨٧ ، عن قتيبة ، عن مالك .

(١) الحديث : ٢٠٣١ — بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصرى : ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ١/٢/٩٥ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣٩٢ — ٣٩٣ ، وتذكرة الحفاظ ، وقال : « الإمام المحدث الصادق العابد » .

ابن الهاد : هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثى المدنى . وهو ثقة كثير الحديث ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٤٤ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٧٥ .

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى : تابعى ثقة حجة ، لا يسأل عن مثله .

عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : تابعى ثقة ، وكان شريفاً جواداً ممدحاً . جده لأمه : عبد الله ابن عمر بن الخطاب .

وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستعيابها الكتاب .

* * *

قالوا : « وقد أخبر الله تعالى ذكره في كتابه أن إبراهيم قال : « ربِّ اجعل هذا بلداً آمناً » ، ولم يخبر عنه أنه سأل أن يجعله آمناً من بعض الأشياء دون بعض . فليس لأحد أن يدّعي أن الذي سأله من ذلك ، الأمانُ له من بعض الأشياء دون بعض ، إلا بحجة يجب التسليم لها . قالوا : وأما خبرُ أبي شُريح وابن عباس ، فخبران لا تثبت بهما حُجة ، لما في أسانيدهما من الأسباب التي لا يَجبُ التسليمُ فيها من أجلها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : أنّ الله تعالى ذكره جعل مكة حرَماً حين خَلقها وأنشأها ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، « أنه حرّمها يومَ خلق السموات والأرض » ، بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسله ، ولكن بمنعه من أرادَها بسوء ، وبدفعه عنها من الآفات والعقوبات وعن ساكنيها ما أحلّ بغيرها وغير ساكنيها من النقمات . فلم يزل ذلك أمرها حتى بوّأها الله إبراهيمَ خليلَه ، وأسكن بها أهله هاجرَ وولده إسمعيل . فسأل حينئذ إبراهيم ربَّه إيجابَ فرضِ تحريمها على عباده على لسانه ، ليكون ذلك سُنة لمن بعده من خلقه يستنُّون به فيها ، إذ كان تعالى ذكره قد اتخذه خليلاً ، وأخبره أنه جاعله للناس إماماً يقتدى به . فأجابه ربه إلى ما سأله ، وألزم عبادَه حينئذ فرضَ تحريمه على لسانه .

فصارَت مكة — بعد أنْ كانت ممنوعة بمنع الله إياها ، بغير إيجاب الله فرضَ الامتناع منها على عباده ، ومحرَّمة بدفع الله عنها ، بغير تحريمه إياها على لسان أحد من رسله —[1] فرضٌ تحريمها على خلقه على لسان خليله إبراهيم عليه السلام ، وواجبٌ على عباده الامتناعُ من استحلالها ، واستحلال صيدها وعِضَاهها لها بإيجابه الامتناعَ من ذلك ، ببلاغ إبراهيمَ رسالةَ الله إليه بذلك إليهم .

والحديث رواه مسلم في صحيحه ١ : ٣٨٥ ، عن قتيبة بن سعيد ، بهذا الإسناد . ونقله ابن كثير ١ : ٣١٦ ، وقال : « انفرد بإخراجه مسلم » . يعني دون البخاري .

(١) سياق هذه الجملة المعترضة : « بعد أن كانت ممنوعة . . . ، ومحرمة . . . » ، وسياق الجملة التي دخلها الاعتراض : « فصارت مكة . . . فرض تحريمها . . . وواجب على عباده . . . »

فلذلك أضيفَ تحريمها إلى إبراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الله َحرّم مكة » . لأن فرضَ تحريمها الذي ألزمَ اللهُ عبادَه على وجه العبادة له به — دون التحريم الذي لم َيزَل متعبِّداً لها به على وجه الكِلاءة والحفظ لها قبلَ ذلك —[1] كان عن مسألة إبراهيمَ ربَّه إيجابَ فرض ذلك على لسانه ، [وهو الذي لزم العبادَ فرضُه دون غيره .[2]

فقد تبين إذاً بما ُقلنا صحةُ معنى الخبرَ يْن — أعني خبر أبي شريح وابن عباسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله حرّم مكة يوم خلق الشمسَ والقمر » — وخبرُ جابر وأبي هريرة ورافع بن خديج وغيرهم : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم إنّ إبراهيم حرّم مكة » ؛ وأنْ ليس أحدُهما دافعاً صحة معنى الآخر ، كما ظنه بعض الجهال .

وغيرُ جائز في أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بعضُها دافعاً بعضًا ، إذا ثبت صحتُها . وقد جاء الخبران اللذان رُويا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مجيئاً ظاهرًا مستفيضًا يقطعُ ُعذرَ من َبلغه

وأمّا قولُ إبراهيم عليه السلام[3] : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٧] ، فإنه ، إن يكن قاله قبل إيجاب الله َفرْض تحريمه على لسانه على خلقه ،[4] فإنما َعنى بذلك تحريم الله إياه الذي حرّمه بحِياطته إياه وكلاءَته ،[5] من غير تحريمه إياه على خلقه على وجه التعبُّد لهم بذلك — وإن يكن قال ذلك بعد تحريم الله إياه على لسانه على خلقه على وجه التعبُّد ، فلا مسألة لأحد علينا في ذلك . ٤٢٧/١

---

(١) كلأه الله يكلؤه كلاء (بفتح فسكون) وكلاءً (بكسر فسكون) وكلاءة (بكسر الكاف) : حرسه وحفظه . وكان في المطبوعة « الكلاء » بهمزة مفردة مع المد ، وليس صواباً . هذا ، وسياق العبارة : « لأن فرض تحريمها ... كان عن مسألة إبراهيم ربه » .

(٢) ما بين القوسين زيادة لا بد منها حتى يستقيم الكلام .

(٣) في الأصول : « وقول إبراهيم » ، والصواب زيادة « أما » كما يدل عليه السياق .

(٤) وفيها : « إن يكن قال قبل إيجاب الله » . والصواب ما أثبت .

(٥) وفيها : « وكلائه » ، والصواب ما أثبت ، وانظر التعليق السالف رقم : ١

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾

* * *

قال أبو جعفر: وهذه مسألةٌ من إبراهيم ربَّه: أنْ يرزقَ مؤمنى أهل مكة من الثمرات، دون كافريهم. وخصَّ بمسألة ذلك للمؤمنين دون الكافرين، لمَّا أعلمه الله — عند مسألته إياه أن يجعلَ من ذريته أئمة يقتدَى بهم — أنَّ منهم الكافرَ الذى لا ينال عهدَه، والظالمَ الذى لا يُدرك وِلايته. فلمَّا أنْ علم أن من ذريته الظالمَ والكافرَ، خصَّ بمسألته ربَّه أنْ يرزق من الثمرات من سُكان مكة، المؤمنَ منهم دون الكافر. وقال الله له: إنّى قد أجبت دعاءك، وسأرزق مع مؤمنى أهل هذا البلد كافرَهم، فأمتِّعه به قليلاً.

* * *

وأمَّا « مَنْ » من قوله: « مَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر »، فإنه نصبٌ على الترجمة والبيان عن « الأهل »، (١) كما قال تعالى: ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٧]، بمعنى: يسئلونك عن قتالٍ فى الشهر الحرام، وكما قال تعالى ذكره: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [سورة آل عمران : ٩٧] : بمعنى: ولله حج البيت على من استطاع إليه سبيلا.

* * *

وإنما سأل إبراهيمُ ربه ما سأل من ذلك، لأنه حلَّ بوادٍ غير ذى زَرع ولا ماء ولا أهل، فسألَ أن يرزق أهله ثمرًا، وأن يجعلَ أفئدةً من الناس تَهوى إليهم. فذُكِر أنَّ إبراهيم لما سَأل ذلك ربَّه، نقل الله الطائفَ من فلسطين.

٢٠٣٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق بن الحجاج قال، حدثنا هشام قال، قرأت على محمد بن مسلم: أن إبراهيمَ لما دعا للحرم: « وارزق أهلَه من الثمرات »، نقل الله الطائفَ من فلسطين.

---

(١) الترجمة : هى عطف البيان أو البدل عند الكوفيين، كما سلف ٢ : ٣٤٠، ٤٢٠.

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فى قائل هذا القول ، وفى وَجْه قراءته . فقال بعضهم: قائل هذا القول ربُّنا تعالى ذكره . وتأويله على قولهم: قال: وَمَنْ كفرَ فأمتِّعه قليلاً برزقى من الثمرات فى الدنيا ، إلى أن يأتيه أجله . وقرأ قائل هذه المقالة ذلك : « فأمتِّعُه قليلاً » ، بتشديد « التاء » ورفع « العين » .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه عن الربيع ، قال ، حدثنى أبو العالية ، عن أبىّ بن كعب فى قوله : « ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار » ، قال هو قول الرب تعالى ذكره .

٢٠٣٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : لما قال إبراهيم : « ربِّ اجعلْ هذا بلدًا آمنا وارزق أهله من الثمرات مَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر» ، وعدَل الدَّعوة عمن أبى اللهُ أن يجعل له الولاية ، = انقطاعاً إلى الله،[1] ومحبّةً وفراقاً لمن خالف أمره، وإن كانوا من ذريته، حين عرف أنه كائنٌ منهم ظالم لا ينالُ عهده ، بخبره عن ذلك حين أخبره[2] = قال الله : ومن كفر — فإنى أرزق البرّ والفاجر — فأمتِّعه قليلاً.[3]

* * *

وقال آخرون: بل قال ذلك إبراهيمُ خليل الرحمن، على وجه المسألة منه ربَّه أن

(١) يعنى أن إبراهيم قال ذلك ، وصرف الدعوة : « انقطاعاً إلى الله . . . »

(٢) فى المطبوعة : « أنه كان منهم ظالم . . . » والصواب ما أثبت من تفسير ابن كثير . قوله : « بخبره عن ذلك . . . » سياقه ، أنه : عدل الدعوة عمن أبى . . . بخبر الله عن ذلك حين أخبره . وفى المطبوعة : « فقال الله . . . » ، والفاء مفسدة للسياق ، فإنه : « لما قال إبراهيم . . . وعدل الدعوة . . . قال الله . . . »

(٣) الأثر : ٢٠٣٤ — فى تفسير ابن كثير ١ : ٣١٩ ، وفيه اختلاف فى بعض اللفظ ، ولم أجده فى سيرة ابن هشام .

يرزق الكافرَ أيضاً من الثمرات بالبلد الحرام ، مثلَ الذى يرزقُ به المؤمنَ ويُمتعه بذلك قليلاً ، « ثم اضْطرَّه إلى عَذاب النار » — بتخفيف « التاء » وجزم « العين » ، وفتح « الراء » من « اضطرَّه » ، وفصْل « ثم اضطرهُ » بغير قَطع ألفها [1] — على وجه الدعاء من إبراهيم ربه لهم والمسألة .

* ذكرُ من قال ذلك :

٢٠٣٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه عن الربيع قال ، قال أبو العالية : كان ابنُ عباس يقول : ذلك قولُ إبراهيم ، يسأل ربَّه أنَّ من كفر فأمتِعْه قليلاً .

* * *

٢٠٣٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن ليث ، عن مجاهد : « ومن كفرَ فأمتّعُهُ قليلاً » ، يقول : ومن كفر فأرزقه أيضاً ، ثم أضْطرُّهُ إلى عذاب النار . [2]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا والتأويلِ ، ما قاله أُبى ابن كعب وقراءتُه ، لقيام الحجة بالنقل المستفيض درايةً بتصويب ذلك ، وشذوذِ ما خالفه من القراءة . وغير جائز الاعتراضُ بمن كان جائزاً عليه فى نقله الخطأُ والسهوُ ، على من كان ذلك غير جائز عليه فى نقله . وإذْ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : قال الله : يا إبراهيم ، قد أجبتُ دَعوتك ، ورزقتُ مُؤمنى أهل هذا البلد من الثمرات وكفارهم ، متاعاً لهم إلى بُلوغ آجالهم ، ثم أضْطر كفارَهم بعد ذلك إلى النار .

* * *

وأما قوله : « فأمتِّعهُ قَليلاً » يَعنى : فأجعل ما أرزقه من ذلك فى حَياته

---

(١) هذا رسم القراءة ﴿ فَأَمْتِعْهُ قَلِيلاً ثُمَّ اضْطَرَّهُ ﴾ ، على أنهما فعلا أمر ، يراد بهما الدعاء والسؤال .

(٢) الأثر : ٢٠٣٦ — كان ينبغى أن يقدم هذا الأثر على ذكر هذه القراءة التى سوف يردها

َمتاعاً يتمتع به إلى وقت مماته .[١]

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن الله تعالى ذكره إنّما قال ذلك لإبراهيم ، ١/٤٢٨ جواباً لمسألته ما َسأل من رزق الثمرات لمؤمنى أهل مكة . فكان معلوماً بذلك أن الجوابَ إنما هو فيما سألهُ إبراهيم لا فى غيره . وبالذى قلنا فى ذلك قال مجاهد ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه .[٢]

وقال بعضهم : تأويله : فأمتّعه بالبقاء فى الدنيا .

وقال غيره : فأمتّعه قليلاً فى كفره َما أقامَ بمكة ، حتى أبعث محمداً صلى الله عليه وسلم فيقتُله ، إن أقام على كفره، أو يُجليه عنها . وذلك وإن كان وجهاً يحتمله الكلامُ ، فإن دليلَ ظاهر الكلام على خلافه ، لما وصفنا .[٣]

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ثم أضْطرُّه إلى عذَاب النار » ، ثم أدفعه إلى عذاب النار وأسوقه إليها ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ

الطبرى . وبين من نقل ابن كثير عن الطبرى أن موقعه قبل الأثر رقم : ٢٠٣٤ ، وسيأتى فى كلام الطبرى بعد قليل ما يقطع بأن هذا الخبر عن مجاهد ، بمعزل عن هذه القراءة . فأخشى أن يكون الناسخ قد أسقط الخبر عند النسخ ، ثم عاد فوضعه هنا حين انتبه إلى أنه قد أسقطه . وكدت أرده إلى مكانه ، ولكنى آثرت تركه على حاله مع التنبيه على الخطأ ، وفصلته عن الذى قبله بالنجوم الفاصلة .

(١) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ — ٥٤١ .

(٢) انظر الأثر : رقم : ٢٠٣٦ ، والتعليق عليه .

(٣) ما أحسن ما قال أبو جعفر فإن أكثر الكلام ، يحتمل وجوهاً ، ولكن سياق المعانى وترابطها يوجب معنى واحداً مما يحتمله الكلام . وهذا ما يعنيه بقوله : « دليل ظاهر الكلام» . وانظر تفسير « الظاهر» فيما سلف ٢ : ١٥ والمراجع قبله وبعده .

جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [سورة الطور : ١٣] .[١]

* * *

ومعنى « الاضطرار » ، الإكراه . يقال : « اضطررت فلاناً إلى هذا الأمر » ، إذا ألجأته إليه وحملته عليه .

فذلك معنى قوله : « ثم أضطرُّه إلى عذاب النار » ، أدفعه إليها وأسوقه ، سحباً وجرًّا على وجهه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١٢٦)

قال أبو جعفر : قد دللنا على أن « بئس » أصله « بئِس » من « البُؤس » سُكِّن ثانيه ، ونقلت حركة ثانيه إلى أوله ، كما قيل للكَبِد كِبْد ، وما أشبه ذلك .[٢]

* * *

ومعنى الكلام : وساءَ المصيرُ عذابُ النار ، بعد الذى كانوا فيه من متاع الدنيا الذى متَّعتهم فيها .

* * *

وأما « المصير » ، فإنه « مَفْعِل » من قول القائل : « صرْتُ مَصيراً صالحاً » ، وهو الموضع الذى يَصير إليه الكافرُ بالله من عذاب النار .[٣]

* * *

(١) قال أبو جعفر فى تفسير هذه الآية (٢٧ : ١٣ – ١٤ ، بولاق) : « يدفعون بإرهاق وإزعاج . يقال منه . دعمت فى قفاه : إذا دفعت فيه » .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٣٣٨ – ٣٤٠ .

(٣) يريد الطبرى أنه المنزل الذى ينتهى إليه ، من قولهم : « أين مصيركم ؟ » ، أى منزلكم . والمصير : العاقبة وما يصير إليه الشيء .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإذْ يَرْفعُ إبرٰاهيمُ القواعدَ منَ البيت » ، واذكروا إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت .

* * *

و « القواعد » جمع « قاعدة » ، يقال للواحدة من « قواعد البيت» « قاعدة » ، وللواحدة من « قواعد النساء » وعجائزهن « قاعد » ، فتلغى هاء التأنيث ، لأنها « فاعل » من قول القائل : « قعدت عن الحيض » ، ولاحظّ فيه للذكورة ، كما يقال : « امرأة طاهر وطامثٌ » ، لأنه لاحظّ فى ذلك للذكور ، ولو عنى به « القعود » الذى هو خلاف « القيام » ، لقيل : « قاعدة » ، ولم يجز حينئذ إسقاط هاء التأنيث . و« قواعد البيت » إساسه .(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى « القواعد » التى رفعها إبراهيم وإسمعيل من البيت . أهما أحدثا ذلك ، أم هى قواعد كانت لهُ قبلهما ؟

فقال قوم : هى قواعد بيتٍ كان بناه آدم أبو البشر بأمر الله إياه بذلك ، ثم دَرس مكانُه وتعفّى أثرُه بعده ، حتى بوّأه الله إبراهيمَ عليه السلام ، فبناه .

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٧ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء قال : قال آدم : يا رب ، إنى لا أسمع أصوات الملائكة ! قال : بخطيئتك ، ولكن اهبط إلى الأرض ، وابن لى بيتاً ، ثم احفُفْ به كما رأيتَ

---

(١) الإساس (بكسر الهمزة) جمع أس (بضم الهمزة) ، وجمع الأساس ، أسس (بضمتين) وجمع الأسس (بفتحتين) آساس (بالمد) ، وكلها بمعنى واحد .

الملائكة تحفُّ ببيتي الذى فى السماء . فيزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبُل : من « حِراء » و« طورزَيْتا » ، و « طورسَيْنا » ، و« جبل لبنان » و« الجودى » ، وكان رَبضُه من حِراء . فكان هذا بناءَ آدم ، حتى بناه إبراهيمُ بعد .[1]

٢٠٣٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيت» ، قال : القواعدُ التى كانت قواعدَ البيت قبل ذلك .

* * *

وقال آخرون : بل هى قواعدُ بيت كان الله أهبطه لآدم من السماء إلى الأرض ، يطوفُ به كما كان يطوفُ بعرشه فى السماء ، ثم رَفعَه إلى السماء أيامَ الطوفان ، فرفع إبراهيمُ قواعد ذلك البيت .

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٩ — حدثنى محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن أبى قلابة ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما أهبطَ الله آدمَ من الجنة قال : إنى مهبط معك — أو منزِلٌ معك — بيتاً يُطاف حوله كما يطاف حَولَ عرشى ، ويُصلَّى عنده كما يصلَّى عند عرشى . فلما كان زمنُ الطوفان ، رُفع ، فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه ، حتى بوّأه الله إبراهيم ، وأعلمه مكانه ، فبناه من خمسة أجبُل : من « حراء » و « ثبير » و « لبنان » و « جبل الطور » و « جبل الخمر » .[2]

---

(١) الأثر : ٢٠٣٧ — فى تفسير ابن كثير ١ : ٣٢٥ ، وقال : « وهذا صحيح إلى عطاء ، ولكن فى بعضه نكارة والله أعلم » . وربض البناء (بفتحتين) وربضه (بضم فسكون) : هو وسطه الذى يربض عليه ، أى يستقر ويثبت .

(٢) الخبر : ٢٠٣٩ — عبد الوهاب : هو ابن عبد المجيد الثقفى ، وهو ثقة ، من شيوخ الشافعى وأحمد وأضرابهما . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٧١ ، وابن سعد ٧/٢/٤٤ .

أيوب : هو ابن أبى تميمة السختيانى ، وهو ثقة حجة . قال شعبة : « كان سيد الفقهاء » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٤٠٩ — ٤١٠ ، وابن سعد ٧/٢/١٤ — ١٧ ، وابن أبى حاتم

أبو قلابة ، بكسر القاف وتخفيف اللام : هو عبد الله بن زيد الجرمى . وهو تابعى ثقة مشهور . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧/١/١٣٣ — ١٣٥ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٥٧ — ٥٨ .

٢٠٤٠ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا إسمعيل بن علية قال ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة قال : لما أهبط آدم ، ثم ذكر نحوه .

٢٠٤١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشام ابن حسان ، عن سوار [ختن عطاء] ، عن عطاء بن أبي رَباح قال : لما أهبطَ الله آدمَ من الجنة ، كان رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ، يأنس إليهم . فهابته الملائكة ، حتى شكت إلى الله في دعائها وفي صَلاتها ، فخفضه إلى الأرض . فلما فقد ما كان يسمع منهم ، استوحَشَ حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه وفي صلاته . فوُجِّه إلى مكة ، فكان موضعُ قدمه قريةً ، وخطوُه مفازةً ، حتى انتهى إلى مكة . وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن . فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان ، فرفعت تلك الياقوتة ، حتى بعث الله إبراهيم فبناه . فذلك قول الله : « وإذْ بوَّأنا لإبراهيمَ مكان البيت » .(1) ١/٤٢٩

٢٠٤٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : وضع الله البيتَ مع آدم ، حين أهبط الله آدم إلى الأرض ، وكان مهبِطُه بأرض الهند . وكان رأسهُ في السماء ، ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنُقِص إلى ستين ذراعاً : فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم ، فشكا ذلك إلى الله تعالى ، فقال الله : يا آدم ، إني قد أهبطت إليك بيتاً تَطُوف به كما يُطاف حَوْل عرشي ، وتصلِّي عنده كما يصلَّى عند عرشي .

وهذا الخبر ذكره السيوطي ١ : ١٢٧ ، ونسبه الطبري وابن أبي حاتم ، والطبراني ، عن « عبد الله ابن عمرو بن العاص » .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ : ٢٨٨ ، وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، موقوفاً ، ورجاله رجال الصحيح » . وهو كما قال . ولكن ليس فيه حجة ، ولعله مما كان يسمع عبد الله بن عمرو من أخبار أهل الكتاب .

جبل الحمر : هو جبل بيت المقدس ، سمي بذلك لكثرة كرومه (ياقوت) .

(1) الأثر : ٢٠٤١ — في تاريخ الطبري ١ : ٦١ ، والزيادة بين القوسين منه . وفي تفسير

فانطلق إليه آدم . فخرج ، ومُد له فى خطوه ، فكان بين كل خطوتين مَفازَة . فلم تزَل تلك المفاوز بعد ذلك . فأتى آدمُ البيتَ وطافَ به ، ومَنْ بعدَه من الأنبياء .

٢٠٤٣ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبان : أن البيت أهبِطَ ياقوتةً واحدةً — أو دُرَّة واحدةً — حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه ، وبقى أساسه فبوَّأه الله لإبراهيم ، فبناه بعد ذلك .

* * *

وقال آخرون : بل كان موضع البيت رَبوة حمراءَ كهيئة القبة . وذلك أن الله لما أراد خَلق الأرض عَلا الماءَ زَبْدةٌ حمراءُ أو بيضاء،[1] وذلك فى موضع البيت الحرام . ثم دَحا الأرض من تحتها ، فلم يزل ذلك كذلك حتى بوأه الله إبراهيم ، فبناه على أساسه . وقالوا : أساُسه على أركانٍ أربعةٍ فى الأرض السابعة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال جرير بن حازم ، حدثنى حميد بن قيس ، عن مجاهد قال : كان مَوضع البيت على الماء ، قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، مثلَ الزَّبْدة البيضاء ، ومن تحته دُحِيت الأرض .

٢٠٤٥ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عطاء وعمرو بن دينار : بعث الله رِياحاً فصفَّقت الماء ، فأبرزَتْ فى موضع البيت عنْ حَشَفة كأنها القبة ، فهذا البيت منها . فلذلك هى « أم القُرى » . قال ابن جريج ، قال عطاء : ثم وَتَدها بالجبال كى لا تُكفأ بمَيْد ، فكان أوّل جبل « أبو قيس » .[2]

ابن كثير ١ : ٣٢٥ ، وقال « هذا صحيح إلى عطاء ، ولكن فى بعضه نكارة ، والله أعلم » ، ومعه أيضاً الأثر الذى سلف رقم : ٢٠٣٧ .

(١) الزبد (بفتحتين) : هو ما يطفو على الماء من رغوته البيضاء. والطائفة من الزبد ، زبدة (بفتح فسكون) .

(٢) صفقت الريح الماء (بفتح الفاء ، وبتشديدها مع الفتح) : ضربته وقلبته يميناً وشمالا .

٢٠٤٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القُمّىّ، عن حفص بن حميد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: وُضع البيت على أركان الماء، على أربعة أركان، قبل أن تُخلق الدنيا بألفى عام، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت(١).

٢٠٤٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن هرون بن عنترة، عن عطاء بن أبى رباح قال: وَجدوا بمكة حَجراً مكتوباً عليه: إنّى أنا الله ذو بَكّة، بنيتُه يومَ صَنعت الشمس والقمر، وحفَفتُه بسبعة أملاكٍ حُنفاء(٢).

٢٠٤٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال، حدثنى عبد الله بن أبى نجيح، عن مجاهد وغيره من أهل العلم: أن الله لما بوّأ إبراهيمَ مَكان البيتِ خرجَ إليه من الشام، وخرجَ معه بإسمعيلَ وأمّه هاجر، وإسمعيل طفل صغير يرضع. وحُملوا — فيما حدثنى — على البُراق، ومعه جبريل يدلُّه على

والحشفة: صخرة رخوة فى سهل الأرض. ويقال للجزيرة فى البحر لا يعلوها الماء: «حشفة»، وجمعها حشاف (بكسر الحاء)، إذا كانت صغيرة مستديرة. وكفأ الشىء يكفؤه: قلبه. وماد الشىء يميد ميداً: تحرك ومال.

(١) قال مصحح النسخة المطبوعة: «قوله: وضع البيت على أركان الماء... هكذا فى الأصل وعبارة الدر المنثور: كان البيت على أربعة أركان فى الماء» وهذا تعليق غريب جداً، فإن نص الدر المنثور ١: ١٢٧، هو نفس نص الطبرى، وهو نفس ما نقله ابن كثير فى تفسيره عن الطبرى ١: ٣٢٦. وعبارة الطبرى صحيحة.

(٢) الأثر: ٢٠٤٧ — لم أجده من طريق عطاء بن أبى رباح، ولكنه مروى عن ابن عباس، ومجاهد فى أخبار مكة للأزرقى ١: ٣٧ — ٣٨، بألفاظ مختلفة، فى خبر طويل تام اختصره أبو جعفر. ونص خبر مجاهد: «وجد فى بعض الزبور: أنا الله ذو بكة، جعلتها بين هذين الجبلين، وصفتها يوم صفت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء...». وأما ابن إسحق فقال (سيرة ابن هشام ١: ٢٠٨): «حدثت أن قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية، فلم يدروا ما هو، حتى قرأه لهم رجل من يهود، فإذا هو: أنا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض، وصورت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، لا يزول أخشباها، مبارك لأهلها فى الماء واللبن». قال ابن هشام: أخشباها: جبلاها».

أما قوله: «حنفاء» فجمع حنيف، وهو المسلم الذى قال لا إله إلا الله ثم استقام على الطريق. ووصف الملائكة بأنهم حنفاء، لطاعتهم واستقامتهم فى عبادة ربهم، وصبرهم أنفسهم على ما أمروا به من حفظ هذا البيت المطهر. وانظر تفسير «حنفاء» فى الآثار رقم: ٢٠٩٦، ٢٠٩٨، ٢٠٩٩.

هذا وقد كان فى المطبوعة: «حففته بسبعة أملاك حفا»، وهو خطأ صوابه ما أثبت من المراجع، أخبار مكة للأزرقى ١: ٣٧ — ٣٨، وسيرة ابن هشام ١: ٢٠٨، والسهيلى فى الروض الأنف ١: ١٣١.

موْضع البيت ومعالم الحرَم . فخرج وخرج معه جبريل ، فقال : كان لا يمرّ بقرية إلا قال : أبهذه أمرت يا جبريل ؟ فيقول جبريل : امْضِهْ ! حتى قدم به مكة ، وهي إذْ ذاك عِضَاه سَلم وسَمُر ، وبها أناس يقال لهم « العماليق » خارج مكة وما حولها ،[1] والبيت يومئذ رَبوة حمراءُ مَدرَة . فقال إبراهيم لجبريل : أههنا أمرتَ أن أضعهما ؟ قال : نعم . فعمدَ بهما إلى موضع الحِجْرُ فأنزلهما فيه ، وأمر هاجرَ أم إسمعيل أن تتخذ فيه عَريشاً ، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٧] .

قال ابن حميد : قال، سلمة قال ، ابن إسحق: ويزعمون — والله أعلم — أن مَلَكاً من الملائكة أتى هاجر أم إسمعيل — حين أنزلهما إبراهيمُ مكة، قبل أن يَرْفع إبراهيمُ وإسمعيلُ القواعد من البيت — فأشار لها إلى البيت، وهو ربوة حمراء مَدِرَة، فقال لها :[2] هذا أول بيت وُضع في الأرض ، وهو بَيتُ الله العتيق ، واعلمي أنّ إبراهيم وإسمعيل هُما يَرْفعانه للناس.[3]

١/٤٣٠

٢٠٤٩ — حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشام بن حسان قال، أخبرني حميد ،عن مجاهد قال : خلقَ الله موضعَ هذا

---

(١) في المطبوعة : « يربها أناس يقال لهم . . . » ، وهي صحيحة المعنى : أي يملكها العماليق وهم سادتها وأصحابها . من ذلك حديث صفوان بن أمية حين قال لأبي سفيان : «لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن » . أي يكون رباً فوقي وسيداً يملكني . ولكني أثبت ما في تاريخ الطبري ، وما نقله عنه ابن كثير ، وأخبار مكة للأزرقي .

(٢) في المطبوعة : « فأشار لهما ... فقال لهما . . . » على التثنية، وهو خطأ محض ، فإن الخطاب لهاجر وحدها ، كما يدل عليه السياق قبل وبعد ، والصواب في أخبار مكة للأزرقي .

(٣) الأثر : ٢٠٤٨ — الفقرة الأولى من هذا الأثر في تاريخ الطبري ١ : ١٣٠ مع بعض الاختلاف في اللفظ في صدر الخبر ، وفي أخبار مكة للأزرقي ١ : ١٩ ، وفي تفسير ابن كثير ١ : ٣٢٦. وأما الفقرة الأخيرة منه فهي في أخبار مكة للأزرقي ١ : ٢٠ — ٢١ ، وقد كان مكان قوله في آخرها « يرفعانه للناس » ، « يرفعانه ، الله أعلم » ، وهي زيادة من ناسخ في أغلب الظن . وأثبت نص ما جاء في أخبار مكة .

والعضاه : كل شجر يعظم وله شوك شديد . والسلم والسمر : ضربان من شجر العضاه . وقوله : « مدرة » ، أي طين يابس لزج ، لا رمل فيه ، وهو الطين الحر .

البيت قبلَ أن يخلق شيئاً من الأرض بألفى سنة ، وأركانه فى الأرض السابعة .

٢٠٥٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة قال ، أخبرنى بشر بن عاصم ، عن ابن المسيَّب قال ، حدثنا كعب : إنّ البيت كان غُثاءَةً على الماءَ قبل أن يخلُق الله الأرض بأربعين سنة ، ومنه دُحِيَت الأرضُ . قال [سعيد] : وحدَّثنا عن على بن أبى طالب : أنّ إبراهيم أقبلَ مِنْ أرمينية معه السكينة تدلّه على تبوُّئ البيت ، كما تتبوأ العنكبوتُ بيتها ، قال : فرَفعت عن أحجار تطيقه — أو لا تطيقه — ثلاثون رجلاً ، قال : قلت : يا أبا محمد فإنّ الله يقول : « وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت » ، قال : كان ذاك بعد . (١)

---

(١) الخبر : ٢٠٥٠ — بشر بن عاصم بن سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الطائفى : ثقة ، يروى عن سعيد بن المسيب . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٧٧ — ٧٨ ، وابن سعد ٥ : ٣٨٠ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣٦٠ .

وهذا الخبر خبران : أولهما عن كعب الأحبار . ولا قيمة له . والثانى عن على بن أبى طالب . والظاهر أنه مما كان يتحدث به الصحابة من أخبار أهل الكتاب .

وقد روى القسمين ابن أبى حاتم ، فيما نقل ابن كثير ١ : ٣٢٤ — ٣٢٥ ، عن محمد بن عبد الله ابن يزيد المقرىء ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، بهذا الإسناد .

وروى الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٦٧ — خبر على وحده — من طريق زكريا بن إسحق ، عن بشر ابن عاصم ، به . وزكريا بن إسحق المكى : ثقة .

وكذلك روى خبر على وحده — الأزرق ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، فى تاريخ مكة ١ : ٢٥ (طبعة مكة سنة ١٣٥٢) — عن جده ، عن سفيان بن عيينة ، عن بشر بن عاصم ، عن سعيد بن المسيب ، « قال : أخبرنى على بن أبى طالب » .

وفى المطبوعة هنا — أول خبر على : « قال : وحدثنا عن على بن أبى طالب » . فالذى يقول هذا : هو سعيد بن المسيب . وما أدرى أوقعت الرواية للطبرى هكذا ، أم هو تحريف من الناسخين . فالذى فى رواية ابن أبى حاتم : « قال سعيد : وحدثنا على بن أبى طالب » . ويؤيده رواية الحاكم : « عن بشر بن عاصم ، عن سعيد بن المسيب قال : حدثنا على بن أبى طالب » . وكذلك رواية الأزرق . وهذا هو الصواب فيما أرى .

وخبر على : نقله أيضاً السيوطى ١ : ١٢٦ ، ونسبه فوق هذا لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

الغثاءة واحدة الغثاء ، وهو ما يحمله السيل والماء من الزبد والهالك البالى من الشجر وغيره ، يخالط الزبد . وفى ابن كثير : « فكشفت عن أحجار لا يطيق الحجر إلا ثلاثون رجلا » . والضمير فى قوله : « تطيقه » إلى حجر من الأحجار المذكورة ، إن لم يكن فى الأصول تحريف أو سقط .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسمعيل ، رفعا القواعد من البيت الحرام. وجائزٌ أن يكون ذلك قواعدَ بيتٍ كان أهبطه مع آدم ، فجعله مكان البيت الحرام الذى بمكة . وجائزٌ أن يكون ذلك كان القُبة التى ذكرَها عطاء ، مما أنشأه الله من زَبد الماء . وجائزٌ أن يكون كان ياقوتة أو دُرّة أهبطا من السماء . وجائزٌ أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم ، حتى رفع قواعده إبراهيم وإسمعيل . ولا علمَ عندنا بأىٍّ ذلك كان من أىٍّ ،[1] لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالنقل المستفيض . ولا خبرَ بذلك تقومُ به الحجةُ فيجب التسليم لها ، ولا هو — إذ لم يكن به خبرٌ، على ما وصفنا — مما يُدَلّ عليه بالاستدلال والمقاييس ، فيمثل بغيره ، ويستنبط علمهُ من جهة الاجتهاد . فلا قولَ فى ذلك هو أولى بالصواب مما قُلنا . والله تعالى أعلم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وإذْ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل يَقولان رَبنا تَقبَّل منا. وذكر أنَّ ذلك كذلك فى قراءة ابن مسعود. وهو قولُ جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : يَبنيان وهمَا يدعوَان، الكلماتُ التى ابتلَى بها إبراهيم رَبُّه قال: « ربَّنا تَقبل منا إنك أنت السميع العليم » رَبنا وَاجعلنا مُسلميْن لكَ ومن ذريتنا

---

(١) مضى مثل هذا التعبير فى ١ : ٥٢٠ س ١٦ ، ثم ٢ : ٥١٧ س ١٥

أمَّةً مُسلمةً لك رَبنا وابعث فيهم رسولاً منهم » .

٢٠٥٢ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني ابن كثير قال ، حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذْ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسمعيل » ، قال: هما يرفعان القواعد من البيت ويقولان : « رَبنا تقبل منا إنك أنتَ السميع العليم » ، قال : وإسمعيل يحمل الحجارة على رَقَبته ، والشيخ يبنى .

* * *

فتأويل الآية على هذا القول : وإذْ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسمعيلُ قائلين : رَبنَّا تَقبل منا .

* * *

وقال آخرون : بل قائل ذلك كان إسمعيل . فتأويل الآية على هذا القول : وإذْ يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت ، وإذ يَقول رَبنا تقبل منا . فيصيرُ حينئذٍ « إسمعيل » مرفوعاً بالجملة التي بعده . و « يقولُ » حينئذ، خبر لهُ دون إبراهيم .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في الذي رَفع القواعد ، بعدَ إجماعهم على أنَّ إبراهيم كان ممن رَفعها .

فقال بعضهم : رفعها إبراهيمُ وإسمعيل جميعاً .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٣ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى: « وَعهدْنا إلى إبراهيمَ وإسمعيلَ أنْ طهرا بيتيَ للطائفين » .[1]

(١) صدر هذا الخبر في تفسير ابن كثير : « وقال السدى : إن الله عز وجل أمر إبراهيم أن يبنى البيت هو وإسماعيل : ابنيا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . فانطلق إبراهيم . . . » وفي تاريخ الطبرى ١ : ١٢٩ : « قال: لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين ، انطلق إبراهيم . . . »

قال : فانطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسمعيل وأخذا المعاول ، لا يدريان أين البيت . فبعث الله ريحاً يقال لها ريح الخَجُوج ، لها جناحان ورأسٌ فى صورة ٤٣١/١ حية ، فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ،[١] واتَّبعاها بالمعاول يحفران ، حتى وضعا الأساس . فذلك حين يقول : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ [سورة الحج : ٢٦] . فلما بنيا القواعد فبلغا مكانَ الركن ، قال إبراهيم لإسمعيل : يا بنى ، اطلب لى حجراً حسناً أضعه ههنا . قال : يا أبت ، إنى كسلان تعب . قال : علىّ بذلك . فانطلق فطلب له حجراً ، فجاءه بحجر فلم يرضه ، فقال : ائتنى بحجر أحسن من هذا . فانطلق يطلبُ له حجراً ، وجاءه جبريل بالحجرَ الأسود من الهند، وكان أبيض ، ياقوتةً بيضاءَ مثل الثَّغامة .[٢] وكان آدمُ هبطَ به من الجنة فاسودّ من خطايا الناس . فجاءه إسمعيل بحجر فوجده عند الركن ، فقال : يا أبت ، من جاءك بهذا ؟ فقال : من هو أنشطُ منك ! فبنياه .[٣]

٢٠٥٤ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة ، عن عُبيد بن عمير الليثى قال : بلغنى أنّ إبراهيم وإسمعيل هُما رفعا قواعد البيت .[٤]

* * *

(١) فى المطبوعة : « وعن أساس البيت » بزيادة الواو ، ولا خير فى زيادتها ، وأثبت ما فى التاريخ ، وابن كثير . وفى ابن كثير : « فكشفت لهما » مكان « فكنست » . والريح الخجوج : الشديدة المر ، التى تلتوى فى هبوبها ، وتشق شقاً بشدة عصفها .

(٢) الثغامة : نبات ذو ساق جماحته مثل هامة الشيخ ، أبيض الثمر والزهر ، يشبه به بياض الشيب . وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بأبى قحافة يوم الفتح ، وكأن رأسة ثغامة ، فأمرهم أن يغيروه .

(٣) الأثر : ٢٠٥٢ — فى تاريخ الطبرى ١ : ١٢٩ صدره إلى قوله : « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت » ، وهو بتمامه فى تفسير ابن كثير ١ : ٣٢٥ . وقد مضى شطر من صدره بالرقم : ٢٠٠٩ .

(٤) الخبر : ٢٠٥٤ — عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام : من ثقات أتباع التابعين يروى أيضاً عن جده عروة بن الزبير ، وأخرج له الشيخان فى الصحيحين . مترجم فى التهذيب .

وقال آخرون : بل رفع قواعدَ البيت إبراهيم ، وكان إسمعيل يُناوله الحجارة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٥ ــ حدثنا أحمد بن ثابت الرازى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب وكثير بن كثير بن المطّلب بن أبي وَداعة ــ يزيد أحدُهما على الآخر ــ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جاء إبراهيمُ ، وإسمعيل يَبرى نَبلاً قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسمعيل ، إنّ الله أمرَنى بأمْرٍ . قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال : وتعينُنى ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرَنى أن أبنى ههنا بيتاً ! وأشار إلى الكعبة ، والكعبة مرتفعةٌ على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت . قال : فجعل إسمعيل يأتى بالحجارة ، وإبراهيم يَبنى ، حتى إذا ارتفع البناءُ ، جاء بهذا الحجر فوضَعه له ، فقام عليه وهو يَبنى ، وإسمعيل يُناوله الحجارة وهما يقولان : « ربنا تقبَّل منا إنك أنتَ السميع العليم » ، حتى دوَّر حولَ البيت . (١)

وابن أبى حاتم ٢/١/١١٧ ، وكتاب الجمع بين رجال الصحيحين ، ص : ٣٤١ .

ووقع فى المطبوعة « عمرو بن عبد الله بن عتبة » ، وهو خطأ كبير ، فلا يوجد فى الرواة من يسمى بهذا.

ثم هذا الخبر نفسه كلمات قلائل ، من خبر مطول فى قصة ، رواه الطبرى فى التاريخ ١ : ١٣٤ . بهذا الإسناد « عن عمر بن عبد الله بن عروة : أن عبد الله بن الزبير قال لعبيد بن عمير الليثى : كيف بلغك أن إبراهيم دعا إلى الحج ؟ . . . » .

عبيد بن عمير الليثى : مضت ترجمته : ١٧٦٨ .

(١) الحديث : ٢٠٥٥ ــ أحمد بن ثابت بن عتاب الرازى ، المعروف بفرخويه ، شيخ الطبرى : ترجمه ابن أبى حاتم ١/١/٤٤ ، ولسان الميزان ١ : ١٤٣ . وروى ابن أبى حاتم عن أبى العباس الطهرانى ، قال : « كانوا لا يشكون أن فرخويه كذاب » .

وقد يصدق الكذوب ! فالحديث فى ذاته صحيح :

رواه البخارى ــ مطولا جداً ــ عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الرزاق ، بهذا الإسناد ٦ : ٢٨٣ ــ ٢٨٩ (فتح) . والذى هنا قطعة منه .

وقد ذكر ابن كثير ١ : ٣٢٠ ــ ٣٢٢ ، رواية البخارى بطولها ، ثم أشار إلى رواية الطبرى هذه .

٢٠٥٦ — حدثنا ابن سنان القزاز قال، حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو على الحنفى قال ، حدثنا إبراهيم بن نافع قال ، سمعت كثير بن كثير يحدث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جاء — يعنى إبراهيم — فوجد إسمعيل يصلح نَبْلاً من وراء زمزم . قال إبراهيم : يا إسمعيل، إن الله ربَّك قد أمرنى أن أبنى له بيتاً . فقال له إسمعيل : فأطع ربَّك فيما أمرك . فقال له إبراهيم : قد أمرك أن تُعيننى عليه . قال : إذاً أفعلُ . قال : فقام معه ، فجعل إبراهيم يَبنيه ، وإسمعيل يناوله الحجارة ويقولان: « ربَّنا تقبَّل منا إنك أنتَ السميع العليمُ » . فلما ارتفع البُنيان ، وضعف الشيخُ عن رَفع الحجارة ، قام على حجر ، فهو مقام إبراهيم ، فجعل يناوله ويقولان : « رَبنا تقبل منا إنك أنتَ السميع العليم » .[1]

* * *

وقال آخرون : بل الذى رفع قواعدَ البيت إبراهيمُ وحده ، وإسمعيل يومئذ طفلٌ صغير .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٧ — حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن حارثة بن مضرب ، عن علىّ قال : لما أمِر إبراهيم ببناء البيت ، خرج معه إسمعيل وهاجر . قال : فلما قدم مكة رأى على رأسه فى موضع البيت مثلَ الغمامة ، فيه مثلُ الرأس ، فكلَّمه فقال : يا إبراهيم ، ابْنِ على

---

(١) الحديث : ٢٠٥٦ — ابن سنان القزاز : هو محمد بن سنان . وقد مضت ترجمته فى : ١٥٧ . ووقع فى المطبوعة هنا « ابن بشار » ! وهو تصحيف .

وهذا الحديث أيضاً جزء من حديث مطول ، رواه البخارى ٦ : ٢٩٠ (فتح) ، عن عبد الله بن محمد ، عن أبى عامر العقدى عبد الملك بن عمرو ، عن إبراهيم بن نافع ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير أيضاً ١ : ٣٢٢ — ٣٢٣ ، عن رواية البخارى .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٥٥١ — ٥٥٢ ، مختصراً ، عن أبى العباس الأصم محمد بن يعقوب ، عن محمد بن سنان القزاز — شيخ الطبرى هنا — بهذا الإسناد . وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى ، فلم ينبه إلى خطأ الحاكم فى استدراكه ، إذ رواه البخارى . وقد نبه على ذلك ابن كثير ، واستعجب أن يستدركه الحاكم ، وهو فى صحيح البخارى !

ظلى — أو على قدْرى — ولا تزد ولا تنقص. فلما بَنَى [خرج] وخلَّف إسمعيل وهاجر ،[1] فقالت هاجر : يا إبراهيم ، إلى مَنْ تكلنا ؟ قال : إلى الله . قالت : انطلقْ ، فإنّه لا يُضيعنا . قال : فعطش إسمعيل عطشاً شديداً ، قال : فصعدت هاجرُ الصَّفا ، فنظرت فلم تر شيئاً . ثم أتت المروة ، فنظرت فلم تر شيئاً . ثم رجعت إلى الصَّفا ، فنظرت ، فلم تر شيئاً . حتى فعلت ذلك سبعَ مَرات . فقالت : يا إسمعيل ، مُت حيث لا أراك . فأتته وهو يفحص برجله من العطش.[2] فناداها جبريل فقال لها : من أنت ؟ فقالت : أنا هاجر ، أم وَلَد إبراهيم . قال : إلى مَنْ وكلكما ؟ قالت : وكلنا إلى الله . قال : وكلكما إلى كافٍ ! قال : ففحص [الغلام] الأرض بإصبعه ،[3] فنبعت زمزم ، فجعلت تحبسُ الماءَ ، فقال : دَعيه ، فإنها رَوَاءٌ .[4]

٢٠٥٨ — حدثنا هناد بن السّرى قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعرة : أن رجلاً قامَ إلى علىّ فقال : ألا تخبرنى عن البيت ؟

---

(١) الزيادة بين القوسين من تاريخ الطبرى ١ : ١٢٩ ، وتفسير ابن كثير ١ : ٣٢٤ .

(٢) فحصت الدجاجة وغيرها برجلها فى التراب : بحثته وأزالت التراب عن حفرة .

(٣) الزيادة بين القوسين من تاريخ الطبرى ١ : ١٢٩ ، وليست فى ابن كثير .

(٤) الحديث : ٢٠٥٧ — مؤمل — بوزن : محمد — : هو ابن إسميل العدوى ، وهو ثقة . بينا توثيقه فى شرح المسند : ٢١٧٣ .

سفيان : هو الثورى . وأبو إسحق : هو السبيعى.

حارثة ابن مضرب العبدى : تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٨٧ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٥٥ .

و « مضرب » : بضم الميم وفتح الضاد المعجمة وكسر الراء المشددة وآخره باء موحدة . ووقع فى المطبوعة « مصرف » ، وهو تصحيف .

والخبر رواه الطبرى فى التاريخ أيضاً ١ : ١٢٩ ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير فى التفسير ١ : ٣٢٤ ، عن الطبرى . ثم قال : « ففى هذا السياق أنه بنى البيت قبل أن يفارقهما . وقد يحتمل — إن كان محفوظاً — أن يكون أولا وضع له حوطاً وتحجيراً ، لا أنه بناه إلى أعلاه . حتى كبر إسميل ، فبنياه معاً ، كما قال الله تعالى » .

وقوله : « فإنها رواء » (بفتح الراء والواو) . يقالُ ماء روى (بفتح الراء وكسر الواو وتشديد الياء) وروى (بكسر ففتح) ورواء : كثير عذب مرو لا ينقطع .

١/٤٣٢ أهو أولُ بيتٍ وُضع فى الأرض ؟ فقال : لا ، ولكن هو أول بيت وُضعَ فيه البركة،[1] مَقامُ إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وإن شئت أنبأتك كيف بُنِى : إنّ الله أوْحَى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتاً فى الأرض. قال: فضاق إبراهيم بذلك ذَرعاً، فأرسل الله السكينة — وهى ريح خَجوجٌ ، ولها رأسان[2] — فأتبع أحدُهما صاحبه حَتى انتهت إلى مكة ، فتطوّت على موضع البيت كتطوِّى الحَجَفَة ،[3] وأمرَ إبراهيمَ أن يبنى حيث تستقر السكينة . فبنى إبراهيمُ وبَقِى حجرٌ ، فذَهبَ الغلامُ يَبغى شيئاً ، فقال إبراهيم : لا ! ابغنى حجراً كما آمرُك .[4] قال : فانطلق الغلام يلتمس له حجراً، فأتاه فوجدَه قد ركّب الحجرَ الأسود فى مكانه ، فقال : يا أبت ، من أتاكَ بهذا الحجر ؟ قال : أتانى به من لم يَتّكل على بنائك ، جاء به جبريل من السماء . فأتمّاه .[5]

---

(١) فى المطبوعة وفى التاريخ ، وابن كثير : « وضع فى البركة » . وفى المستدرك للحاكم ١ : ٢٩٣ ، والدر المنثور ، « وضع للناس فيه البركة والهدى » ، فصححتها من هناك .

(٢) انظر ما سلف قريباً : ٦٦ تعليق رقم : ١

(٣) تطوت : استدارت . تطوت الحية : تحوت والتف بعضها على بعض واستدارت كالطوق . والحجفة : الترس من الجلود يطارق بعضه على بعض ، ليس فيه خشب . وفى رواية الطبرى فى التاريخ « كتطوى الحية » ، وكذلك فى المستدرك «كتطوق الحية » ، وجاء فى ابن كثير « الجحفة » وهو خطأ .

(٤) فى التاريخ : « لا أبغى حجراً . . » ، وهو خطأ ، وفى ابن كثير : « فقال إبراهيم : ابغى حجراً كما آمرك » ، وهو خطأ أيضاً . يقال : ابغنى كذا وكذا ، وابغ لى كذا وكذا: أى اطلبه لى والتمسه . بغى فلان فلاناً شيئاً : التمسه له .

(٥) الأخبار : ٢٠٥٨ — ٢٠٦٠ ، هى خبر واحد بثلاثة أسانيد .

وشيخ الطبرى فى الإسناد الأول « هناد » : هو ابن السرى بن مصعب الدارمى التميمى ، وهو ثقة . من شيوخ البخارى ومسلم وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٤٨/٢/٤ ، والصغير : ٢٤٥ ، وابن أبى حاتم ١١٩/٢/٤ — ١٢٠ .

وقع فى المطبوعة « عباد » ، وهو تحريف ، تصويبه ، من التاريخ للطبرى ١ : ١٢٨ — ١٢٩ ، حيث روى هذا الخبر بهذا الإسناد الأول « حدثنا هناد بن السرى » . وكذلك نقله ابن كثير ١ : ٢٢٤ ، عن الطبرى .

أبو الأحوص : هو سلام بن سليم الحنفى الحافظ الثقة .

سماك — بكسر السين وتخفيف الميم : هو ابن حرب بن أوس البكرى ، وهو تابعى ثقة ، روى له مسلم ووثقه أحمد وابن معين وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٧٤/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٧٩/١/٢ — ٢٨٠ .

٢٠٥٩ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا سعيد ، عن سماك قال : سمعت خالد بن عُرْعرة يحدث ، عن على بنحوه .

٢٠٦٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة وحماد بن سلمة وأبو الأحوص كلهم ، عن سماك، عن خالد بن عرعرة ، عن على ، بنحوه .

* * *

قال أبو جعفر : فمن قال : رفع القواعدَ إبراهيمُ وإسمعيلُ ، أو قال : رفعها إبراهيمُ وكان إسمعيل يُناوله الحجارة ، فالصوابُ فى قوله أنْ يكونَ المضمرُ من القول لإبراهيم وإسمعيل . ويكونَ الكلامُ حينئذ: « وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسمعيل» يقولان ربَّنا تَقبَّل منا . وقد كان يحتمل، على هذا التأويل ، أن يكون المضمرُ من القول لإسمعيل خاصةً دون إبراهيم ، ولإبراهيم خاصة دون إسمعيل، لولا ما عليه عامة أهل التأويل من أن المضمرَ من القول لإبراهيم وإسمعيل جميعاً .

وأما عَلى التأويل الذى رُوى عن علىّ : — أنّ إبراهيم هو الذى رَفعَ القواعدَ دون إسمعيل — فلا يجوز أن يكون المضمر من القول عندَ ذلك إلاّ لإسمعيل خاصة .

* * *

والصواب من القول عندنا فى ذلك : أنّ المضمر من القول لإبراهيم وإسمعيل ، وأنّ قواعدَ البيت رفعها إبراهيمُ وإسمعيلُ جميعاً . وذلك أنّ إبراهيمَ وإسمعيل ، إن كانا هما بنياها ورَفعاها ، فهو ما قلنا . وإن كان إبراهيمُ تفرد ببنائها ، وكان

خالد بن عرعرة التيمى: تابعى ثقة، ترجمه البخارى فى الكبير ٢/١/١٤٩، وقال : « سمع علياً » . وابن أبى حاتم ١/٢/٣٤٣ ، ولم يذكرا فيه جرحاً ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

و « سعيد » — فى الإسناد الثانى — : أنا أرجح أنه محرف عن « شعبة » ، فهو الذى يروى عن سماك ابن حرب، وهو الذى يطلقه « محمد بن جعفر غندر» ، إذ هو شيخه الذى لزمه وجالسه نحواً من عشرين سنة.

و « أبو داود » فى الإسناد الثالث : هو الطيالسى .

والخبر رواه أيضاً الأزرقى فى تاريخ مكة ١ : ٢٤ — ٢٥ ، من طريق عبد الرحمن بن عبد الله ، مولى بنى هاشم ، عن حماد — وهو ابن سلمة — عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٢ — ٢٩٣، من طريق إسرائيل، عن خالد بن حرب ، عن خالد بن عرعرة . قال : « صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره السيوطى ١ : ١٢٦ ، ونسبه لهؤلاء ولغيرهم .

إسمعيل يناوله ، فهما أيضاً رفعاها ، لأنّ رفعها كان بهما : منْ أحدهما البناء ، ومن الآخر نَقلُ الحجارة إليها ، ومعونةُ وضع الأحجار مواضعها . ولا تمتنع العرب من نسبة البناء إلى من كان بسببه البناء ومَعونته .

وإنما قُلنا ما قلنا من ذلك ، لإجماع جميع أهل التأويل على أنّ إسمعيل معنىٌّ بالخبر الذى أخبر الله عنه وعن أبيه ، أنهما كانا يقولانه ، وذلك قولهما : « ربّنا تَقبَّل منا إنك أنتَ السميعُ العليم » . فعلوم أن إسمعيل لم يكن ليقول ذلك، إلاّ وهو : إمّا رُجل كامل ، وإمّا غلام قد فهم مواضع الضَّر من النفع ، ولزمته فرائضُ الله وأحكامه . وإذا كان — فى حال بناء أبيه ما أَمرَه الله ببنائه ورَفعِه قواعدَ بيت الله [(١)] — كذلك ، فعلومٌ أنه لم يكن تاركاً معونة أبيه : إمّا على البناء ، وإمّا على نقل الحجارة . وأىُّ ذلك كان منه ، فقد دخل فى مَعنى مَنْ رَفع قواعدَ البيت ، وثبَت أن القول المضمرَ خبرٌ عنه وعن والده إبراهيم عليهما السلام .

* * *

فتأويل الكلام : وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسمعيل يَقولان : ربَّنا تَقبلَ منا عملنا ، وطاعتنا إياك ، وعبادتَنا لك ، فى انتهائنا إلى أمرك الذى أمرتنا به ، فى بناء بيتك الذى أمرتنا ببنائه ، إنك أنت السميع العليم .

* * *

وفى إخبار الله تعالى ذكره أنهما رَفعا القواعدَ من البيت وهما يقولان : ربَّنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم — دليلٌ واضحٌ على أن بناءهما ذلك لم يكن مَسكناً يسكنانه ، ولا منزلاً ينزلانه ، بل هو دليل على أنهما بنياه ورفعا قواعده لكل من أراد أن يعبد الله ، تقرُّباً منهما إلى الله بذلك . ولذلك قالا : « ربَّنا تَقبل منا » . ولو كانا بَنياه مسكناً لأنفسهم ، لم يكن لقولهما : « تقبَّل منا » وجهٌ مفهوم . لأنه

(١) سياق العبارة : « وإذا كان . . . كذلك » وما بينهما فصل . ويعنى بقوله « كذلك » أنه كان قد فهم الضر والنفع ، ولزمته فرائض الله وأحكامه .

كانا يكونان — لو كان الأمر كذلك — سائلين أن يَتقبَّل منهما ما لا قُربة فيه إليه . وليس موضعهما مَسألة الله قبولَ ما لا قربةَ إليه فيه .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « إنك أنتَ السميع العليم » ، إنك أنت السميعُ دُعاءنا ومسألتنا إياك قبولَ ما سألناك قبوله منا ، منْ طاعتك فى بناء بَيتك الذى أمرتنا ببنائه — العليمُ بما فى ضمائر نُفوسنا من الإذْعان لك فى الطاعة ، والمصير إلى ما فيه لك الرضا والمحبة ، وما نُبدى ونخفى من أعمالنا ،[٢] كما : —

٢٠٦١ — حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى أبو كثير قال ، حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « تَقبَّل منا إنك أنت السميع العليم » ، يقول : تقبَّل منا إنك سميعُ الدُّعاء. ٤٣٣/١

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً خبر من الله تعالى ذكره عن إبراهيمَ وإسمعيل : أنهما كانا يرفعان القواعدَ من البيت وهما يقولان: « رَبنا وَاجعلنا مُسلميْن لك » ، يعنيان بذلك : واجعلنا مستسلميْن لأمرك ، خاضعيْن لطاعتك، لا نُشرك معك

(١) يقول : هما من العلم والنبوة بمنزلة وبموضع ، فلا يسألان الله قبول عمل ليس من القربات إلى الله .

(٢) قوله : « وما نبدى . . . » معطوف على قوله : « العليم بما فى ضمائر نفوسنا » .

فى الطاعة أحداً سواك ، ولا فى العبادة غيرَك .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى « الإسلام » : الخضوع لله بالطاعة.[١]

* * *

وأما قوله : « ومِنْ ذُريتنا أمَّة مسلمة لك» ، فإنهما خَصَّا بذلك بعضَ الذرية ، لأن الله تعالى ذكره قد كانَ أعلم إبراهيمَ خليلَه صلى الله عليه وسلم قبل مسألته هذه ، أن من ذريته من لا ينال عهده لظلمه وفجوره . فخصَّا بالدّعوة بعضَ ذُريتهما .

* * *

وقد قيل : إنهما عَنيا بذلك العربَ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٢ — حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن ذريتنا أمَّة مسلمة لك » ، يعنيان العربَ .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا قول يدلّ ظاهرُ الكتاب على خلافه . لأن ظاهرَه يدلّ على أنهما دَعَوا الله أن يجعلَ من ذريّتهما أهل طاعته ووَلايته ، والمستجيبين لأمره . وقد كان فى ولد إبراهيم العربُ وغيرُ العرب ، والمستجيبُ لأمر الله والخاضع له بالطاعة ، من الفريقين . فلا وجه لقول من قال : عنى إبراهيمُ بدعائه ذلك فريقاً من ولده بأعيانهم دون غيرهم ، إلاّ التحكم الذى لا يعجز عنه أحدٌ .

* * *

وأما « الأمَّة » فى هذا الموضع ، فإنه يعنى بها الجماعة من الناس ،[٢] من قول الله : ﴿ ومِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٩] .[٣]

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٥١٠ ، ٥١١

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٢١ س : ١٤ .

(٣) جاء فى تفسير ابن كثير ١ : ٣٣٢ ما نصه :

قال ابن جرير : والصواب أنَّه يعمُّ العرب وغيرهم، لأن من ذرية إبراهيم بنى

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك.(١) فقرأه بعضهم : « وأرنا مناسكنا » ، بمعنى رؤية العين ، أى أظهرها لأعيننا حتى نراها . وذلك قراءةُ عامة أهل الحجاز والكوفة .

إسرائيل، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

وهو كما ترى ليس فى أصل الطبرى . فلا أدرى أهو تصرف من ابن كثير ، أم فى أصول الطبرى خرم فى هذا الموضع ، وكلاهما جائز ، ولا أقطع بشىء .

هذا وقد أراد ابن كثير أن يرد ما ذهب إليه الطبرى ، فزعم أن تخصيص السدى أنهم العرب لا ينفى من عداهم ثم قال : « والسياق إنما هو فى العرب ، ولهذا قال بعده : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ الآية ، والمراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بعث فيهم » .

واعتراض ابن كثير هذا لا يقوم ، واحتجاجه بالسياق هنا لا ينهض . فالدعاء دعاء إبراهيم وإسماعيل معاً ، ولكل منهما ذرية يشملها الدعاء . والسياق هنا سياق الآيات المتتابعة لا سياق آية واحدة . فى الآيات التى تلى هذه الآية ذكر ملة إبراهيم ، وبيانها : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

وهى آيات متتابعة ، فالتخصيص فيها غير جائز ، مع وضوح الدلالة على أن ذرية إبراهيم من غير إسماعيل ، كانوا على ملة إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وهم له مسلمون. وهذا دليل على ما ذهبت إليه فى مقدمة الجزء الأول ، من اختصار الطبرى فى تفسيره هذا ، فإنه لو شاء لأفاض واحتج بما احتججت به . وهو دليل أيضاً على أن قراءة الطبرى تحتاج إلى متابعة آية بعد آية ، وأن قراءته مفرقاً توقع فى خطأ فى فهم مراده وحجته . ودليل على أن الطبرى شديد العناية بسياق الآيات وترابطها ، ولكنه ربما أغفل ذكر هذا الترابط مفصلا وحجته فيه ، لأنه قد استوفى ذلك فى مواضع سبقت ، فاختصر المواضع الأخرى ثقة بتتبع قارئه لما أراد . ودليل آخر على أن هذا التفسير لا يزال مجهول المكانة ، على علو مكانته عند أسلافنا غفر الله لنا ولهم .

(١) فى المطبوعة : « القراء » و « قراء » ، ورددتها إلى ما درج عليه الطبرى فى عبارته . والقرأة جمع قارىء ، مثل حافظ وحفظة ، كما سلف مراراً .

وكان بعضُ من يوجّه تأويل ذلك إلى هذا التأويل، يسكّن الراء من « أرْنا »، غيرَ أنه يُشِمُّها كسرة .

• • •

واختلف قائلُ هذه المقالة وقرَأةُ هذه القراءة فى تأويل قوله : « مناسكنا »

فقال بعضهم : هى مَناسك الحج ومَعالمه .

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأرِنا مَناسكنا » فأرَاهما الله مناسكهما : الطوافَ بالبيت ، والسعىَ بين الصفا والمروَة ، والإفاضةَ من عرفات ، والإفاضة من جَمعٍ ، ورَمىَ الجمار ، حتى أكمل الله الدين — أو : دينَه .

٢٠٦٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وأرنا مناسكنا »، قال : أرنا نُسكنا وحجّنا .

٢٠٦٥ — حدثنا موسى قال ،حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما فرغ إبراهيمُ وإسمعيل من بُنيان البيتِ ، أمرَه الله أن ينادى فقال : ﴿ وأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [سورة الحج : ٢٧]، فنادى بين أخشبى مكة :[١] يا أيها الناس ! إن الله يأمركم أن تحجّوا بيته . قال : فوقرَت فى قلب كل مؤمن ، فأجابه كل منْ سمعه من جَبل أو شَجر أو دابة: «لبّيك لبّيك» . فأجابوه بالتلبية «لبّيك اللهم لبّيك»، وأتاه من أتاه. فأمره الله أن يخرج إلى عرفات ،ونَعتها [له] ،[٢] فخرج . فلما بلغ الشجرة عند العقبة ، استقبله الشيطان ، فرماه بسبع حصَيات

---

(١) أخشبا مكة : هما الجبلان المطيفان بها ، وهما : « أبو قبيس » و « الأحمر » ، وهو مشرف وجهه على قعيقعان ، والأخشب : كل جبل خشن غليظ ، وفى الحديث : « لا تزول مكة حتى يزول أخشباها » .

(٢) الزيادة بين القوسين ، أظنها أحرى بالصواب .

يكبِّر مع كل حصاة، فطار فوقع على الجمرة الثانية أيضاً ، فصدَّه ، فرماه وكبَّر ، فطار فوقع على الجمرة الثالثة ، فرماه وكبَّر . فلما رأى أنه لا يُطيقه، ولم يدر إبراهيمُ أينَ يذهب، انطلق حتى أتى « ذا المجاز » ، فلما نظر إليه فلم يعرفه جاز ، فلذلك سُمى : « ذا المجاز » . ثم انطلق حتى وقع بعرفات ، فلما نظر إليها عرَف النَّعت. قال : قدْ عرَفتُ ! فسمّيت : « عرفات » . فوقف إبراهيم بعرفات ، حتى إذا أمسى ازْدلفَ إلى جَمع ،[1] فسميت « المزدَلفة » ، فوقف بجمع . ثم أقبل حتى أتى الشيطانَ حيثُ لقيه أول مرّة ، فرماه بسبع حصَيات سبع مرات، ثم أقام بمنى حتى فرغ من الحج وأمره . وذلك قوله : « وأرنا مناسكنا » .[2]

* * *

وقال آخرون — ممن قرأ هذه القراءة — « المناسك » : المذابحُ . فكان تأويل هذه الآية ، على قول من قال ذلك : وأرنا كيف نَنسُك لك ياربَّنا نَسائكنا ، فنذبحها لك .[3]

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٦ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « وأرنا مَناسكنا » ، قال : ذَبْحنا . ١/٤٣٤

٢٠٦٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : مَذابحنا .

٢٠٦٧ م — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٠٦٧ م — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) ازدلف إلى الشيء : تقرب إليه ودنا منه . و جمع (بفتح الجيم وسكون الميم) هى «مزدلفة» .

(٢) الأثر : ٢٠٦٥ سيأتى بعضه برقم : ٣٧٩٢ فى هذا الجزء .

(٣) نسك ينسك (بضم السين) نسكاً (بسكون السين) ذبح . والنسيكة : الذبيحة .

٢٠٦٧ م ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عطاء : سمعت عُبيد بن عمير يقول : « وأرنا مَناسكنا » ، قال : أرنا مَذابحنا

* * *

وقرأ آخرون : « وأرْنا مَناسكنا » بتسكين « الراء » ،[1] وزعموا أن معنى ذلك : وعلِّمنا ، ودُلَّنا عليها ــ لا أنّ معناه : أرِنَاها بالأبصار . وزعموا أنّ ذلك نظير قول حُطائط بن يَعفر ، أخي الأسود بن يَعفر :[2]

أَرِينِي جَوَاداً مَاتَ هَزْلاً ، لأَنَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ ، أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّدَا[3]

يعني بقوله : « أريني » ، دُلِّيني عليه وعرِّفيني مكانه ، ولم يعن به رؤية العين .

---

(١) كان في المطبوعة : « وقال آخرون » ، واستظهرت من السياق أنها « وقرأ آخرون » ، فلذلك أثبت ما استظهرت ، فسيقول بعد : « وهذه قراءة رويت . . . »

(٢) هما أخوان من بني نهشل بن دارم ، جاهليان ، أمهما رهم بنت العباب .

(٣) الشعر والشعراء : ٢٠١ ــ ٢٠٢ ، ٢١١ وفيه تحقيق عن اختلاف قديم في نسبته ، ومجاز القرآن : ٥٥ ، والخزانة ١ : ١٩٥ ــ ١٩٦ وفيهما مراجع كثيرة . روى البيت لحاتم الطائي ، ولمعن بن أوس ، وفي اللسان (أنن) و (علل) عن ابن بري وقال : « حطائط بن يعفر ، ويقال هو لدريد » ، وسيأتي في تفسير الطبري منسوباً لدريد بن الصمة (٧ : ٢١٣ بولاق) مع اختلاف في رواية صدره :

* ذَرِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلادِ لأَنَّنِي *

ولم أجد هذه الرواية في الكتب التي بين يدي ، وأخشى أن يكون الطبري أو من أنشده البيت ــ قد وهم . فقول حطائط قبله أو بعده .

ذَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا ، وَلاَ يَكُنْ لِيَ المَالُ رَبًّا ، تَحْمَدِي غِبَّهُ غَدَا

ذَرِينِي فَلاَ أَعْيَا بِمَا حَلَّ سَاحَتِي أَسُودُ فَأَكْفِي ، أَوْ أُطِيعُ المُسَوَّدَا

وهو يخاطب بهذه الأبيات أمه رهم بنت العباب ، وكانت تلومه على جوده وإتلافه المال . والهزل (بفتح وسكون) والهزل (بضم فسكون) والهزال : هو نقيض السمن ، مع الضعف والاسترخاء . وقوله : « لأنني » بفتح الهمزة بمعنى : « لعلني » . من قولهم : « أن » بمعنى « عل » ، و « لأن » بمعنى « لعل » ، وأرى أن الهمزة منقلبة عن العين ، والنون منقلبة عن اللام . وهما لغتان من لغات العرب . واجتمعتا في هذا اللفظ .

وهذه قراءة رُويت عن بعض المتقدمين.(١)

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عطاء : « أرنا مناسكنا » ، أخرجها لنا ، علمناها .

٢٠٦٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال ابن المسيِّب ، قال عليّ بن أبي طالب : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال : « فعلتُ أى ربّ ، فأرِنا مَناسكنا » – أبرزها لنا ، علّمناها – فبعث الله جبريل ، فحجّ به .

* * *

قال أبو جعفر : والقول واحدٌ . فمن كسر « الراء » جعل علامة الجزم سقوط « الياء » التي في قول القائل : «أرينه» «أرِنه» ،(٢) وأقرّ الراء مكسورة كما كانت قبل الجزم . ومن سكن « الراء » من « أرْنا » ، توهم أنّ إعراب الحرف في « الراء » ، فسكنها في الجزم ، كما فعلوا ذلك في « لم يكُن » و « لم يكُ » .(٣)

وسواء كان ذلك من رُؤية العين أو من رؤية القلب . ولا معنى لفرق من فَرّق بين رؤية العين في ذلك ورؤية القلب .

* * *

وأمّا « المناسك » فإنها جمع « مَنْسِك » ، وهو الموضع الذى يُنسك لله فيه ، ويتقرَّب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح : إمّا بذبْح ذبيحة له ، وإما بصَلاة أو طواف أو سعي ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة . ولذلك قيل لمشاعر الحج

---

(١) كان الأجود أن تكون هذه الجملة بعد قوله : « وقرأ آخرون : « وأرنا مناسكنا» بتسكين الراء » . ولكن هكذا وقع في النسخ .

(٢) هكذا جاء في المطبوعة « أرينه» ، وأظن صواب هذا الحرف « يرينيه » ، مضارعاً مرفوعاً ، ليستقيم مع قوله : « وأقر الراء مكسورة كما كانت قبل الجزم » .

(٣) ظاهر كلام الطبرى هنا يدل على أن قوله : « لم يك » بتسكين الكاف ، على توهم أن إعراب هذه الكلمة في الكاف ، فسكنها لما دخل عليها الجازم . ولم أجد هذا القول في كتاب مما بين يدى من الكتب ، وأخشى أن يكون في نص الطبرى في هذا المكان سقط لم أتبينه .

« مناسكه »، لأنها أمارات وعلاماتٌ يعتادها الناس ويتردَّدون إليها.

* * *

وأصل « المَنْسِك » فى كلام العرب : الموضع المعتاد الذى يَعتاده الرجل ويألفه ، يقال : « لفلان مَنْسِك »، وذلك إذا كان له موضع يعتاده لخير أو شر . ولذلك سميت « المناسكُ » « مناسكَ » ، لأنها تُعتاد ، ويُتردد إليها بالحج والعمرة ، وبالأعمال التى يُتقرَّب بها إلى الله .

* * *

وقد قيل إن معنى « النُّسك » : عبادة الله . وأن « الناسك » إنما سمى « ناسكاً » بعبادة ربه .

فتأوَّل قائلو هذه المقالة . قولَه : « وأرنا مناسكنا »، وعلمنا عبادتك، كيف نعبُدك ؟ وأين َنعبدك ؟ وما يرضيك عنا فنفعله ؟

وهذا القول، وإن كان مذهباً يحتمله الكلام، فإن الغالب على معنى « المناسك» ما وصفنا قبل ، من أنها « مناسك الحج » التى ذكرنا معناها .

* * *

وخرج هذا الكلام من قول إبراهيم وإسمعيل على وجه المسألة منهما ربَّهما لأنفسهما. وإنما ذلك منهما مسألةُ ربِّهما لأنفسهما وذريّتهما المسلمين . فلما ضمّا ذريتّهما المسلمين إلى أنفسهما، صارا كالمخبريْن عن أنفسهما بذلك.[1] وإنما قلنا إنّ ذلك كذلك ، لتقدم الدعاء منهما للمسلمين من ذريتهما قبلُ فى أول الآية ، وتأخره بعدُ فى الآية الأخرى. فأما الذى فى أول الآية فقولهما : « ربنا واجعلنا مُسلميْن لك ومنْ ذُرِيِّتنا أمةً مسلمةً لك» ، ثم جمعا أنفسهما والأمةَ المسلمةَ من ذُريتهما، فى مسألتهما ربَّهما أن يُريهم َمناسكهُم فقالا: « وأرِنا مناسكنا » . وأما التى فى الآية التى بعدها : « ربَّنا وابعثْ فيهمْ رَسولاً منهم » ، فجعلا المسألة لذريتهما خاصة .

---

(١) فى المطبوعة : « عن أنفسهم بذلك » ، والصواب ما أثبت .

وقد ذُكر أنها فى قراءة ابن مسعود : « وأرِهِمْ مناسكهُم » ، يعنى بذلك وأرِ ذريتنا المسلمةَ مَناسكهم.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : أمّا « التوبة » ، فأصلها الأوْبة من مكروه إلى محبوب. ٤٣٥/١ فتوبةُ العبد إلى ربه ، أوبته مما يكرهه الله منه ، بالندم عليه ، والإقلاع عنه ، والعزم على ترك العوْد فيه. وتوبة الرب على عبده : عودُه عليه بالعفو له عن جُرمه ، والصفح له عن عُقوبة ذنبه ، مغفرةً له منه ، وتفضلا عليه.(١)

* * *

فإن قال لنا قائل : وهلْ كان لهما ذُنوبٌ فاحتاجا إلى مسألة ربهما التوبة ؟

قيل : إنه ليس أحدٌ من خلق الله ، إلاّ وله من العمل — فيما بينه وبين ربه — ما يجب عليه الإنابةُ منه والتوبةُ. فجائزٌ أن يكون ما كان من قِبلهما ما قالا من ذلك ، إنما خَصَّا به الحال التى كانا عليها ،(٢) من رفع قواعد البيت. لأنّ ذلك كان أحرى الأماكن أن يستجيبَ الله فيها دُعاءهما ، وليجعلا مَا فَعلا من ذلك سُنة يُقتدى بها بعدهما ، وتتخذ الناسُ تلك البقعة بعدهما موضع تَنصُّل من الذنوب إلى الله. وجائزٌ أن يكونا عَنَيا بقولهما : « وتُبْ عَلينا » ، وتُبْ على الظلمة من أولادنا وذريتنا — الذين أعلمتنا أمرهم — من ظُلمهم وشركهم ، حتى يُنيبوا إلى طاعتك. فيكون ظاهرُ الكلام على الدعاء لأنفسهما ، والمعنىُّ به ذريتهما. كما

---

(١) انظر معنى « التوبة » فيما سلف ١ : ٥٤٧/٢ : ٧٢ – ٧٣.

(٢) فى المطبوعة : « ما كان من قبلهما ما قالا من ذلك ، وإنما خصا ... » ، وهو كلام فاسد والصواب ما أثبت. بجعل « قبلهما » « قِبلهما » ، أى قولها. وبحذف الواو من : « وإنما ».

يقال : « أكرمنى فلان فى ولدى وأهلى ، وبَرَّنى فلان » ، إذا برّ ولده .

* * *

وأما قوله : « إنك أنتَ التوّاب الرحيم » ، فإنه يعنى به : إنك أنت العائد على عبادك بالفضل ، والمتفضل عليهم بالعفو والغفران — الرحيمُ بهم ، المستنقذُ من تشاء منهم برحمتك من هَلكته ، المنجى من تريد نَجاته منهم برأفتك من سَخَطك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذه دعوة إبراهيم وإسمعيل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، وهى الدعوة التى كان نبينا صلى الله عليه وسلم يَقول : أنا دَعوَة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى : —

٢٠٧٠ — حدثنا بذلك ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعدان الكلاعىّ : أن نفرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسولَ الله ، أخبرنا عن نفسك . قال : نعم ، أنا دعوةُ أبى إبراهيم ، وبُشرى عيسى ، صلى الله عليهم وسلم.[1]

---

(١) الحديث : ٢٠٧٠ — ثور بن يزيد الكلاعى الحمصى . ثقة من أثبت الرواة . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ١/٢/١٨٠ — ١٨١ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٦٨ — ٤٦٩ .

خالد بن معدان الكلاعى الحمصى : تابعى ثقة ثبت ، مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/١٦١ — ١٦٢ ، وابن سعد ٧/٢/١٦٢ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٥١ .

وهذا الإسناد مرسل ، لأن خالد بن معدان لم يذكر أنه عن أحد من الصحابة . وكذلك هو فى سيرة ابن هشام ، (ص ١٠٦ — ١٠٧ طبعة أوربة ، ١ : ١٧٥ طبعة الحلبى) . فى قصة مطولة . وكذلك رواه الطبرى فى التاريخ ٢ : ١٣٠ ، بهذا الإسناد ، مطولا أيضاً ، مرسلا .

ولكنه ثبت موصولا ، من رواية ابن إسحق أيضاً : فرواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٦٠٠ ، من طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحق ، قال : « حدثنى ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن

٢٠٧١ — حدثني عمران بن بكار الكلاعي قال، حدثنا أبو اليمان قال، حدثنا أبو كريب، عن ابن أبي مَريم، عن سعيد بن سُويد، عن العِرْباض بن سَارية السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّي عند الله في أمّ الكتاب، خَاتَم النبيين، وإنّ آدم لمنجدلٌ في طينته. وسوفَ أنبئكم بتأويل ذلك: أنا دَعوَة أبي إبراهيم، وبشارةُ عيسى قومَه، ورؤيا أمّي.(١)

٢٠٧٢ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن وهب قال، أخبرني معاوية —، وحدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني قال، حدثني أبي قال، حدثنا

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك؟» . . . فذكر الحديث مختصراً، بنحو ما هنا. ثم قال الحاكم: «خالد بن معدان: من خيار التابعين، صحب معاذ بن جبل، فمن بعده من الصحابة. فإذا أسند حديثاً إلى الصحابة، فإنه صحيح الإسناد، وإن لم يخرجاه». ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(١) الحديث: ٢٠٧١ — عمران بن بكار الكلاعي: ثقة، من شيوخ النسائي، ووثقه هو وغيره. مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ٢٩٤/١/٣، وذكر أنه سمع منه. وقد مضت رواية الطبري عنه: ١٤٩ ولم نترجمه هناك. ووقع في التهذيب أنه مات «سنة إحدى وسبعين ومئة»! وهو خطأ ناسخ أو طابع، لا يعقل ذلك وأن يسمع منه النسائي والطبري وهذه الطبقة. وصحته: سنة ٢٧١.

أبو اليمان: هو الحكم بن نافع الحمصي، وهو ثقة من شيوخ أحمد بن حنبل والبخاري. مترجم في التهذيب، والكبير ٣٤٢/٢/١، وابن أبي حاتم ١٢٩/٢/١، وقال: «وهو نبيل ثقة صدوق».

أما قوله «حدثنا أبو كريب» — هنا: فإنه خطأ يقيناً من الناسخين. فإن «أبا كريب محمد بن العلاء» — وقد مضت ترجمته: ١٢٩١ — متأخر عن أبي اليمان. هذه واحدة، وأخرى، أن أبا اليمان روى هذا الحديث عن ابن أبي مريم، كما سيأتي. فإما أنه ذكر خطأ من الناسخ، وإما أن يكون صوابه «وأبو كريب، قالا: حدثنا». فيكون عمران بن بكار رواه عن شيخين.

ابن أبي مريم: هو «أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي»، وهو ضعيف، من قبل سوء حفظه وتغيره، كما بينا في شرح المسند: ١٤٦٤، ٦١٦٥. ووقع هنا في المطبوعة «عن أبي مريم» بحذف «ابن». وهو خطأ واضح. ثم إن ضعف «ابن أبي مريم» من قبل حفظه، قد جبر في هذا الحديث، بأن رواه غيره. ولكنه أخطأ فيه بحذف التابعي من إسناده.

سعيد بن سويد الكلبي الشامي: وهو تابعي ثقة، سمع من بعض الصحابة ولقيهم. ولكن ابن حبان ذكره في الثقات (ص: ٤٧٥) في أتباع التابعين. ترجمه الحافظ في التعجيل: ١٥٢، وأشار إلى هذا الحديث، ونقل أن البخاري قال: «لم يصح حديثه». وما أدري أين قاله البخاري، فإنه لم يترجمه في الصغير، ولم يذكره في الضعفاء. وترجمه في الكبير ٤٣٦/١/٢، ولم يذكر فيه جرحاً. وكذلك ترجمه ابن أبي حاتم ٢٩/١/٢، ولم يذكر فيه جرحاً أيضاً. وإنما اختلف عنه الراويان — في هذا الإسناد والإسنادين بعده: أهو «عن العرباض»، أم بينهما تابعي آخر؟ فأخطأ ابن أبي مريم في حذف التابعي بين سعيد والعرباض. كما سيأتي، إن شاء الله.

الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح — قالا جميعاً ، عن سعيد بن سويد ، عن عبد الله بن هلال السلمى ، عن عِرْباض بن سَارية السلمى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه .(١)

٢٠٧٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن سعيد بن سويد ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمى ، عن عرْباض بن سارية : أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، فذكر نحوه .(٢)

* * *

---

(١) الحديث : ٢٠٧٢ — وهذا إسناد آخر للحديث قبله ، بل إسنادان : فرواه الطبرى عن يونس ابن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، ثم رواه عن عبيد بن آدم العسقلانى ، عن أبيه ، عن الليث بن سعد — وابن وهب والليث روياه عن معاوية بن صالح .

وأولها واضح . و « عبيد بن آدم بن أبى إياس العسقلانى » — فى ثانيهما : ثقة ، روى عنه أيضاً أبو زرعة وأبو حاتم ، والنسائى ، وغيرهم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٤٠٢ . وأبوه « آدم بن أبى إياس » . مضت ترجمته : ١٨٧ . والليث بن سعد : إمام معروف . ومعاوية بن صالح : مضت ترجمته : ١٨٧ أيضاً .

(٢) الحديث : ٢٠٧٣ — وهذا إسناد آخر للحديث السابق . و « أبو صالح » : هو عبد الله بن صالح ، كاتب الليث بن سعد . مضت ترجمته : ١٨٦ . عبد الأعلى بن هلال السلمى : هكذا اختلف فى اسمه على معاوية بن صالح ، فى الإسناد السابق وهذا الإسناد : فهنالك « عبد الله بن هلال » ، وهنا « عبد الأعلى بن هلال » . وأنا أرجح أنه « عبد الأعلى » لما سيأتى من الدلائل ، إن شاء الله .

وهذا التابعى قصر الحافظ فلم يترجم له فى التعجيل فى واحد من الاسمين ، مع أنه من رجال مسند أحمد ، ومع أن سلفه الحافظ الحسينى ترجم له فى الإكمال ، ص : ٦٤ ، قال : « عبد الله بن هلال السلمى ، ويقال : عبد الأعلى ، شامى . روى عن العرباض بن سارية ، وأبى أمامة الباهلى . وعنه سويد بن سعيد الكلبى . مجهول » ! وما كان الرجل مجهولا قط ! وهو مترجم عند ابن أبى حاتم ٣/١/٢٥ باسم « عبد الأعلى » ، وكذلك ذكره ابن حبان فى الثقات ، ص : ٢٦٧ ، وذكر له هذا الحديث ، عن العرباض ابن سارية . وكذلك ذكره البخارى فى الكبير ، فى ترجمة « سعيد بن سويد » باسم « عبد الأعلى بن هلال » . وكذلك صنع ابن أبى حاتم وابن حبان .

وأيضاً فإن الرواة عن الليث بن سعد اختلفوا عليه كذلك . فى روايتى أحمد وابن سعد ، من طريق الليث : « عبد الأعلى بن هلال » ، كما سنذكر .

بل إن عبد الأعلى هذا له ذكر فى حديث آخر فى المسند (٥ : ٢٦١ حلبى) فى مسند أبى أمامة الباهلى ، فروى الإمام أحمد بإسناده إلى خالد بن معدان ، قال : « حضرنا صنيعاً لعبد الأعلى بن هلال ، فلما فرغنا من الطعام قام أبو أمامة فقال : . . . » ، إلخ .

وبالذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم » ، ففعل الله ذلك ، فبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يَعرفون وجهه ونَسبه ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد .

وأياً ما كان فهذه الأسانيد صحاح ، على الرغم من هذا الاختلاف . وكثيراً ما يكون مثل هذا ، ولا أثر له فى صحة الحديث .

والحديث — من رواية أبي بكر بن أبي مريم : ٢٠٧١ — رواه أيضاً أحمد فى المسند : ١٧٢٣٠ (ج ٤ ص ١٢٨ حلبى) ، عن أبي اليمان الحكم بن نافع ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن سويد ، عن العرباض ، بنحوه . وآخره عنده : « ورؤيا أمى التى رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، وكذلك ترى أمهات النبيين ، صلوات الله عليهم » .

وبنحو ذلك — وشيء من الاختصار — رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٦٠٠ ، من طريق أبي اليمان ، عن ابن أبي مريم . وصححه هو والذهبى .

ورواه أيضاً الإمام أحمد : ١٧٢١٧ (ج ٤ ص ١٢٧ حلبى) ، عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد ، عن « عبد الله بن هلال السلمى » ، عن عرباض بن سارية ، نحوه . فعبد الرحمن بن مهدى ، سمى التابعى « عبد الله » — كما صنع ابن وهب وآدم بن أبي إياس ، هنا فى روايتهما عن الليث .

ورواه أيضاً الإمام أحمد : ١٧٢١٨ ، وابن سعد فى الطبقات ١/١/٩٥ — ٩٦ ، كلاهما عن أبي العلاء الحسن بن سوار الخراسانى ، عن الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد ، عن « عبد الأعلى بن هلال السلمى » ، عن العرباض .

وقد ذكر الهيثمى هذا الحديث فى مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ ، بألفاظ عن العرباض . ثم قال : « رواه أحمد بأسانيد ، والبزار ، والطبرانى بنحوه . . . وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن سويد ، وقد وثقه ابن حبان » .

وهو أيضاً عند السيوطى ١ : ١٣٩ ، ونسبه — زيادة على ما ذكرنا — لابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل .

وبعد : فإن للحديث شاهداً آخر ، يصلح للاستشهاد ، مع ضعف فى إسناده :

فروى أبو داود الطيالسى فى مسنده : ١١٤٠ ، عن الفرج بن فضالة ، عن لقمان بن عامر ، عن أبي أمامة الباهلى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحو هذا الحديث .

وكذلك رواه الإمام أحمد فى المسند (٥ : ٢٦٢ حلبى) ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن الفرج بن فضالة . بهذا الإسناد . والفرج بن فضالة : ضعيف ، كما قلنا فى : ١٦٨٨ .

وذكره السيوطى ١ : ١٣٩ ، ونسبه أيضا للطبرانى ، وابن مردويه ، والبيهقى .

٢٠٧٥ ـ حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « رَبّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم » ، هو محمد صلى الله عليه وسلم .

٢٠٧٦ ـ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ربنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم »، هو محمد صلى الله عليه وسلم، فقيل له: قد استُجيب ذلك ، وهو فى آخر الزمان .

* * *

قال أبو جعفر : ويعنى تعالى ذكره بقوله : « يتلو عليهم آياتك » : يقرأ عليهم كتابك الذى تُوحيه إليه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾

قال أبو جعفر : ويعنى بـ« الكتاب » : القرآن .

وقد بينت فيما مضى لم سُمّى القرآن « كتاباً » ، وما تأويله .[2] وهو قول جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١/٤٣٦ ٢٠٧٧ ـ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: « ويُعلمهم الكتاب » ، القرآن .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « الحكمة » التى ذكرها الله فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : هى السُّنة .

* ذكر من قال ذلك:

---

(١) انظر معانى « تلا » فيما سلف ٢ : ٤٠٩ — ٤١١ ، ٥٦٩

(٢) انظر ما سلف ١ : ٩٧ ، ٩٩ .

٢٠٧٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والحكمة » ، أي السُّنَّة .

* * *

وقال بعضهم : « الحكمة » ، هي المعرفة بالدين والفقه فيه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قلت لمالك : ما الحكمة ؟ قال : المعرفةُ بالدين ، والفقهُ في الدين ، والاتّباعُ له .

٢٠٨٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « والحكمة » ، قال : « الحكمة » ، الدين الذي لا يعرفونه إلا به صلى الله عليه وسلم ، يعلمهم إيّاها . قال : و« الحكمة » ، العقلُ في الدّين وقرأ ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٩] ، وقال لعيسى ، ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٨] ، قال : وقرأ ابن زيد : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٥] ، قال : لم ينتفع بالآيات ، حيث لم تكن معها حكمةٌ . قال : « والحكمة » شيء يجعله الله في القلب ، ينوِّر له به .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندنا في « الحكمة » أنها العلمُ بأحكام الله التي لا يُدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمعرفة بها ، وما دلّ عليه ذلك من نظائره . وهو عندي مأخوذ من « الحُكْم » الذي بمعنى الفصْل بين الحق والباطل ، بمنزلة « الجِلسة والقِعدة » من « الجلوس والقعود » ، يقال منه : « إنّ فلاناً لحكيمٌ بيِّنُ الحكمة » ، يعني به : إنه لبيّن الإصابة في القول والفعل .

وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : ربّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يَتلو

عليهم آياتك ، ويعلمهم كتابك الذى تنزّله عليهم ، وفصْلَ قضائك وأحكامك التى تُعلِّمه إياها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى « التزكية » : التطهير ، وأن معنى « الزكاة » ، النماء والزيادة .[1]

فمعنى قوله : « ويُزكيهم » فى هذا الموضع : ويطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان ، ويُنمِّيهم ويكثرهم بطاعة الله ، كما : —

٢٠٨١ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « يتلو عليهم آياتك َويزكيهم » ، قال : يعنى بالزكاة ، طاعةَ الله والإخلاص .

٢٠٨٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « ويزكيهم » ، قال : يطهّرهم من الشرك ، ويخلّصهم منه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : إنك يارَبِّ أنت « العزيز » القوىّ الذى لا يُعجزه شيء أراده ، فافعل بنا وبذريتنا ما سألناه وطلبناه منك ؛ و « الحكيم » الذى لا يدخل تدبيره خللٌ ولا زَللٌ ، فأعطنا ما ينفعنا وينفعُ ذريتنا ، ولا ينقُصك ولا ينقُص خزائنك .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٧٣ — ٥٧٤ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وَمَنْ يرغَبُ عَنْ ملة إبراهيم » ، وأىُّ الناس يَزهد فى ملة إبراهيم ، ويَتركها رغبةً عنها إلى غيرها ؟[1]

* * *

وإنما عنى الله بذلك اليهودَ والنصارى ، لاختيارهم ما اختاروا من اليهودية والنصرانية على الإسلام . لأن « ملة إبراهيم » هى الحنيفية المسلمة ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا ولاَ نَصْرَانِيًّا ولَٰكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِمًا ﴾ [سورة آل عمران : ٦٧]، فقال تعالى ذكره لهم : وَمَنْ يَزْهدُ عن ملة إبراهيمَ الحنيفيةِ المسلمةِ إلاّ مَن سَفه نفسه ، كما : —

٢٠٨٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وَمَنْ يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفه نفسه » ، رغب عن ملته اليهودُ والنصارى ، واتخذوا اليهودية والنصرانية ، بدعةً ليست من الله ، وتركوا ملة إبراهيم — يعني الإسلام — حنيفاً ؛ كذلك بعثَ الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بملة إبراهيم .

٢٠٨٤ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ومن يَرغبُ عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » ، قال : رغبت اليهودُ والنصارى عن ملة إبراهيم ، وابتدعوا اليهودية والنصرانية ، وليستْ من الله ، وتركوا ملة إبراهيم : الإسلامَ .

* * *

(١) سيأتى تفسير « الملة » بعد صفحات ص : ١٠٤

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إلاّ من سفه نفسه » ، إلا من سَفِهتْ نفسُه . وقد بينا فيما مضى أنّ معنى « السفه » ، الجهل .[1]

فمعنى الكلام : ومَا يرغبُ عن مِلة إبراهيم الحنيفية ، إلاّ سفيهٌ جاهلٌ بموضع حَظِّ نفسه فيما ينفعها ، ويضرها فى معادها ، كما : — ٤٣٧/١

٢٠٨٥ — حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إلا من سفه نفسه » ، قال : إلا من أخطأ حظَّه .

* * *

وإنما نَصَب « النفس » على معنى المفسَّر . وذلك أنّ « السفه » فى الأصل للنفس ، فلما نقل إلى « مَنْ » ، نُصبت « النفس » ، بمعنى التفسير .[2] كما يقال : « هو أوسعكم داراً » ، فتدخل « الدار » فى الكلام على أن السعة فيها ، لا فى الرجل . فكذلك « النفس » أدخلت لأن السفه للنفس ، لا لـ « مَنْ » . ولذلك لم يجز أن يقال : سفه أخوك . وإنما جاز أن يفسر بالنفس ، وهى مضافة إلى معرفة ، لأنها فى تأويل نكرة .[3]

* * *

وقال بعض نحويى البصرة : إنّ قوله : « سفه نفسه » جرت مجرى « سَفِه » إذا كان الفعل غير متعدّ ، وإنما عدّاه إلى « نفسه » و « رأيه » وأشباه ذلك مما هو فى المعنى نحو « سفه » ، إذا هو لم يتعد . فأما « غَبِن » و « خسِر » فقد يتعدى إلى غيره ، يقال : « غَبِن خمسين ، وخَسِر خمسين » .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٩٣ — ٢٩٥

(٢) التفسير والمفسر : يعنى التمييز ، ويقال له أيضاً « التبيين » .

(٣) انظر بيان ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ٧٩ ، واللسان (سفه) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وَلَقد اصطفيناه فى الدنيا »، ولقد اصطفينا إبراهيمَ . و « الهاء » التى فى قوله : « اصطفيناه »، من ذكر إبراهيم .

* * *

و « الاصطفاء » « الافتعال » من « الصفوة »، وكذلك « اصطفينا » « افتعلنا » منه ، صُيِّرت تاؤها طاءً لقرب مخرجها من مخرج الصاد .

ويعنى بقوله : « اصطفيناه »: اخترناه واجتبيناه للخُلَّة،[1] ونصيِّره فى الدنيا لمنْ بَعدَه إماماً .

* * *

وهذا خبرمن الله تعالى ذكره عنأنَّ مَنْ خالف إبراهيم فيما سَنَّ لمن بعده ، فهو لله مخالفٌ ، وإعلامٌ منهخلقَه أنَّ من خالف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ،فهو لإبراهيممخالفٌ . وذلك أن الله تعالى ذكره أخبرَ أنه اصطفاه لخُلَّته ، وجعله للناس إماماً ،وأخبر أنَّ دينه كانَ الحنيفيّة المسلمة . فى ذلك أوضحُ البيان من الله تعالى ذكره عن أنَّ من خالفه فهو لله عدوّ ، لمخالفته الإمامَ الذى نَصبه الله لعباده .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ ﴿١٣٠﴾

قال أبوجعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإنه فى الآخرة لمنَ الصالحين »، وإن إبراهيم فى الدار الآخرة لمن الصالحين .

* * *

و « الصالح » من بنى آدم : هو المؤدى حقوق الله عليه .

---

(١) الخلة (بضم فتشديد) : الصداقة والمحبة . والخليل : الصديق الحبيب . وهى هنا منزلة من منازل محبة الله لبعض عباده الذين اصطفاهم وأحبهم .

فأخبر تعالى ذكره عنْ إبراهيمَ خليله ، أنه فى الدنيا صَفِىٌّ ، وفى الآخرة ولىٌّ ، وأنه واردٌ مواردَ أوليائه الموفِّين بعهده .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٣١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إذ قال له ربه أسلم » ، إذ قال له ربه : أخلصْ لى العبادةَ ، واخضع لى بالطاعة . وقد دللنا فيما مضى على معنى « الإسلام » فى كلام العرب ، فأغنى عن إعادته .[1]

* * *

وأما معنى قوله : « قالَ أسلمتُ لربِّ العالمين » ، فإنه يعنى تعالى ذكره ، قال إبراهيمُ مجيباً لربه : خضعتُ بالطاعة ، وأخلصت العبادة ، لمالك جميع الخلائق ومدبِّرها دون غيره .

* * *

فإن قال قائل : قد علمتَ أنّ « إذْ » وقتٌ ، فما الذى وُقِّت به ؟ وما الذى هو له صلة .[2]

قيل : هو صلة لقوله : « ولقد اصطفيناهُ فى الدنيا » . وتأويل الكلام : ولقد اصطفيناهُ فى الدنيا ، حين قال له ربه : أسلم . قال : أسلمتُ لرب العالمين . وإنما معنى الكلام : ولقد اصطفيناه فى الدنيا حين قلنا له : أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين . فأظهر اسم « الله » فى قوله : « إذ قال له ربه أسلم » ، على وجه الخبر

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٥١٠ ، ٥١١ ، وهذا الجزء ٣ : ٧٤

(٢) فى المطبوعة : « وما الذى صلته » . والصواب ما أثبت .

عن غائب ، وقد جرى ذكرُه قبلُ على وجه الخبر عن نفسه ، كما قال خُفاف ابن ندبة :

أَقُولُ لَهُ — والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ : تَأَمَّلْ خُفَافًا إِنَّنِى أَنَا ذَٰلِكَا[1]

* * *

فإن قال لنا قائل : وهل دعا الله إبراهيمَ إلى الإسلام ؟

قيل له : نعم ، قد دعاه إليه .

فإن قال : وفى أى حال دعاه إليه ؟

قيل حين قال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٨، ٧٩]، وذلك هو الوقتُ الذى قال له ربه : أسلمْ — من بعد ما امتحنه بالكواكب والقمر والشمس .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ووصَّى بها » ، ووصى بهذه الكلمة . عَنى بـ«الكلمة» قولَه[3] : « أسلمتُ لربِّ العالمين » ، وهى « الإسلام » ٤٣٨/١

(١) سلف تخريج هذا البيت فى ١ : ٢٢٧ / ٢ : ٣٠٤ .
(٢) قرأ الآيات من سورة الأنعام : ٧٤ — ٧٨ .
(٣) فى المطبوعة : «أعنى بالكلمة» ، وهو خطأ محض .

الذى أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله ، وخضوع القلب والجوارح له .(١)

* * *

ويعنى بقوله : « ووصى بها إبراهيمُ بَنيه » ، عهد إليهم بذلك وأمرهم به .

* * *

وأما قوله : « ويعقوب » ، فإنه يعنى : ووصى بذلك أيضاً يعقوبُ بَنيه ، كما :—

٢٠٨٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :«ووصى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ » ، يقول : ووصى بها يعقوبُ بنيه بعد إبراهيم .

٢٠٨٧ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ووصى بها إبراهيم بَنيه »،وصّاهم بالإسلام ، ووصّى يعقوبُ بمثل ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وقال بعضهم قوله : « ووصى بها إبراهيمُ بَنيه » ، خبرٌ مُنقضٍ . وقوله : « ويعقوب»خبرٌمبتدأ .فإنه قال : « ووصى بها إبراهيم بَنيه » . بأن يقولوا : أسلمنا لربّ العالمين — ووصى يعقوب بنيه : أنْ « يا بنى إنّ اللهَ اصطفَى لكمُ الدين فلا تموتُنّ إلاّ وأنتم مسلمون » .

ولا معنى لقول من قال ذلك . لأن الذى أوصَى به يعقوب بنيه ، نظيرُ الذى أوصَى به إبراهيم بَنيه : من الحثّ على طاعة الله ، والخضوع له ، والإسلام .

* * *

فإن قال قائل : فإن كان الأمرُ على ما وصفتَ : من أنّ معناه : ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ : أنْ «يا بنى» — فما بالُ « أن » محذوفةً من الكلام ؟

قيل : لأن الوصية قولٌ ، فحملت على معناها . وذلك أنّ ذلك لو جاء بلفظ

---

(١) انظر تفسير « الإسلام » قبل ٢ : ٥١٠ ، ٥١١ ، وهذا الجزء ٣ : ٧٤ ، ٩٢

القول، لم تحسن معه « أنْ » ، وإنما كان يقال : وقال إبراهيم لبنيه ويعقوبُ : «يا بَني» . فلما كانت الوَصية قولاً ، حملت على معناها دون لفظها،[1] فحذفت « أنْ » التي تحسنُ معها ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ [سورة النساء : ١١] ، وكما قال الشاعر :

إنِّى سَأُبْدِى لَكَ فِيماَ أُبْدِى لِى شَجَنَانِ شَجَنٌ بِنَجْدِ
وَشَجَنٌ لِى بِبِلَادِ السِّنْدِ[2]

فحذفت « أنْ » ، إذ كان الإبداءُ باللسان فى المعنى قولاً ، فحمله على معناه دون لفظه .[3]

* * *

وقد قال بعض أهل العربية إنما حذفت « أنْ » من قوله : « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ » ، اكتفاءً بالنداء — يعنى بالنداء قوله : « يابنى » وزعم أنَّ عِلَّته فى ذلك أنَّ من شأن العرب الاكتفاءُ بالأدوات عن « أن » ، كقولهم : « ناديتُ هل قمت؟ — وناديتُ أين زيد؟ » . قال : وربما أدخلوها مع الأدوات . فقالوا : « ناديت ، أنْ هلْ قُمت ؟ » .

* * *

(١) فى المطبوعة : « على معناها دون قولها » ، وهو خطأ صوابه ما أثبت .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٨٠ ، ١٨٠ ، ولسان العرب (شجن) . وقوله « شجن » الشجن : هوى النفس ، والحاجة . وهو مجاز من « الشجن » الذى هو الحزن والهم . وكنوا به عن المرأة المحبوبة التى تشغل القلب بالهم والحزن ، من فراق أو دلال أو تجن ، يقول مسلم بن الوليد الأنصارى :

وسِرْبٍ من الأشْجانِ يُطْوَى لهُ الحشاَ عَلَى شَرَقٍ ، مَنْ يَلْقَهُ يَتبَلَّدِ

يعنى نساء ، وقال أيضاً :

أَطَالَ عُمْرِى ، أمْ مُدَّ فى أَجلِى ، أمْ لَيْسَ فِى الظَّاعِنِينَ لِى شَجَنُ ؟

أى امرأة أحبها ، وهوى يحزننى فراقه وبعده ؟

(٣) انظر تفصيل هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ٨٠ - ٨١ .

وقد قرأ جماعة من القرأة : « وأوْصى بها إبراهيم » ، بمعنى : عَهِد.

وأما من قرأ « ووصَّى » مشددة ، فإنه يعنى بذلك أنه عهدَ إليهم عهداً بعد عهد ، وأوصى وصيةً بعد وَصية .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إنّ الله اصطفى لكم الدين » ، إنّ الله اختارَ لكم هذا الدين الذى عَهد إليكم فيه ، واجتباه لكم . [1]

* * *

وإنما أدخل « الألف واللام » فى « الدين » ، لأن الذين خوطبوا من ولدهما وبنيهما بذلك ، كانوا قد عرفوه بوصيتّهما إياهم به ، وعَهدهما إليهم فيه ، ثم قالا لهم — بعد أن عرّفاهُموه — : إنّ الله اصطفىَ لكم هذا الدين الذى قد عَهِد إليكم فيه ، فاتقوا الله أنْ تموتوا إلاّ وأنتم عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٢)

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل: أوَ إلىَ بنى آدمَ الموتُ والحياةُ ، فيُنهى أحدُهم أن يموت إلاّ على حالة دون حالة ؟

قيل له : إن معنى ذلك على غير الوجه الذى ظننتَ . وإنما معنى [2] : « فلاَ تموتن إلاّ وأنتم مسلمون » ، أى : فلا تفارقوا هذا الدين — وهو الإسلام — أيام حياتكم . وذلك أنّ أحداً لا يدرى مَتى تأتيه منيتّه ، فلذلك قالا لهم : « فلا تموتُن إلاّ وأنتم

(١) انظر معنى « الاصطفاء » فيما سلف قريباً : ٩١

(٢) فى المطبوعة : « وإنما معناه » ، والصواب ما أثبت .

مسلمون » ، لأنكم لا تدرون متى تأتيكم مناياكم من ليل أو نهار ، فلا تفارقوا الإسلام ، فتأتيكم منايا كم وأنتم على غير الدين الذى اصطفاه لكم ربكم ، فتموتوا وربكم ساخط عليكم ، فتهلكوا .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أمْ كنتم شُهداء » ، أكنتم . ولكنه استفهم بـ « أم » ، إذ كان استفهاماً مستأنَفاً على كلام قد سبقه ، كما قيل : ﴿ الٓمٓ * تَنْزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ [سورة السجدة : ١ - ٣] ، وكذلك تفعل العرب فى كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه ، تستفهم فيه بـ « أم » .[١]

* * *

« والشهداء جمع « شهيد » ، كما « الشركاء » جمع « شريك » و « الخصماء » جمع « خَصيم » .[٢] ٤٣٩/١

* * *

قال أبو جعفر وتأويل الكلام : أكنتم — يا معشرَ اليهود والنصارى ، المكذّبين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، الجاحدين نبوّته — حُضورَ يعقوبَ وشهودَه إذ حضره الموتُ . أى إنكم لم تحضروا ذلك ، فلا تدّعوا على أنبيائى ورسلى الأباطيل ، وتَنحلوهم اليهوديةَ والنصرانية ، فإنى ابتعثت خليلى إبراهيم — وولدَه إسحق وإسمعيل وذريتهم — بالحنيفية المسلمة ، وبذلك وصَّوْا بَنيهم ، وبه عهدوا إلى أولادهم من بَعدهم . فلو حضرتموهم

(١) استوفى الطبرى حديث « أم » فيما سلف ٢ : ٤٩٢-٤٩٤ وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٥٦ .
(٢) مضى تفسير « الشهداء » فى ١ : ٣٧٦ - ٣٧٨ .

فسمعتم منهم ، علمتم أنَّهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم[١] .

* * *

وهذه آياتٌ نزلتْ ، تكذيباً من الله تعالى لليهود والنصارى فى دعواهم فى إبراهيم وولده يعقوب : أنّهم كانوا على ملتهم ، فقال لهم فى هذه الآية : « أمْ كُنتم شُهداء إذْ حضرَ يعقوبَ الموت» ، فتعلموا ما قَال لولده وقال له وَلَده ؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا لَه . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكرُ من قال ذلك :

٢٠٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « أمْ كنتم شهداء » ، يعنى أهل الكتاب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله « إذْ قال لبنيه » ، إذ قال يعقوبُ لبنيه .

* * *

و « إذْ » هذه مكرّرة إبدالاً من « إذْ » الأولى ، بمعنى : أم كنتم شُهداءَ يعقوبَ ، إذ قال يعقوب لبنيه حين حضور موته .

* * *

ويعنى بقوله : « مَا تَعبُدُون من بَعدى » — أىَّ شىء تعبدون ، « من بعدى » ؟ أى من بَعد وَفاتى ؟ قالوا : « نَعبدُ إلهك » ، يعنى به : قال بنوه له : نَعبد مَعبودَك الذى تعبده ، ومعبودَ آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق ، « إلهاً واحداً » أى :

(١) فى المطبوعة : « على غير ما تنحلوهم » ، والصواب ما أثبت

نُخلص له العبادة، ونوحّد له الربوبية، فلا نُشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه ربًّا .

* * *

ويعنى بقوله : « ونحن له مسلمون » ، ونحن له خاضعون بالعبودية والطاعة .

ويحتمل قوله : « ونحن له مسلمون » ، أن تكون بمعنى الحال ، كأنهم قالوا : نعبد إلهك مُسلمين له بطاعتنا وعبادتنا إياه . ويحتمل أن يكون خبراً مستأنفاً ، فيكون بمعنى : نعبد إلهك بعدك ، ونحن له الآن وفى كل حال مسلمون .

* * *

وأحسن هذين الوجهين — فى تأويل ذلك — أن يكون بمعنى الحال ، وأن يكون بمعنى : نعبدُ إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق ، مسلمين لعبادته .

* * *

وقيل : إنما قدم ذكر إسمعيل على إسحق ، لأن إسمعيل كان أسنّ من إسحق .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٨٩ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق »، قال: يقال: بدأ بإسمعيل ، لأنه أكبر .

* * *

وقرأ بعض المتقدمين: « وإله أبيكَ إبراهيم»، ظنًّا منه أنّ إسمعيل، إذ كان عمًّا ليعقوبَ، فلا يجوزُ أن يكونفيمن تُرْجم بهعنالآباء، وداخلاً فى عِدادهم . وذلك من قارئه كذلك ، قلة علم منه بمجارى كلام العرب . والعرب لا تمتنع من أن تجعل الأعمام بمعنى الآباء ، والأخوال بمعنى الأمهات .[1] فلذلك دخل إسمعيل فيمن تُرجم به عن الآباء . وإبراهيم وإسمعيل وإسحق، ترجمةٌ عن الآباء فى موضع جر ، ولكنهم نُصبوا بأنهم لا يجرّون[2] .

* * *

---

(١) وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٥٧ ، وقوله : « والعرب تجعل العم والخال أباً » .

(٢) « الترجمة » وما اشتق منها : هى « البدل » ، كاسلف آنفاً ٢ : ٣٤٠ ، ٤٢٠ ، وهذا الجزء ٣ : ٥٢ وقوله : « ولكنهم نصبوا بأنهم لا يجرون » ، بمعنى أنها أسماء ممنوعة من الصرف ، كما هو بين ، ولكنه تعبير مليح .

والصواب من القراءة عندنا فى ذلك : « وإله آبائك » ، لإجماع القراء على تصويب ذلك ، وشذوذ من خالفه من القرّاء ممن قرأ خلاف ذلك .

* * *

ونصب قوله : « إلهاً » ، على الحال من قوله : « إلهك » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره . بقوله : « تلكَ أمّة قد خلتْ » ، إبراهيمَ وإسمعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ وولدَهم .

يقول لليهود والنصارى : يا معشرَ اليهود والنصارى ، دعُوا ذكر إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهلُه ، ولاتنحلوهم كفرَ اليهودية والنصرانية ، فتضيفونها إليهم ، فإنهم أمّة — ويعنى : بـ « الأمة » فى هذا الموضع : الجماعةَ والقرنَ من الناس[1] — قد خلتْ : مضتْ لسبيلها .

* * *

وإنما قيل للذى قد مات فذهب : « قد خلا » ، لتخلّيه من الدنيا وانفراده ، عما كان من الأنس بأهله وقرنائه فى دُنياه .[2]

وأصله من قولهم : « خلا الرجل » ، إذ صارَ بالمكان الذى لا أنيسَ له فيه ، وانفردَ من الناس . فاستعمل ذلك فى الذى يموت ، على ذلك الوجه . ٤٤٠/١

* * *

ثم قال تعالى ذكره لليهود والنصارى : إنّ لمن نحلتموه — ضلالكم وكفركمُ الذى أنتم عليه[3] — من أنبيائى ورُسلى ، ما كسب[4] .

(١) انظر ما سلف فى معنى « أمة » ١ : ٢٢١ ، وهذا الجزء ٣ : ٧٤

(٢) فى المطبوعة : « بما كان من الأنس » ، والصواب ما أثبت : أى : تخليه عما كان من الأنس بأهله . . .

(٣) فى المطبوعة : « بضلالكم وكفركم » بزيادة الباء ، وسياق الطبرى يقتضى حذف هذه الباء .

(٤) فى المطبوعة : « كسبت » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت .

« والهاء والألف » في قوله : « لها » ، عائدة إن شئت على « تلك » ، وإن شئت على « الأمة » .

* * *

ويعني بقوله : « لها ما كسبت » ، أي ما عملت من خير ،[1] ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثلُ ذلك ما عملتم ، ولا تؤاخَذون أنتم — أيها الناحلوهم ما نحلتموهم من الملل — فتسألوا عما كان إبراهيم وإسمعيلُ وإسحقُ ويعقوبُ وَولدهم يعملون . فيكسبون من خير وشر ، لأن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت . فدَعُوا انتحالهم وانتحالَ مللهم ، فإن الدعاوَى غيرُ مُغنيتكم عند الله ، وإنما يُغني عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم ، إن كنتم عملتموها وقدَّمتموها .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وقالوا كونُوا هوداً أو نصارى تَهتدوا » ، وقالت اليهودُ لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المؤمنين : كونوا هُوداً تَهتدوا ؛ وقالت النصارى لهم : كونوا نصارى تَهتدوا .

* * *

تعني بقولها : « تهتدوا » ، أي : تصيبوا طَريقَ الحق ،[2] كما : —

٢٠٩٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير — وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة — جميعاً ، عن ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى

---

(١) انظر معنى « الكسب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ — ٢٧٤ .

(٢) انظر معاني « الهدى » فيما سلف ١ : ١٦٦ — ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ، ٥٤٩ — ٥٥١/ ٢ : ٣٩٣ .

زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال عبدُ الله بن صُوريا الأعورُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهُدى إلاّ ما نحن عليه! فاتّبعنا يا محمد تَهتدِ ! وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله عز وجل فيهم : « وقالوا كونوا هوداً أو نَصَارَى تَهتدوا قُلْ بَلْ ملة إبرَاهيمَ حَنيفاً وَما كانَ من المشركين ».[١]

* * *

قال أبو جعفر : احتج الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أبلغَ حجة وأوجزَها وأكملها ، وعلّمها محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد، قل — للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: « كونوا هوداً أو نصارى تَهتدوا » — : بل تعالوا نتّبع ملة إبراهيم التي يُجمعُ جميعنا على الشهادة لها بأنها دينُ الله الذى ارتضاه واجتباه[٢] وأمر به — فإنّ دينه كان الحنيفيةَ المسلمة — وندعْ سائر الملل التى نختلف فيها ، فينكرها بعضنا، ويقرُّ بها بعضُنا . فإن ذلك — على اختلافه — لا سبيل لنا على الاجتماع عليه ، كما لنا السبيلُ إلى الاجتماع على ملة إبراهيم .

* * *

وفى نصب قوله : « بلْ ملة إبراهيم » أوجه ثلاثة . أحدها : أن يوجّه معنى قوله : « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى»، إلى معنى : وقالوا اتبعوا اليهودية والنصرانية . لأنهم إذ قالوا : « كونوا هوداً أو نَصَارى» ، إلى اليهودية والنصرانية دَعوْهمْ ، ثم يُعطف على ذلك المعنى بالملة . فيكون معنى الكلام حينئذ : قل يا محمد ، لا نتبع اليهودية والنصرانية ، ولا نَتخذُها مِلةً ، بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، ثم يحذف « نتبع » الثانية ، ويعطف بـ « الملة» على إعراب اليهودية والنصرانية .

والآخر : أن يكون نصبه بفعل مضمر بمعنى « نتبع »

والثالث : أن يكون أريد : بل نَكونَ أصحابَ ملة إبراهيم ، أو أهلَ ملة

---

(١) الأثر : ٢٠٩٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٨ .

(٢) فى المطبوعة : « تجمع جميعنا » ، وهى خطأ ، والصواب « يجمع » ، من الإجماع .

إبراهيم . ثم حذف « الأهل » و « الأصحاب » ، وأقيمت « الملة » مقامهم ، إذ كانت مؤدية عن معنى الكلام،[1] كما قال الشاعر :[2]

حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقاً ! وَمَا هِيَ ، وَيْبَ غَيْرِكَ ، بالعَنَاقِ[3]

يعني : صوتَ عَناق، فتكون « الملة » حينئذ منصوبةً ،عطفاً في الإعراب على « اليهود والنصارى » .

* * *

وقد يجوز أن يكون منصوباً على وجه الإغراء باتّباع ملة إبراهيم .[4]

* * *

وقرأ بعض القرّاء ذلك رفعاً . فتأويله — على قراءة من قرأ رفعاً : بل الهُدى ملة إبراهيم .

* * *

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٨٢ ، ويريد في هذا القول الأخير ، أن النصب بقوله « نكون » ، التي هي من معنى قولهم : « كونوا هوداً . . . » ، ثم حذفت « نكون » .

(٢) هو ذو الخرق الطهوي ، وانظر الاختلاف في اسمه ، ومن سمي باسمه في المؤتلف والمختلف : ١١٩ ، والخزانة ١ : ٢٠ ، ٢١ .

(٣) سيأتي في التفسير ٢ : ٥٦ منسوباً / ثم ٤ : ١٥/٦٠ : ١٤ (بولاق) ، ونوادر أبي زيد : ١١٦ ،ومعاني القرآن للفراء ١ : ٦١ — ٦٢ ،واللسان (ويب) (عنق) (عقا) (بغم) وغيرها. وهو من أبيات يقولها لذئب تبعه في طريقه ، وهي أبيات ساخرة جياد .

أَلَمْ تَعْجَبْ لِذِئْبٍ باتَ يَسْرِي لِيُؤْذِنَ صَاحِباً لَهُ بِاللَّحَاقِ
حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقاً ! وَمَا هِيَ، وَيْبَ غَيْرِكَ ، بالعَنَاقِ
وَلَوْ أَنِّي دَعَوْتُكَ مِنْ قَرِيبٍ لَعَاقَكَ عَنْ دُعَاءِ الذِّئْبِ عَاقِ
وَلَـكِنِّي رَمَيْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ فَلَمْ أَفْعَلْ ، وَقَدْ أَوْهَتْ بِسَاقِ
عَلَيْكَ الشَّاءَ ، شَاءَ بَنِي تَمِيمٍ ، فَعَافِقْهُ ، فَإِنَّكَ ذُو عِفَاقِ

وقوله « عناق » في البيت : هي أنثى المعز ، وقوله : « ويب » أي ويل . والبغام : صوت الظبية أو الناقة، واستعاره هنا للمعز . وقوله في البيت الثالث « عاق » ، أي عائق ، فقلب ، والعفاق : السرعة في الذهاب بالشيء . عافقه: عالجه وخادعه ثم ذهب به خطفة واحدة .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٥٧ ، وقوله : « عليكم ملة إبراهيم » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٣٥)

قال أبو جعفر : و« الملة »، الدين

* * *

وأما « الحنيف »، فإنه المستقيم من كل شىء . وقد قيل : إنّ الرجل الذى تُقبل إحدى قدميه على الأخرى، إنما قيل له : « أحنف »، نظراً له إلى السلامة، كما قيل للمهلكة من البلاد « المفازة »، بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة، وكما قيل للّديغ « السليم »، تفاؤلاً له بالسلامة من الهلاك، وما أشبه ذلك .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : قُلْ يا محمد، بل نتبع ملة إبراهيم مستقيماً .

فيكون « الحنيف » حينئذ حالاً من « إبراهيم »

* * *

وأما أهل التأويل فإنهم اختلفوا فى تأويل ذلك . فقال بعضهم : « الحنيف » الحاجُّ . وقيل : إنّما سُمى دين إبراهيم الإسلام « الحنيفية »، لأنه أول إمام لزم العبادَ ـ الذين كانوا فى عصره، والذين جاؤا بعده إلى يوم القيامة ـ اتّباعَه فى مَناسك الحج، والائتمام به فيه . قالوا : فكل من حَجّ البيت فنسك مَناسكَ إبراهيم على ملته، فهو « حنيف »، مسلم على دين إبراهيم . ١/٤٤١

* ذكر من قال ذلك

٢٠٩١ ـ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال، حدثنا القاسم بن الفضل، عن كثير أبى سهل، قال : سألت الحسن عن « الحنيفية »، قال : حج البيت .

٢٠٩٢ ـ حدثنى محمد بن عُبادة الأسدى قال، حدثنا عبيد الله بن موسى

قال، أخبرنا فضيل، عن عطية فى قوله : « حنيفاً » ، قال : الحنيف: الحاجّ.[١]

٢٠٩٣ – حدثنى الحسين بن على الصُّدائى قال، حدثنا أبى، عن الفضيل، عن عطية مثله.[٢]

---

(١) الخبر : ٢٠٩٢ – محمد بن عبادة الأسدى ، شيخ الطبرى : هذا الشيخ مضى مراراً فى المطبوعة على أوجه . منها : ٦٤٥ ، ١٥١١ باسم « محمد بن عمارة الأسدى » ، وذكرنا فى ثانيهما أننا لم نجد له ترجمة ولا ذكراً ، إلا فى رواية الطبرى عنه مراراً فى التاريخ . ولم نجده فى فهارس التاريخ إلا كذلك . ومنها : ١٩٧١ ، باسم « محمد بن عمار » ، وصححناه فيه على ما رأينا من قبل « محمد بن عمارة» . ولكنه جاء هنا – كما ترى – باسم « محمد بن عبادة» . والراجح عندى الآن أنه هو الصواب . فإن يكن ذلك تكن نسخ الطبرى فى التفسير وفى التاريخ محرفه فى كل موضع ذكر فيه على غير هذا النحو

وهذا الشيخ « محمد بن عبادة بن البخترى الأسدى الواسطى » : ثقة صدوق ، كان صاحب نحو وأدب . وهو من شيوخ البخارى ، وأبى حاتم ، وأبى داود ، وغيرهم . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٧. روى عنه البخارى فى الصحيح حديثين، (٨ : ٢٦ ، و ٩ : ٩٣ من الطبعة السلطانية) – (١٠ : ٤٢٩ ، و ١٣ : ٢١٤ من الفتح) – (٩ : ٥٣ ، و ١٠ : ٢٤٦ من القسطلانى طبعة بولاق الأولى) . ونص بهامش السلطانية على أن « عبادة » – فى الموضعين : بفتح العين . وكذلك ضبطه الشارحان . قال الحافظ (١٣ : ٢١٤) : « بفتح المهملة وتخفيف الموحدة ، واسم جده : البخترى ، بفتح الموحدة وسكون المعجمة وفتح المثناة من فوق ، ثقة واسطى ، يكنى : أبا جعفر . ما له فى البخارى إلا هذا الحديث ، وآخر تقدم فى كتاب الأدب » ، يعنى الذى مضى فى الفتح (٨ : ٢٦) .

وكذلك ضبط اسم أبيه ، فى المشتبه للذهبى : ٣٣٣ ، والحافظ فى تحرير المشتبه (مخطوط) .

وإنما رجحت – هنا – أنه « محمد بن عبادة» : لأن « محمد بن عمارة الأسدى » مفقود ذكره فى كتب التراجم والرواية . فيما وصل إليه علمى ، ولأن كثيراً من رواياته فى التاريخ والتفسير – عن « عبيد الله ابن موسى » ، كما فى التفسير : ١٥١١ ، والتاريخ ١ : ٥٧ ، و ٢ : ٢٦٦ ، و ٣ : ٧٦ ، ٧٨ .

نعم : يمكن أن يكون هناك شيخ آخر – لم يصل إلينا علمه – باسم « محمد بن عمارة » يتفق مع هذا فى شيوخه وفى الرواة عنه . ولكنى أرى أن ما ذكرت هو الأرجح .

و « عبيد الله بن موسى » : هو العبسى الحافظ الثقة . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٣٣٤ – ٣٣٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٣٢٢ – ٣٢٣ ، ووقع اسمه فى المطبوعة هنا « عبد الله » وهو تحريف واضح .

فضيل : هو ابن مرزوق الرقاشى : وهو ثقة ، رجحنا توثيقه فى شرح المسند : ١٢٥١ ، لأن من تكلم فيه ، إنما تكلم من أجل أحاديث يرويها عن عطية العوفى – الذى يروى عنه هنا ، وعطية ضعيف ، كما مضى فى : ٣٠٥ .

(٢) الخبر : ٢٠٩٣ – الحسين بن على الصدائى – بضم الصاد وتخفيف الدال المهملتين – الأكفانى : ثقة عدل من الصالحين ، روى عنه الترمذى والنسائى وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/ ٥٦ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٦٧ – ٦٨ .

أبوه « على بن يزيد بن سليم الصدائى » : ثقة أيضاً ، تكلم فيه بعضهم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢٠٩ .

٢٠٩٤ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام بن سَلم ،[١] عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد قال: الحنيف الحاجُّ .

٢٠٩٥ ــ حدثني الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن التيمى ، عن كثير بن زياد قال ، سألت الحسن عن « الحنيفية » ، قال : هو حجُّ هذا البيت .

= قال ابن التيمى : وأخبرني جويبر ، عن الضحاك بن مزاحم ، مثله .[٢]

٢٠٩٦ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال، حدثنا سفيان ، عن السدى، عن مجاهد : « حُنَفاء » ، قال: حجّاجاً .[٣]

٢٠٩٧ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « حنيفاً »، قال : حاجّاً .

٢٠٩٨ ــ حدثت عن وكيع ، عن فُضَيل بن غزوان ، عن عبد الله بن القاسم قال : كان الناسُ من مُضر يحجُّون البيت في الجاهلية يُسمّون « حنفاء » ، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ [سورة الحج : ٣١]

* * *

وقال آخرون : « الحنيف » ، المتَّبِـع ، كما وصفنا قبل، من قول الذين قالوا: إنّ معناه : الاستقامة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٩٩ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ،

---

(١) في المطبوعة « حكام بن سالم » ، خطأ . وقد مضى كثيراً في إسناد الطبرى .

(٢) الخبر : ٢٠٩٥ – ابن التيمى : لم أجد نصاً يعين من هو ؟ ونسبة « التيمى » فيها سعة . وأنا أرجح أن يكون « معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى » . فإنه من هذه الطبقة ، ويروى عنه عبد الرزاق. ولعل عبد الرزاق ذكره بهذه النسبة ، لئلا يشتبه باسم معمر . وهو ابن راشد ، إذ يكثر عبد الرزاق الرواية عن معمر . فخشى التصحيف لوقال هنا « معتمر » . فخرج منه بقوله « ابن التيمى » .

(٣) انظر ما سيأتي في رقم : ٢٠٩٨ ، فهذا من تفسير آية سورة الحج المذكورة ثم .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « حنفاء » ، قال : متّبعين .

وقال آخرون : إنما سُمّى دين إبراهيم « الحنيفية » ، لأنه أول إمام سنّ للعباد الختانَ ، فاتبعه مَنْ بعده عليه . قالوا : فكل من اختتن على سبيل اختتان إبراهيم ، فهو على ما كان عليه إبراهيم من الإسلام ، فهو « حنيف » على ملة إبراهيم .[1]

* * *

وقال آخرون : « بل ملة إبراهيم حنيفاً » ، بل ملة إبراهيم مُخلصًا . « فالحنيف » على قولهم : المخلصُ دينَه لله وحده .

* ذكر من قال ذلك :

٢١٠٠ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واتّبع ملةَ إبراهيم حنيفاً » ، يقول : مخلصاً .

* * *

وقال آخرون : بل « الحنيفية » ، الإسلام . فكل من ائتمّ بإبراهيم فى ملّته فاستقام عليها ، فهو « حَنيف » .

* * *

قال أبو جعفر : « الحنَف » عندى ، هو الاستقامة على دين إبراهيم ، واتّباعه على ملته .[2] وذلك أن « الحنيفية » لو كانت حج البيت ، لوجب أن يكونَ الذين كانوا يحجُّونه فى الجاهلية من أهل الشرك كانوا حُنفاء . وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنُّفاً بقوله : ﴿ وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾
[سورة آل عمران : ٦٧]

فكذلك القول فى الختان . لأن « الحنيفية » لو كانت هى الختان ، لوجب أن يكون اليهود حُنفاء . وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [سورة آل عمران : ٦٧] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٥٨ .

(٢) فى المطبوعة : « الحنيف عندى هو الاستقامة » ، وهو كلام مختلف ، صوابه ما أثبت .

فقد صحّ إذاً أن « الحنيفية » ليست الختانَ وحدَه ، ولا حجّ البيت وحده ، ولكنه هو ما وصفنا : من الاستقامة على ملة إبراهيم، واتباعه عليها ، والائتمام به فيها .

* * *

فإن قال قائل : أوَ ما كان مَنْ كان من قبل إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، من الأنبياء وأتباعهم ، مستقيمين على ما أمروا به من طاعة الله استقامةَ إبراهيم وأتباعه ؟

قيل : بَلى .

فإن قال : فكيف أضيف «الحنيفية» إلى إبراهيم وأتباعه على ملته خاصة، دون سائر الأنبياء قبله وأتباعهم ؟

قيل : إنّ كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفاً متبعاً طاعة الله ، ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحداً منهم إماماً لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة، كالذى فعل من ذلك بإبراهيم، فجعله إماماً فيما بيّنه من مناسك الحجّ والختان ، وغير ذلك من شرائع الإسلام ، تعبُّداً به أبداً إلى قيام الساعة . وجعل ما سنّ من ذلك عَلَماً مميِّزاً بين مؤمنى عباده وكفارهم، والمطيعِ منهم له والعاصى . فسمّى الحنيفُ من الناس « حنيفاً » باتباعه ملته ، واستقامته على هديه ومنهاجه ، وسُمّى الضالُّ عن ملته بسائر أسماء الملل، فقيل : « يهودى ، ونصرانىّ، ومجوسىّ »، وغير ذلك من صنوف المللَ ٤٤٢/١

* * *

وأما قوله : و « ما كانَ مِنَ المشركين » ، يقول: إنه لم يكن ممن يدين بعبادة الأوثان والأصنام ، ولا كان من اليهود ولا النصارى ، بل كان حَنيفاً مُسلماً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « قولوا » — أيها المؤمنون ، لهؤلاء اليهود والنصارى ، الذين قالوا لكم : « كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا » — : « آمنا » ، أى صدّقنا « بالله » .

وقد دللنا فيما مضى أنّ معنى « الإيمان » ، التصديقُ ، بما أغنى عن إعادته .[1]

* * *

« و ما أنزل إلينا » ، يقول أيضاً : صدّقنا بالكتاب الذى أنزل الله إلى نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم . فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم ، إذ كانوا متّبعيه ، ومأمورين منهيين به . فكان — وإنْ كان تنزيلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — بمعنى التنزيل إليهم ، للذى لهم فيه من المعانى التى وصفتُ

* * *

ويعنى بقوله : « وَما أنزل إلى إبراهيم » ، صدّقنا أيضاً وآمنا بما أنزل إلى إبراهيم « وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباط » ، وهم الأنبياء من ولد يعقوب .

* * *

وقوله : « وَما أوتى موسى وعيسى » ، يعنى : وآمنا أيضاً بالتوراة التى آتاها الله موسى ، وبالإنجيل الذى آتاه الله عيسى ، والكتب التى آتى النبيين كلهم ، وأقررنا وصدّقنا أن ذلك كله حق وهدًى ونور من عند الله ، وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى ، يُصدّق بعضهم بعضاً ، على منهاج واحد فى الدعاء إلى توحيد الله ، والعمل بطاعته ، « لا نفرّق بين أحد منهم » ، يقول :

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٣٥ – ٢٣٦ ، ثم ٢ : ١٤٣ ، ٣٤٨ . . . ومواضع أخرى غيرها.

لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض، ونتبرأ من بعضٍ ونتولى بعضاً ، كما تبرأت اليهودُ من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرّت بغيرهما من الأنبياء ، وكما تبرأت النصارَى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرّت بغيره من الأنبياء ، بل نشهد لجميعهم أنّهم كانوا رسلَ الله وأنبياءَه ، بعثوا بالحق والهدى .

* * *

وأما قوله : « ونحنُ لَهُ مُسلمون » ، فإنه يعني تعالى ذكره : ونحنُ له خاضعون بالطاعة ، مذعنون له بالعبودية .[1]

* * *

فذُكر أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لليهود، فكفروا بعيسى وبمن يؤمن به ، كما : —

٢١٠١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد ابن إسحق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد ابن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفرٌ من يهود ، فيهم أبو ياسر بن أخطب ،[2] ورافع بن أبي رافع ، وعازر ، وخالد ، وزيد ، وأزار بن أبي أزار ، وأشيَع ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال : أومن بالله وَما أنزلَ إلينا وما أنزِلَ إلى إبراهيمَ وإسمعيل وإسحقَ ويعقوب والأسباط وَما أوتى مُوسى وعيسى وَما أوتى النبيون من ربهم لا نُفرّق بين أحد منهم ونحن له مُسلمون . فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ، ولا نؤمن بمن آمن به . فأنزل الله فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾[3]
[سورة المائدة : ٥٩]

---

(١) انظر « الإسلام » فيما سلف : ٥١٠ ، ٥١١ / وهذا الجزء ٣ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ٩٤
(٢) في سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦ « منهم : أبو ياسر » .
(٣) الأثر : ٢١٠١ — سيأتي في تفسير سورة المائدة : ٥٩ (٦ : ١٨٨ — ١٨٩ بولاق) بإسناده عن هناد بن السرى عن يونس بن بكير ، وهو في سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦ مع اختلاف يسير في بعض لفظه . وانظر الأثر التالي .

٢١٠٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه — إلا أنه قال : « ونافع بن أبي نافع » مكانَ « رافع بن أبي رافع »[1] .

* * *

وقال قتادة : أنزلتْ هذه الآية ، أمرًا من الله تعالى ذكره للمؤمنين بتصديق رُسله كلهم .

٢١٠٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قُولُوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم » إلى قوله : « وَنحنُ له مسلمون » ، أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ، ولا يفرِّقوا بين أحد منهم .

* * *

وأما « الأسباط » الذين ذكرهم ، فهم اثنا عشر رَجلاً من ولد يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم . وَلد كل رجل منهم أمّة من الناس، فسموا « أسباطاً » ،[2] كما :—

٢١٠٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأسباط ، يوسفُ وإخوته ، بنو يَعقوب . ولد اثني عشر رجلاً ، فولد كل رجل منهم أمّة من الناس ، فسموا : « أسباطاً » .

٢١٠٥ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما الأسباط ، فهم بنو يعقوب : يوسُف ، وبنيامين ، ورُوبيل ، ٤٤٣/١

(١) الأثر : ٢١٠٢ — هكذا جاء في سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦ ، وانظر سيرة ابن هشام أيضاً ١ : ١٦١ ، ١٦٢ « رافع بن أبي رافع » ، و « نافع بن أبي نافع » ، والخلط في أسماء يهود ذلك العهد كثير في كتب السير .

(٢) انظر تفسير « الأسباط » فيما سلف أيضاً ٢ : ١٢١ .

ويهوذا ، وَشمعون ، ولاوِى ، وَدان ، وقهات.[١]

٢١٠٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : « الأسباط » يوسف وإخوته بنو يعقوب ، اثنا عشر رجلاً ، فولد لكل رجل منهم أمّة من الناس ، فسمُّوا: « الأسباط » .

٢١٠٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال[٢] : نكح َيعقوب بن إسحق — وهو إسرائيل — ابنة خاله «ليا » ابنة « ليان بن توبيل بن الياس » ،[٣] فولدت له « روبيل بن يعقوب» ،[٤] وكان أكبر ولده ، و« شمعون بن يعقوب » و« لاوى بن يعقوب » و « يهوذا بن يعقوب » و « ريالون بن يعقوب» ،[٥] و« يشجر بن يعقوب » ، [٦] و « دينة بنت يعقوب » ، ثم توفيت « ليا بنت ليان » .[٣] فخلف يعقوب على أختها « راحيل بنت ليان بن توبيل بن الياس »[٣] فولدت له : «يوسف بن يعقوب » و« بنيامين » — وهو بالعربية أسد — وولد له من سُرِّيتين له: اسم إحداهما « زلفة » واسم الأخرى « بلهية » ،[٧] أربعة

---

(١) الأثر : ٢١٠٥ — فى الدر المنثور ١ : ١٤٠ . ولم أجد فى ولد يعقوب « قهات » وفى الدر المنثور « وتهان » ، والظاهر أنهما جميعاً محرفان عن « نفتالى » أخو « دان » من أمهما « بلهية » جارية « راحيل » ، كما سيأتى فى الأثر التالى : ٢١٠٧ ، وكما هو فى كتاب بنى إسرائيل الذى بين أيدينا . هذا ، وقد اقتصر الطبرى هنا على ثمانية نفر من الأسباط . وزاد السيوطى فى الدر المنثور تاسعاً — فى روايته عن الطبرى— قال « وكونوا — بالنون » ، وليس فى ولد يعقوب هذا الاسم ، إلا أن يكون تصحيفاً صوابه « زبلون » كما هو فى كتب القوم . انظر التعليق على الأثر التالى : ٢١٠٧ .

(٢) الأثر : ٢١٠٧ — لم أصحح هذه الأسماء ، مع الاختلاف فيها ، ولكنى سأذكر مواضع الاختلاف على رسمها فى كتاب بنى إسرائيل الذى بين أيدينا ، فى التعليقات الآتية .

(٣) « ليئَة ابنة لابَان بن بَتُوئِيل » « وراحيل بنت لابان . . »

(٤) ﴿ رأُوبين بن يعقوبُ ﴾

(٥) ﴿ زَبُولُون بن يعقوب ﴾

(٦) ﴿ يَسَّاكر بن يعقوب ﴾

(٧) ﴿ بِلْهة ﴾

نفر : « دان بن يعقوب » و « نفتالى بن يعقوب » و « جاد بن يعقوب » و « إشرب بن يعقوب »[1] ، فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلاً ، نشر الله منهم اثنى عشر سبطاً، لا يحصى عددَهم ولا يعلم أنسابهم إلا الله ، يقول الله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٠]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » ، فإن صدّق اليهودُ والنصارى بالله ، وما أنزل إليكم ، وما أنزل إلى إبراهيمَ وإسمعيل وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، وأقروا بذلك، مثلَ ما صدّقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم، فقد وُفِّقوا ورَشِدوا ، ولزموا طريق الحق ، واهتدوا ، وهم حينئذ منكم وأنتم منهم ، بدخولهم فى ملتكم بإقرارهم بذلك .

فدلّ تعالى ذكره بهذه الآية، على أنه لم يقبل من أحد عملاً إلاّ بالإيمان بهذه المعانى التى عدّها قبلها ، كما : —

٢١٠٨ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا » ونحو هذا ، قال : أخبر الله سبحانه أنّ الإيمان هو العروة الوثقى ، وأنه لا يقبل عملاً إلا به ، ولا تحرُم الجنة إلاّ على من تركه .

* * *

(١) ﴿ أشير بن يَعْقُوب ﴾ وراجع فى الجميع سفر التكوين إصحاح : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٥ .

وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قراءةٌ ، جاءت مصاحفُ المسلمين بخلافها ، وأجمعت قرأة القرآن على تركها . وذلك ما : —

٢١٠٩ — حدثنا به محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي حمزة قال ، قال ابن عباس : لا تقولوا « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا » — فإنه ليس لله مثل — ولكن قولوا : «فإن آمنوا بالذى آمنتم به فقد اهتدوا» — أو قال : « فإن آمنوا بما آمنتم به» .

* * *

فكأن ابن عباس — فى هذه الرواية إن كانت صحيحة عنه — يوجِّه تأويل قراءة من قرأ : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » ، فإن آمنوا بمثل الله ، وبمثل ما أنزل على إبراهيم وإسمعيل . وذلك ، إذا صرف إلى هذه الوجه ، شركٌ لا شكٌ بالله العظيم . لأنه لا مثل لله تعالى ذكرُه ، فنؤمن أو نكفر به .

* * *

ولكن تأويل ذلك على غير المعنى الذى وَجّه إليه تأويله . وإنما معناه ما وصفنا ، وهو : فإن صدّقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به — من جميع ما عددنا عليكم من كتُب الله وأنبيائه — فقد اهتدوا . فالتشبيه إنما وقع بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان هؤلاء وإيمان هؤلاء . كقول القائل : « مرّ عمرو بأخيك مثلَ ما مررتُ به » ، يعنى بذلك : مرّ عمرو بأخيك مثل مُرورى به . والتمثيل إنما دخل تمثيلاً بين المرورين ، لا بين عمرو وبين المتكلم . فكذلك قوله : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » ، إنما وقع التمثيل بين الإيمانين ، لا بين المؤمَن به .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإن تَولّوْا » ، وإن تولى — هؤلاء الذين قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه : « كونوا هوداً أو نصارَى » — فأعرضوا ،[1] = فلم يؤمنوا بمثل إيمانكم أيها المؤمنون بالله ، وبما جاءت به الأنبياءُ وابتُعِثت به الرسل ، وفرّقوا بين رُسل الله وبين الله ورسله ، فصدّقوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ = ١/٤٤٤ فاعلموا ، أيها المؤمنون ، أنهم إنما هُمْ فى عصيان وفِراق وَحربٍ لله ولرسوله ولكم ، كما : —

٢١١٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « وإنما هُم فى شقاق » ، أى : فى فراق .[2]

٢١١١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإنما هُمْ فى شقاق » ، يعنى فراق .

٢١١٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن تولّوا فإنما هم فى شقاق » ، قال : الشقاق : الفراقُ والمحاربة . إذا شاقّ فقد حارب ، وإذا حارَب فقد شاقّ ، وهما واحدٌ فى كلام العرب ، وقرأ : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ [سورة النساء : ١١٥] .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « الشقاق » عندنا ، والله أعلم ، مأخوذٌ من قول القائل : « شقّ عليه هذا الأمر » ، إذا كرَبه وآذاه . ثم قيل : « شاقّ فلانٌ فلاناً » ، بمعنى : نال

---

(١) انظر معنى « تولى » فيما سلف ٢ : ١٦٢ ، ١٦٣ / ثم ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) الأثر : ٢١١٠ — سقط من المطبوعة فى إسناده : « عن سعيد » ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه فيما سلف : ٢١٠٤ .

كل واحد منهما من صاحبه ما كرَبه وآذاه ، وأثقلته مَساءَته . ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ وإنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ [سورة النساء : ٣٥] بمعنى : فراقَ بينهما.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١٣٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فسيكفيكهمُ الله » ، فسيكفيكَ الله يا محمد، هؤلاء الذين قالوا لكَ ولأصحابك : « كونوا هودًا أو نصارَى تهتدوا » ، من اليهود والنصارى ، إنْ هم تولوْا عن أن يؤمنوا بمثل إيمان أصحابك بالله، وبما أنزل إليك، وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق وسائر الأنبياء غيرهم ، وفرَّقوا بين الله ورُسُله — إما بقتل السيف، وإما بجلاء عن جوارك ، وغير ذلك من العقوبات ؛ فإن الله هو «السميع» لما يقولون لك بألسنتهم ، ويبدون لك بأفواههم ، من الجهل والدعاء إلى الكفر والملل الضّالة — «العليمُ» بما يُبطنون لك ولأصحابك المؤمنين فى أنفسهم من الحسد والبغضاء .

ففعل الله بهم ذلك عاجلاً ، وأنجزَ وَعْده، فكفى نبيّه صلى الله عليه وسلم بتسليطه إيّاه عليهم ، حتّى قتل بعضهم ، وأجلَى بعضاً ، وأذلّ بعضًا وأخزاه بالجزية والصَّغار .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بـ « الصبغة » ، صبغةَ الإسلام . وذلك أنّ النصارى إذا أرادت أن تنصِّر أطفالهم ، جعلتهم فى ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس ، بمنزلة غُسل الجنابة لأهل الإسلام ، وأنه صبغة لهم فى النصرانية .(١)

فقال الله تعالى ذكره — إذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به : « كونوا هوداً أو نَصَارَى تَهتدوا » — : قل لهم يا محمد : أيها اليهود والنصارى ، بل اتبعوا ملة إبراهيمَ ، صبغةَ الله التى هى أحسن الصِّبَغ ، فإنها هى الحنيفية المسلمة ، ودعوا الشركَ بالله ، والضلالَ عن محجَّة هُداه .

* * *

ونصب « الصبغة » من قرأها نصباً ، على الردّ على « الملة » . وكذلك رَفع « الصبغة » من رَفع « الملة » ، على ردّها عليها .

وقد يجوز رفعها على غير هذا الوجه . وذلك على الابتداء ، بمعنى : هى صبغةُ الله .

وقد يجوز نصبها على غير وجه الرّد على « الملة » ، ولكن على قوله : « قولوا آمنا بالله » إلى قوله « ونحنُ له مسلمون » ، « صبغةَ الله » ، بمعنى : آمنا هذا الإيمان ، فيكون الإيمان حينئذ هو صبغةُ الله .(١)

* * *

وبمثل الذى قلنا فى تأويل « الصبغة » قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢١١٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٨٢ — ٨٣

قوله : « صبغةَ الله ومن أحسن من الله صبغة » ، إنّ اليهود تصبغ أبناءها يهودَ ، والنصارى تَصبغ أبناءَها نصارَى ، وأن صبغة الله الإسلامُ . فلا صبغة أحسنُ من الإسلام ، ولا أطهر ، وهو دين الله الذى بعث به نُوحاً والأنبياء بعده .

٢١١٤ ـ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال عطاء : « صبغةَ الله » ، صبغت اليهودُ أبناءَهم ، خالفوا الفِطْرة .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « صبغة الله » . فقال بعضهم : دينُ الله .

* ذكر من قال ذلك :

٢١١٥ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « صبغة الله » ، قال : دينَ الله .

٢١١٦ ـ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « صبغةَ الله » ، قال : دينَ الله ، « ومن أحسن من الله صِبغةً » ، ومن أحسنُ من الله ديناً .

٢١١٧ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه ، عن الربيع مثله . ١/٤٤٥

٢١١٨ ـ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد مثله .

٢١١٩ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد مثله .

٢١٢٠ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢١٢١ ـ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فُضَيل ابن مرزوق ، عن عطية قوله : « صبغةَ الله » ، قال : دينَ الله .

٢١٢٢ ــ حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « صبغةَ الله ومن أحسنُ من الله صبغة » ، يقول : دينَ الله، ومن أحسن من الله ديناً .

٢١٢٣ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس : « صبغةَ الله » ، قال : دينَ الله .

٢١٢٤ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله : « صبغةَ الله» ، قال : دين الله .

٢١٢٥ ــ حدثني ابن البرقى قال، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال ، سألت ابن زيد عن قول الله : « صبغةَ الله »، فذكر مثله

* * *

وقال آخرون : « صبغة الله » ، فطرَة الله . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٢١٢٦ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله : « صبغة الله » ، قال : فطرةَ الله التي فطر الناسَ عليها .

٢١٢٧ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن جعفر بن ربيعة ، عن مجاهد : « ومن أحسنُ من الله صبغة » ، قال : الصبغة ، الفطرةُ .

٢١٢٨ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : « صبغةَ الله » ، الإسلام ، فطرةَ الله التي فطر الناس عليها . قال ابن جريج : قال لى عبد الله بن كثير : « صبغةَ الله » ، قال : دين الله ، ومن أحسنُ من الله ديناً . قال : هى فطرة الله .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٥٩

* * *

ومن قال هذا القول ، فوجَّه « الصبغة » إلى الفطرة ، فمعناه : بل نتبع فطرة الله وملَّته التى خلق عليها خلقه ، وذلك الدين القيم . من قول الله تعالى ذكره : ﴿ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة الأنعام : ١٤] . بمعنى خالق السموات والأرض(١) .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : وقوله تعالى ذكره : « ونحنُ له عابدون » ، أمرٌ من الله تعالى ذكره نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يقوله لليهود والنصارى ، الذين قالوا له ولمن تبعه من أصحابه : « كونوا هوداً أو نصارَى » . فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قلْ : بل نتبعُ ملة إبراهيم حنيفاً ، صبغةَ الله ، ونحنُ له عابدون . يعنى : ملة الخاضعين لله ، المستكينين له ، فى اتّباعنا ملة إبراهيم ، ودَيْنُونتنا له بذلك ، غير مستكبرين فى اتباع أمره ، والإقرار برسالته رسلَه ، كما استكبرت اليهودُ والنصارَى ، فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم استكباراً وبغياً وحسداً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (١٣٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « قُلْ أتُحاجُّونَنا فى الله » ، قل يا محمد = لمعاشر اليهود والنصارى ، الذين قالوا لك ولأصحابك : « كونوا هُوداً

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٥٩

أو نصارَى تهتدوا » ، وزعموا أن دينهم خيرٌ من دينكم ، وكتابهم خير من كتابكم ، لأنه كان قبلَ كتابكم، وزعموا أنهم من أجل ذلك أولى بالله منكم =: « أتحاجوننا فى الله وهو ربّنا وربكم » ، بيده الخيرات ، وإليه الثواب والعقابُ ، والجزاءُ على الأعمال — الحسنات منها والسيئات ، فتزعمون أنكم بالله أولى منا ، من أجل أن نبيكم قبل نبينا ، وكتابكم قبل كتابنا ، وربّكم وربّنا واحدٌ ، وأنّ لكلّ فريق منا ما عمل واكتسب من صالح الأعمال وسيئها ، يجازى [عليها] فيثابُ أو يعاقبُ ،[1] — لا على الأنساب وقدَم الدِّين والكتاب .

* * *

ويعنى بقوله : « قُلْ أتحاجوننا » ، قل : أتخاصموننا وتجادلوننا ؟ كما —

٢١٢٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قل أتحاجوننا فى الله » ، قل : أتخاصموننا ؟

٢١٣٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « قل أتحاجُّونَنا » : أتخاصموننا ؟

٢١٣١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أتحاجوننا » ، أتجادلوننا ؟

* * *

فأما قوله : « ونحن له مُخلصون » ، فإنه يعنى : ونحن لله مخلصو العبادة والطاعة ، لا نشرك به شيئاً ، ولا نعبد غيره أحداً ، كما عبد أهل الأوثان معه الأوثانَ ، وأصحاب العِجل معه العجلَ . ٤٤٦/١

* * *

وهذا من الله تعالى ذكره توبيخٌ لليهود ، واحتجاج لأهل الإيمان ، بقوله تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : قولوا — أيها المؤمنون ، لليهود

---

(١) فى المطبوعة : « ويجازى فيثاب أو يعاقب » . وكأن الصواب يقتضى حذف « الواو » ، وزيادة : « عليها » . وقوله : « لاعلى الأنساب » معطوف على قوله : « والجزاء على الأعمال » .

والنصارى الذين قالوا لكم: «كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا» — : «أتحاجوننا فى الله»؟ يعنى بقوله : «فى الله» ، فى دين الله الذى أمرنا أن ندينه به ، وربنا وربكم واحدٌ عدلٌ لا يجور ، وإنما يجازى العبادَ على ما اكتسبوا . وتزعمون أنكم أولى بالله منا ، لقدم دينكم وكتابكم ونبيكم ، ونحن مُخلصون له العبادةَ ، لم نشرك به شيئاً ، وقد أشركتم فى عبادتكم إياه ، فعبد بعضكم العجلَ ، وبعضكم المسيحَ ، فأنَّى تكونون خيراً منا ، وأولى بالله منا ؟ (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : فى قراءة ذلك وجهان . أحدهما : «أمْ تقولون» بـ«التاء». فمن قرأ كذلك، فتأويله : قل يا محمد — للقائلين لك من اليهود والنصارى : «كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا» — : أتجادلوننا فى الله ، أم تقولون إن إبراهيم؟ فيكون ذلك معطوفاً على قوله : «أتحاجوننا فى الله» .

والوجه الآخر منهما : «أم يقولون» بـ«الياء» . ومن قرأ ذلك كذلك وجَّه قوله : «أم يقولون» إلى أنه استفهام مُستأنَف ، كقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ [سورة السجدة : ٣] ، وكما يقال: «إنها لإبل أم شاءٌ» . (٢) وإنما جعله استفهاماً مستأنَفاً ، لمجىء خبر مستأنف ، كما يقال : «أتقوم أم يقوم أخوك؟» فيصير قوله: «أم يقوم أخوك» خبراً مستأنفاً لجملة ليست من الأول ، واستفهاماً

---

(١) فى المطبوعة : «وأنى تكونوا خيراً منا» ، والصواب ما أثبت . «أنى» استفهام بمعنى : كيف .

(٢) انظر ما سلف فى خبر «أم» ٢ : ٤٩٢ — ٤٩٤ ، وهذا الجزء ٣ : ٩٧

مبتدأ . ولو كان نسقاً على الاستفهام الأول ، لكان خبراً عن الأول فقيل : « أتقوم أم تقعد ؟ »

وقد زعم بعض أهل العربية أنّ ذلك ، إذا قرئ كذلك بـ « الياء » ، فإن كان الذى بعد « أم » جملة تامة ، فهو عطفٌ على الاستفهام الأول . لأن معنى الكلام : قيل : أىّ هذين الأمرين كائنٌ ؟ هذا أم هذا ؟

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القرّاءة عندنا فى ذلك : « أم تقولون » « بالتاء » دون « الياء » ، عطفاً على قوله : « قل أتحاجُّوننا » ، بمعنى : أىّ هذين الأمرين تفعلون ؟ أتجادلوننا فى دين الله ، فتزعمون أنكم أولى منا وأهدى منا سبيلا — وأمرنا وأمركم ما وصفنا ، على ما قد بيناه آنفاً[1] — أمْ تزعمون أنّ إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ ، ومن سَمَّى الله ، كانوا هوداً أو نصارَى على ملتكم ، فيصحّ للناس بَهتكم وكذبكم ،[2] لأن اليهودية والنصرانية حدثت بعد هؤلاء الذين سماهم الله من أنبيائه .

وغير جائزة قراءة ذلك بـ « الياء » ، لشذوذها عن قراءة القراء .

* * *

وهذه الآية أيضاً احتجاجٌ من الله تعالى ذكره لنبيّه صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى ، الذين ذكر الله قصَصهم . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قُلْ يا محمد — لهؤلاء اليهود والنصارى — : أتحاجُّوننا فى الله ، وتزعمون أن دينكم أفضلُ من ديننا ، وأنكم على هدى ونحنُ على ضلالة ، ببرهان من الله تعالى ذكره ، فتدعوننا إلى دينكم ؟ فهاتوا برهانكم على ذلك فنتبعكم عليه ، أم تقولون : إن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباط كانوا هوداً أو نصارَى على دينكم ؟ فهاتوا — على دعواكم ما ادّعيتم من ذلك — برهاناً ، فنصدّقكم ، فإن الله قد جعلهم أئمة يقتدى بهم .

---

(١) فى المطبوعة : « أيضاً » ، والصواب ما أثبت .

(٢) أخشى أن يكون الصواب « فيتضح للناس » ، والذى فى الأصل لا بأس به .

ثم قال تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قُل لهم يا محمد — إن ادَّعوا أن إبراهيمَ وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هوداً أو نصارَى : أأنتم أعلم بهم وبما كانوا عليه من الأديان ، أم الله ؟

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى : فإنْ زَعمتْ يا محمد اليهودُ والنصارى — الذين قالوا لك ولأصحابك: «كونوا هوداً أو نصارى»، أن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى ، فمن أظلمُ منهم ؟ يقول : وأىُّ امرئ أظلم منهم ؟ وقد كتموا شهادةً عندهم من الله بأن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباطَ كانوا مسلمين ، فكتموا ذلك، ونحلُوهم اليهوديةَ والنصرانية .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

١/٤٤٧ ٢١٣٢ — فحدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : «ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عندهُ من الله »، قال: فى قول يهود لإبراهيم وإسمعيل ومن ذكر معهما ، إنهم كانوا يهودَ أو نصارَى . فيقول الله : لا تكتموا منىّ شهادةً إن كانت عندكم فيهم . وقد علم أنهم كاذبون .

٢١٣٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : «ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عنده من الله » ، فى قول اليهود لإبراهيم وإسمعيل ومن ذكر معهما: إنهم كانوا يهود أو نصارَى . فقال الله لهم : لا تكتموا منى الشهادة فيهم، إن كانت عندكم فيهم . وقد علم الله أنهم كانوا كاذبين .

٢١٣٤ ـ حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثني إسحق ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن أنه تلا هذه الآية : « أم تقولون إنّ إبراهيم وإسمعيل » إلى قوله : « قل أأنتم أعلمُ أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله »، قال الحسن: والله لقد كان عند القوم من الله شهادةُ أنّ أنبياءَه بُرَآء من اليهودية والنصرانية ، كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام، فبم استحلُّوها ؟

٢١٣٥ ـ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عنده من الله » ، أهلُ الكتاب ، كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دينُ الله ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل : أنّهم لم يكونوا يهودَ ولا نصارَى ، وكانت اليهودية والنصرانية بعد هؤلاء بزمان .

* * *

وإنما عنى تعالى ذكره بذلك أن اليهود والنصارَى ،[1] إن ادَّعوْا أنّ إبراهيم ومن سمَّى مَعه في هذه الآية، كانوا هوداً أو نصارى ، تبيَّن لأهل الشرك الذين هم نصراؤهم ،[2] كذبُهم وادّعاؤهم على أنبياء الله الباطلَ = لأن اليهودية والنصرانية حدثت بعدهم = وإن هم نَفوْا عنهم اليهودية والنصرانية ،[3] قيل لهم : فهلموا إلى ما كانوا عليه من الدين ، فإنا وأنتم مقرُّون جميعاً بأنهم كانوا على حق ، ونحن مختلفون فيما خالف الدّين الذى كانوا عليه .

* * *

وقال آخرون: بل عَنى تعالى ذكره بقوله: « وَمَنْ أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله » ، اليهودَ في كتمانهم أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم ونبوَّتَه ، وهم يعلمون ذلك ويجدونه في كتبهم .

---

(١) في المطبوعة : « وأنه عنى تعالى ذكره . . . » والسياق مختل ، فاستظهرت إصلاحه كما سترى في التعليق الآتى :

(٢) في المطبوعة « بين لأهل الشرك » . والسياق يوجب ما أثبت .

(٣) سياق هذه الجملة من أول الفقرة : « وإنما عنى تعالى ذكره أن اليهود والنصارى ، إن ادعوا أن إبراهيم . . . تبين لأهل الشرك . . . وإن نفوا عنهم اليهودية قيل لهم : . . . » ، وبذلك يتبين أن الذى أثبتنا أحق بسياق الكلام .

* ذكر من قال ذلك :

٢١٣٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أمَ تقولون إنَّ إبراهيم وإسمعيل وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هوداً أو نصارَى » ، أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دينُ الله ، واتخذوا اليهودية والنصرانيةَ ، وكتموا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل .

٢١٣٧ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، ، عن قتادة قوله : « وَمَنْ أظلمُ ممن كتم شهادة عنده من الله » ، قال : الشهادةُ ، النبيُّ صلى الله عليه وسلم، مكتوبٌ عندهم ، وهو الذى كتموا .

٢١٣٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنى ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحو حديث بشر بن معاذ ، عن يزيد .[1]

٢١٣٩ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عنده منَ الله » ،قال : هم يهودُ ، يُسألون عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن صفته فى كتاب الله عندهم ، فيكتمون الصفة .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القولَ الذى قلناه فى تأويل ذلك ، لأن قوله تعالى ذكره : « ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عنده من الله » ، فى إثر قصة من سمَّى الله من أنبيائه ، وأمامَ قصته لهم . فأوْلى بالذى هو بَين ذلك أن يكون من قَصصهم دون غَيره .

* * *

فإن قال قائل : وأية شهادة عندَ اليهود والنصارى من الله فى أمر إبراهيم وإسمعيل وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ ؟

---

(١) الأثر : ٢١٣٨ — كان فى المطبوعة « حدثنى المثنى قال حدثنى ابن أبى جعفر » ، أسقط من الإسناد « حدثنا إسحق » ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ١١٧ .

قيل : الشهادةُ التى عندهم من الله فى أمرهم ، ما أنزل الله إليهم فى التوراة والإنجيل ، وأمرُهم فيهما بالاستنان بسُنَّتهم واتباع ملتهم ، وأنهم كانوا حُنفاء مسلمين . وهى الشهادةُ التى عندهم من الله التى كتموها ، حين دعاهم نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقالوا له : ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أوْ نَصَارَى﴾ [سورة البقرة : ١١١] ، وقالوا له ولأصحابه : « كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا » ، فأنزلَ الله فيهم هذه الآيات ، فى تكذيبهم ، وكتمانهم الحق ، وافترائهم على أنبياء الله الباطلَ والزُّورَ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٠) ٤٤٨/١

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وقل — لهؤلاء اليهود والنصارَى ، الذين يحاجُّونك يا محمد — : « وما اللهُ بغافل عما تعملون » ، من كتمانكم الحق فيما ألزمكم فى كتابه بيانَه للناس من أمر إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباطِ فى أمر الإسلام ، وأنهم كانوا مُسلمين ، وأنّ الحنيفية المسلمة دينُ الله الذى على جميع الخلق الدينُونةُ به ، دون اليهودية والنصرانية وغيرهما من الملل — ولا هُوَ ساهٍ عن عقابكم على فعلكم ذلك ،[1] بل هو مُحصٍ عليكم حتى يُجازيكم بهِ من الجزاء ما أنتم له أهلٌ فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة . فجازاهم عاجلاً فى الدنيا ، بقتل بعضهم ، وإجلائه عن وطنه وداره ، وهو مُجازيهم فى الآخرة العذابَ المهين .

* * *

(١) انظر تفسير « غافل » فيما سلف ٢ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ / ثم : ٣١٦

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « تلك أمة » ، إبراهيمَ وإسمعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ ، كما : —

٢١٤٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله تعالى : « تلك أمة قد خلت » ، يعنى : إبراهيمَ وإسمعيل وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ .

٢١٤١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا فيما مضى أن « الأمة » ، الجماعة [١] .

* * *

فمعنى الآية إذاً : قلْ يا محمد = لهؤلاء الذين يُجادلونك فى الله من اليهود والنصارى ، إن كتموا ما عندَهم من الشهادة فى أمر إبراهيم ومن سَمَّينا معه ، وأنهم كانوا مسلمين ، وزعموا أنهم كانوا هوداً أو نصارى ، فكذبوا = : إنّ إبراهيم وإسمعيل وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ أمّةٌ قد خلتْ — أى : مضت لسبيلها [١] — فصارت إلى ربها ، وخلتْ بأعمالها وآمالها ، لها عند الله ما كسبت من خير فى أيام حياتها ، وعليها ما اكتسبت من شر ، لا ينفعها غيرُ صالح أعمالها ، ولا يضرها إلاّ سيئها . فاعلموا أيها اليهود والنصارى ذلك ، فإنكم ، إنْ كان هؤلاء — [٢] وهم الذين

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٢١ ثم هذا الجزء ٣ : ٧٤ ، ١٠٠ / ثم انظر « خلا » و « كسب » فى هذا الجزء ٣ : ١٠١ والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « هم الذين بهم . . . » ، والصواب « وهم . . . »

بهم تفتخرون، وتزعمون أن بهم ترجون النجاة من عذاب ربكم، مع سيئاتكم وعظيم خطيئاتكم — لا ينفعهم عند الله غيرُ ما قدَّموا من صالح الأعمال، ولا يضرهم غير سيئها، فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الأعمال،[1] ولا يضرّكم غيرُ سيئها. فاحذروا على أنفسكم، وبادروا خروجَها بالتوبة والإنابة إلى الله مما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفِرية على الله وعلى أنبيائه ورُسُله، ودَعُوا الاتكالَ على فضائل الآباء والأجداد، فإنما لكم ما كسبتم، وعليكم ما اكتسبتم، ولا تُسألون عما كان إبراهيم وإسمعيلُ وإسحقُ ويعقوبُ والأسباط يعملون من الأعمال، لأن كل نفس قدِمت على الله يوم القيامة، فإنما تُسأل عما كسبت وأسلفت، دون ما أسلفَ غيرُها.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ٢/٢

قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه: « سيقول السفهاء »، سيقول الجهال « منَ الناس »، وهم اليهود وأهل النفاق.

وإنما سماهم الله عز وجل « سُفهاء »، لأنهم سَفِهوا الحق.[2] فتجاهلت أحبارُ اليهود، وتعاظمت جهالهم وأهل الغباء منهم، عن اتِّباع محمد صلى الله عليه وسلم، إذ كان من العرب ولم يكن من بنى إسرائيل، وتحيّر المنافقون فتبلَّدوا.

* * *

وبما قلنا فى « السفهاء » — أنهم هم اليهود وأهلُ النفاق — قال أهل التأويل.

* ذكر من قال: هم اليهود:

---

(١) سياق هذه العبارة: « إن كان هؤلاء . . . لا ينفعهم عند الله غير ما قدموا . . . فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم غير صالح الأعمال . . . ».

(٢) سفه الحق: جهله. وانظر ما سلف فى معنى « السفه » ١ : ٢٩٣ — ٢٩٤ / ثم هذا الجزء ٣ : ٩٠

٢١٤٢ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « سيقول السفهاء من الناس مَا وَلاَّهم عن قِبْلَتهم » ، قال : اليهود تقوله ، حين تَرَك بيتَ المقدس .

٢١٤٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢١٤٤ — حدثت عن أحمد بن يونس، عن زهير ، عن أبي إسحق ، عن البَراء : « سيقول السفهاء من الناس » ، قال : اليهود .[1]

٢١٤٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء : « سيقول السفهاء من الناس » ، قال : اليهود .

٢١٤٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن البراء في قوله : « سيقول السفهاء من الناس » ، قال : أهل الكتاب .

٢١٤٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : اليهودُ .

* * *

وقال آخرون : « السفهاء » ، المنافقون .

• ذكر من قال ذلك :

٢١٤٨ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : نزلت : « سَيقول السفهاء من الناس » ، في المنافقين .

* * *

(١) الأثر : ٢١٤٤ — هذا إسناد ليس بذاك ، فإن الطبري رواه عن شخص مبهم ، عن أحمد بن يونس ، وهو أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي . وهو ثقة ، أخرج له الجماعة ، وقد ينسب إلى جده . ولد سنة ١٣٣ ، أو ١٣٤ ، ومات سنة ٢٢٧ . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٦ ، والصغير ، ص : ٢٣٩ ، وابن أبي حاتم ١/١/٥٧ . وابن سعد ٦ : ٢٨٣ . زهير : هو ابن معاوية أبو خيثمة الكوفي . ثقة ثبت معروف . أبو إسحق : هو السبيعي ، عمرو بن عبد الله . التابعي الكبير المشهور ، البراء : هو ابن عازب الصحابي .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مَا وَلَّـٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ما ولاَّهم » : أىُّ شىء صرَفهم عن قبلتهم؟ وهو من قول القائل: «ولاَّنى فلان دُبُره» ، إذا حوّل وجهه عنه واستدبره، فكذلك قوله : « ما ولاَّهم » ؟ أىّ شىء حَوَّل وُجُوههم؟ [1]

* * *

وأما قوله: « عن قبلتهم »، فإن « قبلة » كل شىء ما قابلَ وجهه. وإنما هى « فِعْلة » بمنزلة « الجلسة والقِعْدة »، [2] من قول القائل. «قابلت فلاناً»، إذا صرتُ قُبالته أقابله ، فهو لى « قبلة » وأنا له « قبلة » ، إذا قابل كلٌّ واحد منهما بوجهه وجهَ صاحبه .

* * *

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذاً — إذْ كان ذلك معناه [3] — : سيقول السفهاء من الناس لكم ، أيها المؤمنون بالله ورسوله، — إذا حوّلتم وجوهكم عَن قبلة اليهود التى كانتْ لكم قبلةً ، قبلَ أمرى إياكم بتحويل وجوهكم عنها شَطْرَ المسجد الحرام — : أىّ شىء حوّل وُجوه هؤلاء، فصرفها عن الموضع الذى كانوا يستقبلونه بوجوههم فى صلاتهم ؟ ٣/٢

فأعلم الله جل ثناؤه نبيَّه صلى الله عليه وسلم، مَا اليهودُ والمنافقون قائلون من القول عند تحويل قبلته وقبلة أصحابه عن الشأم إلى المسجد الحرام ، وعلَّمه ما ينبغى أن يكون من ردِّه عليهم من الجواب . فقال له: إذا قالوا ذلك لك يا محمد ، فقل لهم : « لله المشرقُ والمغرب يَهدى مَنْ يَشاء إلى صرَاط مستقيم » .

---

(١) انظر ما سلف فى معنى « ولى » ٢ : ١٦٢ ، وهذا الجزء ٣ : ١١٥

(٢) انظر ما قال من ذلك فى « الحكمة » فى هذا الجزء ٣ : ٨٧

(٣) فى المطبوعة : « إذ كان معناه » بإسقاط « ذلك » ، ولا يقوم الكلام إلا بها .

* * *

وكان سببُ ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم صلّى نحو بيت المقدس مُدة سنذكر مبلغها فيما بعد إن شاء الله تعالى، ثم أراد الله تعالى صَرْف قبلة نبيّه صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام . فأخبره عما اليهود قائلوه من القول عند صرفه وجهَه ووجهَ أصحابه شطرَه ، وما الذى ينبغى أن يكون من ردِّه عليهم من الجواب .

* * *

• ذكر المدة التى صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس ، وما كان سببُ صلاته نحوه ؟ وما الذى دعا اليهودَ والمنافقين إلى قِيلِ ما قالوا عند تحويل الله قبلةَ المؤمنين عن بيت المقدس إلى الكعبة ؟

* * *

اختلف أهل العلم فى المدة التى صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس بعد الهجرة . فقال بعضهم بما : —

٢١٤٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير — وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة — قالا جميعاً ، حدثنا محمد بن إسحق قال، حدثنى محمد ابن أبى محمد قال ، أخبرنى سعيد بن جبير ، أو عكرمة — شكَّ محمد — ، عن ابن عباس قال : لما صُرفت القبلةُ عن الشأم إلى الكعبة — وصُرِفت فى رَجب ، على رأس سبعة عشر شهراً من مَقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ — أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رفاعةُ بنُ قيس ، وقَرْدَم بن عمرو ، وكعبُ بن الأشرف ، ونافعُ بن أبى نافع — هكذا قال ابن حميد ، وقال أبو كريب : ورَافع ابن أبى رافع[1] — والحجاج بن عمرو = حليفُ كعب بن الأشرف = والربيعُ ابن الربيعُ بن [أبى] الحقيق ، وكنانةُ بن أبى الحقيق،[2] فقالوا : يا محمد ، ما ولاّك عن قبلتك التى كنت عليها ، وأنتَ تزعمُ أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعْك ونصدقك ! وإنما يريدون فتنته عن دينه. فأنزل

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣ : ١١١ تعليق : ١

(٢) الزيادة بين القوسين من سيرة ابن هشام . وفيها : « وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق » .

الله فيهم : « سيقولُ السفهاءُ من الناس مَا وَلاَّهم عنْ قبلتِهم التى كانوا عليها » إلى قوله : « إلا لنعلمَ مَنْ يَتَّبع الرسول ممن يَنقلبُ على عَقِبَيْه » .(١)

٢١٥٠ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، قال البراء : صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس سَبعةَ عشر شهراً ، وكان يشتهى أن يُصرف إلى الكعبة . قال: فبينا نحن نُصلى ذاتَ يوم ، فر بنا مارٌّ فقال : ألاَ هلْ علمتم أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قد صُرف إلى الكعبة ؟ قال : وقد صلينا ركعتين إلى ههنا ، وصلينا ركعتين إلى ههنا ــ قال أبو كريب : فقيل له : فيه أبو إسحق ؟ فسكت .(٢)

٢١٥١ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم، عن أبى بكر بن عياش ، عن أبى إسحق ، عن البراء قال : صلينا بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينةَ سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس .(٣)

٢١٥٢ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن سفيان قال، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء بن عازب قال : صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم نحو

---

(١) الأثر : ٢١٤٩ ــ نص ما فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٨ ــ ١٩٩ .

(٢) الحديث : ٢١٥٠ ــ أبو بكر بن عياش : ثقة معروف ، إلا أنهم أخذوا عليه بعض الأخطاء ، لأنه لما كبر ساء حفظه وتغير . وهو هنا يروى الحديث ــ منقطعاً ــ عن البراء ، لأنه لم يدركه . وقد سأله بعض سامعيه ، كما حكى أبو كريب فى آخر الحديث : « فيه : أبو إسحق » ؟ يريد السائل أن يستوثق منه : أسمعه من أبى إسحق السبيعى عن البراء ؟ فسكت ولم يجبه . ولو كان هذا وحده كان الحديث ضعيفاً . ولكنه ثابت من رواية أبى إسحق السبيعى عن البراء ، فى الأسانيد الثلاثة التالية ــ وأولها من رواية ابن عياش نفسه ــ ومن مصادر الحديث الأخر ، كما سيأتى .

(٣) الحديث : ٢١٥١ ــ هذا إسناد ضعيف، لضعف سفيان بن وكيع ــ شيخ الطبرى . ولكنه يتقوى بالروايات الآتية وغيرها .

وقد رواه ابن ماجة : ١٠١٠ ، عن علقمة بن عمرو الدارمى ، عن أبى بكر بن عياش ، عن أبى إسحق ، عن البراء ، مطولا . وذكر فيه أن صلاتهم إلى بيت المقدس كانت « ثمانية عشر شهراً » . وعلقمة بن عمرو الدارمى : ثقة . وقال البوصيرى فى زوائد ابن ماجة : « حديث البراء صحيح ، ورجاله ثقات » .

بيت المقدس ستةَ عشر شهراً ، أو سبعةَ عشر شهراً — شك سفيان — ثم صُرفنا إلى الكعبة .(١)

٢١٥٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا النُّفيلي قال ، حدثنا زهير قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوَّلَ ما قَدِم المدينة ، نزلَ على أجداده — أو أخواله — من الأنصار ، وأنه صَلَّى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت ، وأنه صلى صلاة العصر ومعه قومٌ ، فخرج رجل ممن صلى معه ، فمرّ على أهل المسجد وهم رُكوع فقال : أشهدُ لقد صلَّيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَلَ مكة. فداروا كما همْ قِبَل البيت . وكانَ يُعجبه أن يحوَّل قِبَل البيت ، وكان اليهودُ أعجبهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلّي قِبَل بيت المقدس وأهلُ الكتاب ، فلما ولَّى وجْهه قِبَل البيت أنكروا ذلك .(٢)

٢١٥٤ — حدثني عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب قال : صلى رسولُ الله عليه وسلم نحو بيت المقدس بَعْد أن قدِم المدينةَ ستة عشر شهراً، ثم وُجِّه نحو الكعبة قَبل بَدْرٍ بشهرين .(٣) ٢/٤

---

(١) الحديث : ٢١٥٢ — هذا إسناد صحيح جداً . يحيى : هو ابن سعيد القطان . سفيان : هو الثورى . والحديث مختصر . وهكذا رواه البخارى ٨ : ١٣٢ (فتح البارى) ومسلم ١ : ١٤٨ — كلاهما من طريق يحيى ، عن سفيان ، به ، مختصراً .

(٢) الحديث : ٢١٥٣ — وهذه رواية مفصلة. والإسناد صحيح جداً. رواه الإمام أحمد فى المسند ٤ : ٢٨٣ (حلبى) ، عن حسن بن موسى ، عن زهير وهو ابن معاوية. بهذا الإسناد نحوه . بأطول منه. ورواه ابن سعد فى الطبقات ١/٢/٥ ، عن الحسن بن موسى ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه البخارى ١ : ٨٩ — ٩٠ ، عن عمرو بن خالد ، عن زهير ، به . ورواه أيضاً ٨ : ١٣٠ ، عن أبى نعيم ، عن زهير ، مختصراً قليلا .

ورواه أيضا البخارى ١ : ٤٢١ — ٤٢٢ ، و ١٣ : ٢٠٢ . ومسلم ١ : ١٤٨ ، من أوجه ، عن البراء بن عازب .

وسيأتى باقيه بهذا الإسناد : ٢٢٢٢ .

(٣) الحديث : ٢١٥٤ — عمران بن موسى بن حيان القزاز الليثى ، شيخ الطبرى : ثقة .

* * *

وقال آخرون بما : —

٢١٥٥ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عثمان ابن سعد الكاتب قال ، حدثنا أنس بن مالك قال : صلى نبي الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس تسعةَ أشهر أو عشرةَ أشهر . فبينما هو قائمٌ يصلى الظهر بالمدينة ، وقد صلى ركعتين نحو بيت المقدس، انصرف بوَجْهه إلى الكعبة ، فقال السفهاء : « ما وَلاَّهمُ عن قبلتهم التى كانوا عليها » . (١)

* * *

مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٠٥ — ٣٠٦ .

عبد الوارث : هو ابن سعيد بن ذكوان ، أحد الأعلام ، يحيى بن سعيد : هو الأنصارى البخارى ثقة حجة ، من شيوخ الزهرى ومالك والثورى وغيرهم .

ابن المسيب : هو سعيد بن المسيب الإمام التابعى الكبير ، ووقع فى المطبوعة « المسيب » ، بحذف « ابن » ! وهو خطأ واضح من الناسخين .

وهذا الحديث مرسل ، كما هو مبين ، وكذلك رواه مالك فى الموطأ، ص ١٩٦ ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب مرسلا . وكذلك رواه الشافعى عن مالك، فى الرسالة ، بتحقيقنا ، رقم ٣٦٦ . وكذلك رواه ابن سعد فى الطبقات ١/٢/٤ ، عن يزيد بن هرون ، عن يحيى بن سعيد .

وقد وصله العطاردى . من حديث سعد بن أبى وقاص : فرواه البيهقى فى السنن الكبرى ٢ : ٣ ، منطريق أحمد بنعبد الجبار العطاردى : « حدثنا محمد بن الفضيل ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعت سعداً يقول . . . » . فذكر الحديث . ثم قال البيهقى : « هكذا رواه العطاردى عن ابن فضيل . ورواه مالك ، والثورى ، وحماد بن زيد — عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب ، مرسلا دون ذكر سعد » .

وهذا إسناد جيد ، يصلح متابعة جيدة للرواية المرسلة . فإن « أحمد بنعبد الجبار العطاردى » : قد مضى فى : ٦٦ أن أبا حاتم قال فيه : « ليس بقوى » . ولكن المتأمل فى ترجمته فى التهذيب ١ : ٥١ — ٥٢ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٢٦٢ — ٢٦٥ — يرى أن توثيقه أرجح ، وأن الكلام فيه لم يكن عن بينة . ولذلك قال الخطيب : « كان أبو كريب من الشيوخ الكبار ، الصادقين الأبرار وأبو عبيدة السرى ابن يحيى شيخ جليل أيضاً ثقة ، من طبقة العطاردى. وقد شهد له أحدهما بالسماع ، والآخر بالعدالة . وذلك يفيد حسن حالته ، وجواز روايته . إذ لم يثبت لغيرهما قول يوجب إسقاط حديثه ، واطراح خبره » . وهذا كاف فى قبول زيادته فى هذا الحديث ، بوصله من رواية سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى وقاص.

(١) الحديث : ٢١٥٥ — عمرو بن على : هو الفلاس ، مضت ترجمته : ١٩٨٩ .

أبو عاصم : هو النبيل ، واسمه « الضحاك بن مخلد » ، وهو فقيه ثقة حافظ ، من شيوخ أحمد وإسحق وابن المدينى وغيرهم من الأئمة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢ / ٢ / ٣٣٧ ،والصغير : ٢٣١ ،

وقال آخرون بما : —

٢١٥٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا المسعودى، عن عمرو بن مرة، عن ابن أبى ليلى، عن معاذ بن جبل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ثلاثة عشر شهراً.(١)

وابن سعد ٧/٢/٤٩، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٦٣، والجمع بين رجال الصحيحين ٢٢٨ — ٢٢٩. وكان نبيلا حقاً، صفة ولقباً. قال البخارى فى الكبير : « سمعت أبا عاصم يقول : ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها » . ولد سنة ١٢٢، ومات سنة ٢١٢ وهو ابن ٩٠ سنة و ٤ أشهر ولدته أمه وعمرها ١٢ سنة . رحمهما الله .

عثمان بن سعد التميمى الكاتب المعلم: ثقة ،وثقه أبو نعيم، والحاكم وغيرهما، وتكلم فيه بعضهم بغير حجة، ونقل بعضهم عن النسائى أنه قال : « ليس بثقة » ، ونقل الحافظ أنه رأى بخط ابن عبد الهادى : « الصواب فى قول النسائى : أنه ليس بالقوى » . وهذا هو الصواب عن النسائى، وهو الذى فى كتاب الضعفاء له، ص : ٢٢ . وترجمه ابن أبى حاتم ٣/١/١٥٣، وقال : « سمع أنس ابن مالك » . وسماعه من أنس ثابت عندنا فى حديث آخر فى المسند : ١٣٢٠١ .

فهذا الإسناد — عندنا — صحيح . والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤٣، ونسبه للبزار وابن جرير . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢ : ١٣، وقال : « رواه البزار، وفيه عثمان بن سعد، ضعفه يحيى القطان وابن معين وأبو زرعة، ووثقه أبو نعيم الحافظ، وقال أبو حاتم : شيخ » . وقال الهيثمى أيضاً : « حديث أنس فى الصحيح، إلا أنه جعل ذلك فى صلاة الصبح، وهنا : الظهر » . يشير بذلك إلى أن أصله فى الصحيح، وهو الحديث فى صحيح مسلم ١ : ١٤٨، من رواية حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، بنحوه، وفيه : « فمر رجل من بنى سلمة، وهم ركوع فى صلاة الفجر، فنادى : ألا إن القبلة قد حولت ! فمالوا كما هم نحو القبلة » . وكذلك رواه ابن سعد ١/٢/٤، من طريق حماد بن سلمة . ومن الواضح أن هذه قصة غير التى رواها الطبرى هنا . فإن الذى هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى انصرف بوجهه إلى الكعبة . فهذا أول تحويل القبلة . وأما رواية مسلم فتلك بشأن جماعة آخرين، فى مسجد قباء، جاءهم مخبر فأخبرهم وهم فى الصلاة بتحويل القبلة، فاستداروا إليها. كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما، من حديث عبد الله بن عمر . وهو فى المسند : ٤٦٤٢، ٤٧٩٤، ٥٩٣٤، ٥٨٢٧ .

(١) الحديث : ٢١٥٦ — أبو داود : هو الطيالسى الإمام الحافظ، واسمه : « سليمان بن داود بن الجارود » . مترجم فى التهذيب، والكبير ٢/٢/١١، وابن سعد ٧/٢/٥١، وابن أبى حاتم ٢/١/١١١ — ١١٣، مات سنة ٢٠٣ عن ٩٢ سنة لم يستكملها، كما قال ابن سعد .

المسعودى : هو عبد الرحمن ابن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود، وهو ثقة، تغير حفظه فى آخر عمره . مترجم فى التهذيب، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٥٠ — ٢٥٢ . وترجمنا له فى شرح المسند مراراً، آخرها فى الحديث : ٧١٠٥ .

ابن أبى ليلى : هو عبد الرحمن، التابعى المشهور . ولكنه لم يسمع من معاذ بن جبل، كما جزم بذلك على بن المدينى والترمذى وابن خزيمة، لأنه ولد سنة وفاة معاذ أو قبلها أو بعدها بقليل.

فهذا الإسناد منقطع .

٢١٥٧ ـ حدثنا أحمد بن المقدام العجلي قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أبي قال، حدثنا قتادة ، عن سعيد بن المسيب : أنّ الأنصار صلّت القبلةَ الأولى ، قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث حجج ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى القبلةَ الأولى بعد قُدومه المدينة ستة عشر شهراً ، أو كما قال . وكلا الحديثين يحدّث قتادة عن سعيد .

* * *

• ذكر السبب الذي كان من أجله يُصلّي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ، قبل أن يُفرض عليه التوجّه شطرَ الكعبة .

* * *

اختلف أهلُ العلم في ذلك .

فقال بعضهم : كان ذلك باختيار من النبي صلى الله عليه وسلم .

• ذكرُ من قال ذلك :

والحديث بهذا الإسناد ، مختصراً، رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : ٥٦٦ ، بلفظ : « أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، فصلى سبعة عشر شهراً نحو بيت المقدس ، ثم نزلت عليه هذه الآية : « قد نرى تقلب وجهك في السماء » ، إلى آخر الآية ، قال : فوجهه الله إلى الكعبة » .

وهو جزء من حديث طويل ، رواه أبو داود السجستاني في سننه : ٥٠٧ ، بإسنادين : عن محمد ابن المثنى – شيخ الطبري هنا – عن أبي داود ، وهو الطيالسي – ثم رواه عن نصر بن المهاجر ، عن يزيد ابن هرون ، كلاهما عن المسعودي . ولكن بين أبو داود أن رواية محمد بن المثنى مختصرة ، كالرواية التي في مسند الطيالسي ، ولكن ذكر أن صلاتهم نحو بيت المقدس كانت « ثلاثة عشر شهراً » ، كرواية الطبري هنا عن ابن المثنى . وأنا أرجح أن تكون رواية ابن المثنى عن الطيالسي أرجح من الرواية التي في مسند الطيالسي ، إذ أنه ليس من جمعه ، بل هو من جمع أحد الرواة عنه .

ثم إن حديث معاذ – بطوله – رواه أحمد في المسند ٥ : ٢٤٦ – ٢٤٧ ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن يزيد بن هرون – كلاهما عن المسعودي ، بهذا الإسناد . ولكن فيه « سبعة عشر شهراً » ، كرواية مسند الطيالسي .

وقد أشار الحافظ في الفتح ١ : ٨٩ – ٩٠ إلى كثير من الروايات في ذلك ، وحاول الجمع بينها أو الترجيح . وعندي أن مثل هذا لا يستطاع ضبطه إلا أن يكتبوه في حينه ، أو تتجه همتهم إلى العناية بحفظه .

وقال الحافظ ابن كثير ١ : ٣٤٥ – ٣٤٦ : « والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس ، بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة . واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهراً ، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن أن يوجه إلى الكعبة . التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام . فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق » . وانظر أيضاً تاريخ ابن كثير ٣ : ٢٥٢ – ٢٥٤ .

٢١٥٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح أبو تميلة قال، حدثنا الحسين بن واقد، عن عكرمة — وعن يزيد النحوىّ ، عن عكرمة — والحسن البصرى قالا : أوَّلُ ما نُسخ من القرآن القبلةُ . وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يستقبل صخرَة بيت المقدس ، وهى قبلة اليهودِ . فاستقبلها النبيّ صلى الله عليه وسلم سبعةَ عشر شهرًا ليؤمنوا به ويتبعوه ، ويدعو بذلك الأميين من العرب . فقال الله عز وجل : ﴿ وِلِلهِ الْمَشْرِقُ والمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] .

٢١٥٩ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « سيقولُ السفهاء من الناس مَاوَلاَّهم عَن قبلَتهم التى كانوا عليها » ، يعنون بيتَ المقدس . قال الربيع ، قال أبو العالية : إنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم خُيِّر أن يوجِّه وجهه حيث شاء ، فاختار بيت المقدس لكى يتألَّف أهلَ الكتاب ، فكانت قبلتَهُ ستة عشر شهراً ، وهو فى ذلك يقلِّب وَجهه فى السماء ، ثم وَجَّهه الله إلى البيت الحرام .

* * *

وقال آخرون : بل كان فعلُ ذلك — من النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه — بفرض الله عز ذكره عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢١٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : لما هاجرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وكان [أكثرَ] أهلها اليهودُ ، أمرَه الله أن يستقبل بيتَ المقدس . ففرحت اليهود . فاستقبلها رَسول الله صلى الله عليه وسلم بضْعة عَشر شهراً ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبّ قبلةَ إبراهيم عليه السلام ، وكان يدعو وينظر إلى السماء . فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبُ وجْهِكَ فى

السَّماء ﴾ [سورة البقرة: ١٤٤] الآية . فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: « ما ولاَّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » ؟ فأنزل الله عز وجل : « قُلْ لله المشرق والمغرب » .[1]

٢١٦١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَّلَ ما صلى إلى الكعبة ، ثم صُرف إلى بيت المقدس . فصلَّت الأنصارُ نحو بيت المقدس قبلَ قُدومه ثلاث حِجَج ، وصلّى بعد قُدومه ستة عشر شهراً، ثم ولاَّه الله جل ثناؤه إلى الكعبة .

* * *

* ذكر السبب الذى من أجله قال من قال : « ما ولاَّهم من قبلتهم التى كانوا عليها » ؟

* * *

اختلف أهل التأويل فى ذلك . فرُوِى عن ابن عباس فيه قولان . أحدهما ما : —

٢١٦٢ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال ذلك قومٌ من اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا له : ارجعْ إلى قبلتك التى كنت عليها نتَّبعك ونصدّقك ! يريدون فتنتَهُ عن دينه .[2]

والقول الآخر: ما ذكرتُ من حديث على بن أبى طلحة عنه الذى مضى قبل .[3]

* * *

٢١٦٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « سيقول السفهاءُ من الناس ما ولاَّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » ؟ قال : صلَّت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قُدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وصلى نبى الله صلى الله عليه وسلم بعدَ قدومه المدينة مهاجراً، نحو بيت

---

(١) الأثر: ٢١٦٠ — مضى برقم: ١٨٣٣ ويأتى برقم: ٢٢٣٦ ، والزيادة بين القوسين من الموضعين.

(٢) الأثر : ٢١٦٢ — هو بعض الأثر السالف رقم : ٢١٤٩ .

(٣) يعنى الأثر رقم : ٢١٦٠ .

٢/٥ المقدس ، ستة عشر شهراً ، ثم وجَّهه اللهُ بعد ذلك إلى الكعبة البيتِ الحرام .
فقال فى ذلك قائلون من الناس : « ما ولاَّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » ؟
لقد اشتاق الرَّجُل إلى مَوْلده ! فقال الله عز وجل : « قل لله المشرقُ والمغربُ
يهدى مَنْ يَشاءُ إلى صراط مُستقيم » .

* * *

وقيل : قائلُ هذه المقالة المنافقون . وإنما قالوا ذلك ، استهزاءً بالإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

٢١٦٤ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ،عن السدى قال : لما وُجِّه النبيُّ صلى الله عليه وسلم قِبَلَ المسجد الحرام ، اختلفَ الناس فيها فكانوا أصنافاً . فقال المنافقون: ما بالُهم كانوا على قبلة زماناً، ثم تركوها وتوجَّهوا إلى غيرها ؟ فأنزل الله فى المنافقين: «سَيقول السفهاءُ من الناس » ، الآية كلها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١٤٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك عز وجل : قُلْ يا محمد — لهؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابك: ما ولاَّكم عن قبلتكم من بيت المقدس ، التى كنتم على التوجُّه إليها إلى التوجُّه إلى شطر المسجد الحرام؟ — : لله مُلك المشرق والمغرب = يعنى بذلك : ملكُ ما بين قُطرَىْ مَشرق الشمس وقُطرَىْ مغربها ، وما بينهما من العالم[١] = يَهدى من يشاء من خلقه، [٢] فيُسدده ويوفِّقه إلى الطريق القويم، وهو « الصراط

---

(١) انظر تفسير « المشرق والمغرب » فيما سلف ٢ : ٥٢٦ — ٥٣٠

(٢) انظر تفسير « هدى » فيما سلف ١ : ١٦٦ — ١٦٩ ، وفى فهرس اللغة فى الجزء الأول والثانى

المستقيم »[1] — ويعنى بذلك : إلى قبلة إبراهيمَ الذى جعله للناس إماماً — ويخذُل من يشاء منهم ، فيضلُّه عن سبيل الحق .

* * *

وإنّما عنى جل ثناؤه بقوله : « يَهدى من يَشاء إلى صراط مُستقيم » ، قُلْ يا محمد : إنّ الله هَدانا بالتوجُّه شطرَ المسجد الحرام لقبلة إبراهيم ، وأضلَّكم — أيها اليهودُ والمنافقون وجماعةُ الشرك بالله — فخذلكم عما هدانا لهُ من ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وكذلك جَعلناكم أمة وسطاً » ، كما هديناكم أيّها المؤمنون بمحمد عليه السلام وبما جاءكم به من عند الله ، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته ، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل ، كذلك خصصناكم ففضَّلناكم على غيركم من أهل الأديان ، بأن جعلناكم أمة وسطاً .

* * *

وقد بينا أن « الأمة » ، هى القرن من الناس والصِّنف منهم وغيرهم .[2]

* * *

وأما « الوسَط » ، فإنه فى كلام العرب الخيارُ . يقال منه : « فلان وَسَطُ الحسب فى قومه » ،[3] أى متوسط الحسب ، إذا أرادوا بذلك الرفع فى حسبه ، و« هو وَسَطٌ فى قومه ، وواسطٌ » ،[4] كما يقال : « شاة يابِسةُ اللبن ويَبَسةُ اللبن » ، وكما قال جل ثناؤه

---

(١) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١ : ١٧٠ — ١٧٧ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٢١ / ثم هذا الجزء ٣ : ٧٤ ، ١٠٠ ، ١٢٨

(٣) يقولون أيضاً : « هو وسيط الحسب فى قومه » ، إذا كان أوسطهم نسباً ، وأرفعهم مجداً .

(٤) شاهد قولهم « واسط » من شعرهم ، قول جابر بن ثعلب الطائى :

وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِى قَوْمِهِ يَحْمَدِ الغِنَى   وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ العَمِّ مُخْوِلاَ

﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً ﴾ [سورة طه : ٧٧]، وقال زُهير بن أبي سُلمى فى « الوسط » :

هُمُ وَسَطٌ تَرْضَى الأَنامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيالِي بِمُعْظَمِ (١)

• • •

قال أبو جعفر : وأنا أرى أن « الوسَط » فى هذا الموضع ، هو « الوسط » الذى بمعنى : الجزءُ الذى هو بين الطرفين ، مثل « وَسط الدار » محرَّكَ الوَسط مثقَّله ، غيرَ جائز فى « سينه » التخفيف .

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم « وَسط » ، لتوسطهم فى الدين ، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه ، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب ، وقيلهم فى عيسى ما قالوا فيه — ولا هُم أهلُ تقصير فيه ، تقصيرَ اليهود الذين بدّلوا كتابَ الله ، وقتلوا أنبياءَهم ، وكذبوا على ربهم ، وكفروا به ؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه . فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها .

• • •

وأما التأويل ، فإنه جاء بأن « الوسط » العدلُ . وذلك معنى الخيار ، لأن الخيارَ من الناس عُدولهم .

• ذكر من قال : « الوسطُ » ، العدلُ .

٢١٦٥ — حدثنا سَلْم بن جُنادة ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا حفص ابن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله

---

(١) كأنه من قصيدته المعلقة ، ديوانه ٢ : ٢٧ ، ولكن رواية صدر البيت فى الديوان :

• لِحَيٍّ حِلاَلٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ •

ولم أجد هذه الرواية فيما طبع من روايات ديوانه . ولكن البيت بهذه الرواية أنشده الجاحظ فى البيان ٣ : ٢٢٥ غير منسوب . وهو منسوب إلى زهير فى أساس البلاغة « وسط » . ورواية الديوان ، والجاحظ : « إذا طرقت إحدى الليالى » . وهما سواء .

عليه وسلم فى قوله : « وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً » ، قال : عُدولاً . [1]

٢١٦٦ — حدثنا مجاهد بن موسى ومحمد بن بشار قالا ، حدثنا جعفر بن عون ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

٢١٦٧ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدرى : « وكذلك جعلناكم أمّة وَسطاً » ، قال : عدولاً .

٢١٦٨ — حدثني على بن عيسى قال ، حدثنا سعيد بن سليمان ، عن حفص ابن غياث ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : « جعلناكم أمّة وسطاً » ، قال : عدولاً . [2]

---

(١) الحديث : ٢١٦٥ — سلم بن جنادة ، شيخ الطبرى ، مضت ترجمته فى : ٤٨ ، وكثرت رواية الطبرى عنه ، وهو أبو السائب . وفى المطبوعة هنا « سالم » ، وهو خطأ تكرر فيها . ولا حاجة بنا إلى التنبيه عليه بعد ذلك .

يعقوب بن إبراهيم : هو الدورقى الحافظ ، مضى : ٢٣٧ .

وهذا الإسناد والإسنادان بعده ، لحديث واحد ، مختصر من حديث سيأتى : ٢١٧٩ .

ورواه مختصراً أيضاً ، أحمد فى المسند : ١١٠٨٤ ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، به . ورواه بنحوه أيضاً : ١١٢٩١ ، عن وكيع ، عن الأعمش . (المسند ٣ : ٩ ، ٣٢ حلبى) . ونقله ابن كثير ١ : ٣٤٨ ، عن المسند . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ٣١٦ ، وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » .

وقد وهم صاحب الزوائد فى إدخاله فيها ، لأنه مختصر من الحديث المطول الآتى ، وقد أخرجه البخارى وغيره ، فليس من الزوائد .

وهذه الروايات المختصرة عند الطبرى — أشار إليها الحافظ فى الفتح ٨ : ١٣١ ، أثناء شرحه الرواية المطولة .

وكل الروايات التى رأينا ، فيها « عدلا » بدل « عدولا » . ولعل ما هنا من تحريف الناسخين ، لأن الأجود صيغة الإفراد . على الوصف بالمصدر ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والمثنى والجمع . وفى اللسان : « فإن رأيته مجموعاً أو مثنى أو مؤنثاً — فعلى أنه قد أجرى مجرى الوصف الذى ليس بمصدر » . والذى نقله الحافظ فى الفتح ، والسيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤٤ — بلفظ « عدلا » أيضاً بل عبارة أبي جعفر نفسه ، قبل هذا الحديث تدل على ذلك ، إذ قال : « ذكر من قال : الوسط العدل » .

(٢) الحديث : ٢١٦٨ — على بن عيسى بن يزيد البغدادى الكراجكى : ثقة ، من شيوخ الترمذى وابن خزيمة ، مترجم فى التهذيب ، بغداد ١٢ : ١٢—١٣ . قال الخطيب : « وما علمت من حاله إلا خيراً » . مات سنة ٢٤٧ .

٢١٦٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد : « وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً » ، قال : عدولاً .

* * *

٢١٧٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً » ، قال : عدولاً

٢١٧١ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢١٧٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أمة وَسطاً » ، قال : عُدولاً . ٦/٢

٢١٧٣ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « أمة وَسطاً » ، قال : عدولاً

٢١٧٤ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « أمة وَسطاً » ، قال : عدولاً .

سعيد بن سليمان : هو أبو عثمان الواسطي البزاز ، لقبه « سعدويه » ، سبق توثيقه في شرح : ٦١١ . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٤٠ وابن سعد ٧/٢/٨١ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٦ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٨٤ — ٨٧ . مات سنة ٢٢٥ ، وله ١٠٠ سنة .

حفص بن غياث : مضى في : ١٠٣٧ ، ولكن روايته هنا عن أبي صالح ذكوان السمان ، منقطعة يقيناً ، فإن أبا صالح مات سنة ١٠١ ، وحفص ولد سنة ١١٧ . وإنما يروى عن الأعمش وطبقته ، عن أبي صالح ، كما في الإسناد الماضي : ٢١٦٥ .

ولعله سقط من نسخة الطبري في هذا الموضع بينهما : « عن الأعمش » — فيستقيم الإسناد ، ويكون صحيحاً . ولم أستطع الجزم بشيء في ذلك ، لأني لم أجد حديث أبي هريرة هذا في كتاب آخر ذي إسناد . وإنما ذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٤٤ ، ونسبه للطبري وحده .

وقد يرجح سقوط « الأعمش » من الإسناد في هذا الموضع : أن الحافظ حين أشار في الفتح ٨ : ١٣١ — إلى روايات الطبري المختصرة لحديث أبي سعيد ، السابق ، ذكر منها أن الطبري رواه « من طريق وكيع عن الأعمش ، بلفظ : والوسط العدل ، مختصر مرفوعا . ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش ، مثله » . فهذان إسنادان لحديث أبي سعيد ، نقلهما الحافظ ابن حجر — وهو من هو ، دقة وتحرياً — عن هذا الموضع من الطبري ، وليسا في النسخة بين أيدينا . فلا يبعد أن يكون في هذا الإسناد أيضاً نقص قوله « عن الأعمش » بين حفص بن غياث وأبي صالح .

٢١٧٥ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً »، يقول : جعلكم أمةً عُدولاً .

٢١٧٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك، عن رِشْدين بن سعد قال ، أخبرنا ابن أنعم المعافري، عن حبان بن أبي جبلة، يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وكذلك جعلناكم أمةً وَسَطاً » ، قال : الوسطُ العدل .[1]

٢١٧٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء ومجاهد وعبد الله بن كثير : « أمة وَسَطاً » ، قالوا : عُدولاً . قال مجاهد : عَدْلاً .[2]

٢١٧٨ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً » ، قال : هم وَسطٌ بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأمم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

قال أبو جعفر : « والشهداء » جمع « شَهيد » .[3]

* * *

فمعنى ذلك : وكذلك جعلناكم أمَّة وَسطاً عُدولاً ، [لتكونوا]

---

(١) الحديث : ٢١٧٦ — هو قطعة من حديث مطول ، سيأتي : ٢١٩٥ . و « رشدين بن سعد » ثبت في المطبوعة هنا « راشد بن سعد » . وهو خطأ ، كما سنبين هناك إن شاء الله .

(٢) في المطبوعة : « وقال مجاهد: عدولا »، وكأن الصواب ما أثبت، وإلا كان كلاماً زائداً ، لا معنى له .

(٣) انظر تفسير « الشهداء » فيما سلف ١ : ٣٧٦ — ٣٧٨ / وهذا الجزء ٣ : ٩٧

شهداءَ لأنبيائي ورُسلي على أممها بالبلاغ ، [1] أنها قد بلغت ما أُمرَت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها ، ويكونَ رسولي محمدٌ صلى الله عليه وسلم شهيداً عليكم ، بإيمانكم به وبما جاءكم به من عندي ، كما : —

٢١٧٩ — حدثني أبو السائب قال ، حدثنا حفص ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُدعى بنوح عليه السلام يوم القيامة فيقال له : هل بلّغتَ ما أرسِلت به ؟ فيقول : نعم . فيقال لقومه : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير ! فيقال له : من يعلم ذاك ؟ فيقول : محمد وأمته . فهو قوله : « وكذلك جعلناكم أمّةً وَسطاً لتكونوا شُهداء على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً » . [2]

٢١٨٠ — حدثنا مجاهد بن موسى قال حدثنا جعفر بن عون قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه — إلا أنه زاد فيه : فيُدعون ويَشهدون أنه قد بلّغ .

٢١٨١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد : « وكذلك جعلناكم أمة وسَطاً لتكونوا شُهداءَ عَلى الناس » — بأن الرسل قد بلّغوا — « ويكونَ الرسول عليكم

---

(١) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، بدلالة الآية ، ودلالة ما سيأتي من قوله : « ويكون رسولي » .

(٢) الحديث : ٢١٧٩ — هو والإسنادان بعده ، لحديث واحد ، مضى بعضه بهذه الأسانيد : ٢١٦٥ — ٢١٦٧ ، إلا أن هناك زيادة شيخين للطبري في الإسنادين الأولين منها .

والحديث رواه الإمام أحمد في المسند ، بنحوه : ١١٣٠ ، عن وكيع عن الأعمش ، و ١١٥٧٩ ، عن أبي معاوية عن الأعمش . (٣ : ٣٢ ، ٥٨ حلبي) .

ورواه البخاري ٦ : ٢٦٤ ، من طريق عبد الواحد بن زياد ، و ٨ : ١٣٠ — ١٣١ ، من طريق جرير وأبي أسامة ، و ١٣ : ٢٦٦ ، من طريق أبي أسامة وجعفر بن عون — كلهم عن الأعمش ، بهذا الإسناد نحوه .

ونقله ابن كثير في التفسير ١ : ٣٤٧ — ٣٤٨ ، من روايتي الإمام أحمد ، وقال : « رواه البخاري والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، من طرق ، عن الأعمش » .

ونسبه السيوطي ١ : ١٤٤ لهؤلاء ولغيرهم .

شهيداً » . بما عملتم ، أو فعلتم .

٢١٨٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن المغيرة بن عتيبة بن النهاس : أن مُكاتباً لهم حدّثهم عن جابر بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني وأمتي لعلى كَوْمٍ يومَ القيامة ، مُشرفين على الخلائق . ما أحدٌ من الأمم إلاّ ودَّ أنه منها أيتُها الأمة ،[1] وَما من نبيّ كذّبه قومُه إلا نحن شُهداؤه يومَ القيامة أنه قد بلَّغ رسالات ربه ونصحَ لهُم . قال : « ويكونَ الرسول عليكم شهيداً » .[2]

---

(١) في حديث كعب بن مالك : « فتخلفنا أيتها الثلاثة » — يريد تخلفهم عن غزوة تبوك ، وتأخر توبتهم . وهذه اللفظة تقال في الاختصاص ، وتختص بالمخبر عن نفسه والمخاطب . تقول : « ما أنا فأفعل كذا أيها الرجل » ، يعني نفسه . فعنى قول كعب : « أيتها الثلاثة » ، أي المخصوصين بالتخلف . (لسان العرب ، مادة : أيا) .

(٢) الحديث : ٢١٨٢ — هذا إسناد ضعيف ، لجهالة التابعي الذي رواه عن جابر ، وفي اسم الراوي عن التابعي بحث يحتاج إلى تحقيق .

ابن فضيل : هو محمد بن فضيل بن غزوان ، مضى : ١٨٤٠ . أبو مالك الأشجعي : هو سعد بن طارق بن أشيم ، تابعي ثقة . مترجم في التهذيب . والكبير ٢ / ٢ / ٥٩ ، . وابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٨٦ — ٨٧ .

المغيرة بن عتيبة بن النهاس : ثبت في الطبري هنا « عيينة » ، بدل « عتيبة » . ولم يترجم في التهذيب ولا ذيوله . وترجمه ابن أبي حاتم ٤ / ١ / ٢٢٧ هكذا : « مغيرة بن عتيبة بن نهاس العجلي . وكان قاضياً لأهل الكوفة . روى عن سعيد بن جبير ، وموسى بن طلحة ، وعن مكتب عن جابر » ، إلخ ، وترجمه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ٣٢٢ — ٣٢٣ هكذا : « مغيرة بن عيينة بن عابس . قال ابن المبارك : ابن النحاس ، عن . . . وعن مكتب بن جابر . . . » .

وحقق العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، مصحح الكتابين — ترجيح ما في كتاب ابن أبي حاتم ، لموافقته ما ثبت في الثقات لابن حبان ، والإكمال لابن ماكولا . وهو الصحيح . وللمغيرة هذا روايات كثيرة في تاريخ الطبري ، وثبت اسم أبيه في كثير منها على الصواب ، وذكر اسمه ونسبه كاملا هناك ٤ : ٨١ « المغيرة بن عتيبة بن النهاس العجلي » .

وأما قوله هنا « أن مكاتباً لهم حدثهم عن جابر » — فيفهم منه أن التابعي المبهم الراوي عن جابر ، هو من موالي آل المغيرة الراوي عنه ، وأنه مكاتب لهم . ولكن الذي في كتابي البخاري وابن أبي حاتم — كما ترى : « وعن مكتب عن جابر » . فقال العلامة عبد الرحمن في تعليقه على ابن أبي حاتم : « أراه سعيد بن زياد المكتب » ولكنه قبل ذلك في تعليقه على التاريخ الكبير ، ذكر ذلك احتمالا فقط ، بل كاد يرده بأن « سعيد بن زياد المكتب مولى زياد المكتب مولى بني زهرة » ترجمه البخاري — يعني في ٢ / ١ / ٤٣٣ « ولكن لم يذكر روايته عن جابر ولا غيره من الصحابة » . وهو كما قال ، وكذلك ترجمه في التهذيب وغيره . فلذلك أنا أستبعد جداً أن يكون هو المراد بقول البخاري وابن أبي حاتم في شيوخ المغيرة « عن مكتب عن

٢١٨٣ — حدثني عصام بن روّاد بن الجرّاح العسقلاني قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا الأوزاعي ، عن يحيي بن أبي كثير ، عن عبد الله بن أبي الفضل ، عن أبي هريرة قال : خرجتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فلما صلى على الميت قال الناس : نِعم الرجل ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وَجَبت ! ثم خرجت مَعه في جنازة أخرى ، فلما صلوا على الميت قال الناس : بئس الرجل ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وَجبت . فقام إليه أبيّ بن كعب فقال : يا رسولَ الله ، ما قولك وجبت؟ قال: قول الله عز وجل: « لتكونوا شُهداءَ على الناس » .[1]

٢١٨٤ — حدثني عليّ بن سَهل الرملي قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ،

جابر » . بل أكاد أرجح ما هنا في الطبري : أنه عن « مكاتب » ، وأن يكون ذكر في بعض الروايات هكذا ، ولعل بعض الناسخين القدماء نقلها حين نسخها محذوفة الألف .

ولم أجد هذا الحديث في كتاب آخر ذي إسناد ، حتى أستطيع أن أتجاوز هذا الحد في التحقيق . ولكن ذكره السيوطي ١ : ١١٤ — دون إسناد طبعاً — ونسبه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، فقط .

وذكره ابن كثير ١ : ٣٤٨ ، نقلا عن ابن مردويه وابن أبي حاتم ، من طريق عبد الواحد بن زياد ، عن أبي مالك الأشجعي ، بهذا الإسناد . وفيه « عن مغيرة بن عتيبة بن نباس » ! وهو غلط واضح .

(١) ٢١٨٣ — عصام بن رواد بن الجراح العسقلاني : ثقة ، ترجمه ابن أبي حاتم ٣/٢/٢٦ ، وقال : « روى عنه أبي ، وكتبت أنا عنه » ، ثم قال : « سئل أبي عنه ؟ فقال : صدوق » . وفي لسان الميزان : « لينه الحاكم أبو أحمد . وذكره ابن حبان في الثقات » .

أبوه « رواد بن الجراح »: مضت ترجمته : ١٢٦. ونزيد هنا: مترجم أيضاً في ميزان الاعتدال . ومجموع الكلام فيه يؤيد ضعفه . وقد روى له الطبري — فيما يأتي (٢٢ : ٧٢ — ٧٣) حديثاً مكذوباً لا أصل له . وروى ما يدل على أن هذا الشيخ أدخل عليه ذلك الحديث ، فلئن كان ذلك إن فيه لغفلة شديدة ما يجوز معها أن يقبل شيء من روايته . أما هذا الحديث — الذي هنا — فإنه لم ينفرد بروايته ،كما سيجيء في الإسناد التالي لهذا .

وقد وقع في المطبوعة هنا « عصام بن وراد » بتقديم الواو على الراء ؛ وهو خطأ ظاهر .

عبد الله بن أبي الفضل المديني : ترجمه ابن أبي حاتم ٢/٢/١٣٧ ، وروى عن أبيه قال : « لم يرو عنه غير يحيى بن أبي كثير ، ولا نعرفه » . وعن ذلك قال الذهبي في الميزان : « مجهول » . وقال الحافظ في لسان الميزان : « ذكره ابن حبان في الثقات » . وهذا — عندنا كاف في الاحتجاج بحديثه ، إذ هو تابعي عرف شخصه ، ووثقه ابن حبان . والتابعون — عندنا — على القبول ، حتى يثبت في أحدهم جرح مقبول .

ووقع هنا في المطبوعة « عبد الله بن الفضل » بحذف كلمة « أبي » ، وهو خطأ . وثبت على الصواب في الإسناد بعده .

حدثني أبو عمرو ، عن يحيي قال ، حدثني عبد الله بن أبي الفضل المديني قال ، حدثني أبو هريرة قال: أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة ، فقال الناس : نعم الرجل ! ثم ذكر نحو حديث عصام عن أبيه .(١)

٢١٨٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا زيد بن حباب قال ، حدثنا عكرمة ابن عمار قال، حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فمُرَّ عليه بجنازة ، فأُثنِيَ عليها بثناء حسن، فقال : وجبت ! ومُرَّ عليه بجنازة أخرى ، فأُثنِيَ عليها دون ذلك، فقال : وجبت ! قالوا : يارسول الله، ما وجبت؟ قال: الملائكة شهداء الله في السماء ، وأنتم شهداء الله في الأرض، فما شهدتم عليه وجب . ثم قرأ ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الآية [سورة التوبة: ١٠٥].(٢)

* * *

(١) الحديث : ٢١٨٤ — هو إسناد آخر للحديث السابق . علي بن سهيل الرملي : مضى : ١٣٨٤ .

الوليد بن مسلم الدمشقي ، عالم الشأم : ثقة متقن صحيح العلم صحيح الحديث ، من شيوخ أحمد وإسحق وغيرهما ، مات سنة ١٩٥ . مترجم في التهذيب، والكبير ٤/٢/١٥٢-١٥٣ ، وابن سعد ٧/٢/١٧٣ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/١٦-١٧ ، وروى عن مروان بن محمد، قال: «كان الوليد بن مسلم عالماً بحديث الأوزاعي».

وشيخه في هذا الإسناد «أبو عمرو» — : هو الأوزاعي .

والحديث — من هذا الوجه — صحيح ، وذكره السيوطي ١ : ١٤٥ ، ونسبه للطبري وابن أبي حاتم .

وأصله ثابت من حديث أبي هريرة . رواه أحمد في المسند : ٧٥٤٣ . ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة ، كما بينا هنا . ولكن لم يذكر فيه سؤال أبي بن كعب ، ولا الاستشهاد بالآية . وفي مجمع الزوائد ٣ : ٤ رواية أخرى له مطولة ، وفيها أن السائل هو عمر . وذكر أنه «رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح» .

(٢) الحديث : ٢١٨٥ — وهذا إسناد صحيح ، على شرط مسلم .

زيد بن الحباب — بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة — العكلي : ثقة من شيوخ أحمد وابن المديني وغيرهما من الأئمة، وهو مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري ٢/١/٣٥٨ ، وابن سعد ٦ : ٢٨١ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٦١ — ٥٦٢ .

عكرمة بن عمار العجلي : ثقة ، روى عنه شعبة والثوري ووكيع وغيرهم . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/١/٥٠، وابن سعد ٥ : ٤٠٤ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/١٠ — ١١ .

إياس بن سلمة بن الأكوع : تابعي ثقة كثير الحديث ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، وهو قد سمع من أبيه الصحابي ، وروى له الشيخان وغيرهما أحاديث من روايته عنه . وهو مترجم في التهذيب ،

٢١٨٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «لتكونوا شهداء على الناس»، تكونوا شهداء لمحمد عليه السلام على الأمم، اليهود والنصارى والمجوس.

٢١٨٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٢١٨٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا [أبو] عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح قال: يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة نَادِيَهُ ليس معه أحد، فتشهد له أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنه قد بلغهم.[1]

٢١٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، أنه سمع عبيد بن عمير مثله.

٢١٩٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال، حدثني ابن أبي نجيح، عن أبيه قال، يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فذكر مثله، ولم يذكر عبيد بن عمير مثله.

٢١٩١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن

والكبير للبخاري ١/١/٤٣٩، وابن سعد ٥: ١٨٤، وابن أبي حاتم ١/١/٢٧٩ – ٢٨٠. ورجال الصحيحين، ص: ٤٧.

والحديث ذكره السيوطي ١: ١٤٥، باختصار في آخره. ونسبه لابن أبي شيبة، وهناد، وابن جرير والطبراني. ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٣: ٤ – ٥، عن إسنادين للطبراني في الكبير، في كل منهما رجل ضعيف. فيستفاد تصحيح الحديث بهذا الإسناد الصحيح عند ابن جرير. وفي المطبوعة: «فما شهدتم عليه وجبت»، والصواب ما أثبت.

(١) الأثر: ٢١٨٨ – كان في المطبوعة «حدثنا عاصم»، والصواب ما أثبت، وهو إسناد دائر في التفسير، أقربه: ٢١٨٦. أما قوله: «ناديه» فهكذا جاءت في المطبوعة، وفي مطبوعات أخرى، وفي المخطوطات، وفي الدر المنثور ١: ١٤٦: «بإذنه»، وهذه الأخيرة لا معنى لها. أما قوله: «ناديه»، فكأنه أراد موقفه يوم القيامة. والنادي: مجتمع القوم وأهل المجلس. ولكني أرجح أن اللفظ محرف عن كلمة معناها «وحده – أو منفرداً»، فإن سياقه يقتضي ذلك. وقوله: «يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ناديه» أرجح أن قوله: «صلى الله عليه وسلم» زيادة ناسخ، والسياق يقتضي أن يكون: «يأتي النبي يوم القيامة ناديه ليس معه أحد».

قتادة « لتكونوا شُهداء على الناس » ، أى أنّ رسلهم قد بلغت قومَها عن ربّها ، « ويكون الرسول عليكم شهيداً » ، على أنه قد بلغ رسالات ربه إلى أمته .

٢١٩٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم : أنّ قوم نوح يَقولونَ يوم القيامة : لم يبلّغنا نوحٌ ! فيدعَى نوح عليه السلام فيسأل : هل بلغتهم؟ فيقول : نعم . فيقال : من شُهودك؟ فيقول : أحمد صلى الله عليه وسلم وأمته . فتدعون فتُسألون فتقولون : نعم ، قد بلّغهم . فتقول قوم نوح عليه السلام : كيف تشهدون علينا ولم تدركونا ؟ قالوا : قد جاء نبيٌّ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرنا أنه قد بلغكم ، وأنزل عليه أنه قد بلغكم ، فصدّقناه . قال : فيصدّق نوح عليه السلام، ويكذبونهم . قال: « لتكونوا شُهداء على الناس ويَكونَ الرسول عليكم شهيداً »

٢١٩٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « لتكونوا شُهداء على الناس » ، لتكون هذه الأمة شُهداء على الناس أنّ الرسل قد بلّغتهم ، ويكون الرسول على هذه الأمة شهيداً أن قد بلّغ ما أرسل به .

٢١٩٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم : أنّ الأمم يقولُون يوم القيامة : والله لقد كادت هذه الأمّة أن تكون أنبياءَ كلهم ! لما يرون الله أعطاهم .

٢١٩٥ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن رِشْدين بن سعد ، قال أخبرنى ابن أنعم المعافرى ، عن حبان بن أبى جبلة يُسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا جمع الله عباده يوم القيامة ، كان أوّلَ من يدعى إسرافيلُ ، فيقول له ربه : ما فعلتَ فى عهدى ؟ هل بلغت عهدى ؟ فيقول : نعم رَبّ ، قد بلغته جبريل عليهما السلام . فيدعى جبريل ، فيقال له :

هل بلّغك إسرافيلُ عهدى؟[1] فيقول : نعم ربّ ، قد بلّغنى . فيخلّى عن إسرافيلُ، ويقال لجبريل : هل بلغت عهدى؟ فيقول : نعم ، قد بلغتُ الرسل . فتُدعى الرسل، فيقال لهم : هل بلّغكم جبريلُ عهدى ؟ فيقولون : نعم ربّنا . فيخلّى عن جبريل ، ثم يقال للرسل : ما فعلتم بعهدى؟ فيقولون : بلّغنا أممنا . فتدعى الأمم ، فيقال : هل بلغكم الرسل عهدى ؟ فمنهم المكذّب ومنهم المصدّق، فتقول الرسل : إن لنا عليهم شهوداً يشهدون أنْ قد بلّغنا مع شهادتك . فيقول : من يشهد لكم؟ فيقولون : أمّة محمد . فتدعى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول : أتشهدون أنّ رُسلى هؤلاء قد بلّغوا عهدى إلى من أرسِلوا إليه؟ فيقولون : نعم ربّنا، شهدنا أنْ قد بلّغوا . فتقول تلك الأمم :كيف يشهد علينا من لم يُدركنا ؟ فيقول لهم الرب تباركَ وتعالى : كيف تشهدون على من لم تدركوا ؟ فيقولون : ربنا بعثت إلينا رسولاً ، وأنزلت إلينا عهدك وكتابك ، وقصَصت علينا أنّهم قد بلّغوا، فشهدنا بما عهدْتَ إلينا . فيقول الرب : صدَقوا . فذلك قوله : « وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً » — والوسطُ العدْل — « لتكونوا شُهداء على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً» . قال ابن أنعم : فبلغنى أنه يشهد يومئذ أمّةُ محمد صلى الله عليه وسلم، إلاّ من كان فى قلبه حِنَةٌ على أخيه .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « هل بلغت إسرافيل » ، وهو خطأ ، وصوابه ما أثبت .

(٢) الحديث : ٢١٩٥ — هذا حديث ضعيف ، من ناحيتين : من ناحية أنه مرسل ، رواه تابعى لم يسنده عن صحابى . ومن ناحية ضعف « رشدين بن سعد » ، كما سيأتى .

وقد مضت قطعة منه بهذا الإسناد : ٢١٧٦ . وأحلنا تخريجها على هذا الموضع .

رشدين بن سعد : ضعيف جداً ، سبق بيانه فى : ١٩٣٨ . ووقع فى المطبوعة هنا ، وفى : ٢١٧٦ : « راشد » ، كما كان ذلك فى : ١٩٣٨ . وهو خطأ .

ابن أنعم المعافرى : هو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم — بفتح الهمزة وسكون النون وضم العين المهملة — المعافرى الإفريقى القاضى . وهو ثقة ، تكلم فيه كثير من العلماء بغير حجة ، سمع من أجلة التابعين ، وكان شجاعاً فى الحق . وكان أحمد بن صالح يقول : هو ثقة ، وينكر على من تكلم فيه . قاله أبو بكر المالكى فى رياض النفوس : « كان من جلة المحدثين ، منسوباً إلى الزهد والورع ، صلباً فى دينه ، متفنناً فى علوم شتى » . وغلا فيه ابن حبان غلواً فاحشاً ، فقال فى كتاب المجروحين ، ص : ٢٨٣ — ٢٨٤ :

٢١٩٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « لتكونوا شُهداء على الناس » ، يعني بذلك . الذين استقاموا على الهُدى ، فهم الذين يكونون شهداء على الناس يوم القيامة ، لتكذيبهم رُسلَ الله وكفرهم بآيات الله .

« كان يروى الموضوعات عن الثقات ، ويأتى عن الأثبات ماليس من أحاديثهم ، وكان يدلس عن محمد ابن سعيد بن أبى قيس المطلوب » . ثم روى حديثاً من طريقه يستدل به على ما قال . وهو حديث موضوع ، ولكن ابن أنعم برىء من عهدته ، فإن الحمل فيه على أحد الكذابين ، وهو يوسف بن زياد البصرى . وقد تعقب الدارقطنى على ابن حبان ذلك ، فيما ثبت بهامش مخطوطة المجروحين .

والمشارقة أخطأوا معرفة ابن أنعم ، فمن ذلك جاء ما جاء من جرحه ، بل أخطأوا تاريخ وفاته، فأرخوه سنة ١٥٦ . و المغاربة أعرف به ، وأرخوه سنة ١٦١ .

وله تراجم وافية : فى التهذيب ٦ : ١٧٣ – ١٧٦ ، والصغير للبخارى ، ص : ١٨٠ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٣٤ – ٢٣٥ . والمجروحين لابن حبان : ٢٨٣ – ٢٨٤ ، والميزان للذهبى ٢ : ١٠٤ – ١٠٥ ، وطبقات علماء إفريقية لأبى العرب : ٢٧ – ٣٢ . ورياض النفوس لأبى بكر المالكى ١ : ٩٦ – ١٠٣ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٢١٤ – ٢١٨ .

حبان – بكسر المهملة وتشديد الموحدة – بن أبى جبلة المصرى : تابعى ثقة . وهو أحد العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز ، ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٨٣ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٦٩ .

وهذا الحديث مرسل ، إذ حكى راويه عن التابعى أنه « يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، لم يذكر من حدثه به .

وقوله « يسنده » – كتب فى المطبوعة هنا وفى : ٢١٧٦ « بسنده » بالباء الموحدة . وهو تصحيف .

والحديث ذكره السيوطى ١ : ١٤٥ ، ولم ينسبه لغير الطبرى وابن المبارك فى الزهد .

وكان فى المطبوعة « حقد على أخيه » . وفى الدر المنثور ١ : ١٤٦ « إحنة » ، والذى أثبته من القرطبى، وبعض المخطوطات . والحنة : الحقد ، من « وحن يحن حنة » مثل : « وعد يعد عدة » (بكسر الحاء وفتح النون) . وقال الأزهرى : ليست من كلام العرب، إنما هى إحنة : أى حقد . وأنكر الأصمعى « حنة » ، وحكى عنه أبو نصر أنه قال : « كنا نظن الطرماح شيئاً حتى قال :

وَأُكْرِهُ أَنْ يَعِيبَ عَلَيَّ قَوْمِى ... هِجَائِى الأَرْذَلِينَ ذَوِى الحِنَاتِ

لأنها إحنة وإحن ، ولا يقال حنات » (ديوان الطرماح : ١٣٤) . وقال الزمخشرى فى الفائق (أحن) : « أما ما حكى عن الأصمعى . . . فاسترذال منه ل« وحن » ، وقضاء على الهمزة بالأصالة ، أو برفض الواو فى الاستعمال » .

٢١٩٧ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « لتكونوا شهداء على الناس » ، يقول : لتكونوا شهداء على الأمم الذين خلَوا من قبلكم ، بما جاءتهم رسلهم ، وبما كذّبوهم ، فقالوا يوم القيامة وَعجِبوا : إنّ أمة لم يكونوا فى زماننا ، فآمنوا بما جاءتْ به رسلنا، وكذبنا نحن بما جاءوا به! ٨/٢ فعجبوا كل العجب . قوله : « ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً » ، يعنى : بإيمانهم به ، وبما أنزِل عليه .

٢١٩٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لتكونوا شُهداء على الناس» ، يعنى : أنهم شهدوا على القرون بما سمَّى الله عز وجل لَهم .

٢١٩٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : قلت لعطاء : ما قوله : « لتكونوا شهداء على الناس » ؟ قال : أمة محمد ، شهدوا على من ترك الحق حين جاءه الإيمانُ والهدى ، ممن كان قبلنا . قالها عبد الله بن كثير . قال : وقال عطاء : شهداء على مَنْ ترك الحق ممن تركه من الناس أجمعين ، جاء ذلك أمةَ محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابهم ، « ويكون الرسولُ عليكمْ شهيداً » ، على أنهم قد آمنوا بالحق حين جاءهم ، وصَدَّقوا به .

٢٢٠٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « لتكونوا شُهداء على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً » ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدٌ على أمَّته ، وهم شهداء على الأمم ، وهم أحد الأشهاد الذين قال الله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [سورة غافر : ٥١]، الأربعة : الملائكة الذين يُحصُون أعمالنا، لنا وعلينا، وقرأ قوله : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [سورة ق : ٢١] ، وقال : هذا يوم القيامة. قال : والنبيون شُهداء على أممهم . قال : وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شُهداء على الأمم . قال :

[والأطوار] الأجسادُ والجلود .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وما جَعلنا القبلة التى كنت عليها » ، ولم نجعل صَرْفك عَن القبلة التى كنت على التوجه إليها يا محمد ، فصرْفناك عنها ، إلا لنعلم مَن يَتَّبعك ممن لا يتَّبعك ، ممن يَنقلبُ على عقبيه .

* * *

والقبلة التى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها ، التى عناها الله بقوله : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها » ، هى القبلة التى كنت تتوجَّه إليها قبل أن يصرفك إلى الكعبة ، كما : —

٢٢٠١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما جَعلنا القبلة التى كنت عليها » ، يعنى : بيت المقدس .

٢٢٠٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) الأثر : ٢٢٠٠ — ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥ : ٣٥٢ فى تفسير [سورة غافر الآية : ٥١] ، بغير هذا اللفظ ، ونسبه لابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيريهما . ونصه :

« عن زيد بن أسلم : الأشهاد أربعة : الملائكة الذين يحصون علينا أعمالنا ، وقرأ : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » ، والنبيون ، شهداء على أممهم ، وقرأ : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد » ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، شهداء على الأمم ، وقرأ : « لتكونوا شهداء على الناس » ، والأجساد والجلود ، وقرأ : « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء » .

أما ما جاء فى نص الطبرى ، ووضعته بين قوسين ، فهو خطأ لا شك فيه ، وأخشى أن يكون صوابه « الأطراف والأجساد والجلود » ، ويعنى بالأطراف ، الجوارح ، يريد بذلك الأيدى والأرجل ، فى قوله تعالى فى [سورة يس : ٦٥] :

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

ابن جريج قال : قلت لعطاء : « وما جعلنا القِبلة التى كنتَ عليها » . قال : القِبلة بيتُ المقدس .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما ترك ذكر « الصرف عنها » ، اكتفاء بدلالة ما قد ذكر من الكلام على معناه ، كسائر ما قد ذكرنا فيما مضى من نظائره .(١)

وإنما قُلنا : ذلك معناه ، لأن محنةَ الله أصحابَ رسوله فى القِبلة ، إنما كانت — فيما تظاهرت به الأخبار — عند التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة ، حتى ارتدَّ — فيما ذكر — رجالٌ ممن كان قد أسلمَ واتَّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأظهرَ كثيرٌ من المنافقين = من أجل ذلك = نفاقَهم ، وقالوا : ما بالُ محمد يحوّلنا مرة إلى ههنا ومرة إلى ههنا ! وقال المسلمون ، فيمن مضى من إخوانهم المسلمين وهم يصلون نحو بيت المقدس : بطلت أعمالُنا وأعمالُهم وضاعت ! وقال المشركون : تحيَّر محمد [صلى الله عليه وسلم] فى دينه ! فكان ذلك فتنةً للناس ، وتمحيصاً للمؤمنين .

فلذلك قال جل ثناؤه : « وَمَا جَعلنا القِبلةَ التى كنت عليها إلا لنعلمَ من يتَّبع الرسول ممن ينقلب على عَقبيه » ، أى : وَما جعلنا صَرْفك عن القبلة التى كنتَ عليها ، وتحويلك إلى غيرها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [سورة الإسراء : ٦٠] ، بمعنى : وما جعلنا خبَرك عن الرؤيا التى أريناك . وذلك أنه لو لم يكن أخبرَ القوم بما كان أُرِى ، لم يكن فيه على أحدٍ فتنةٌ . وكذلك القبلة الأولى التى كانت نحو بيت المقدس ، لو لم يكن صرفٌ عنها إلى الكعبة ، لم يكن فيها على أحد فتنةٌ ولا محْنة .

* * *

* ذكر الأخبار التى رُويت فى ذلك بمعنى ما قلنا :

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٣٩ - ١٤١ ، ١٧٩ ، وغيرها كثير ، اطلبه فى الفهارس .

٢٢٠٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قال : كانت القبلةُ فيها بلاءٌ وتمحيصٌ . صلّت الأنصار نحو بيت المقدس حوْلين قَبل قدوم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى نبى الله صلى الله عليه وسلم بعدَ قُدومه المدينةَ مهاجراً نحو بيت المقدس سبعةَ عشر شهراً ، ثم وجهه الله بعد ذلك إلى الكعبة البيتِ الحرام ، فقال فى ذلك قائلون من الناس : « مَا وَلاّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » ؟ لقد اشتاق الرُجل إلى مولده ! قال الله عز وجل : « قُلْ لله المشرقُ والمغربُ يَهدى مَنْ يَشاءُ إلى صراط مُستقيم » . فقال أناسٌ — لما صُرفت القبلة نحو البيت الحرام — : كيف بأعمالنا التى كنا نعمل فى قبلتنا الأولى ؟ فأنزل الله عز وجل : « وَما كانَ الله ليُضيعَ إيمانكم » . وقد يَبتلى الله العبادَ بما شاءَ من أمره ، الأمرَ بعدَ الأمر ، ليعلم مَنْ يطيعه ممن يَعصيه ، وكل ذلك مقبول ، إذْ كان فى [ذلك] إيمان بالله ، وإخلاصٌ له ، وتسليم لقضائه .(١) ٩/٢

٢٢٠٤ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصلى قبَل بيت المقدس ، فنسختها الكعبة . فلما وُجِّه قبل المسجد الحرام ،(٢) اختلف الناس فيها فكانوا أصنافاً ، فقال المنافقون : ما بالهم كانوا على قبلة زماناً ، ثم تركوها وتوجهوا إلى غيرها ؟ وقال المسلمون : ليت شعرَنا عن إخواننا الذين ماتوا وهم يصلُّون قبَلَ بيت المقدس ! هل تقبَّل الله منا ومنهم ، أوْ لا ؟ وقالت اليهود : إنّ محمداً اشتاق إلى بلد أبيه ومولده ، ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون هو صاحبنا الذى ننتظر ! وقال

(١) الأثر : ٢٢٠٣ — فى الدر المنثور ١ : ١٤٣ ، وقد مضى شطره فى رقم : ٢١٦٣ . وكان فى المطبوعة : « وكل ذلك مقبول ، وإذا كان فى إيمان بالله . . . » ، عبارة ركيكة ، فجعلت « إذا » ، « إذ » وزدت « ذلك » : لتستقيم العبارة . أما فى الدر المنثور فعبارته أشد سقماً ونصها : « وكل ذلك مقبول ، فى درجات فى الإيمان بالله ، والإخلاص ، والتسليم لقضاء الله » .

(٢) فى المطبوعة : « فلما توجه قبل المسجد » ، والصواب من رقم : ٢١٦٤ ، والدر المنثور .

المشركون من أهلُ مكة : تحيَّر على محمد دينُهُ ، فتوجه بقبلته إليكم ، وعلم أنكم كنتم أهدى منه ، ويوشك أنْ يدخل فى دينكم ! فأنزل الله جل ثناؤه فى المنافقين : « سَيقول السفهاء من الناس مَا وَلاَّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » إلى قوله : « وإنْ كانتْ لكبيرةً إلاَّ على الذين هَدى الله » ، وأنزل فى الآخرين الآيات بعدها .(١)

٢٢٠٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : « إلاَّ لنعلمَ من يتَّبع الرسول ممن ينقلبُ على عَقبيه » ؟ فقال عطاء : يبتليهم ، ليعلم من يُسلم لأمره . قال ابن جريج : بلغنى أنَّ ناساً ممن أسلم رَجعوا فقالوا : مرة ههنا ومرة ههنا !

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : أوَ مَا كان الله عالماً بمن يتَّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، إلاَّ بعد اتباع المتَّبع ، وانقلاب المنقلب على عقبيه ، حتى قال : ما فعلنا الذى فعلنا من تحويل القبلة إلا لنعلم المتَّبعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من المنقلب على عقبيه ؟

قيل : إن الله جل ثناؤه هو العالم بالأشياء كلها قَبل كونها ، وليس قوله : « وما جعلنا القبلةَ التى كنتَ عليها إلا لنعلمَ من يتَّبع الرسول ممن يَنقلب على عَقبيه » ، بخبر [عن] أنه لم يعلم ذلك إلاَّ بعد وُجوده .(٢)

فإن قال : فما معنى ذلك ؟

قيل له : أما معناه عندنا ، فإنه : وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلاَّ ليعلم رَسولى وحزبى وأوليائى مَنْ يتبع الرسول ممن ينقلب على عَقبيه ، فقال جل ثناؤه : « إلا لنعلم » ، ومعناه ليعلمَ رَسولى وأوليائى . إذْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأثر : ٢٢٠٤ — مضى بعضه فى رقم : ٢١٦٤ ، وهو فى الدر المنثور ١ : ١٤٢ — ١٤٣ .

(٢) فى المطبوعة : « بخبر أنه لم يعلم ذلك . . . » ، والصواب ما أثبت ، مع الزيادة بين القوسين .

وأولياؤه من حزبه ، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباعُ الرئيس إلى الرئيس، وما فعل بهم إليه ، نحو قولهم : « فتح عُمر بن الخطاب سوادَ العراق وجبى خراجها » ، وإنما فعل ذلك أصحابه ، عن سببٍ كان منه فى ذلك، وكالذى رُوى فى نظيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله جل ثناؤه : مرضْتُ فلم يعدنى عبدى ، واستقرضته فلم يقرضنى ، وشتمنى ولم ينبغِ له أن يشتمنى .

٢٢٠٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خالد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالَ الله : استقرضتُ عبدى فلم يُقرضنى ، وشتمنى ولم ينبغ له أن يشتُمنى ! يقول : وادَهراه ! وأنا الدهر ، أنا الدهر .

٢٢٠٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن العلاء ابن عبد الرحمن، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه .[1]

* * *

فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه ، وقد كان ذلك بغيره ، إذ كان ذلك عن سببه .

وقد حكى عن العرب سماعاً : « أجوع فى غيْر بطنى ، وأعرى فى غير

---

(١) الحديثان : ٢٢٠٦ ، ٢٢٠٧ — هما حديث واحد بإسنادين صحيحين .

خالد — فى أولهما : هو خالد بن مخلد القطوانى ، بفتح القاف والطاء . وهو ثقة من شيوخ البخارى ، أخرج له هو ومسلم فى الصحيحين ، تكلم فيه من جهة إفراطه فى التشيع ، ولكنه صدوق فى الرواية . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/١٦٠ ، وابن سعد ٦ : ٢٨٣ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٥٤ .

وشيخه محمد بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى الزرقى : ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٤١٨ ، من طريق يزيد بن هرون ، عن محمد بن إسحق ، بالإسناد الثانى ، بنحوه . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

والنهى عن سب الدهر ، فى الحديث القدسى ، من حديث أبى هريرة — : ثابت من أوجه ، فى الصحيحين وغيرهما . فانظر المسند : ٧٢٤٤ ، ٧٥٠٩ . والبخارى ٨ : ٤٤١ ، و ١٠ : ٤٦٥ ، و ١٣ : ٣٨٩ . وصحيح مسلم ٢ : ١٩٦ — ١٩٧ .

ظِهْرِى »، بمعنى : جُوعَ أهله وعياله وعُرْىَ ظهورهم .

فكذلك قوله : « إلاّ لنعلم » ، بمعنى : يعلم أوليائى وحزبى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٠٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وما جعلنا القبلةَ التى كنت عليها إلا لنعلم من يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » ، قال ابن عباس : لنميّز أهلَ اليقين من أهل الشرك والريبة .

* * *

وقال بعضهم : إنما قيل ذلك ، من أجل أن العرَب تضع « العلم » مكان « الرؤية »، و« الرؤية » مكان « العلم »، كما قالَ جلّ ذكره ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [سورة الفيل : ١] ، فزعم أن معنى « ألم تر » : ألم تعلم ؟ وزعم أن معنى قوله : « إلا لنعلم »، بمعنى : إلا لنرى من يتبع الرسول . وزعم أنّ قول القائل : « رأيتُ ، وعلمت ، وشهدت » ، حروفٌ تتعاقب ، فيوضع بعضها موضع بعض ، كما قال جرير بن عطية

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطاً وَحَاجِباً وَعَمْرَو بنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَا يَالَ دَارِمِ [1]

بمعنى : كأنك لم تعلم لقيطاً ، لأنّ بين هُلْك لقيط وحاجب وزمان جرير ، ما لا يخفى بُعده من المدة. وذلك أنّ الذين ذكرهم هلكوا فى الجاهلية ، وجريرٌ كان بعد بُرْهة مَضت من مجىء الإسلام .

* * *

(١) ديوانه : ٥٦٣ ، والنقائض : ٤٠٩ ، من قصيدته الفالقة ، فى نقض قصيدة الفرزدق . وقد عدد فيها أيام قومه . والخطاب فى قوله : « كأنك » للفرزدق ، ويذكر « يوم جبلة » ، وهو من أعظم أيامهم ، وكان قبل الإسلام بأربعين سنة ، عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو لعامر وعبس ، على ذبيان وتميم . وقتل يومئذ لقيط بن زرارة ، وأسر حاجب بن زرارة ، وأسر عمرو بن عمرو بن عدس ، وهم من بنى عبد الله بن دارم ، وهم عمومة الفرزدق ، وهو من بنى مجاشع بن دارم .
ورواية الديوان والنقائض : « إذ دعوا » ، وكلتاهما صحيحة المعنى .

قال أبو جعفر : وهذا تأويل بعيدٌ . من أجل أنّ « الرؤية » ، وإن استعملت ٢/١٠ فى موضع « العلم » ، من أجل أنه مستحيلٌ أن يرى أحدٌ شيئاً فلا توجب رؤيته إياه علماً بأنه قد رآه ، إذا كان صحيح الفطرة . فجاز من الوجه الذى أثبته رؤيةً ، أن يُضَاف إليه إثباتُهُ إياه علماً ،[1] وصحّ أن يدلّ بذكر « الرؤية » على معنى «العلم» من أجل ذلك . فليس ذلك ، وإن كان [جائزاً] فى الرؤية — لما وصفنا — بجائز فى العلم ،[2] فيدلّ بذكر الخبر عن « العلم » على «الرؤية» . لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها ، ويستحيل أن يَرَى شيئاً إلا علمه ، كما قد قدمنا البيان [عنه] .[3] مع أنه غير موجود فى شىء من كلام العرب أن يقال : « علمت كذا» ، بمعنى رأيته .

وإنما يجوز توجيه معانى ما فى كتاب الله الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم منَ الكلام ، إلى ما كان موجوداً مثله فى كلام العرب ، دون ما لم يكن موجوداً فى كلامها . فموجود فى كلامها « رأيت » بمعنى : علمت ، وغير موجود فى كلامهما « علمت» بمعنى : رأيت ، فيجوز توجيه : « إلا لنعلم » إلى معنى : إلا لنرى .

• • •

وقال آخرون : إنما قيل : « إلاّ لنعلم » ، من أجل أنّ المنافقين واليهودَ وأهلَ الكفر بالله ، أنكروا أن يكون الله تعالى ذكره يَعلم الشىءَ قبل كونه . وقالوا — إذ قيل لهم : إن قوماً من أهل القبلة سيرتدّون على أعقابهم ، إذا حُوِّلت قبلة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة — : ذلك غير كائن! أو قالوا: ذلك باطل! فلما فَعل الله ذلك ، وحوّل القبلة ، وكفر من أجل ذلك من كفر ، قال الله جل

(١) أثبت الشىء : عرفه حق المعرفة .

(٢) الزيادة بين القوسين ، لابد للسياق منها ، وإلا اختل الكلام .

(٣) زيادة يقتضيها سياقه .

ثناؤه : ما فعلتُ إلاّ لنعلم ما علمه َغيركم — أيها المشركون المنكرون علمى بما هو كائن من الأشياء قبل كونه — : أنّى عالم بما هو كائن مما لم يكن بعد .(١)

فكأن معنى قائلى هذا القول فى تأويل قوله : « إلا لنعلم » : إلا لنبيّن لكم أنّا نعلمُ من َيتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وهذا وإن كان وَجهاً له َمخرج ، فبعيدٌ من المفهوم .

* * *

وقال آخرون : إنما قيل : « إلا لنعلم » ، وهو بذلك عالم قبل كونه وفى كل حال ، على وجه الترفّق بعباده واستمالتهم إلى طاعته ،(٢) كما قال جل ثناؤه : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ وإنَّا أوْ إيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أوْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(٣) [سورة سبأ : ٢٤] ، وقد علم أنه على هدى ، وأنهم على ضلال مبين . ولكنه رَفقَ بهم فى الخطاب ، فلم يقلْ : إنّا على هدى وأنتم على ضلال . فكذلك قوله : « إلا لنعلم » ، معناه عندهم : إلاّ لتعلموا أنتم ، إذ كنتم ُجهّالاً به قبل أن يكونَ . فأضاف العلم إلى نفسه ، رفقاً بخطابهم .

* * *

وقد بيّنا القول الذى هو أوْلى فى ذلك بالحقّ .

* * *

وأما قوله : « َمنْ يتّبع الرسول » . فإنه يعنى : الذى يتبع محمداً صلى الله عليه وسلم فيما يأمره الله به ، فيوجّه نحو الوَجه الذى يتوَجّه نحوه محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) كان فى المطبوعة : « إلا لنعلم ما عندكم . . . » وهذا يجعل الجملة غير مستقيمة ، غير مفهومة المعنى . ورأيت أن سياق الكلام قبله يدل على أن ذلك كما أثبت ، فإن المؤمنين علموا أن قوماً سيرتدون إذا حولت القبلة ، وأنكر اليهود والمنافقون أن يكون ذلك كائناً . فاقتضى السياق أن يكون التأويل جامعاً لهذا العلم من هؤلاء ، وذلك الإنكار من أولئك . ثم جاء الطبرى بعبارة تصحح ما ذهبت إليه فى قوله : « إلا لنبين لكم أننا نعلم » . فكأن معنى الآية عند قائل هذا القول : ما جعلنا القبلة التى كنت عليها ، إلا للعلم بأننا نعلم من يتبع الرسول . . .

(٢) فى المطبوعة : « على وجه الترفيق بعباده » ، وهو خطأ .

(٣) كان فى الأصل : « قل الله » أول الآية المستشهد بها ، فأثرت إتمامها .

وأما قوله : « ممن يَنقلب على عَقبيه » ، فإنه يعنى : من الذى يرتدُّ عن دينه ، فينافق ، أو يكفر ، أو يخالف محمداً صلى الله عليه وسلم فى ذلك، ممن يظهر اتّباعه ، كما : —

٢٢٠٩ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « وما جَعلنا القبلةَ التى كنتَ عليها إلاّ لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه »، قال : مَنْ إذا دخلتْه شُبهة رجع عن الله ، وانقلب كافراً على عَقبيه .

* * *

وأصل « المرتد على عقبيه »، هو: « المنقلب على عقبيه » ، الراجع مستدبراً فى الطريق الذى قد كان قطعه، منصرفاً عنه. فقيل ذلك لكل راجع عن أمر كان فيه ، من دين أو خير. ومن ذلك قوله: ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً ﴾[سورة الكهف : ٦٤]، بمعنى : رَجعا فى الطريق الذى كانا سَلكاه ، وإنما قيل للمرتد : « مرتد » ، لرجوعه عن دينه وملته التى كان عليها .

وإنما قيل : « رجع على عَقبيه »، لرجوعه دُبراً على عَقبه ، إلى الوجه الذى كان فيه بدء سيره قبل مَرْجعه عنه . فيجعل ذلك مثلاً لكل تارك أمرًا وآخذٍ آخرَ غيره ، إذا انصرف عما كان فيه ، إلى الذى كان له تاركاً فأخذه . فقيل : « ارتد فلان على عَقبِه، وانقلب على عَقبيه » .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فى التى وصفها الله جل وعز بأنها كانت « كبيرة إلاّ على الذين هَدى الله » .

فقال بعضهم : عنى جل ثناؤه بـ « الكبيرة » ، التوليةُ من بيت المقدس شطرَ المسجد الحرام والتحويلُ . وإنما أنَّث « الكبيرة » ، لتأنيث « التولية » .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢١٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال الله : « وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هدى الله » ، يعني : تحويلَها .

٢٢١١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « وإن كانت لكبيرةً إلاَّ على الذين هدى الله » ، قال : ما أمِروا به من التحوُّل إلى الكعبة من بيت المقدس .

٢٢١٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٢١٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « لكبيرة إلا على الذين َهدى الله » ، قال : كبيرة ، حين حُولت القبلة إلى المسجد الحرام ، فكانت كبيرةً إلا على الذين هدى الله . ١١/٢

* * *

وقال آخرون : بل « الكبيرة » ، هي القبلة بعينها التي كان صلى الله عليه وسلم يتوجَّه إليها من بيت المقدس قبلَ التحويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢١٤ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وإن كانت لكبيرة » ، أي : قبلةُ بيت المقدس — « إلا على الذين هدى الله » .(١)

---

(١) في المطبوعة : « عن أبيه عن أبي العالية » ، بإسقاط « عن الربيع » ، وهو إسناد دائر في الطبري ، أقربه رقم : ١٨٨٦

وقال بعضهم: بل « الكبيرة » هي الصلاة التي كانوا يصلّونها إلى القبلة الأولى .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢١٥ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن كانت لكبيرة إلاّ على الذين هدى الله » ، قال: صلاتكم حتى يهديكم اللهُ عز وجل القِبلةَ .[1]

٢٢١٦ — وقد حدثني به يونس مرة أخرى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن كانت لكبيرة » ، قال : صلاتك ههنا — يعني : إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً — وانحرافُك ههنا .

* * *

وقال بعض نحويي البصرة : أنّث « الكبيرة » لتأنيث القبلة ، وإياها عنى جل ثناؤه بقوله : « وإن كانت لكبيرة » .

وقال بعض نحويي الكوفة : بل أنث « الكبيرة » لتأنيث التولية والتحويلة .

فتأويل الكلام على ما تأوله قائلو هذه المقالة : وما جعلنا تحويلتنا إياك عن القبلة التي كنتَ عليها وتوليتُناك عنها ، إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت تحويلتُنا إياك عنها وتوليتُناكَ « لكبيرة إلاّ على الذين هدى الله ».

* * *

وهذا التأويل أولى التأويلات عندي بالصواب . لأن القوم إنما كبُر عليهم تحويل النبي صلى الله عليه وسلم وَجْهه عن القبلة الأولى إلى الأخرى ، لا عين القبلة ، ولا الصلاة . لأن القبلة الأولى والصلاة ، قد كانت وهي غير كبيرة عليهم . إلا أن يوجّه موجّه تأنيث « الكبيرة » إلى « القبلة » ، ويقول : اجتُزِئ بذكر « القبلة » من ذكر « التولية والتحويلة » ، لدلالة الكلام على معنى ذلك ، كما قد وصفنا لك في نظائره .[2] فيكون ذلك وجهاً صحيحاً ، ومذهباً مفهوماً .

* * *

(١) الأثر : ٢٢١٥ — سيأتي تاماً برقم : ٢٢١٧ ، وفيه « يهديكم إلى القبلة » ، وهما صواب .

(٢) انظر ما سلف في فهارس الأجزاء الماضية

ومعنى قوله : « كبيرة » ، عظيمة ،[1] كما : —

٢٢١٧ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن كانت لكبيرة إلاّ على الذين هدى الله » ، قال : كبيرة فى صدور الناس ، فيما يدخل الشيطانُ به ابنَ آدم قال : ما لهم صلّوا إلى ههنا ستة عشر شهراً ثم انحرفوا ! فكبُر ذلك فى صدور من لا يعرف ولا يعقل والمنافقين ، فقالوا : أىّ شىء هذا الدين ؟ وأما الذين آمنوا ، فثبّت الله جل ثناؤه ذلك فى قلوبهم ، وقرأ قول الله : « وإن كانت لكبيرةً إلاّ على الذين هدى الله » ، قال : صلاتكم حتى يهديكم إلى القبلة .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « إلاّ على الذين هدى الله » ، فإنه يعنى به : وإن كان تقليبتُناك عن القبلة التى كنتَ عليها ، لعظيمة إلا على من وفّقه الله جل ثناؤه ، فهداهُ لتصديقك والإيمان بك وبذلك ، واتباعك فيه ، وفيما أنزل الله تعالى ذكره عليك ، كما : —

٢٢١٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » ، يقول : إلاّ على الخاشعين ، يعنى : المصدّقين بما أنزل الله تبارك وتعالى .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير « كبيرة » فيما سلف ٢ : ١٥ .

(٢) الأثر : ٢٢١٧ — انظر ما سلف رقم : ٢١١٥ ، والتعليق عليه .

(٣) الأثر ٢٢١٨ — أخشى أن يكون هذا الأثر ، هو نفس الأثر السالف برقم : ٨٥٦ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : قيل : عنى بـ « الإيمان » ، فى هذا الموضع : الصلاةَ .

* * *

* ذكر الأخبار التى رُويت بذلك ، وذكر قول من قاله :

٢٢١٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع وعبيد الله — وحدثنا سفيان ابن وكيع قال حدثنا عبيد الله بن موسى — جميعاً ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما وُجِّه رَسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا : كيف بمن ماتَ من إخواننا قبل ذلك ، وهم يصلون نحو بيت المقدس ؟ فأنزل الله جل ثناؤه : « وما كانَ الله ليضيعَ إيمانكم » .(١)

٢٢٢٠ — حدثنى إسمعيل بن موسى قال ، أخبرنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن البراء فى قول الله عز وجل : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ، قال : صلاتكم نحوَ بيت المقدس .

٢٢٢١ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن البراء نحوه .(٢)

٢٢٢٢ — وحدثنى المثنى قال ، حدثنا عبدالله بن محمد بن نفيل الحرّانى قال ، حدثنا زهير قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء قال : مات على القبلة قبلَ أن تحوّل إلى البيت

---

(١) الحديث : ٢٢١٩ — هو بإسنادين معاً : أولهما صحيح ، وهو رواية أبى كريب ، عن وكيع وعبيد الله بن موسى . وثانيهما ضعيف ، وهو رواية سفيان بن وكيع عن عبيد الله بن موسى .

وعبيد الله بن موسى العبسى : مضى فى ٢٠٩٢ .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٣٢٤٩ ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، بهذا الإسناد ، نحوه . ورواه أيضاً مطولا ومختصراً ، من طرق عن إسرائيل : ٢٦٩١ ، ٢٧٧٦ ، ٢٩٦٦ . وخرجناه هناك فى : ٢٦٩١ .

(٢) الحديثان : ٢٢٢٠ — ٢٢٢١ — هما حديث واحد بإسنادين .

وذكره السيوطى ١ : ١٤٦ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم .

رجالٌ وقُتلوا ، فلم ندر ما نَقول فيهم . فأنزل الله تعالى ذكره : و« ما كان الله ليُضيع إيمانكم » .(١)

٢٢٢٣ — حدثنا بشر بن معاذ العقدى قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : قال أناسٌ من الناس — لما صرفت القبلة نحو البيت الحرام — : كيف بأعمالنا التى كنا نَعملُ فى قبلتنا ؟ فأنزل الله جل ثناؤه : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » .

١٢/٢ ٢٢٢٤ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنى عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما وُجِّه رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم قِبَل المسجد الحرام ،(٢) قال المسلمون : ليتَ شِعْرنا عن إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون قبل بيت المقدس ! هل تقبَّل الله منا ومنهم أم لا ؟ فأنزل الله جل ثناؤه فيهم : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ، قال : صلاتكم قِبَلَ بيت المقدس : يقول : إنَّ تلك طاعة وهذه طاعة .(٣)

٢٢٢٥ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال ناسٌ — لما صرفت القبلة إلى البيت الحرام — : كيف بأعمالنا التى كنا نعملُ فى قبلتنا الأولى ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « وما كانَ الله ليضيع إيمانكم » الآية .

٢٢٢٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى داود بن أبى عاصم قال : لما صُرف رسولُ الله صلى الله

---

(١) الحديث : ٢٢٢٢ — عبد الله بن محمد بن نفيل : هو عبد الله بن محمد بن على بن نفيل ، أبو جعفر النفيلى الحرانى ، الثقة المأمون الحافظ . مترجم فى التهذيب . وابن أبى حاتم ٢/٢/١٥٩ .
زهير : هو ابن معاوية الجعفى أبو خيثمة . مضى : ٢١٤٤ . وأبو إسحق : هو السبيعى الهمدانى .
والحديث هو باقى الحديث الماضى بهذا الإسناد : ٢١٥٣ . وقد بينا تخريجه هناك .

(٢) فى المطبوعة : « لما توجه . . . . » ، وانظر ما سلف رقم : ٢٢٠٤ ، والتعليق عليه .

(٣) الأثر : ٢٢٢٤ — مضى برقم : ٢١٦٤ ، ثم : ٢٢٠٤ ، وفيه هنا زيادة .

عليه وسلم إلى الكعبة، قال المسلمون : "هلك أصحابنا الذين كانوا يصلون إلى بيت المقدس! فنزلت : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » .

٢٢٢٧ — حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ، يقول : صلاتكم التي صليتموها من قبل أن تكون القبلة . فكان المؤمنون قد أشفقوا على مَن صلى منهم أن لا تُقبلَ صلاتهم .

٢٢٢٨ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ، صلاتكم .

٢٢٢٩ — حدثنا محمد بن إسمعيل الفزاري قال، أخبرنا المؤمل قال ، حدثنا سفيان ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ، قال : صلاتكم نحو بيت المقدس .

* * *

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى على أن « الإيمان » ، التصديق . وأن التصديقَ قد يكون بالقول وحده ، وبالفعل وحده ، وبهما جميعاً .(١)

فمعنى قوله : « وما كان الله ليُضيع إيمانكم » — على ما تظاهرت به الرواية من أنه الصلاة — : وما كان الله ليُضيع تصديقَ رَسوله عليه السلام ، بصَلاتكم التي صليتموها نحو بيت المقدس عن أمره ، لأن ذلك كان منكم تصديقاً لرسولي ، واتِّباعاً لأمْري ، وطاعةً منكم لي .

* * *

قال : « وإضاعته إياه» جل ثناؤه — لو أضاعه —: تركُ إثابة أصْحابه وعامليه عليه ، فيذهب ضياعاً ، ويصير باطلاً ، كهيئة « إضاعة الرجل ماله » ، وذلك إهلاكه إياه فيما لا يَعتاض منه عوضاً في عاجل ولا آجل .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٣٤ — ٢٣٥ ، وغيره ، فالتمسه في فهرس اللغة .

فأخبر الله جل ثناؤه أنه لم يكن يُبطل عَمل عاملٍ عمل له عملاً وهو له طاعة، فلا يُثيبه عليه، وإن نُسخ ذلك الفرضُ بعد عمل العامل إياه على ما كلفه من عمله .

* * *

فإن قال قائل : وكيفَ قال الله جل ثناؤه : « وما كان الله ليُضيع إيمانكم » ، فأضاف الإيمان إلى الأحياء المخاطبين ، والقومُ المخاطبون بذلك إنما كانوا أشفقوا على إخوانهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس ، وفى ذلك من أمرهم أنزلت هذه الآية ؟

قيل : إن القوم وإن كانوا أشفقوا من ذلك ، فإنهم أيضاً قد كانوا مشفقين من حُبُوط ثواب صلاتهم التى صلوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة ، وظنوا أنّ عملهم ذلك قد بطلَ وذهب ضياعاً ؟ فأنزل الله جل ثناؤه هذه الآية حينئذ ، فوجّه الخطابَ بها إلى الأحياء ودخل فيهم الموتى منهم . لأن من شأن العرب — إذا اجتمع فى الخبر المخاطبُ والغائبُ — أن يغلبوا المخاطب فيدخل الغائب فى الخطاب . فيقولوا لرجل خاطبوه على وجه الخبر عنه وعن آخر غائب غير حاضر : « فعلنا بكما وصنعنا بكما » ، كهيئة خطابهم لهما وهما حاضران ، ولا يستجيزون أن يقولوا: « فعلنا بهما » ، وهم يخاطبون أحدهما، فيردّوا المخاطب إلى عِدّاد الغيَّب .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٤٣)

قال أبو جعفر : ويعنى بقوله جل ثناؤه: « إنّ الله بالناس لرؤوفٌ رحيمٌ » : أن الله بجميع عباده ذُو رأفة

* * *

(١) الغيب (بفتحتين) جمع غائب ، مثل خادم وخدم .

و « الرأفة » ، أعلى معانى الرحمة ، وهى عامَّة لجميع الخلق فى الدنيا ، ولبعضهم فى الآخرة .

* * *

وأما « الرحيم » : فإنه ذو الرحمة للمؤمنين فى الدنيا والآخرة ، على ما قد بينا فيما مضى قبل .(١)

* * *

وإنما أراد جل ثناؤه بذلك أنّ الله عز وجل أرْحمُ بعباده منْ أن يُضيع لهم طاعةً أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها ، وأرأفُ بهم من أن يُؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم — أىْ : ولا تأسوا على موْتاكم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس — ، فإنى لهم = على طاعتهم إياى بصلاتهم التى صلوها كذلك = مثيبٌ ، لأنى أرحم بهم من أن أضيع لهم عملاً عملوه لى ؛ ولا تحزنوا عليهم ، فإنى غيرُ مؤاخذهم بتركهم الصلاة إلى الكعبة ، لأنى لم أكن فرضت ذلك عليهم ، وأنا أرأف بخلقى من أن أعاقبهم على تركهم ما لم آمرهم بعمله .

* * *

وفى « الرؤوف » لغات . إحداها « رَؤُف » على مثال « فَعُل » ، كما قال الوليد ابن عقبة :

وَشرُّ الطالِبِينَ — وَلاَ تَكُنْه — بقَاتِلِ عَمِّه ، الرَّؤُفُ الرَّحِيمِ(٢) ١٣/٢

(١) انظر ما سلف ١ : ١٢٦ — ١٣٤ .

(٢) كان فى المطبوعة : « الرؤف الرحيما » . وجاء على الصواب فى القرطبى ٢ : ١٤٥ ، وأبى حيان ١ : ٤٢٧ ، وفيهما خطأ آخر ، الأول فيه « يقاتل » ، والثانى « يقابل » ، وكأن هذا البيت من شعر الوليد بن عقبة ، الذى كتب به إلى معاوية يحض معاوية على قتال على رضى الله عنهما . وهى فى أنساب الأشراف : ١٤٠ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٦ — ٢٣٧ ، وحماسة البحترى : ٣٠ ، واللسان (حلم) وغيرها ، وليس فيها هذا البيت ، وكأنه قبل البيت الذى يقول فيه :

لَكَ الْوَيْلاتُ ! أَقْحِمْهَا عَلَيْهِمْ فَخَيرُ الطَّالِبِى التِّرَةِ الغَشُومُ

وقوله : « لا تكنه » ، دعاء له ، واستنكار أن يكون كهذا الطالب الثائر الذى يطالب بدم عمه ، وهو رؤوف رحيم بعدوه وقاتل عمه ، وهو شر طالب ثأر .

وهى قراءة عامة قراء أهل الكوفة . والأخرى « رَؤُوف » على مثال « فعول » ، وهى قراءة عامة قراء المدينة ، و « رَئِف » ، وهى لغة غطفان ، على مثال « فَعِل » مثل حَذِر . و « رَأْف » على مثال « فَعْل » بجزم العين ، وهى لغة لبنى أسد .

والقراءة على أحد الوجهين الأوَّلين .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قد نرى يا محمد نحنُ تقلُّبَ وجهك فى السماء .

* * *

ويعنى : بـ « التقلب » ، التحوُّل والتصرُّف .

ويعنى بقوله : « فى السماء » ، نحو السماء وقِبَلها .

* * *

وإنما قيل له ذلك صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنا — لأنه كان = قَبل تحويل قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة = يرفع بصره إلى السماء ينتظر من الله جل ثناؤه أمرَه بالتحويل نحو الكعبة ، كما : —

٢٢٣٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « قدْ نرى تقلُّبَ وجهك فى السماء » ، قال : كان صلى الله عليه وسلم يقلّب وجهه فى السماء ، يحبّ أن يصرفه الله عز وجل إلى الكعبة ، حتى صرَفه الله إليها .

٢٢٣١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد نَرَى تَقلُّب وجهك فى السماء » ، فكان نبى الله صلى الله عليه وسلم يُصلّى نحو بيتَ المقدس ، يَهوَى وَيشتَهى القبلةَ نحو البيت الحرام ، فوجَّهه الله جل ثناؤه لقبلة كان يهواها ويَشتهيها .

٢٢٣٢ــ حدثنا المثنى قال، حدثنى إسحق قال ، حدثنى ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « قد نرى تقلُّب وَجهك فى السماء » ، يقول : نظرَكَ فى السماء . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقلِّب وجهه فى الصلاة وهو يصلى نحو بيت المقدس ، وكان يهوى قبلةَ البيت الحرام، فولاَّه الله قبلةً كان يهواها .

٢٢٣٣ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان الناس يصلون قبَلَ بيت المقدس ، فلما قَدِم النبى صلى الله عليه وسلم المدينةَ على رأس ثمانية عشر شهراً من مُهاجَره ، كان إذا صلى رفع رأسه إلى السماء يَنظُر ما يُؤمر . وكان يصلّى قبَل بيت المقدس، فنسختها الكعبةُ . فكان النبى صلى الله عليه وسلم يُحب أن يصلى قبَل الكعبة ، فأنزل الله جل ثناؤه : « قد نَرَى تقلب وَجهك فى السماء » الآية .

* * *

ثم اختلف فى السبب الذى من أجله كان صلى الله عليه وسلم يهوى قبلة الكعبة .

قال بعضهم : كره قبلةَ بيت المقدس، من أجل أن اليهودَ قالوا: يتَّبع قبلتنا ويُخالفنا فى ديننا !

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٣٤ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : قالت اليهود : يخالفنا محمد ويتّبع قبلتنا ! فكان يدعو الله جلَّ ثناؤه ويَستفرض القبلةَ ،[1] فنزلت : «قد نَرَى تقلُّب وَجهك فى السماء فلنولينك قبلة تَرْضَاها فول وجهك شَطرَ المسجد الحَرَام »،ــ وانقطع قول يهود :

---

(١) فى المطبوعة : « يستعرض للقبلة » ، وأثبت ما فى الدر المنثور ١ : ١٤٧ وقوله : « يستفرض » أى يطلب فرضها عاليه وعلى المؤمنين . وهذا ما لم تثبته كتب اللغة ، ولكنه صحيح العربية . أما قوله : « يستعرض للقبلة » ، فليست بشىء .

يخالفنا ويتبع قبلتنا! — في صلاة الظهر،[١] فجعل الرجالَ مكانَ النساء، والنساءَ مكانَ الرجال.

٢٢٣٥ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعته — يعني ابن زيد — يقول: قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «فأينما تولوا فثمَّ وجهُ الله». قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هؤلاء قومُ يهودَ يستقبلون بيتاً من بيوت الله — لبيت المقدس — لو أنَّا استقبلناه! فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهراً، فبلغه أن يهودَ تقول: والله ما دَرَى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم![٢] فكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ورفع وجهه إلى السماء، فقال الله جل ثناؤه: «قد نَرَى تقلُّبَ وجهك في السماء فلنولّينَّك قبلةً ترضاها فولِّ وجهك شَطرَ المسجد الحرام» الآية.[٣]

* * *

وقال آخرون: بل كان يهوى ذلك، من أجل أنه كان قبلةَ أبيه إبراهيم عليه السلام

* ذكر من قال ذلك:

٢٢٣٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثرَ أهلها اليهودُ، أمره الله عز وجل أن يستقبل بيتَ المقدس. ففرحت اليهودُ. فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهراً، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحب قبلةَ إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله عز وجل: «قد نرى تقلُّبَ وجهك في السماء» الآية.[٤]

* * *

(١) سياق عبارته: «فنزلت . . . في صلاة الظهر».

(٢) في المطبوعة: «ما درى محمد صلى الله عليه وسلم»، ولا تقوله يهود، فرفعته. وكذلك جاء في رقم: ١٨٣٨.

(٣) الأثر: ٢٢٣٥ — مضى برقم: ١٨٣٨.

(٤) الأثر: ٢٢٣٦ — مضى برقم: ١٨٣٣، ورقم: ٢١٦٠.

فأما قوله: « فلنوَلينَّك قبلة تَرْضَاها » ، فإنه يعنى : فلنصرفنّك عن بيت المقدس ، إلى قبلة «ترضاها»: تَهواها وتُحبها .[1]

* * *

وأما قوله : « فوَلّ وَجهك » ،يعنى : اصرف وجهك وَحوِّله .

* * *

وقوله : « شَطرَ المسجد الحَرَام » ، يعنى : بـ« الشطر » ، النحوَ والقصدَ والتِّلقاء ، كما قال الهذلى :[2]

إنَّ العَسِيرَ بهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطْرَهَا نظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُورُ[3] ١٤/٢

يعنى بقوله : « شَطْرَها » ، نحوها ، وكما قالَ ابن أحمر :

تَعْدُو بِنَا شَطْرَ جَمْعٍ وهْىَ عَاقِدَةٌ قَدْ كَارَبَ العَقْدُ مِنْ إيفَادِهَا الحَقَبَا[4]

* * *

---

(١) انظر معانى « ولى » فيما سلف ٢ : ١٦٢، ٥٣٥ ، وهذا الجزء ٣ : ١٣١

(٢) هو قيس بن العيزارة الهذلى . والعيزارة أمه ، واسمه قيس بن خويلد بن كاهل .

(٣) ديوانه فى أشعار الهذليين للسكرى : ٢٦١ (أوربة) ، ورسالة الشافعى : ٣٥، ٤٨٧، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٠ ، والكامل ١ : ١٢، ٢ : ٣ ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٦٠ ، واللسان (شطر) (حسر)، وغيرها . ورواية الشافعى فى الرسالة : « إن العسيب » بالباء فى آخره ، ورواية ديوانه وابن هشام : « إن النعوس » . والعسير : التى تعسر بذنبها إذا حملت ، من شراستها . والنعوس : التى تغمض عينيها عند الحلب . والعسيب : جريد النخل إذا كشط عنه خوصه . وأرى أنه لم يرد صفة الناقة بأحد هذه الألفاظ الثلاثة ، وإنما هو اسم ناقته . وكلها صالح أن يكون اسما للناقة. وقد قال ابن هشام : « النعوس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ، من قوله : « وهو حسير » . ويروى : « داء يخامرها فنحوها . . . » ، ورواية ديوانه « مخزور » . ومحسور ، هو الحسير : الذى قد أعيى وكل . ومخزور : من قولهم : « خزر بصره » : إذا دانى بين جفنيه ونظر بلحاظه . وهو يصف ناقته ، ويذكر حزنه وحبه لها ، فهو من الداء الذى خامرها مشفق عليها ، يطيل النظر إليها حتى تحسر عيناه ويكل .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٩ ، والروض الأنف ٢ : ٣٨، والخزانة ٣ : ٣٨، ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٦٠ . وفى المطبوعة : « من إنفادها » ، وهو خطأ . وقال : قبله :

أَنْشَأْتُ أَسْأَلُه عَنْ حَالِ رُفْقَتِهِ فقال : حَىَّ ، فَإِنَّ الرَّكْبَ قَدْ نَصَبَا

حى : اعجل . ونصب : جد فى السير : وقوله : « جمع » ، هى مزدلفة ، يريد الحج . وقوله : عاقدة ، أى : قد عطفت ذنبها بين فخذيها . وقوله : كارب ، أى أوشك وكاد وقارب ودنا . وأوفدت الناقة

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٣٧ - حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى العالية : «شَطْرَ المسجد الحَرَام » ، يعنى : تلقاءَه .

٢٢٣٨ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « شطر المسجد الحرام » ، نحوَه .

٢٢٣٩ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام » ، نحوَه .

٢٢٤٠ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٢٤١ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام » ، أى : تلقاءَ المسجد الحرام .

٢٢٤٢ - حدثنا الحسين بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام » ، قال : نحو المسجد الحرام .

إيفاداً : أسرعت . والحقب : الحزام يشد به الرحل فى بطن البعير مما يلى ثيله لئلا يؤذيه التصدير . يقول : قد أسرعوا إسراعاً إلى مزدلفة ، فجعلت تعطف ذنبها تسد به فرجها حتى كاد عقد ذنبها يبلغ الحقب . والناقة تسد فرجها بذنبها فى إسراعها ، يقول المخبل السعدى :

وإِذَ رَفَعْتُ السَّوْطَ ، أَفْزَعَهَا تَحْتَ الضُّلُوعِ مُرَوَّعٌ شَهْمُ

وتَسُدُّ حَاذَيْهَا بِذِى خُصَلٍ عُقِمَتْ فنَاعَمَ ، نَبْتَهُ العُقْمُ

ويقول المثقب العبدى ، يصف ناقته مسرعة :

تَسُدُّ بِدَائِمِ الخَطَرَانِ جَثْلٍ خَوَايَةَ فَرْجِ مِقْلَاتٍ دَهِينِ

٢٢٤٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام » ، أى : تلقاءَه .

٢٢٤٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه قال : « شطرَه » ، نحوَه .

٢٢٤٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن البراء : « فولوا وُجوهكم شَطره » ، قال : قِبَله .

٢٢٤٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، ، قال ابن زيد : « شَطْره » ، ناحيته، جانبه . قال : وجوانبه « شُطوره » .[1]

* * *

ثم اختلفوا فى المكان الذى أمر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يولِّىَ وجهه إليه من المسجد الحرام .

فقال بعضهم : القبلةُ التى حُوِّل إليها النبى صلى الله عليه وسلم ، وعناها الله تعالى ذكره بقوله : « فلنولينَّك قبلة تَرْضاها » ، حيالَ ميزاب الكعبة .

• ذكر من قال ذلك :

٢٢٤٧ — حدثنى عبد الله بن أبى زياد قال، حدثنا عثمان قال، أخبرنا شعبة عن يعلى بن عطاء ، عن يحيى بن قمطة ، عن عبد الله بن عمرو : « فلنولينَّك قبلة ترضاها» ، حيالَ ميزاب الكعبة .[2]

---

(١) الخبر : ٢٢٤٦ — هو وما قبله من الأخبار ، فى تفسير (شطره) بأنه : قبله ، أو : نحوه . وانظر مؤيداً ذلك ، ما قاله الشافعى فى الرسالة ، بتحقيقنا : ١٠٥ — ١١١ ، ١٣٧٨ — ١٣٨١ .

(٢) الحديث : ٢٢٤٧ — عبد الله بن أبى زياد ، شيخ الطبرى : نسب إلى جده . وهو « عبد الله ابن الحكم بن أبى زياد القطوانى » ، واسم « أبى زياد » : « سليمان » . وعبد الله هذا : ثقة ، روى عنه أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وابن خزيمة ، وغيرهم . مترجم فى التهذيب . وابن أبى حاتم ٢/٢/٣٨ .

وشيخه « عثمان » : ما أدرى من هو ؟ وأغلب الظن أنه محرف ، وصوابه « عفان » .

يحيى بن قمطة : تابعى ثقة ، ترجمه البخارى فى الكبير ٤/٢/٢٩٩ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٨١ ،

٢٢٤٨ — وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا هشيم ، عن يعلى بن عطاء ، عن يحيى بن قمطة قال : رأيت عبد الله بن عمرو جالساً فى المسجد الحرام بإزاء الميزاب ، وتلا هذه الآية : «فلنولينك قبلة ترضاها» ، قال : هذه القبلة ، هى هذه القبلة .

٢٢٤٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم — بإسناده عن عبد الله بن عمرو ، نحوه — إلاّ أنه قال : استقبل الميزاب فقال : هذه القبلة التى قال الله لنبيه : «فلنولينك قبلةً ترضاها» .[1]

* * *

وقال آخرون : بل ذلك البيت كله قبلةٌ، وقبلةُ البيت الباب .

* ذكر من قال ذلك :

وذكر أنه حجازى ، ولم يذكرا فيه جرحاً . وذكر البخارى أنه يروى «عن ابن عمر» . وذكر ابن أبى حاتم أنه يروى «عن عبد الله بن عمرو» . وذكره ابن حبان فى الثقات ، ص : ٣٧١ ، وقال : «يروى عن ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو» . روى عنه يعلى بن عطاء .

واسم أبيه : «قمطة» بالقاف ثم الميم ثم الطاء المهملة . ولم أجد ما يدل على ضبط هذه الحروف . لكنه ثبت هكذا فى الطبرى وتفسير عبد الرزاق ومراجع الترجمة . ووقع فى ابن كثير والمستدرك «قطة» بدون الميم . وهو خطأ ، لمخالفته ما ذكرنا عن المراجع .

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٦٩ ، من طريق مسلم بن إبرهيم ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، مطولا بنحو الرواية التى بعد هذه . وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» . ووافقه الذهبى .

(١) الحديثان : ٢٢٤٨ ، ٢٢٤٩ — وهذان إسنادان آخران للحديث قبلهما . وأولهما من رواية عبد الرزاق ، عن هشيم ، عن يعلى بن عطاء .

وهشيم — بالتصغير : هو ابن بشير ، بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة . وهو أبو معاوية بن أبى خازم ، وهو حافظ ثقة ثبت . مترجم فى التهذيب . والكبير ٤/٢/٢٤٢ ، وابن سعد ٧/٢/٦١ ، ٧٠ . وابن أبى حاتم ٤/٢/١١٥ — ١١٦ . وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٢٩ — ٢٣٠ .

والحديث فى تفسير عبد الرزاق، ص : ١٣ ، بهذا الإسناد . وليس فيه كلمة «هى» المزادة هنا بعد قوله : «هذه القبلة» . وأخشى أن تكون زيادتها غير جيدة ولا ثابتة .

وذكر ابن كثير ١ : ٣٥٢ ، أنه رواه أيضاً ابن أبى حاتم «عن الحسن بن عرفة ، عن هشيم ، عن يعلى بن عطاء» . ووقع اسم «هشيم» فيه محرفاً ، فيصحح من هذا الموضع .

والحديث فى الدر المنثور أيضاً ١ : ١٤٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، وسعيد بن منصور ، وأحمد بن منيع فى مسنده ، وابن المنذر ، والطبرانى فى الكبير . وهو فى مجمع الزوائد ٦ : ٣١٦ ، وقال : «رواه الطبرانى من طريقين ، ورجال إحداهما ثقات» .

٢٢٥٠ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : البيت كله قبلة ، وهذه قبلةُ البيت — يعنى التى فيها الباب .(١)

• • •

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ما قال الله جل ثناؤه : « فولِّ وجهك شَطر المسجد الحرام » ، فالمولِّى وجهه شطرَ المسجد الحرام ، هو المصيبُ القبلةَ . وإنما عَلى من توجه إليه النيةُ بقلبه أنه إليه متوجِّه ، كما أن على من ائتمّ بإمام فإنما عليه الائتمام به ، وإن لم يكن مُحاذياً بدنُه بدنَه ، وإن كان فى طَرَف الصّفّ والإمام فى طرف آخر ، عن يمينه أو عن يساره ، بعد أن يكون من خلفه مُؤتمًّا به ، مصلياً إلى الوجه الذى يصلِّى إليه الإمام . فكذلك حكمُ القبلة ، وإنْ لم يكن يحاذيها كل مصلّ ومتوَجِّه إليها ببدنه ، غير أنه متوجِّه إليها . فإن كان عن يمينها أو عن يسارها مقابلَها ، فهو مستقبلها ، بعُد ما بينهَ وبينها أو قَرُب ، من عن يمينها أو عن يسارها ، بعد أن يكون غيرَ مستدبرها ولا منحرفٍ عنها ببدنه ووَجهه ، كما :

٢٢٥١ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن عميرة بن زياد الكندى ، عن على : « فول وجهك شطر المسجد الحرام » ، قال : شطرُه ، قبله .(٢)

• • •

---

(١) الخبر : ٢٢٥٠ — نقله السيوطى ١ : ١٤٧ ، عن الطبرى وحده ، بلفظ : « البيت كله قبلة ، وقِبلة البيت الباب » .

(٢) الحديث : ٢٢٥١ — أبو إسحق : هو السبيعى الهمدانى .

عميرة — بفتح العين — بن زياد الكندى : تابعى ثقة ، ترجمه ابن سعد فى الطبقات ٦ : ١٤١ ، وقال : « روى عن عبد الله » . أراد بذلك عبد الله بن مسعود . وترجمه البخارى فى الكبير ٤/١/٦٩ . وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٤ . ولم يذكرا فيه جرحاً ، ولا رواية عن غير ابن مسعود . وذكرا أن الراوى عنه أبو إسحق .

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٦٩ ، من طريق محمد بن كثير ، عن سفيان — وهو الثورى — عن أبى إسحق بهذا الإسناد . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

قال أبو جعفر : وقبلةُ البيت بابه ، كما : —

٢٢٥٢ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم والفضل بن الصبَّاح قالا ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء قال ، قال أسامة بن زيد : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجَ من البيت أقبلَ بوجهه إلى الباب ، فقال : هذه القبلةُ ، هذه القبلة .(١)

٢٢٥٣ — حدثنا ابن حميد وسفيان بن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك ابن أبى سليمان ، عن عطاء قال ، حدثنى أسامة بن زيد قال : خرج النبى صلى

وكذلك رواه البيهقى فى السنن الكبرى ج ٢ ص ٣ ، عن الحاكم .

وذكره السيوطى ١ : ١٤٧ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والدينورى فى المجالسة .

وذكره ابن كثير ١ : ٢٦٨ ، نقلا عن الحاكم .

ولفظه عندهم جميعاً : « قال : شطره قبله » ، كما أثبتنا . ووقع فى المطبوعة هنا : « قال : شطره فينا قبلة » ! ! وهو خطأ سخيف ، من ناسخ أو طابع .

ووقع فى الإسناد فى ابن كثير « محمد بن إسحق » بدل « أبى إسحق » . وهو خطأ يخالف ما ثبت هنا ، وما ثبت فى سائر المراجع .

ووقع فيه فى ابن كثير والمستدرك ومختصره للذهبى — المطبوع والمخطوط — « عمير بن زياد » . وهو خطأ أيضاً . وثبت على الصواب فى رواية البيهقى عن الحاكم .

(١) الحديث : ٢٢٥٢ — الفضل بن الصباح البغدادى : ثقة ، وثقه ابن معين . وقال أبو القاسم البغوى : « كان من خيار عباد الله » . مترجم فى التهذيب . وابن أبى حاتم ٣/٢/٦٣ .

عبد الملك : هو ابن أبى سليمان العرزمى ، مضى فى : ١٤٥٥ .

عطاء : هو ابن أبى رباح ، التابعى الكبير ، الإمام الحجة ، القدوة العلم ، مفتى أهل مكة ومحدثهم . مترجم فى التهذيب . وابن أبى حاتم ٣/١/٣٣٠ — ٣٣١ . وتذكرة الحفاظ ١ : ٩٢ : ٩٣ ، وتاريخ الإسلام ٤ : ٢٧٨ — ٢٨٠ ، وابن سعد ٢/٢/١٣٣ — ١٣٤ ، و ٥ : ٣٤٤ — ٣٤٦ .

أسامة بن زيد بن حارثة : هو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه .

وقد زعم أبو حاتم — فيما حكاه عنه ابنه فى المراسيل : ص : ٥٧ — أن عطاء لم يسمع من أسامة . ولكن الرواية التالية لهذه ، فيها تصريح عطاء بالسماع منه . ثم المعاصرة كافية فى ثبوت الاتصال ، كما هو الراجح عند أهل العلم بالحديث .

وعطاء ولد سنة ٢٧ ومات سنة ١١٤ . بل ذكر الذهبى أنه مات عن ٩٠ سنة . وأسامة بن زيد مات سنة ٥٤ . بل أرخ مصعب الزبيرى وفاته فى آخر خلافة معاوية سنة ٥٨ أو ٥٩ .

وهذا الحديث رواه أحمد فى المسند (٥ : ٢٠٩)، عن هشيم ، بهذا الإسناد واللفظ . ثم رواه عقبه ، بالإسناد نفسه مطولا ، بنحوه .

الله عليه وسلم من البيت فصلى ركعتين مستقبلاً بوجهه الكعبة ، فقال : هذه القبلةُ ، مرتين .(١) ١٥/٢

٢٢٥٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، عن أسامة بن زيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه .(٢)

٢٢٥٥ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : سمعت ابن عباس يقول : إنما أمرتم بالطَّوَاف ولم تؤمروا بدخوله . قال : قال : لم يكن يَنْهَى عن دخوله ، ولكنى سمعته يقول : أخبرنى أسامة ابن زيد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل البيتَ دعا فى نواحيه كلها ، ولم يصلّ حتى خرج ، فلما خرج ركع فى قِبَل القبلة ركعتين ، وقال : هذه القبلة .(٣)

* * *

(١) الحديث : ٢٢٥٣ — ابن حميد : هو محمد بن حميد بن حيان الرازى الحافظ . سبقت رواية الطبرى عنه مراراً كثيرة ، ووثقناه فى ٢٠٢٨ . ونزيد هنا أنه وثقه ابن معين وغيره . وأنكروا عليه أحاديث ، وأجاب عنه ابن معين بأن « هذه الأحاديث التى يحدث بها ، ليس هو من قبله ، إنما هو من قبل الشيوخ الذى يحدث به عنهم » . وقال الخليلى : « كان حافظاً عالماً بهذا الشأن ، رضيه أحمد ويحيى » . وعرض عبد الله بن أحمد على أبيه ما كتبه عنه ، فقال : أما حديثه عن ابن المبارك وجرير ، فصحيح ، وأما حديثه عن أهل الرى ، فهو أعلم » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٦٩ — ٧٠ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٣٢ — ٢٣٣ ، والخطيب ٢ : ٢٥٩ — ٢٦٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٦٧ — ٦٩ .

جرير : هو ابن عبد الحميد بن قرط الضبى الرازى ، وهو ثقة حجة . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ١/٢/٢١٤ ، وابن سعد ٧/٢/١١٠ . وابن أبى حاتم ١/١/٥٠٥ — ٥٠٧ ، والخطيب ٧ : ٢٥٣ — ٢٦١ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٥٠ .

فهذا إسناد صحيح ، صرح فيه عطاء بالسماع من أسامة بن زيد ، كما أشرنا فى الإسناد السابق . والحديث رواه أحمد فى المسند (٥ : ٢١٠ ح) ، ضمن قصة ، عن يحيى — وهو القطان — عن عبد الملك « حدثنا عطاء ، عن أسامة بن زيد » .

(٢) الحديث : ٢٢٥٤ — عبد الرحيم بن سليمان : هو المروزى الأشل ، مضت ترجمته : ٢٠٣٠ . والحديث تكرار لسابقه ، لكن لم يصرح فى هذا الإسناد بسماع عطاء من أسامة .

(٣) الحديث ٢٢٥٥ — سعيد بن يحيى بن سعيد ، الأموى : ثقة ثبت ، بل قال على بن المدينى : « جماعة من الأولاد أثبت عندنا من آبائهم . . . وهذا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى : أثبت من أبيه » . وهو من شيوخ البخارى ومسلم وأبى زرعة وأبى حاتم ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٧٧ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٧٤ ، والخطيب ٩ : ٩٠ — ٩١ .

قال أبو جعفر : فأخبر صلى الله عليه وسلم أنّ البيت هو القبلة ، وأن قبلة البيت بابه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : فأينما كنتم من الأرض أيها المؤمنون فحوّلوا وُجوهكم فى صلاتكم نَحو المسجد الحرام وتلقاءَه .

و « الهاء » التى فى « شطرَه » ، عائدة إلى المسجد الحرام .

فأوجب جل ثناؤه بهذه الآية على المؤمنين ، فرضَ التوجُّه نحو المسجد الحرام

أبوه ، يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص : حافظ ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٧٧/٢/٤ ، وابن سعد ٦ : ٢٧٧ – ٢٧٨ ، و ٨٠/٢/٧ – ٨١ . وابن أبى حاتم ٢/٤/ ١٥١ – ١٥٢ ، والخطيب ١٤ : ١٣٢ – ١٣٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٩٨ .

والحديث رواه أحمد فى المسند (٥ : ٢٠٨ ح) ، عن عبد الرزاق ، وروح – كلاهما عن ابن جريج ، بهذا الإسناد نحوه .

رواه قبل ذلك (ص : ٢٠١ ح) عن عبد الرزاق وحده ، مختصراً ، طوى القصة فلم يذكرها .

وليس فى هذا الحديث ما ينفى أن يكون عطاء سمع الحديث من أسامة بن زيد ، لأنه – هنا – إنما يجيب السائل عن قول ابن عباس ، وينفى أن يكون ابن عباس ينهى عن دخول البيت . فهو يذكر رواية ابن عباس عن أسامة ، من أجل هذا . ولا يمنع هذا أن يكون الحديث عند عطاء عن أسامة مباشرة .

والحديث رواه أيضاً مسلم ١ : ٣٧٦ – ٣٧٧ ، من طريق محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، بهذا الإسناد ، نحو هذه القصة ، أطول منها قليلا .

ورواه البخارى ١ : ٤٢٠ – ٤٢١ (فتح البارى) ، من طريق عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، مختصراً . لم يذكر القصة ، ولم يذكر أنه عن أسامة ، جعله من حديث ابن عباس. وذكر الحافظ أنه رواه الإسماعيل وأبو نعيم ، فى مستخرجيهما ، من طريق إسحق بن راهويه ، عن عبد الرزاق ، بإسناده هذا : « فجعله من رواية ابن عباس عن أسامة بن زيد » . قال الحافظ : « وهو الأرجح » .

والخلاف فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة أو لم يصل – مذكور فى الدواوين . والراجح صلاته فيها . المثبت مقدم على النافى . وانظر نصب الراية ٢ : ٣١٩ – ٣٢٢ .

فى صلاتهم حيث كانوا من أرض الله تبارك وتعالى .

وأدخلت « الفاء » فى قوله : « فولوا » ، جواباً للجزاء . وذلك أن قوله : « حيثما كنتم » جزاء ، ومعناه : حيثما تكونوا فولوا وجوهكم شطره .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإنّ الذين أوتُوا الكتاب » ، أحبارَ اليهود وعلماء النصارى .

* * *

وقد قيل : إنما عنى بذلك اليهودَ خاصةً .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٥٦ — حدثنا موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإنّ الذين أوتوا الكتاب » ، أنزل ذلك فى اليهود .

* * *

وقوله : « ليعلمون أنه الحق من ربهم » ، يعنى هؤلاء الأحبارَ والعلماءَ من أهل الكتاب ، يعلمون أن التوجُّهَ نحو المسجد ، الحقُّ الذى فرضه الله عز وجل على إبراهيم وذريته وسائر عباده بعده .

* * *

ويعنى بقوله : « من رَبِّهم » أنه الفرضُ الواجب على عباد الله تعالى ذكره ، وهو الحقُّ من عند ربهم ، فَرَضَه عليهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تبارك وتعالى : وليس الله بغافل عما تعملون أيها المؤمنون ، فى اتباعكم أمرَه ، وانتهائكم إلى طاعته ، فيما ألزمكم من فرائضه ، وإيمانكم به فى صَلاتكم نحو بيت المقدس ، ثم صلاتكم من بعد ذلك شطرَ المسجد الحرام ، ولا هو ساه عنه ،[1] ولكنه جل ثناؤه يُحصيه لكم ويدّخره لكم عنده ، حتى يجازيكم به أحسن جزاء ، ويثيبكم عليه أفضلَ ثواب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تبارك اسمه : ولئن جئتَ ، يا محمد ، اليهودَ والنصارَى ، بكل برهان وحجة — وهى « الآية » —[2] بأن الحق هو ماجئتهم به ، من فرض التحوُّل من قبلة بيت المقدس فى الصلاة ، إلى قبلة المسجد الحرام ، ما صدّقوا به ، ولا اتّبعوا — مع قيام الحجة عليهم بذلك — قبلتَك التى حوّلتُك إليها ، وهى التوجُّه شطرَ المسجد الحرام .

* * *

قال أبو جعفر : وأجيبت « لئن » بالماضى من الفعل ، وحكمها الجوابُ بالمستقبل ، تشبيهاً لها بـ« لو » ، فأجيبت بما تجاب به « لو » ، لتقارب معنييهما .

---

(١) انظر تفسير « غافل » فيما سلف ٢ : ٢٤٣ — ٢٤٤ ، ٣١٥ ، وهذا الجزء ٣ : ١٢٧

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف ١ : ١٠٦ / ٢ : ٥٥٣

وقد مضى البيان عن نظير ذلك فيما مضى.[١] وأجيبت «لو» بجواب الأيمان. ولا تفعل العربُ ذلك إلا فى الجزاء خاصة، لأن الجزاء مُشابه اليمين: فى أن كل واحد منهما لا يتم أوّله إلا بآخره، ولا يتمُّ وحده، ولا يصحّ إلا بما يؤكَّدبه بعدَه. فلما بدأ باليمين فأدخلت على الجزاء، صارت «اللام» الأولى بمنزلة يمين، والثانية بمنزلة جواب لها، كما قيل: «لعمرك لتقومَنَّ» إذ كثرت «اللام» من «لعمرك»، حتى صارت كحرف من حروفه، فأجيب بما يجاب به الأيمان، إذ كانت «اللام» تنوب فى الأيمان عن الأيمان، دون سائر الحروف، غير التى هى أحقُّ به الأيمان. فتدلّ على الأيمان، وتعمل عمل الأجوبة، ولا تدلّ سائر أجوبة الأيمان لنا على الأيمان.[٢] فشبهت «اللام» التى فى جواب الأيمان بالأيمان، لما وصفنا، فأجيبت بأجوبتها.

* * *

فكان معنى الكلام — إذ كان الأمر على ما وصفنا —: لو أتيتَ الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك.

* * *

وأما قوله: «وما أنتَ بتابع قِبلتهم»، يقول: وما لك من سبيل يا محمد إلى اتّباع قبلتهم. وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس بصلاتها، وأن النصارى تستقبل المشرقَ، فأنّى يكون لك السبيل إلى اتباع قِبلتهم، مع اختلاف وجوهها؟ يقول: فالزم قبلتَك التى أمِرت بالتوجه إليها، ودعْ عنك ما تقولُه اليهود والنصارى وتدعوك إليه من قبلتهم واستقبالها.

١٦/٢

* * *

وأما قوله: «وما بعضهم بتابع قبلة بعض»، فإنه يعنى بقوله: وما اليهود بتابعةٍ قبلةَ النصارى، ولا النصارى بتابعةٍ قبلة اليهود فتوجَّهةٌ نحوها، كما: —

٢٢٥٧ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «وما بعضهم بتابع قبلة بعض»، يقول: ما اليهود بتابعى

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٥٨، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٨٤.

(٢) قوله: «أجوبة الأيمان لنا على الأيمان» هذه عبارة غامضة، لم أظفر لها بوجه أرتضيه، وأنا لا أشك فى تحريفها أو نقصها.

قبلةِ النصارى ، ولا النصارى بتابعى قبلةِ اليهود . قال : وإنما أنزلت هذه الآية من أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حُوِّل إلى الكعبة، قالت اليهود: إن محمداً اشتاقَ إلى بلد أبيه ومولده ! ولو ثبت على قبلتنا لكُنا نرجو أن يكون هو صاحبَنا الذى ننتظر ! فأنزل الله عز وجل فيهم : « وإنَّ الذين أوتوا الكتابَ ليعلمون أنه الحق من ربهم » إلى قوله : « ليكتمون الحق وهم يعلمون » . (١)

٢٢٥٨ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وما بعضهم بتابع قبلةَ بعض » ، مثل ذلك .

* * *

وإنما يعنى جل ثناؤه بذلك: أن اليهود والنصارى لا تجتمع على قبلة واحدة ، مع إقامة كل حزب منهم على مِلّتهم . فقال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، لا تُشعر نفسك رضَا هؤلاء اليهود والنصارى ، فإنه أمر لا سبيل إليه . لأنهم مع اختلاف مللهم لا سبيل لكَ إلى إرضاء كل حزب منهم . من أجل أنك إن اتبعت قبلةَ اليهود أسخطتَ النصارى ، وإن اتّبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود ، فدع ما لا سبيل إليه، وادعُهم إلى ما لهم السبيل إليه، من الاجتماع على مِلّتك الحنيفيّة المسلمة، وقبلتِك قبلةِ إبراهيم والأنبياء من بعده .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١٤٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولئن اتبعت أهواءهم » ، ولئن التمست يا محمد رضَا هؤلاء اليهود والنصارى ، الذين قالوا لك ولأصحابك : « كونوا هُوداً أو نصارى تهتدوا » ، فاتبعتَ قبلتهم — يعنى : فرجعت إلى قبلتهم .

---

(١) الأثر : ٢٢٥٧ — انظر ما مضى رقم : ٢٢٠٤ .

ويعنى بقوله : « من بعد ما جاءك من العلم » ، من بعد ما وصل إليك من العلم ، بإعلامى إياك أنهم مقيمون على باطل ، وعلى عنادٍ منهم للحق ، ومعرفةٍ منهم أنّ القبلة التى وجهتُك إليها هى القبلةُ التى فرضتُ على أبيك إبراهيم عليه السلام وسائر ولده من بعده من الرسل — التوجُّهَ نحوها ، « إنك إذاً لمن الظالمين » ، يعنى : إنك إذا فعلت ذلك ، من عبادى الظَّلَمةِ أنفسَهم ، المخالفين أمرى ، والتاركين طاعتى ، وأحدُهم ، وفى عِدادِهم .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه » ، أحبارَ اليهود وعلماء النصارى : يقول : يعرف هؤلاء الأحبارُ من اليهود ، والعلماءُ من النصارى : أن البيتَ الحرام قبلتُهم وقبلة إبراهيم وقبلةُ الأنبياء قبلك ، كما يعرفون أبناءَهم ، كما : —

٢٢٥٩ — حدثنا بشر بن معاذ : قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يَعرفونه كما يَعرفون أبناءهم » ، يقول : يعرفون أن البيت الحرام هو القبلةُ .

٢٢٦٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قول الله عز وجل : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونهُ كما يعرفونَ أبناءهم » ، يعنى : القبلةَ .

---

(١) السياق : « من عبادى الظلمة . . . وأحدهم ، وفى عدادهم » .

٢٢٦١ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، عرفوا أن قِبلة البيت الحرام هى قبلتُهم التى أمِروا بها ، كما عرفوا أبناءهم .

٢٢٦٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفونَ أبناءهم » ، يعنى بذلك : الكعبةَ البيتَ الحرام .

٢٢٦٣ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، يعرفون الكعبة هى قبلة الأنبياء ، كما يعرفون أبناءهم.[1]

٢٢٦٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، قال : اليهود يعرفون أنها هى القبلة ، مكة .

٢٢٦٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج فى قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، قال : القبلةُ والبيتُ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٤٦)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وإنّ طائفةً من الذين أوتوا الكتاب — وهُمُ اليهود والنصارى . وكان مجاهد يقول : هم أهل الكتاب .

٢٢٦٦ — حدثنى محمد بن عمرو — يعنى الباهلى — قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بذلك .

(١) فى المطبوعة : « يعرفون الكعبة من قبلة الأنبياء » .

٢٢٦٧ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج مثله .

٢٢٦٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وقوله : « ليكتمون الحق » ، ــ وذلك الحقّ هو القبلة = التى وجَّه الله عز وجل إليها نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم. يقول : فَوَلِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام = التى كانت الأنبياء من قبل محمدٍ صلى الله عليه وسلم يتوجَّهون إليها ، فكتمتها اليهودُ والنصارى ، فوجَّه بعضُهم شرقاً ، وبعضُهم بيتَ المقدس ، ورفضُوا ما أمرهم الله به ، وكتموا مَعَ ذلك أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونَه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل . فأطلع الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأمَّتَه على خيانتهم اللهَ تبارك وتعالى، وخيانتهم عبادَه ، وكتمانهم ذلك ، وأخبر أنهم يفعلون ما يَفعلون من ذلك على علم منهم بأن الحق غيرُه ، وأن الواجب عليهم من الله جل ثناؤه خلافُه ، فقال : « ليكتمونَ الحق وهم يعلمون » ، أنْ لَيس لَهم كتمانه ، فيتعمَّدون معصية الله تبارك وتعالى ، كما : ــ[1] ١٧/٢

٢٢٦٩ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وُهمْ يعلمون » ، فكتموا محمداً صلى الله عليه وسلم .

٢٢٧٠ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبوحذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ليكتمون الحق وَهمْ يعلمون » ، قال : يكتمون محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل .

---

(١) من أول قوله : « كما حدثنا بشر بن معاذ » ، إلى حيث نذكر فى ص ٢٠٧ تعليق : ٢ موجود فى ست عشرة صفحة بقيت من القسم المفقود من النسخة العتيقة .

٢٢٧١ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » ، يعني القبلةَ

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (١٤٧)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره[١] : اعلم يا محمد أنّ الحق ما أعلمك ربك وأتاك من عنده ، لا ما يقول لكَ اليهود والنصارى .

وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره لنبيه عليه السلام :[٢] عن أن القبلة التي وجهه نحوها ، هي القبلةُ الحقُّ التي كان عليها إبراهيم خليل الرحمن ومَنْ بعده من أنبياء الله عز وجل

يقول تعالى ذكره له : فاعمل بالحقّ الذي أتاك من ربِّك يا محمد، ولا تكوننّ من الممترين .

• • •

يعني بقوله : « فلا تكونن من الممترين » ، أي : فلا تكونن من الشاكّين في أن القبلة التي وجّهتك نحوها قبلةُ إبراهيم خليلي عليه السلام وقبلة الأنبياء غيره، كما :

٢٢٧٢ — حدثني المثنى قال، حدثني إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال الله تعالى ذكره لنبيه عليه السلام : « الحقُّ من ربك فلا تكونن من الممترين » ، يقول : لا تكنْ في شك ، فإنها قبلتُك وقبلةُ الأنبياء من قبلك .[٣]

(١) في المطبوعة : « يقول الله جل ثناؤه » ، وأثبت نص المخطوطة .
(٢) في المطبوعة « وهذا من الله تعالى ذكره خبر » ، وأثبت ما في المخطوطة .
(٣) في المطبوعة : « فلا تكن في شك أنها » ، بإسقاط الفاء من « فإنها » .

٢٢٧٣- حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « فلا تكونن من الممترين » ، قال : من الشاكين ، قال : لا تشكنّ في ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما « الممترى »[1] « مفتعل » ، من « المرْية » . و« المِرْية » هي الشك ، ومنه قول الأعشى :

تَدِرُّ عَلَى أَسْوُقِ المُمْتَرِيـــنَ رَكْضًا، إِذَا مَا السَّرَابُ أَرْجَحَنْ[2]

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : أوَ كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكًّا في أنّ الحق من ربه ، أو في أن القبلة التي وجّهه الله إليها حق من الله تعالى ذكره ، حتى نُهى عن الشك في ذلك ، فقيل له : « فلا تكونن من الممترين » ؟

قيل : ذلك من الكلام الذى تُخرجه العرب مُخرَجَ الأمر أو النهى للمخاطب به ، والمراد به غيره ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ ﴾ [سورة الأحزاب : ١] ، ثم قال : ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ

(١) في المطبوعة : « والممترى » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) ديوانه : ٢٠ واللسان (رجحن) من قصيدة سلف بيت منها في ١ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، يصف خيلا مغاوير لقيس بن معديكرب الكندى ، أغارت على قوم مسرعة حثيثة ، فبينا القوم يتمارون فيها إذا بها :-

تُبَارِى الزِّجَاجَ مَغَاوِيرُهَا شَمَاطِيط فى رَهَجٍ كالدُّخَنْ
تَدِرُّ عَلَى أَسوُق . . . .

در الفرس يدر دريراً ودرة : عدا عدواً شديداً . لا يثنيه شيء . والأسوق جمع ساق ، ويجمع أيضاً على سوق وسيقان . يقول : بينماهم يتمارون إذ غشيتهم الخيل فصرعتهم ، فوطئتهم وطئاً شديداً ، ومرت على سيقانهم عدواً . وارجحن السراب : ارتفع واتسع واهتز ، وذلك في وقت ارتفاع الشمس .

مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢] . فخرج الكلام مخرج الأمرِ للنبي صلى الله عليه وسلم والنهيِ له ، والمراد به أصحابه المؤمنون به . وقد بينا نظيرَ ذلك فيما مضى قبل بما أغنىَ من إعادته.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « ولكلٍّ » ، ولكل أهل ملة ،(٢) فحذف « أهلُ الملة » ، واكتفى بدلالة الكلام عليه ، كما : —

٢٢٧٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « ولكلٍّ وِجْهة » ، قال : لكل صاحب ملة .

٢٢٧٥ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، : « ولكلٍّ وجهة هو موليها » ، فلليهوديّ وجهة هو موليها ، وللنصرانى وجهة هو موليها ، وهداكم الله عز وجل أنتم أيها الأمّة للقِبلة التى هى قبلة .(٣)

٢٢٧٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال ، قلت لعطاء قوله : « ولكل وجهة هو موليها » ، قال : لكل أهل دين ، اليهودَ والنصارَى . قال ابن جريج ، قال مجاهد : لكل صاحب مِلة .

٢٢٧٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولكل وجهة هو موليها » ، قال : لليهود قبلة ، وللنصارى قبلة ، ولكم قبلة ، يريد المسلمين .

٢٢٧٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ،

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٨٤ — ٤٨٨ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « . . . تعالى ذكره ولكل أهل ملة » ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « فلليهود وجهة هو موليها » ، و « وللنصارى قبلة هو موليها » ، والصواب من المخطوطة . وفيها أيضاً : « التى هى قبلته » وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو جيد .

حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولكلٍّ وجهةٌ هو مولّيها » ، يعنى 18/2 بذلك أهلَ الأديان : يقول : لكلٍّ قبلةٌ يرضَونها ، ووجهُ الله تبارك وتعالى اسمه حيثُ تَوَجَّه المؤمنون . وذلك أن الله تعالى ذكره قال : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة : ١١٥]

٢٢٧٩ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولكلٍّ وجْهة هو موليها » ، يقول : لكل قوم قبلة قد ولَّوْها .

* * *

فتأويل أهل هذه المقالة فى هذه الآية : ولكل أهل ملة قبلةٌ هو مستقبلها ، وموَلٍّ وجهه إليها .

* * *

* وقال آخرون بما : —

٢٢٨٠ — حدثنا به الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ولكل وجهة هو موليها » ، قال : هى صلاتهم إلى بيت المقدس ، وصلاتهم إلى الكعبة .

* * *

وتأويل قائل هذه المقالة : ولكلٍّ ناحية وجَّهك إليها ربّك يا محمد قبلة ، اللهُ عز وجل مُولِّيها عبادَه .

* * *

وأما « الوِجهة » ، فإنها مصدر مثل « القِعدة » و « المِشية » ، من « التوجّه » . وتأويلها : مُتوَجَّهٌ ، يتوجَّه إليه بوَجهه فى صلاته ،[1] كما : —

٢٢٨١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وجهة » ، قبلةٌ .

(١) فى المطبوعة : « يتوجه إليها » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وانظر معانى القرآن للفراء : ٩٠ « وجهة » .

٢٢٨٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٢٨٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ولكل وجهة » ، قال : وَجْهٌ .

٢٢٨٤ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وِجْهه » ، قِبلة .

٢٢٨٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير قال،قلت لمنصور : « ولكل وجْهة هو مولِّيها » ، قال: نحن نقرؤها ، ولكلٍّ جعلنا قِبلة يرضَوْنها.[1]

* * *

وأما قوله : « هو مُولِّيها » ، فإنه يعني هو مولٍّ وجهه إليها ومستقبلها ،[2] كما :—

٢٢٨٦ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبوعاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « هو موليها » ، قال : هو مستقبلها .

٢٢٨٧ — حدثني المثنىقال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

ومعنى « التوْلية » ههنا الإقبال ، كما يقول القائل لغيره : « انصرِف إليّ » بمعنى : أقبل إليّ . « والانصراف » المستعمل، إنما هو الانصراف عن الشيء، ثم يقال: « انصرفَ إلى الشيء» ، بمعنى :أقبل إليهمنصرفاً عن غيره . وكذلك يقال«ولّيت عنه» ، إذا أدبرت عنه. ثم يقال: «ولّيت إليه» ، بمعنى أقبلت إليه مولّياً عن غيره .[3]

* * *

(١) قوله : « نقرؤها » ، لا يعني أنها قراءة في قراآت القرآن ، وإنما يعني دراستها والتفقه في معانيها .

(٢) في المطبوعة : « مستقبلها » بحذف الواو ، وهي جيدة .

(٣) انظر معنى « التولية» فيما سلف ٢ : ٥٣٥ ، وهذا الجزء ٣ : ١٧٥ وانظر أيضاً ٢ : ١٦٢ ، ثم هذا الجزء ٣ : ١١٥ ، وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٨٥ .

والفعل — أعنى « التولية » — فى قوله : « هو موليها » لا « كل » . و « هو » التى مع « موليها » ، هو « الكل » ، وُحِّدت للفظ « الكل » .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : ولكل أهل مِلة وجهة ، الكلُّ منهم مولُّوها وُجوهَهم.[1]

* * *

وقد روى عن ابن عباس وغيره أنهم قرأوها : « هو مُوَلاَّها » ، بمعنى أنه مُوجَّهٌ نحوها. ويكون « الكل» حينئذ غير مسمًّى فاعله ،[2] ولو سُمى فاعله ، لكان الكلام : ولكلّ ذى ملة وجهةٌ ، اللهُ مولِّيه إياها ، بمعنى : موجِّهه إليها .

* * *

وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك : « ولكُلِّ وِجهةٍ » بترك التنوين والإضافة. وذلك لحنٌ ، ولا تجوز القراءةُ به . لأن ذلك — إذا قرئ كذلك — كان الخبرُ غير تامٌّ وكان كلاماً لا معنى له . وذلك غير جائز أن يكون من الله جل ثناؤه .

* * *

والصواب عندنا من القراءة فى ذلك : « ولكلٍّ وِجهةٌ هُوَ مُولِّيها » ، بمعنى : ولكلّ وجهةٌ وقبلةٌ ، ذلك الكُلّ مُولّ وجهه نحوها . لإجماع الحجة من القرّاء على قراءة ذلك كذلك ، وتصويبها إياها ، وشذوذ من خالف ذلك إلى غيره . وما جاءَ به النقلُ مستفيضاً فحُجة ، وما انفرد به من كان جائزاً عليه السهو والغلط ،[3] فغيرُ جائز الاعتراضُ به على الحجة .

* * *

(١) فى المطبوعة : « لكل منهم مولوها » ، وهو كلام مختل ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ويكون الكلام حينئذ » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « السهو والخطأ » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فاستبقوا » ، فبادروا وسارعوا ، من « الاستباق » ، وهو المبادرة والإسراع ، كما : —

٢٢٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فاستبقوا الخيرات » ، يقول : فسارعوا فى الخيرات.[١]

* * *

وإنما يعنى بقوله : « فاستبقوا الخيرات » ، أى : قد بيّنت لكم أيها المؤمنون الحقّ ، وهديتكم للقبلة التى ضلّت عنها اليهود والنصارى وسائرُ أهل الملل غيركم ، فبادروا بالأعمال الصالحة ، شكراً لربكم ، وتزوّدوا فى دنياكم لآخرتكم ،[٢] فإنى قد بيّنت لكم سبُل النجاة ،[٣] فلا عذر لكم فى التفريط ، وحافظوا على قبلتكم ، فلا تضيّعوها كما ضيّعتها الأمم قبلكم ،[٤] فتضلّوا كما ضلت ؛ كالذى : —

٢٢٨٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فاستبقوا الخيرات » ، يقول : لا تُغلَبُنّ على قبلتكم .

٢٢٩٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فاستبقوا الخيرات » ، قال : الأعمال الصالحة .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى : فسارعوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « لأخراكم » ، وهما سواء فى المعنى .

(٣) فى المطبوعة : « سبيل النجاة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « ولا تضيعوها كما ضيعها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى أجود .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨)

قال أبو جعفر: ومعنى قوله: « أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً»، فى أىّ مكان وبقعة تهلكون فيه،[1] يأت بكم الله جميعاً يوم القيامة، إن الله على كل شىء قدير، كما:-

٢٢٩١ - حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع: « أينما تكونوا يأت بكمُ الله جميعاً »، يقول: أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً يوم القيامة. ١٩/٢

٢٢٩١ م - حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً »، يعنى: يومَ القيامة.

* * *

قال أبو جعفر: وإنما حضّ الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية على طاعته، والتزوُّد فى الدنيا للآخرة، فقال جل ثناؤه لهم: فاستبقوا أيها المؤمنون إلى العمل بطاعة ربكم، ولزوم ما هداكم له من قبلة إبراهيم خليله وشرائع دينه، فإن الله تعالى ذكره يأتى بكم وبمن خالفَ قبلتكم ودينكم وشريعتكم جميعاً يوم القيامة، من حيث كنتُم من بقاع الأرض، حتى يوفّىَ المحسنَ منكم جزاءه بإحسانه،[2] والمسىء عقابه بإساءته، أو يتفضّل فيصفح.

* * *

وأما قوله: « إنّ الله على كل شىء قدير »، فإنه تعالى ذكره يعنى: إنّ الله تعالى على جَمْعكم - بعد مماتكم - من قبوركم إليه، من حيث كنتم وكانت قبوركم، وعلى غير ذلك مما يشاء، قديرٌ.[3] فبادروا خروجَ أنفسكم بالصالحات من الأعمال قبل مماتكم، ليومَ بعثكم وحشركم.

---

(١) انظر القول فى تفسير « أينما » فى معانى القرآن للفراء ١ : ٨٥ - ٨٩.

(٢) فى المخطوطة: « حتى يوفى المحسن منكم جزاءه »، ولا بأس بها.

(٣) فى المطبوعة: « من قبوركم من حيث كنتم وعلى غير ذلك »، أسقط منها الناسخ.

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ومن حيث خرجت » ، ومن أىّ موضع خرَجْتَ إلى أى موضع وجَّهتَ ، فولِّ يا محمد وجهكَ — يقول : حوِّلْ وَجْهك. وقد دللنا على أن « التولية » فى هذا الموضع شطر المسجد الحرام ، إنما هى : الإقبالُ بالوجه نحوه . وقد بينا معنى « الشطر » فيما مضى.[١]

* * *

وأما قوله : « وإنه للحق من ربك » ، فإنه يعنى به تعالى ذكره : وإنّ التوجه شَطرَه للحق الذى لا شكّ فيه من عند ربك ، فحافظوا عليه ، وأطيعوا الله فى توجهكم قِبَله .

* * *

وأما قوله : « وَما الله بغافل عَما تعملون » ، فإنه يقول : فإن الله تعالى ذكره ليس بساهٍ عن أعمالكم ، ولا بغافل عنها ، ولكنه محصيها لكم ، حتى يجازيكم بها يوم القيامة .[٢]

* * *

(١) انظر ما سلف فى « التولية » فى هذا الجزء ٣ : ١٩٤ تعليق : ٣ ، وما سلف فى تفسير : « شطر » فى هذا الجزء ٣ : ١٧٥

(٢) انظر معنى « غافل » فيما سلف من هذا الجزء ٣ : ١٨٤ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « ومن حيثُ خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » ، من أىّ مكان وبُقعة شخصتَ فخرجت يا محمد ، فولّ وجهك تلقاء المسجد الحرام ، وهو شطره .

ويعنى بقوله : « وحيث كنتم فولّوا وُجوهكم » ، وأينما كنتم أيها المؤمنون من أرض الله، فولّوا وجوهكم فى صلاتكم تُجاهه وقِبَله وقَصْدَه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾

قال أبو جعفر : فقال جماعة من أهل التأويل : عنى الله تعالى بـ« الناس » فى قوله : « لئلا يكون للناس » ، أهلَ الكتاب

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٩٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : «لئلا يكون للناس عليكم حجة »، يعنى بذلك أهلَ الكتاب . قالوا — حين صُرف نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة البيت الحرام — : اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه !

٢٢٩٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

---

(١) فى المخطوطة : « فولوا فى صلاتكم » ، أسقط « وجوهكم » .

عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « لئلا يكونَ للناس عليكم حجة » ، يعنى بذلك أهلَ الكتاب ، قالوا — حين صُرف نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة —: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه !

* * *

فإن قال قائل: فأيّة حُجة كانت لأهل الكتاب بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحوَ بيت المقدس ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟

قيل: قد ذكرنا فيما مضى ما روى فى ذلك. قيل: إنهم كانوا يقولون: ما درَى مُحمد وأصحابُه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن ! وقولهم : يُخالفنا مُحمد فى ديننا ويتبع قبلتنا ![1] فهى الحجة التى كانوا يحتجُّون بها عَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، على وجه الخصومة منهم لهم ، والتمويه منهم بها على الجهالَ وأهل الغباء من المشركين.[2]

وقد بينا فيما مضى أن معنى حِجاج القوم إيَّاه ، الذى ذكره الله تعالى ذكره فى كتابه ، إنّما هى الخصومات والجدال . فقطع الله جل ثناؤه ذلك من حجتهم وَحسمه ، بتحويل قبلة نبيّه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، من قبلة اليهود إلى قبلة خليله إبراهيم عليه السلام . وذلك وهو معنى قول الله جل ثناؤه : « لئلا يكون للناس عليكم حجة » ، يعنى : بـ« الناس » ، الذين كانوا يحتجون عليهم بما وصفت .

* * *

وأما قوله : « إلا الذين ظَلموا منهم » ، فإنهم مُشركو العرب من قريش ، فيما تأوّله أهلُ التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٩٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلا الذين َظلموا منهم » ، قومُ محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء رقم : ٢٢٣٤ ، ٢٢٣٥ .

(٢) فى المطبوعة : « وأهل العناد من المشركين » ، والصواب من المخطوطة .

٢٢٩٥ ـ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : هم المشركون من أهل مكة . ٢/٢٠

٢٢٩٦ ـ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إلا الذين ظلموا منهم » ، يعني مشركي قريش

٢٢٩٧ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة وابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إلا الذين ظلموا منهم » ، قال : هم مشركو العرب .

٢٢٩٨ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « إلاّ الذين ظلموا منهم » ، و « الذين ظلموا » : مشركو قريش .

٢٢٩٩ ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال عطاء : هم مشركو قريش ـ قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقولُ مثل قول عطاء .

* * *

فإن قال قائل : وأيّة حُجة كانت لمشركي قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، في توجههم في صلاتهم إلى الكعبة ؟ وهل يجوز أن يكون للمشركين على المؤمنين ـ فيما أمرهم الله به أو نهاهم عنه ـ حُجة ؟[1]

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمتَ وذهبتَ إليه . وإنما « الحجة » في هذا الموضع ، الخصومة والجدال .[2] ومعنى الكلام : لئلا يكون لأحد من الناس عليكم خُصُومةٌ ودعوى باطلٌ ، غيرَ مشركي قريش ، فإن لهم عليكم دعوى بَاطلاً وخصومةً بغير حق ،[3] بقيلهم لكم : «رَجَعَ محمداً إلى قبلتنا ، وسيرجع إلى

---

(١) في المطبوعة : « ... على المؤمنين حجة فيما أمرهم الله تعالى ذكره به، أو نهاهم عنه » ، قدم « حجة » وزاد الثناء على الله .

(٢) انظر ما سلف في تفسير : « أتحاجوننا » ، في هذا الجزء ٣ : ١٢١

(٣) في المطبوعة : « دعوى باطلة » في الموضعين ، ولا بأس بها . يقال : « دعوى باطل وباطلة »

ديننا» . فذلك من قولهم وأمانيّهم الباطلة، هي « الحجة » التي كانت لقريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى ذكره « الذين ظلموا » من قريش من سائر الناس غيرهم، إذ نفى أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجّههم إليها حُجة .

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٠٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « لئلا يكون للناس عليكم حُجة إلاّ الذين ظلموا منهم » ، قومُ محمد صلى الله عليه وسلم . قال مجاهد : يقول : حُجتهم ، قولهم : قد راجعتَ قبلتنا !

٢٣٠١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله — إلا أنه قال : قولهم : قد رَجعت إلى قبلتنا !

٢٣٠٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة وابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم » ، قالا : هم مشركو العرب ، قالوا حين صرفت القبلة إلى الكعبة : قد رجع إلى قبلتكم ، فيوشك أن يرجع إلى دينكم ! قال الله عز وجل : « فلا تَخشوْهم واخشوْني » .

٢٣٠٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « إلا الذين ظلموا منهم » ، و « الذين ظلموا » : مشركوُ قريش . يقول : إنهم سيحتجون عليكم بذلك ، فكانت حجتهم على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم = انصرافَهُ إلى البيت الحرام = (١) أنهم قالوا : سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا ! فأنزل الله

(١) في المطبوعة والدر المنثور ١ : ١٤٨ « بانصرافه » وأثبت ما في المخطوطة وابن كثير ١ : ٣٥٨ ، وقوله : « انصرافه » منصوب على الظرفية أي عند انصرافه .

تعالى ذكره فى ذلك كله .[1]

٢٣٠٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله

٢٣٠٥ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فيما يذكر ، عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس — وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : لما صُرف نبىّ الله صلى الله عليه وسلم نحوَ الكعبة ، بعد صلاته إلى بيت المقدس ، قال المشركون من أهل مكة : تحيّر على محمد دينه ! فتوجّه بقبلته إليكم ، وعلم أنكم كنتم أهدى منه سبيلاً ، ويُوشك أن يدخل فى دينكم ! فأنزل الله جل ثناؤه فيهم : « لئلا يَكونَ للناس عَليكم حجةٌ إلاّ الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى » .[2]

٢٣٠٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنى الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء : قوله : « لئلا يَكون للناس عَليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم » ، قال : قالت قريش — لما رَجع إلى الكعبة وأمِر بها : — ما كان يستغنى عنا ! قد استقبل قبلتنا ! فهى حُجتهم ، وهم « الذين ظلموا » — قال ابن جريج : وأخبرنى عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقول مثل قول عطاء ، فقال مجاهد : حُجتهم ، قولهم : رجعت إلى قبلتنا !

* * *

(١) الأثر : ٢٣٠٣ — فى تفسير ابن كثير ١ : ٣٥٨ ، والدر المنثور ١ : ١٤٨ . والذى فى المخطوطة والمطبوعة سواء « فأنزل الله فى ذلك كله » . أما فى الدر المنثور : « فأنزل الله فى ذلك كله : « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » . والذى فى الطبرى يكاد لا يستقيم ، والذى فى الدر المنثور لا يستقيم ، وكأن صواب العبارة : « فأنزل الله فى ذلك ، ذلك كله إلى قوله : « يأيها الذين آمنوا . . . . » .

(٢) الأثر : ٢٣٠٥ — انظر الأثر السالف : ٢٢٠٤ .

فقد أبان تأويلُ من ذكرنا تأويلَه من أهل التأويل قوله: « إلاّ الذين ظلموا منهم » ، عن صحّة ما قلنا فى تأويله ، وأنه استثناءٌ على مَعنى الاستثناء المعروف ، الذى ثبتَ فيهم لما بعدَ حرف الاستثناء ما كان منفيًّا عما قبله .[1] كما قولُ القائل[2] : « ما سارَ من الناس أحدٌ إلا أخوك » ، إثباتٌ للأخ من السير ما هو مَنفىٌّ عن كل أحد من الناس . فكذلك قوله : « لئلا يكونَ للناس عليكم حُجة إلا الذين ظلموا منهم » ، نَفى عن أن يكون لأحد خُصومةٌ وجدلٌ قِبَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوى باطلٍ عليه وَعلى أصحابه ، بسبب توجُّههم فى صلاتهم قبل الكعبة — إلاّ الذين ظلموا أنفسهم من قريش ، فإن لهم قبلهم خصومةً ودعوى باطلاً بأن يقولوا :[3] إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا ، لأنا كنا أهدى منكم سبيلاً ، وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت المقدس على ضلال وباطل . ٢١/٢

وإذ كان ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل ، فبيِّنٌ خطأُ قول من زعم أن معنى قوله : « إلا الذين ظلموا منهم » : ولا الذين ظلموا منهم ، وأن «إلا» بمعنى «الواو» .[4] لأن ذلك لو كان معناه ، لكان النفىُ الأول عن جميع الناس — أنْ يكون لَهم حُجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى تحوُّلهم نحو الكعبة بوجوههم — مبيِّناً عن المعنى المراد ، ولم يكن فى ذكر قوله بعد ذلك : « إلا الذين ظلموا منهم » إلا التلبيس الذى يتعالى عن أن يُضافَ إليه أو يوصف به.[5]

هذا مع خروج معنى الكلام = إذا وجّهت « إلا » إلى معنى « الواو » ، ومعنى

---

(١) فى المطبوعة : « الذى يثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفياً عما قبلهم » ، وهو خطأ صرف ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « كما أن قول القائل » ، زادوا « أن » لتكون دارجة على نهجهم ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « ودعوى باطلة» فى الموضعين . وانظر ما سلف : ٢٠١ تعليق : ٣

(٤) زاعم هذا القول هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن : ٦٠ — ٦١ ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٨٩ — ٩٠

(٥) رد الطبرى على أبى عبيدة أمثل من رد الفراء وأقوم .

العطف= من كلام العرب . وذلك أنه غيرُ موجودة « إلا » فى شىء من كلامها بمعنى « الواو » ، إلا مع استثناء سابق قد تقدمها . كقول القائل : « سار القوم إلاّ عمراً إلا أخاك » ، بمعنى : إلاّ عمراً وأخاك ، فتكون « إلا » حينئذ مؤدّية عما تؤدى عنه « الواو » ، لتعلق « إلا » الثانية بـ « إلا » الأولى . [١] ويجمع فيها أيضاً بين « إلا » و « الواو » فيقال : « سار القوم إلاّ عمرًا وإلاّ أخاك » ، فتحذف إحداهما ، فتنوب الأخرى عنها، فيقال : [٢] « سار القوم إلا عمرًا وأخاك — أو إلاّ عمرًا إلاّ أخاك » ، لما وصفنا قبل .

وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز لمدّعٍ من الناس أن يدّعى أنّ « إلاّ » فى هذا الموضع بمعنى « الواو » التى تأتى بمعنى العطف .

* * *

وواضحٌ فسادُ قول من زعم أن معنى ذلك : إلا الذين ظلموا منهم ، فإنهم لا حجة لهم ،فلاتخشوْهم. كقول القائل فى الكلام: [٣] « الناس كلهم لك حامدون إلا الظالم [لك] المعتدى عليك » ، فإن ذلك لا يعتدّ بعُدْوانه ولا بتركه الحمد، [٤] لموضع العداوة . وكذلك الظالم لا حجة له ، وقد سُمى ظالماً = [٥] لإجماع أهل التأويل على تخطئة ما ادّعى من التأويل فى ذلك . وكفى شاهداً على خطأ مقالته إجماعُهم على تخطئتها .

* * *

وظاهر بُطُول قول من زَعَم: [٦] أنّ « الذين ظلموا » ههنا، ناسٌ من العرب

---

(١) فى المخطوطة : « إلى الأولى » ، وكأنه غير صواب .

(٢) فى المخطوطة : « ويجمع أيضاً فيها إلا والواو فيها فيقول : » ولم أستبن ما يقول ، والذى فى المطبوعة سياق صحيح .

(٣) فى المطبوعة: « فى كلام » ، والصواب من المخطوطة ،ومعانى القرآن للفراء، فهو نص كلامه .

(٤) فى المطبوعة ، وفى معانى القرآن للفراء : « بعداوته » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٥) السياق : « وواضح فساد قول من زعم . . . لإجماع جميع أهل التأويل » .

(٦) فى المطبوعة: « بطلان » صحيحة المعنى ، وفى المخطوطة : « دخول » تصحيف وتحريف لما أثبت . والبطول والبطلان مصدران من الباطل . وهما سواء فى المعنى ، وقد سلف أن استعملها الطبرى مراراً . انظر ما سلف ٢ : ٤٢٦ ، تعليق : ١/٤٣٩ س : ١١/٤٧٩ س: ١٣ .

كانوا يَهوداً ونصارَى ، فكانوا يحتجون على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما سائرُ العرب ، فلم تكن لهم حجة ، وكانت حُجة من يحتجُّ منكسرة . لأنك تقول لمن تريد أن تَكسِر عليه حجته : « إنّ لك عليّ حجة ولكنها منكسرة ، وإنك لتحتج بلا حجة ، وحجتك ضعيفة » . ووَجَّه معنى « إلاّ الذين ظَلموا منهم » إلى معنى : إلا الذين ظَلموا منهم ، منْ أهل الكتاب ، فإنّ لهم عليكم حُجة واهية أو حجة ضعيفة .

* * *

ووَهْى قولُ من قال : « إلا » فى هذا الموضع بمعنى « لكن » .

وضَعْفُ قولِ من زعم أنه ابتداء بمعنى : إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم .[1]

لأن تأويل أهل التأويل جاء فى ذلك بأنّ ذلك من الله عز وجل خَبرٌ عن الذين ظلموا منهم : أنهم يحتجون على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بما قد ذكرنا ، ولم يقصِد فى ذلك إلى الخبر عن صفة حُجتهم بالضعف ولا بالقوة — وإن كانت ضعيفةً لأنها باطلة — وإنما قصد فيه الإثباتَ للذين ظلموا ، ما قد نَفى عن الذين قبل حرف الاستثناء من الصفة .

٢٣٠٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه قال ، قال الربيع : إنّ يهودياً خاصَم أبا العالية فقال : إن مُوسَى عليه السلام كان يصلىّ إلى صخرة بيت المقدس . فقال أبو العالية : كان يصلىّ عند الصخرة إلى البيت الحرام . قال : قال : فبيني وبينك مسجدُ صالح ، فإنه نحته من الجبل . قال أبو العالية : قد صلّيت فيه وقِبلتُه إلى البيت الحرام . قال الربيع : وأخبرنى أبو العالية أنه مرّ على مسجد ذى القرنين ، وقِبلتُه إلى الكعبة .

* * *

وأما قوله : « فلا تخشوْهم واخشوْنى » ، يعنى : فلا تخشوا هؤلاء الذين وصفت لَكم أمرهم من الظَّلَمة فى حجتهم وجدالهم وقولهم ما يقولون[2] : فى أنّ محمداً صلى

---

(١) قوله « ووهى قول ... » ، و« وضعف قول ... » معطوف على قوله آنفاً : « وظاهر بطول قول من زعم ... » .

(٢) فى المطبوعة : « من الظلم فى حجتهم » ، والصواب من المخطوطة . ثم فيها : « وقولهم ما يقولون من أن محمداً » ، وصوابه من المخطوطة .

الله عليه وسلم قد رجع إلى قبلتنا، وسيرجع إلى ديننا ! — أو أن يقدروا لكم على ضرّ فى دينكم ، أو صدّكم عما هداكم الله تعالى ذكره له من الحق ، ولكن اخشونى فخافوا عقابى ، فى خلافكم أمرى إن خالفتموه .

وذلك من الله جل ثناؤه تقدُّمٌ إلى عباده المؤمنين ، [١] بالحضّ على لزوم قبلتهم والصلاة إليها، وبالنهى عن التوجُّه إلى غيرها . يقول جل ثناؤه : واخشوْنى أيها المؤمنون ، فى ترك طاعتى فيما أمرتكم به من الصلاة شطرَ المسجد الحرام .

وقد حكى عن السدى فى ذلك ما : —

٢٣٠٨ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلا تخشوْهم واخشوْنى » ، يقول : لاتخشوا أن أردّكم فى دينهم[٢] .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ٢٢/٢

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولأتمّ نعمتى عليكم » ، ومن حيث خرجتَ من البلاد والأرض ، وإلى أىّ بقعة شخصت [٣] ، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثُ كنت، يا محمد والمؤمنون، فولُّوا وجوهكم فى صلاتكم شطرَه ،

---

(١) تقدم إليه بكذا : أمره به .

(٢) إلى هنا انتهى ما عثرنا عليه من الأوراق التى ذكرناها فى ص : ١٨٩ تعليق : ١ ، وفى آخره مانصه :

« تمّ المجلد الثانى بعون الله تعالى ، والصلاة على نبيّه محمد وآله وصحبه وسلم . يتلوهُ فى الثالث إن شاء الله تعالى ، القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ولأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إن شاء الله تعالى ، وهو بقية الجزء السادس والعشرون ؟ ؟ »

(٣) فى المطبوعة : « إلى أى بقعة » ، بحذف الواو ، والصواب ما أثبت .

واتخذوه قبلة لكم ، كيلا يكون لأحد من الناس — سوى مشركي قريش — حجة ، ولأتم بذلك = من هدايتي لكم إلى قبلة خليلي إبراهيم عليه السلام ، الذى جعلته إماماً للناس = نعمتي ، فأكمل لكم به فضلي عليكم ، وأتمم به شرائع ملتكم الحنيفية المسلمة التي وصيتُ بها نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم . وذلك هو نعمته التي أخبر جل ثناؤه أنه متمُّها على رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به من أصحابه

• • •

وقوله : « ولعلكم تهتدون » ، يعني : وكي ترشدوا للصواب من القبلة .[1]

و « لعلكم » عطف على قوله : « ولأتم نعمتي عليكم » ، « ولأتم نعمتي عليكم » عطف على قوله : « لئلا يكون » .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « كما أرسلنا فيكم رسولا » ، ولأتمّ نعمتي عليكم ببيان شرائع ملتكم الحنيفية ، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم عليه السلام ، فأجعل لكم دعوتَه التي دعاني بها ومسألتَه التي سألنيها فقال: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٨] ، كما جعلت لكمُ دعوته التي دعاني بها ، ومسألته التي سألنيها فقال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو

(١) انظر ما سلف في معنى « لعل » بمعنى « كي » ١ : ٣٦٤ / ثم ٢ : ٦٩ ، ٧٢ ، ١٦١ .

عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٩] ، فابتعثت منكم رسولى الذى سألنى إبراهيمُ خليلى وابنُه إسمعيل ، أنْ أبعثه من ذرّيتهما .

فـ « كما » — إذ كان ذلك معنى الكلام — صلةٌ لقول الله عز وجل : « ولأتم نعمتى عليكم » . ولا يكون قوله : « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم » ، متعلقاً بقوله : « فاذكرونى أذكركم » .

* * *

وقد قال قوم : إنّ معنى ذلك : فاذكرونى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم أذكركم . وزعموا أن ذلك من المقدم الذى معناه التأخير ،[1] فأغرقوا النَّزْع ،[2] وبعدوا من الإصابة ، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف ، وسوَى وجهه المفهوم .

وذلك أنّ الجارىَ من الكلام على ألسن العرب ، المفهومَ فى خطابهم بينهم — إذا قال بعضهم لبعض : « كما أحسنت إليك يا فلان فأحسن » — أن لا يَشترطوا للآخر ، لأن « الكاف » فى « كما » شرطٌ ، معناه : افعل كما فعلت . ففى مجىء جواب « اذكرونى » بعده ، وهو قوله : « أذكركم » ، أوضحُ دليل على أن قوله : « كما أرسلنا » من صلة الفعل الذى قبله ، وأن قوله : « اذكرونى أذكركم » خبرٌ مبتدأ منقطعٌ عن الأول ، وأنه = من سبب قوله : « كما أرْسلنا فيكم » = بمعزل .

* * *

وقد زعم بعض النحويين أن قوله : « فاذكرونى » — إذا جُعل قوله : « كما أرسلنا فيكم » جواباً له ، مع قوله : « أذكركم » — نظيرُ الجزاء الذى يجاب بجوابين ، كقول القائل : « إذا أتاك فلانٌ فأته ترْضَه » ، فيصير قوله : « فأته » و « ترضه » جوابين لقوله : « إذا أتاك » ، وكقوله : « إن تأتنى أحسن إليك أكرمك » .[3]

---

(١) هو الفراء ، انظر معانى القرآن ١ : ٩٢ .

(٢) أغرق النازع فى القوس : إذا شدها ، وجاوز الحد فى مد القوس ، وبلغ النصل كبد القوس ، فربما قطع يد الرامى . ونزع الرامى فى قوسه نزعاً : جذب السهم بالوتر . وقولهم : « أغرق فى النزع » ، مثل فى الغلو والإفراط .

(٣) هو من قول الفراء أيضاً ، انظر معانى القرآن ١ : ٩٢ .

وهذا القولُ وإن كان مذهباً من المذاهب ، فليس بالأسهل الأفصح فى كلام العرب . والذى هو أولى بكتاب الله عز وجل أن يوجَّه إليه من اللغات ، الأفصح الأعرفُ من كلام العرب ، دون الأنكر الأجهل من منطقها . هذا ، مع بعد وجهه من المفهوم فى التأويل

* * *

* ذكر من قال : إنّ قوله : « كما أرسلنا » ، جوابُ قوله : « فاذكرونى » .

٢٣٠٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى قال ، سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قول الله عز وجل : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم » ، كما فعلتُ فاذكرونى.

٢٣١٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقوله : « كما أرسلنا فيكم رَسولاً منكم » ، فإنه يعنى بذلك العرب ، قال لهم جل ثناؤه : الزموا أيها العربُ طاعتى ، وتوجهوا إلى القبلة التى أمرتكم بالتوجُّه إليها ، لتنقطع حُجة اليهود عنكم ، فلا تكون لهم عليكم حجةٌ ، ولأتم نعمتى عليكم ، وتهتدوا ، كما ابتدأتكم بنعمتى ، فأرسلت فيكم رسولاً منكم . وذلك الرسول الذى أرسلهَ إليهم منهم : محمد صلى الله عليه وسلم ، كما : —

٢٣١١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « كما أرْسلنا فيكم رسولاً منكم » ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

* * *

وأمّا قوله : « يتلو عليكم آياتنا » ، فإنه يعنى آيات القرآن ، وبقوله : « ويزكيكم » ويطهّركم من دَنس الذنوب ، و « يعلمكم الكتاب » وهو الفرقان ، يعنى : أنه

يعلمهم أحكامه . ويعنى : بـ « الحكمة » السنَنَ والفقهَ فى الدين . وقد بينا جميع ذلك فيما مضى قبل بشواهده .[1]

* * *

وأما قوله : « ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » ، فإنه يعنى : ويعلمكم من أخبار الأنبياء وَقصَص الأمم الخالية ، والخبر عما هو حادثٌ وكائن من الأمور التى لم تكن العرب تعلمها ، فعلِموها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبرهم جل ثناؤه أنّ ذلك كله إنما يدركونه برَسوله صلى الله عليه وسلم . ٢٣/٢

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك: فاذكرونى أيها المؤمنون بطاعتكم إياى فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه ، أذكرْكم برحمتى إياكم ومغفرَتى لكم ، كما : —

٢٣١٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير : « اذكرونى أذكركم » ، قال : اذكرونى بطاعتى ، أذكركم بمغفرتى .

* * *

وقد كان بعضهم يتأوّل ذلك أنه من الذكر بالثناء والمدح .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣١٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » ، إن الله ذاكرٌ من ذكره، وزَائدٌ من شكره ، ومعذّبٌ من كفَره .

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣ : ٨٦–٨٨ والمراجع .

٢٣١٤ – حدثني موسى قال، حدثني عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «اذكروني أذكركم»، قال: ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله. لا يذكره مؤمن إلا ذكره برحمة، ولا يذكره كافر إلا ذكره بعذاب.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: اشكروا لي أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم من الإسلام، والهداية للدين الذي شرعته لأنبيائي وأصفيائي، «ولا تكفرون»، يقول: ولا تجحدوا إحساني إليكم، فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها، وأزيدكم فأتم نعمتي عليكم، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادي، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته، ومن كفرني حرمته وسلبته ما أعطيته.

* * *

والعرب تقول: «نصحتُ لك، وشكرتُ لك»، ولا تكاد تقول: «نصحتك»، وربما قالت: «شكرتك ونصحتك»، من ذلك قول الشاعر:[1]

هُمُ جَمَعُوا بُؤْسَى ونُعْمَى عَلَيْكُمُ ... فَهَلَّا شَكَرْتَ القَوْمَ إذْ لَمْ تُقَاتِلِ[2]

وقال النابغة في «نصحتك»:

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا ... رَسُولِي ولَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ وسَائِلِي[3]

* * *

(١) نسبه أبو حيان في تفسيره ١ : ٤٤٧ لعمر بن لجأ، ولم أجد الشعر في مكان.

(٢) معاني القرآن للفراء ١ : ٩٢ . وكان في المطبوعة: «إن لم تقاتل»، وأثبت ما في الفراء. والبؤسى والبأساء: البؤس. والنعمى والنعماء: النعمة.

(٣) ديوانه: ٨٩، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٩٢، وأمالي ابن الشجري ١ : ٣٦٢، وهي في غزو عمرو بن الحارث الأصغر لبني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان. ورواية ديوانه: «فلم يتقبلوا وصاتي». الوصاة: الوصية. وقوله: «رسولي». الرسول: الرسالة. والوسائل جمع وسيلة: وهي ما يتقرب به المرء إلى غيره من حرمة أو آصرة..

وقد دللنا على أن معنى « الشكر »، الثناء على الرجل بأفعاله المحمودة ، وأن معنى « الكفر » تغطية الشيء ، فيما مضى قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا.[1]

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٣)

قال أبو جعفر : وهذه الآية حضٌّ من الله تعالى ذكره على طاعته ، واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » على القيام بطاعتى ، وأداء فرائضى فى ناسخ أحكامى ، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذى أحدِثه لكم من فرائضى ، وأنقلكم إليه من أحكامى ، والتسليم لأمرى فيما آمركم به فى حين إلزامكم حكمه ، والتحول عنه بعد تحويلى إياكم عنه — وإن لحقكم فى ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل، أو مشقةٌ على أبدانكم فى قيامكم به، أو نقصٌ فى أموالكم —[2] وعلى جهاد أعدائكم وحربهم فى سبيلى، بالصبر منكم لى على مكروه ذلك ومَشقته عليكم، واحتمال عنائه وثقله، ثم بالفزع منكم فيما يَنوبكم من مُفظِعات الأمور إلى الصلاة لى . فإنكم بالصبر على المكاره تُدركون مرضاتى ، وبالصلاة لى تستنجحون طلباتكم قِبَلى ، وتدركون حاجاتكم عندى ، فإنى مع الصابرين على القيام بأداء فرائضى وترك معاصىَّ ، أنصرُهم وأرعاهم وأكلؤُهم ، حتى يظفروا بما طلبوا وأمَّلوا قِبَلى .

* * *

(١) معنى « الشكر » ١ : ١٣٥–١٣٨ وتفسير معنى « الكفر » فيما سلف ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٢٢ ، ومواضع كثيرة . اطلبها فى فهرس اللغة .

(٢) هذه جمل متداخلة ، والعطف سياقه فى هذه الجملة : استعينوا بالصبر والصلاة على القيام بطاعتى ، وأداء فرائضى . . . والانصراف عما أنسخه . . . والتسليم لأمرى . . . والتحول عنه . . . وعلى جهاد أعدائكم . . . بالصبر . . . »

وقد بينت معنى « الصبر » و « الصلاة » فيما مضى قبل، فكرهنا إعادته،[١] كما :

٢٣١٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « واستعينوا بالصبر والصلاة » ، يقول : استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة الله ، واعلموا أنهما من طاعة الله .

٢٣١٦ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » ، اعلموا أنهما َعونٌ على طاعة الله .

* * *

وأما قوله : « إن الله مع الصابرين » ، فإن تأويله : فإن الله َناصرُه وَظهيرُه وراضٍ بفعله ، كقول القائل : « افعل َيا فلان كذا وأنا معك » ، يعنى : إنى ناصرُك على فعلك ذلك ومُعينك عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ (١٥٤) ٢٤/٢

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على طاعتى فى جهاد عدوّكم ، وترك معاصىّ ، وأداء سائر فرائضى عليكم ، ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله : هو ميت ، فإن الميت من َخلقى َمنْ سلبته حياتَه وأعدمتُه حواسَّه ، فلا يلتذّ لذة ولا يُدرك نعيما ، فإنّ من ُقتل منكم ومن سائر َخلقى فى سبيلى ، أحياءٌ عندى ، فى حياة ونعيم ، وعيش َهنِيّ ، ورزق سنِىّ ، فرحين

---

(١) انظر فيما سلف تفسير « الصلاة » ١ : ٢٤٢ — ٢٤٣ / ثم ٢ : ١١ . وتفسير « الصبر » فى ٢ : ١١ ، ١٢٤ ، وانظر فهرس اللغة .

بما آتيتهم من فضلى ، وحبوتهم به من كرامتى ، كما : —

٢٣١٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « بل أحياء » عند ربهم ، يرزقون من ثمر الجنة ، ويجدون ريحها ، وليسوا فيها .

٢٣١٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٣١٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون » ، كنَّا نُحَدَّثَ[1] : أن أرواح الشهداء تعارف فى طير بيض يأكلن من ثمار الجنة ، وأن مساكنهم سِدرة المنتهى ، وأن للمجاهد فى سبيل الله ثلاثُ خصال من الخير : من قُتل فى سبيل الله منهم صار حيًّا مرزوقاً ، ومن غُلب آتاه الله أجراً عظيماً ، ومن مات رزقه الله رزقاً حسناً .

٢٣٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولا تقولوا لمن يُقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء » ، قال : أرواحُ الشهداء فى صُوَر طير بيضٍ .

٢٣٢١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ولا تقولوا لمن يُقتل فى سبيل الله أمواتٌ بل أحياء » ، فى صُوَر طير خضر يطيرون فى الجنة حيث شاؤا منها ، يأكلون من حيث شاؤا .

٢٣٢٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا عثمان ابن غياث . قال ، سمعت عكرمة يقول فى قوله : « ولا تقولوا لمن يُقتل فى سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون » ، قال : أرواح الشهداء فى طير خُضر فى الجنة .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « كنا يحدث » ، والصواب ما أثبت .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وما فى قوله : « ولا تقولوا لمن يُقتل فى سبيل الله أمواتٌ بل أحياء » ، من خصوصية الخبر عن المقتول فى سبيل الله الذى لم يعمّ به غيره ؟ وقد علمت تظاهُر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم ، فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى الجنة يَشمون منها رَوْحها ، ويستعجلون الله قيام الساعة ، ليصيروا إلى مساكنهم منها ، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها = وعن الكافرين أنهم يُفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى النار يَنظرون إليها ، ويصيبهم من نَتْنها ومكروهها ، ويُسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يَقمَعُهم فيها ، ويسألون الله فيها تأخيرَ قيام الساعة ، حِذاراً من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها ، مع أشباه ذلك من الأخبار . وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما الذى خُصّ به القتيل فى سبيل الله ، مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة ، وسائرُ الكفار والمؤمنين غيرُه أحياءٌ فى البرزخ ، أما الكفار فمعذبون فيه بالمعيشة الضنك ، وأما المؤمنون فمنعَّمون بالروح والريحان ونَسيم الجنان ؟

قيل : إنّ الذى خصّ الله به الشهداء فى ذلك ، وأفادَ المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره ، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها فى بَرْزَخِهم قبل بعثهم ، ومنعَّمون بالذى ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر ، من لذيذ مطاعمها الذى لم يُطعمها الله أحداً غيرَهم فى برزخه قبل بعثه . فذلك هو الفضيلة التى فضّلهم بها وخصهم بها من غيرهم ، والفائدة التى أفادَ المؤمنين بالخبر عنهم ، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٩ — ١٧٠] ، وبمثل الذى قُلنا جاء الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٣٢٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعَبْدة

ابن سليمان ، عن محمد بن إسحق ، عن الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداءُ على بَارق ، نَهر بباب الجنة ، فى قبة خضراء — وقال عبدة : فى روضة خضراء — يخرُج عليهم رزقهم من الجنة بُكرة وَعشيًّا .(١)

٢٣٢٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح عن الإفريقى ، عن ابن بشار السلمى — أو : أبى بشار ، شكّ أبو جعفر — قال : أرواح الشهداء فى

---

(١) الحديث : ٢٣٢٣ — عبدة بن سليمان الكلابى الكوفى : ثقة من شيوخ أحمد وإسحق . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٧٢ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٨٩ .

الحارث بن فضيل الأنصارى المدنى : ثقة ، وثقه ابن معين والنسائى وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٧٧ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٨٦ .

محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأشهلى ، الأوسى ، الأنصارى : صحابى على الراجح الذى جزم به البخارى ، مات سنة ٩٦ أو ٩٧ . قال الواقدى : مات وهو ابن ٩٩ سنة . قال الحافظ فى التهذيب : « على مقتضى قول الواقدى فى سنه ، يكون له يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم ١٣ سنة . وهذا يقوى قول من أثبت الصحبة » . وروى البخارى فى الكبير ٤/١/٤٠٢ بإسناد صحيح : « عن محمود بن لبيد ، قال : أسرع النبى صلى الله عليه وسلم حتى تقطعت نعالنا ، يوم مات سعد بن معاذ » . وهذا حجة كافية فى إثبات صحبته . فقال ابن أبى حاتم ٤/١/٢٨٩ — ٢٩٠ : « قال البخارى : له صحبة . فخط أبى عليه ، وقال لا يعرف له صحبة » ! وهو نفى دون دليل ، لا يقوم أمام إثبات عن دليل صحيح . ولذلك قال ابن عبد البر — كما فى التهذيب : « قول البخارى أولى » . وهو مترجم أيضاً فى ابن سعد ٥ : ٥٥ — ٥٦ . والإصابة ٦ : ٦٦ — ٦٧ .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٢٣٩٠ ، عن يعقوب بن إبرهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحق ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه ابن حبان فى صحيحه ٧ : ٦٩ (من مخطوطة الإحسان) ، من طريق يعقوب ، به . ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٧٤ ، من طريق يزيد بن هرون ، عن ابن إسحق . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير فى التفسير ٢ : ٢٩٢ ، عن رواية المسند . قال : « تفرد به أحمد » . ثم أشار إلى رواية الطبرى هذه ، وقال : « وهو إسناد جيد » . وهو فى مجمع الزوائد ٥ : ٢٩٨ ، ونسبه لأحمد ، والطبرانى ، وقال : « ورجال أحمد ثقات » .

وذكره السيوطى ٢ : ٩٦ . وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وابن المنذر والبيهقى فى البعث .

وقوله : « وقال عبدة . . . » ، يريد أن « عبدة بن سليمان » قال : « فى روضة » بدل « فى قبة » . ووقع فى المطبوعة « أو قال عبدة » . ووضع « أو » هنا بدل واو العطف — خطأ غير مستساغ . ونرجح أنه من ناسخ أو طابع .

قباب بيض من قباب الجنة ، فى كل قبة زوجتان ، رزقهم فى كل يوم طلعت فيه الشمس ثورٌ وحوت. فأما الثور ، ففيه طعم كلِّ ثمرةٍ فى الجنة ، وأما الحوت ففيه طعمُ كل شراب فى الجنة.[1]

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فإنّ الخبر عما ذكرت أن الله تعالى ذكرُه أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من النعمة التى خصّهم بها فى البرزخ ، غيرُ موجود فى قوله : « ولا تقولوا لمنْ يُقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء » ، وإنما فيه الخبرُ عن حالهم ، أمواتٌ هم أم أحياءٌ .

٢٥/٢

قيل : إنّ المقصود بذكر الخبر عن حياتهم ، إنما هو الخبر عمّا هم فيه من النِّعمة، ولكنه تعالى ذكره لما كان قد أنبأ عبادَه عما خصّ به الشهداء فى قوله : ﴿ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٩] ، وعلموا حالهم بخبره ذلك ، ثم كان المراد من الله تعالى ذكره فى قوله : « ولا تقولوا لمنْ يُقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء » ، نَهْيُ خلقه عن أن يقولوا للشهداء أنهم موتى[2] = تركَ إعادة ذكر ما قد بين لهم من خبرهم.

* * *

وأما قوله : « ولكنْ لا تشعرُون » ، فإنه يعنى به : ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياءٌ ، وإنما تعلمون ذلك بخبرى إياكم به .

* * *

وإنما رفع قوله : « أمواتٌ » بإضمار مكنىّ عن أسماء « من يُقتل فى سبيل الله » ، ومعنى ذلك: ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله هم أموات. ولا يجوز النصب فى

---

(١) الخبر : ٢٣٢٤ — هذا خبر لا أدرى ما هو؟! ورأسه «ابن بشار السلمى» أو «أبو بشار» — الذى شك فيه ابن جرير : لم أهتد إلى شىء يدل عليه . وقد ذكره السيوطى ٢ : ٩٦ ، عن هذا الموضع من الطبرى ، ثم لم يصنع شيئاً !

(٢) سياق الكلام : «ولكنه تعالى ذكره لما كان قد أنبأ عباده ... ترك إعادة ذكر ... »

« الأموات » ، لأن القول لا يعمل فيهم ، وكذلك قوله : « بل أحياء » ، رفعٌ ، بمعنى : هُمْ أحياء.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٥٥)

قال أبو جعفر : وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباعَ رَسوله صلى الله عليه وسلم ، أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور ، ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وكما امتحن أصفياءَه قَبلهم . ووَعدهم ذلك فى آية أخرى فقال لهم : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٤] ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس وغيرُه يقول .

٢٣٢٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع » ، ونحو هذا ، قال : أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دارُ بلاء ، وأنه مبتليهم فيها ، وأمرَهم بالصبر ، وبَشَّرهم فقال : « وبشر الصابرين » ، ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصَفوته ، لتطيب أنفسهم فقال : ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ .

* * *

(١) فى المطبوعة : « إنهم أحياء » ، والسياق يقتضى ما أثبت . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٩٣ — ٩٤ ، فقد استوفى ما اختصره الطبرى .

ومعنى قوله : « ولَنبلونكم » ، ولنختبرنكم . وقد أتينا على البيان عن أن معنى « الابتلاء »، الاختبار ، فيما مضى قبل .[١]

* * *

وقوله: « بشىء من الخوف » ، يعنى من الخوف من العدو ، وبالجوع — وهو القحط — يقول : لنختبرنكم بشىء من خوف ينالكم من عدوكم ، وبسَنة تُصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة ، وتتعذر المطالب عليكم ،[٢] فتنقص لذلك أموالكم ؛ وحروبٌ تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفار ، فينقص لها عددكم ؛ وموتُ ذراريكم وأولادكم ، وجُدوب تحدُث فتنقص لها ثماركم . كل ذلك امتحان منى لكم ، واختبار منى لكم، فيتبين صادقوكم فى إيمانهم من كاذبيكم فيه ، ويُعرف أهل البصائر فى دينهم منكم ، من أهل النفاق فيه والشك والارتياب .

كل ذلك خطابٌ منه لأتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، كما :

٢٣٢٦ — حدثنى هرون بن إدريس الكوفىّ الأصم قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربى ، عن عبد الملك ، عن عطاء فى قوله : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع » ، قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .[٣]

* * *

وإنما قال تعالى ذكره : « بشىء من الخوف » ولم يقل : بأشياء ، لاختلاف أنواع ما أعلم عبادَه أنه مُمتحنهم به . فلما كان ذلك مختلفاً — وكانت « مِن » تدلّ على أنّ كل نوع منها مُضمر « شىء » ، فإنّ معنى ذلك : ولنبلونكم بشىء من الخوف ، وبشىء من الجوع ، وبشىء من نقص الأموال — اكتفى بدلالة ذكر « الشىء » فى أوله ، من إعادته مع كل نوع منها .

ففعل تعالى ذكره كل ذلك بهم ، وامتحنهم بضروب المحَن ، كما :—

٢٣٢٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، ثم هذا الجزء ٣ : ٧

(٢) فى المطبوعة : « وتعذر المطالب » والصواب ما أثبت .

(٣) الخبر : ٢٣٢٦ — سبق هذا الإسناد : ١٤٥٥ ، ولما نعرف شيخ الطبرى فيه .

عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات » ، قال : قد كان ذلك ، وسيكونُ ما هو أشد من ذلك .

قال الله عند ذلك : « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مُصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عَليهم صَلواتٌ من رَبهم وَرَحمة وأولئك هُمُ المهتدون » .

* * *

ثم قال تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، بشّر الصابرين على امتحانى بما أمتحنهم به ،[1] والحافظين أنفسهم عن التقدم على نَهْيِى عما أنهاهم عنه ، والآخذين أنفسهم بأداء ما أكلفهم من فرائضى ، مع ابتلائى إياهم بما أبتليهم به ،[2] القائلين إذا أصابتهم مصيبة : « إنا لله وإنا إليه رَاجعون » . فأمره الله تعالى ذكره بأن يخصّ — بالبشارة على ما يمتحنهم به من الشدائد — أهلَ الصبر ، الذين وصف الله صفتهم . ٢٦/٢

* * *

وأصل « التبشير » : إخبار الرجل الرجلَ الخبرَ ، يَسرّه أو يسوءه ، لم يسبقه به إلى غيره[3]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (١٥٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : وبشّر ، يا محمد ، الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمنّى ، فيُقرون بعبوديتى ، ويوحّدونى بالربوبية ،

(١) فى المطبوعة : « بما امتحنتهم » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « بما ابتليتهم » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٣٨٣ / ٢ : ٣٩٣

ويصدقون بالمعاد والرجوع إلىّ ، فيستسلمون لقضائى ، ويرجون ثوابى ، ويخافون عقابى ، ويقولون — عند امتحانى إياهم ببعض مِحَنى ، وابتلائى إياهم بما وعدتهم أنْ أبتليهم به من الخوف والجوع ونَقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التى أنا مُمتحنهم بها — : إنا مماليك ربنا ومعبودنا أحياءً ، ونحن عبيده وإنا إليه بعد مَماتنا صائرون = تسليماً لقضائى ورضاً بأحكامى.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك » ، هؤلاء الصابرون ، الذين وصفهم ونَعتهم — « عليهم » ، يعنى : لهم ، « صلوات » ، يعنى : مغفرة . « وصلوات الله » على عباده ، غُفرانه لعباده ، كالذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٢٣٢٨ — « اللهم صلِّ على آل أبى أوْفى » .(١)

يعنى : اغفر لهم . وقد بينا « الصلاة » وما أصلها فى غير هذا الموضع .(٢)

* * *

وقوله : « ورحمة » ، يعنى : ولهُم مع المغفرة ، التى بها صَفح عن ذنوبهم وتغمَّدها ، رحمة من الله ورأفة .

---

(١) الحديث : ٢٣٢٨ — هو جزء من حديث صحيح . رواه البخارى ٣ : ٢٨٦ (من الفتح) . ومسلم ١ : ٢٩٧ — كلاهما من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن أبى أوفى ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : اللهم صل عليهم ، فأتاه أبى أبو أوفى بصدقته ، فقال : اللهم صل على آل أبى أوفى » .

قال الحافظ : « يريد أبا أوفى نفسه ، لأن الآل يطلق على ذات الشىء . . . وقيل : لا يقال ذلك إلا فى حق الرجل الجليل القدر » .

وهذه فائدة نفيسة ، من الحافظ ابن حجر ، رحمه الله .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٤٢ / ثم ٢ : ٥٠٥ / ثم ٣ : ٣٧، ٢١٣، ٢١٤

ثم أخبر تعالى ذكره — مع الذى ذكر أنه مُعطيهم على اصطبارهم على محنه ، تسليماً منهم لقضائه ، من المغفرة والرحمة — أنهم هم المهتدون ، المصيبون طريق الحقّ ، والقائلون مَا يُرْضى عنهم ، والفاعلون ما استوجبوا به من الله الجزيل من الثواب .

وقد بينا معنى « الاهتداء » ، فيما مضى ، فإنه بمعنى الرشد للصواب .(١)

* * *

وبمعنى ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٢٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « الذين إذا أصابتهم مُصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئكَ عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » ، قال : أخبر الله أنّ المؤمن إذا سَلّم الأمرَ إلى الله ، ورَجع واسترْجع عند المصيبة ، كتب له ثلاث خصال من الخير : الصلاةُ من الله ، والرحمة ، وتحقيق سَبيل الهدى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن استرْجع عند المصيبة ، جبر الله مُصيبته ، وأحسن عُقباه ، وَجعل له خَلفاً صالحاً يرضاه .(٢)

٢٣٣٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٦٦ — ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ، ٥٤٩ — ٥٥١/ثم ٢ : ٢١١/ ثم هذا الجزء ٣ : ١٠١ ، ١٤٠ ، ١٤١

(٢) الحديث : ٢٣٢٩ — ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢ : ٣٣٠ — ٣٣١ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه على بن أبى طلحة ، وهو ضعيف » .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٥٦ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وعلى بن أبى طلحة : سبق فى : ١٨٣٣ أنه ثقة ، وأن علة هذا الإسناد — وهو كثير الدوران فى تفسير الطبرى — : انقطاعه ، لأن ابن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس ، ولم يره .

عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « أولئك عليهم صلواتٌ من ربّهم ورحمة » ، يقول : الصلوات والرحمة على الذين صبروا واسترجعوا .

٢٣٣١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان العُصفُرىّ ، عن سعيد بن جبير قال : مَا أعطِىَ أحدٌ ما أعطيت هذه الأمة : « الذينَ إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا راجعون . أولئك عليهم صَلواتٌ من رَبهم ورحمة » ، ولو أعطيها أحدٌ لأعطيها يعقوب عليه السلام ، ألم تسمعْ إلى قوله: ﴿ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾ [سورة يوسف : ٨٤].(١)

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَآئِرِ اللهِ ﴾

قال أبو جعفر : « والصفا » جمع « صَفاة » ، وهى الصخرة الملساء ، ومنه قول الطرمَّاح :

أَبَى لِى ذُو القُوَى وَالطَّوْلِ ألاَّ يُؤَبِّسَ حَافِرٌ أَبَدًا صَفَاتِى(٢)

---

(١) الخبر : ٢٣٣١ — سفيان العصفرى : هو سفيان بن زياد العصفرى ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة . مترجم فى التهذيب ٤ : ١١١ ، برقم : ١٩٨ . وابن أبى حاتم ٢/١/٢٢١ ، برقم : ٩٦٦ . والكبير للبخارى ٢/٢/٩٣ ، برقم : ٢٠٧٦ ، لكن لم يذكر نسبته « العصفرى » . وهو يشتبه على كثير من العلماء بآخر ، هو « سفيان بن دينار ، أبو الورقاء الأحمرى » . فقد ترجمه ابن أبى حاتم ٢/١/٢٢٠ — ٢٢١ ، برقم : ٦٩٥ ، وثبت فى بعض نسخه زيادة « العصفرى » فى نسبته . والبخارى ترجم « الأحمرى » ٢/٢/٩٢ ، برقم : ٢٠٧٣ . ولم يذكر فيه « العصفرى » أيضاً . وترجم فى التهذيب ٤ : ١٠٩ ، برقم : ١٩٣ — مع شىء من التخليط فى الترجمتين ، يظهر بالتأمل . ومع هذا التخليط فقد رجح الحافظ أنهما اثنان ، وقال فى ترجمة « سفيان بن دينار » — : « والتحقيق فيه : أن سفيان بن دينار التمار هذا ، يقال له : العصفرى ، أيضاً ، وأن سفيان بن زياد العصفرى : آخر ، بينه الباجى » . وقال فى ترجمة الآخر : « والصحيح أنهما اثنان ، كما قال ابن معين وغيره » . وأيا ما كان فالاثنان ثقتان .

(٢) ديوانه : ١٣٤ ، وكان فى المطبوعة : « يونس حافر أبدى » ، وهو خطأ ، والطول : القدرة

وقد قالوا إن « الصفا » واحد ، وأنه يثنى « صَفَوان » ، ويجمع « أصفاء » و« صُفِيًّا، وصِفِيًّا » ، واستشهدوا على ذلك بقول الراجز [١]

كَأَنَّ مَتْنَيْهِ مِنَ النَّفِيِّ مَوَاقِعُ الطَّيْرِ عَلَى الصُّفِيِّ[٢]

وقالوا: هو نظير « عَصًا وعُصِيّ [وعِصِيّ، وأَعْصاء]، ورَحا ورُحِيّ [ورِحِيّ] وأَرْحاء » . [٣]

* * *

وأما « المروة » ، فإنها الحصاةُ الصغيرة ،[٤] يجمع قليلها « مَرَوات » ، وكثيرها « المرْو » ، مثل « تمرة وتمَرات وتمر »، قال الأعشى ميمون بن قيس :

والغنى . وهو ذو الطول والقوة ، هو الله سبحانه . وأبس الشيء يؤبسه : ذلله ولينه ، أو كسره ، ومثله قول عباس بن مرداس :

إنْ تَكُ جُلْمُودَ صَخْرٍ لاَ أُؤَبِّسُهُ أُوقِدْ عَلَيْهِ ، فأُحْمِيهِ ، فينصَدِعُ
السِّلْمُ تأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ وَالحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أنْفَاسِهَا جُرَعُ

(١) هو الأخيل الطائى .

(٢) سيأتى فى التفسير ٦ : ١٤٢ والجمهرة ٣ : ١٣٥ ، والمخصص ١٠ : ٩٠، ومجالس ثعلب : ٢٤٩ ، والحيوان ٢ : ٣٣٩ ، والقالى ٢ : ٨ ، واللسان (صفا) و (نفا) وكلهم رواه « متنيه » إلا ابن دريد فإنه أنشده :

كَأَنَّ مَتْنَيَّ من النَّفِيِّ مِنْ طُولِ إشْرَافِي على الطَّوِيِّ

والنفى : ما تطاير من دلو المستق . ومن روى « متى » فكأنه عنى أن الأخيل يصف نفسه . وأما من روى « متنيه» ، فإنه عنى غيره . وهو الأصح فيما أرجح ، وقد قال الأزهرى : « هذا ساق كان أسود الجلدة ، استقى من بئر ملح ، فكان يبيض نفى الماء على ظهره إذا ترشش . لأنه كان ملحاً » . فإذا صح ذلك ، كانت رواية البيت الذى يليه « من طول إشراف » بغير ياء الإضافة ، ومعنى الشعر أشبه بما قال الأزهرى ، لتشبيهه فى البيت الثالث . و « الطوى » البئر المطوية بالحجارة .

(٣) الزيادة بين الأقواس لابد منها ، ليستقيم تمثيل المتمثل بهذه الجموع ، على نظيرها . وهو قوله آنفاً : صفا وأصفاء وصُفى وصِفى .

(٤) بيان الطبرى عن معنى « المرو » ليس بجيد ، والأجود ما قاله أصحاب اللغة : المرو ، حجارة بيض براقة ، تكون فيها النار ، وتقدح منها النار ، ويتخذ أداة كالسكين يذبح بها ، وهى صلبة .

وَتَرَى بِالأَرْضِ خُفًّا زَائِلاً فَإِذَا مَا صَادَفَ المَرْوَ رَضَحْ(١)

يعنى بـ« المرو » : الصخرَ الصغار ، ومن ذلك قول أبى ذؤيب الهذلى :

حَتَّى كَأَنِّى لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا المُشَرَّقِ، كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ(٢)

ويقال : « المشقَّر » .

* * *

وإنما عنى الله تعالى ذكره بقوله : « إنّ الصفا والمروة » ، فى هذا الموضع الجبلين المسمَّيَين بهذين الاسمين اللذين فى حَرَمه ، دون سائر الصفا والمرو . ولذلك ٢٧/٢ أدخل فيهما « الألف واللام » ، ليعلم عباده أنه عنى بذلك الجبلين المعروفين بهذين الاسمين ، دون سائر الأصفاء والمرْوِ .

* * *

وأما قوله : « منْ شَعائر الله » ، فإنه يعنى : من معالم الله التى جعلها تعالى ذكره لعباده مَعلماً ومَشعَراً يعبدونه عندها ، إما بالدعاء ، وإما بالذكر ، وإما بأداء ما فرض عليهم من العمل عندها . ومنه قول الكميت :

نُقَتِّلُهُمْ جِيلاً فَجِيلاً ، تَرَاهُمُ شَعَائِرَ قُرْبَانٍ بِهِمْ يُتَقَرَّبُ(٣)

---

(١) ديوانه : ١٦١ ، وفى الشطر الأول تصحيف لم أتبين صوابه ، ورواية الديوان :

* وَتُوَلِّى الأَرْضَ خُفًّا مُجْمَرًا *

وهو يصف ناقته وشدتها ونشاطها ، والخف المجمر : هو الوقاح الصلب الشديد المجتمع ، نكبته الحجارة فصلب . رضح الحصا والنوى رضحاً : دقه فكسره . يعنى من شدة الخف وصلابته ، وذلك محمود فى الإبل .

(٢) ديوانه : ٣ ، والمفضليات : ٥٨٧ ، من قصيدة البارعة فى رثاء أولاده ، يقول إن المصائب المتتابعة تركته كهذه الصخرة التى وصف . والمشرق : المصلى بمنى . قال ابن الأنبارى : « وإنما خص المشرق ، لكثرة مرور الناس به » . ثم قال : « ورواها أبو عبيدة : « المشقر » : يعنى سوق الطائف . يقول : كأنى مروة فى السوق يمر الناس بها ، يقرعها واحد بعد واحد » .

(٣) الهاشميات : ٢١ ، واللسان (شعر) ، وغيرهما . والضمير فى قوله : «نقتلهم» ، إلى الخوارج الذين عدد أسماءهم فى بيتين قبل :

وكان مجاهد يقول فى الشعائر بما : —

٢٣٣٢ — حدثنى به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله » ، قال : من الخبر الذى أخبركم عنه .[1]

٢٣٣٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

فكأن مجاهدًا كان يرى أن الشعائر ، إنما هو جمع « شعيرة » ، من إشعار الله عباده أمرَ الصفا والمروة ، وما عليهم فى الطواف بهما . فمعناه : إعلامُهم ذلك .

وذلك تأويل من المفهوم بعيد . وإنما أعلم الله تعالى ذكره بقوله : « إن الصفا والمروة مِنْ شعائر الله » عبادَه المؤمنين أن السعى بينهما من مَشاعر الحج التى سنَّها لهم ، وأمرَ بها خليله إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم ، إذ سَأله أن يُريه مناسك الحج . وذلك وإن كان مَخرجُه مَخرجَ الخبر ، فإنه مرادٌ به الأمر . لأن الله تعالى ذكره قد أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم عليه السلام ، فقال له : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ [سورة النحل : ١٢٣] ، وجعل تعالى ذكره إبراهيمَ إماماً لمنْ بعده . فإذْ كان صحيحاً أن الطوافَ والسعىَ بين الصفا والمروة من شعائر الله ومن مَناسك الحج ، فمعلوم أن إبراهيم صلى الله

عَلاَمَ إِذَا زُرْنَا الزُّبَيْرَ وَنَافِعاً ... بغارتنا ، بَعْدَ المَقَانِبِ مِقْنَبُ
وَشَاطَ عَلَى أَرْمَاحِنَا بِادِّعَائِهَا ... وَتَحْوِيلِهَا عَنْكُمْ شَبِيبٌ وَقَعْنَبُ

والجيل : الأمة ، أو الصنف من الناس . وفى المطبوعة واللسان : « تراهم » بالتاء ، وهو خطأ . والشعائر هنا جمع شعيرة : وهى البدنة المهداة إلى البيت ، وسميت بذلك لأنه يؤثر فيها بالعلامات . وإشعار البدن : إدماؤها بطعن أو رمى أو حديدة حتى تدمى .

(١) فى المطبوعة : « من الخير » بالياء المثناة التحتية ، وليس يستقيم ، والصواب ما أثبت ، وكلام الطبرى فى تعليقه على قول مجاهد ، دال على الصواب من ذلك أنها من الإشعار ، وهو الإخبار .

عليه وسلم قد عُمل به وسنه لمن بعده، وقد أُمِرَ نبينا صلى الله عليه وسلم وأمته باتباعه، فعليهم العمل بذلك، على ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* * *

القولُ في تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « فمن حج البيت » ، فمن أتاه عائداً إليه بَعدَ بدء . وكذلك كل من أكثر الاختلاف إلى شيء فهو « حاجٌّ إليه » ، ومنه قول الشاعر : (١)

وأشْهَدَ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقَانِ المُزَعْفَرَا (٢)

---

(١) هو المخبل السعدي ، وهو مخضرم .

(٢) المعاني الكبير : ٤٧٨ ، والاشتقاق لابن دريد : ٧٧ ، ١٥٦ ، وتهذيب الألفاظ : ٥٦٣ ، وإصلاح المنطق : ٤١١ ، والبيان والتبيين ٣ : ٩٧ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي : ٣١٣ ، والبطليوسي : ٤٠٥ ، واللسان (سبب) (حجج) ، (قهر) (زبرق) ، والجمهرة لابن دريد ١ : ٣١ ، ٤٩/٣ : ٤٣٤ ، وسمط اللآلى : ١٩١ ، والخزانة ٣ : ٤٢٧ . وفى المطبوعة : « بيت الزبرقان » والصواب ما أثبت.

وقد ذهب الطبرى فى تفسير البيت ، كما ذهب ابن دريد وابن قتيبة والجاحظ وغيرهم إلى أن « السب » ههنا العمامة ، وأن سادات العرب كانوا يصبغون عمائمهم بالزعفران ، ومنهم حصين بن بدر ، وهو الزبرقان ، وسمى بذلك لصفرة عمامته وسيادته . وذهب أبو عبيدة وقطرب إلى أنه « السب » هنا هى الاست ، وكان مقروفاً ، وزعموا أن قول قطرب قول شاذ ، والصواب عندى أن أبا عبيدة وقطرب قد أصابا ، وأنهم أخطأوا فى ردهم ما قالا . فقد كان المخبل بذىء اللسان ، حتى نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما هو عذاب يصبه الله على من يشاء من عباده » (النقائض : ١٠٤٨) قال أبو عبيدة فى النقائض : « كان المخبل القريعى أهجى العرب . . . ثم كان بعده حسان بن ثابت ، ثم الحطيئة ، والفرزدق ، وجرير ، والأخطل . هؤلاء الستة الغاية فى الهجاء وغيره ، ولم يكن فى الجاهلية ولا فى الإسلام لهم نظير » . هذا وقد كان من أمر المخبل والزبرقان بن بدر ما كان فى ضيافة الحطيئة (انظر طبقات فحول الشعراء : ٩٦ — ١٠٠) ، وهجاؤه له ، ثم ما استشرى من هجاء المخبل له ، لما خطب إليه أخته خليدة ، فأبى الزبرقان أن يزوجها له ، وذمه . فهجاه وهجا أخته هجاء مقذعاً ، وحط منه حتى قال له :

يَا زِبْرِقَانُ أَخَا بَنِي خَلَفٍ مَا أَنْتَ وَيبَ أَبِيكَ وَالفَخْرُ
مَا أَنْتَ إِلاَّ فِي بَنِي خَلَفٍ كَالإِسْكَتَيْنِ عَلاَهُمَا البَظْرُ

يعنى بقوله : « يحجون » ، يكثرون التردد إليه لسودده ورياسته . وإنما قيل للحاج « حاجّ » ،لأنه يأتى البيت قبل التعريف ، ثم يعود إليه لطواف يوم النحر بعد التعريف ، ثم ينصرف عنه إلى منى ، ثم يعود إليه لطواف الصدر .[1] فلتكراره العود إليه مرة بعد أخرى قيل له : « حاجٌّ » .

* * *

وأما « المعتمر » ، فإنما قيل له : « معتمر » ، لأنه إذا طاف به انصرف عنه بعد زيارته إياه . وإنما يعنى تعالى ذكره بقوله : « أو اعتمر » ، أو اعتمر البيت ، ويعنى بـ « الاعتمار » الزيارة . فكل قاصد لشىء فهو له « معتمر » ، ومنه قول العجاج :

لَقَدْ سَمَا ابْنُ مَعْمَرٍ حِينَ اعْتَمَرْ مَغْزًى بَعِيداً من بَعِيدٍ وَضَبَرْ[2]

يعنى بقوله : « حين اعتمر » ، حين قصده وأمه .

* * *

وكل شعره فى الزبرقان وأخته مقذع . وهذا البيت الذى استشهد به الطبرى من قذعه . وقبل البيت :

أَلَمْ تَعْلَمِى يَا أُمَّ عَمْرَةَ أَنَّنِى تَخَاطَأَنِى رَيْبُ الزَّمَانِ لأَكْبَرَا
لأَشْهَدَ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقَانِ المُزَعْفَرَا
تَمَنَّى حُصَيْنٌ أن يَسُودَ جِذَاعَهُ فَأَمْسَى حُصَيْنٌ قد أُذِلَّ وأُقْهِرَا

وفى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٥ - ٢٧٦ قول عتبة بن ربيعة فى أبى جهل : « سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره ، أنا أم هو ! » فرماه بمثل ذلك من القبيح ، الذى قاله المخبل السعدى . ومن زعم أن المخبل يقول إنه : « كره أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من الجلالة والعظمة بحيث يحج بنو عوف عصابته » ، فقد أخطأ ، وقد نقض عليه البيت الثالث ما زعم ، فإنه يصفه بأنه تمنى السيادة ، ولكن ذلك لم يزده إلا ذلا وقهراً ، فكيف يتأتى أن يقول ما زعم هذا أنه أراده ؟ بل أراد المخبل أن يسخر به ويتهكم ، كما فعل فى سائر هجائه له .

وقوله : « وأشهد » منصوب ، عطفاً على قوله : « لأكبرا » .

(١) عرف يعرف تعريفاً : وقف بعرفات . و « طواف الصدر » من قولهم : صدر الناس من حجهم ، أى رجعوا بعد أن يقضوا نسكهم .

(٢) ديوانه : ١٩ من قصيدة مدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى ، مضى منها فى ١ : ١٩٠ ، ٢ : ١٥٧ . وقوله « مغزى » ، أى غزواً . وضبر : جمع قوائمه ليثب ثم وثب . وهو يصف بعده جيش عمر بن عبيد الله ، وكان فتح الفتوح الكثيرة ، وعظم أمره فى قتال الخوارج .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : «بقوله فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما»، يقول : فلا حَرَج عليه ولا مَأثم فى طَوافه بهما .

* * *

فإن قال قائل : وما وجه هذا الكلام ، وقد قلت لنا ، إن قوله : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله »، وإن كان ظاهرُه ظاهرَ الخبر ، فإنه فى معنى الأمر بالطواف بهما ؟ فكيف يكون أمرًا بالطواف ، ثم يقال : لا جُناح على من حج البيت أو اعتمر فى الطواف بهما ؟ وإنما يوضع الجُناح عمن أتى ما عليه بإتيانه الجناحُ والحرجُ ؟ والأمر بالطواف بهما ، والترخيصُ فى الطواف بهما ، غيرُ جائز اجتماعهما فى حال واحدة ؟

قيل : إنّ ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ .[1] وإنما معنى ذلك عند أقوام : أنّ النبى صلى الله عليه وسلم لما اعتمر عُمرة القضيَّة ، تخوَّف أقوامٌ كانوا يطوفون بهما فى الجاهلية قبل الإسلام لصنمين كانا عليهما تعظيماً منهم لهما ، فقالوا : وكيف نَطوف بهما ، وقد علمنا أنّ تعظيم الأصنام وجميع ما كان يُعبد من ذلك من دون الله ، شركٌ ؟ ففى طوافنا بهذين الحجرين أحرَجُ ذلك ،[2] لأن الطواف بهما فى الجاهلية إنما كان للصنمين اللذين كانا عليهما ، وقد جاء الله بالإسلام اليومَ ، ولا سبيل إلى تعظيم شىء مع الله بمعنى العبادة له !

فأنزل الله تعالى ذكره فى ذلك من أمرهم : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله »،

---

(١) فى المطبوعة : « إليه ذهب » ، والصواب ما أثبت ، لأن الطبرى ساق قول القائل ، على أنه خطاب له إذ قال للطبرى : « وقد قلت لنا » . فالصواب أن يصرف الرد عليه خطاباً له كما خاطبه .

(٢) فى المطبوعة : «أحد ذلك»، ولا معنى له، وفيه تحريف لا شك فيه . فإنهم لم يذكروا متعدداً من الآثام حتى يجعلوا له « أحداً » . وإنما أرادوا : أكبر الإثم والشرك . و«ذلك»، إشارة إلى الشرك . ولو قرئت أيضاً : « أخوف ذلك » لكانت صواباً ، لأنه سيذكر أنهم كانوا يتخوفون الطواف بهما . ويعنى : أخوف الشرك .

يعنى : إن الطوافَ بهما ، فترك ذكر « الطواف بهما » ، اكتفاء بذكرهما عنه . وإذْ كان معلوماً عند المخاطبين به أن معناه : من معالم الله ، التى جعلها علَماً لعباده يعبدونه عندهما بالطواف بينهما ، ويذكرونه عليهما وعندهما بما هو له أهل من الذكر ، « فمن حج البيتَ أو اعتمر » فلا يتخوَّفنّ الطواف بهما ، من أجل ما كانَ أهل الجاهلية يطوفون بهما من أجل الصنمين اللذين كانا عليهما ، فإن أهل الشرك كانوا يطوفون بهما كفرًا ، وأنتم تطوفون بهما إيماناً ، وتصديقاً لرسولى ، وطاعةً لأمرى ، فلا جُناح عليكم فى الطواف بهما . ٢٨/٢

* * *

و « الجناح » ، الإثم ، كما : —

٢٣٣٤ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلا جُناح عليه أن يطوّف بهما » ، يقول : ليس عليه إثم ، ولكن له أجر.

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك تظاهرت الرواية عن السلف من الصحابة والتابعين .

* ذكر الأخبار التى رويت بذلك :

٢٣٣٥ — حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا داود ، عن الشعبى : أن وَثناً كان فى الجاهلية على الصفا يسمى « إسافاً » ،[1] ووثناً على المرْوة يسمى « نائلة » ، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مَسحوا الوثنين . فلما جاء الإسلام وكُسرت الأوثان ، قال المسلمون : إنّ الصفا والمرْوة إنما كانَ يُطاف بهما من أجل الوثنين ، وليس الطواف بهما من الشعائر ! قال : فأنزل الله : إنهما من الشعائر ، « فمن حجّ البيتَ أو اعتمر فلا جُناحَ عليه أن يطوّف بهما » .

٢٣٣٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عامر قال : كان صنم بالصفا يدعى « إسافاً » ،[1] ووثن بالمروة يدعى « نائلة » ،

(١) فى المطبوعة : « إساف » ، والصواب ما أثبت ، فهو غير ممنوع من الصرف .

ثم ذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب — وزاد فيه ، قال : فذكَّر الصفا من أجل الوثن الذى كان عليه، وأنّث المروة من أجل الوثن الذى كان عليه مؤنثاً .[١]

٢٣٣٧ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، وذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب عن يزيد ، وزاد فيه — قال : فجعله الله تطوُّعَ خير .

٢٣٣٨ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرني عاصم الأحول قال ، قلت لأنس بن مالك : أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمرْوة حتى نزلت هذه الآية ؟ فقال : نعم كنا نكره الطواف بينهما لأنهما من شعائر الجاهلية ، حتى نزلت هذه الآية : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله » .[٢]

٢٣٣٩ — حدثني على بن سهل الرملى قال ، حدثنا مؤمل بن إسمعيل قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم قال ، سألت أنساً عن الصفا والمروة ، فقال : كانتا من مَشاعر الجاهلية ، فلما كان الإسلام أمسكوا عنهما ، فنزلت : « إن الصفا والمرْوَة من شَعائر الله » .[٣]

---

(١) الأثر : ٢٣٣٦ — هكذا جاء هذا الأثر فى الدر المنثور ١ : ١٦٠ ، وصواب عبارته فيما أرجح ، أن يحذف « مؤنثاً » ، أو أن يقال : « من أجل أن الوثن الذى كان عليه كان مذكراً ، وأنث المروة من أجل أن الوثن الذى كان عليه كان مؤنثاً » .

(٢) الحديث : ٢٣٣٨ — يعقوب : هو ابن إبرهيم الدورق . ابن أبي زائدة : هو يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة الهمدانى الوادعى ، وهوحافظ ثقة ، يقرن بابن المبارك . يقولون : إنه أول من صنف الكتب بالكوفة ، مات سنة ١٨٣ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٤ /٢٧٣ — ٢٧٤ . والصغير ، ص : ٢٠٦ ، وابن سعد ٦ : ٢٧٤ ، وابن أبي حاتم ١٤٤/٢/٤ — ١٤٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٢٦ — ٢٤٧ .

عاصم : هو ابن سليمان الأحول ، مضى فى : ١٨٤ ، وهو من صغار التابعين . وعده سفيان الثورى أحفظ ثلاثة فى البصرة . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٢٠/٢/٧ — ٦٥ ، وابن أبي حاتم ٣٤٣/١/٣ — ٣٤٤ .

والحديث رواه البخارى ٣ : ٤٠٢ (فتح) ، من طريق عبد الله ، وهو ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، بنحوه . ورواه أيضاً مسلم ، والترمذى ، والنسائى . كما فى القسطلانى ٣ : ١٥٣ — ١٥٤ .

(٣) الحديث : ٢٣٣٩ — سفيان : هو الثورى . والحديث مختصر ما قبله . ورواه البخارى مختصراً ٨ : ١٣٢ (فتح) ، عن محمد بن يوسف ، عن سفيان . ورواه الحاكم ٢ : ٢٧٠ ، من طريق حسين بن حفص ، عن سفيان . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه

٢٣٤٠ — حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثني الحسين المعلم قال ، حدثنا شيبان أبو معاوية ، عن جابر الجعفي ، عن عمرو ابن حبشي قال ، قلت لابن عمر : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيتَ أو اعتمر فلا جُناحَ عليه أنْ يَطّوَّف بهما » ، قال : انطلق إلى ابن عباس فاسأله ، فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. فأتيته فسألته ، فقال : إنه كان عندهما أصنامٌ ، فلما حُرِّمْن أمسكوا عن الطواف بينهما ، حتى أنزلت : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمرَ فلا جُناح عليه أنْ يَطّوَّفَ بهما »[1].

الذهبي . وأخطأ الحاكم في استدراكه ، فقد رواه البخاري . كما ذكرنا قبل .

وسيأتي بعض معناه مختصراً : ٢٣٤٦ ، ٢٣٤٧ ، من رواية جرير ، عن عاصم ، عن أنس .

(١) الحديث : ٢٣٤٠ — عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد العنبري : ثقة ، من شيوخ مسلم والترمذي والنسائي وأبي حاتم وغيرهم. مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣ / ١ / ٧٦ .

حسين المعلم : هو حسين بن محمد بن بهرام التميمي المروذي ، المؤدب ، كما لقب بذلك في التهذيب ، وهو « المعلم » أيضاً ، كما لقبه بذلك البخاري وابن أبي حاتم ، وهو ثقة من شيوخ أحمد ويحيى والأئمة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١ / ٢ / ٣٨٦ — ٣٨٧ ، وابن سعد ٧ / ٢ / ٧٩ ، وابن أبي حاتم ١ / ٢ / ٦٤ . وتاريخ بغداد ٨ : ٨٨ — ٩٠ ، وكان معروفاً برواية « تفسير شيبان النحوي » . فروى ابن أبي حاتم عن أبيه ، قال : « أتيته مراراً بعد فراغه من تفسير شيبان ، وسألته أن يعيد على بعض المجلس ، فقال : بكر ، بكر . ولم أسمع منه شيئاً » .

ومما يوقع في الوهم ، الاشتباه بين « عبد الوارث بن عبد الصمد » . وشيخه « حسين المعلم » هذا — وبين « عبد الوارث بن سعيد » ، وشيخه « حسين المعلم » أيضاً .

ف « عبد الوارث » — شيخ الطبري — هو الذي ترجمنا له هنا . وشيخه « حسين بن محمد المروذي » . و « عبد الوارث بن سعيد » — هو جد « عبد الوارث » هذا . و « حسين المعلم » هو « حسين بن ذكوان المعلم » ، وهو قديم ، يروي عن التابعين .

شيبان أبو معاوية : « هو شيبان بن عبد الرحمن التميمي النحوي ، وهو إمام حجة حافظ ، حدث عنه أبو حنيفة ، وهو من أقرانه . و روى عنه الأئمة : الطيالسي ، وابن مهدي ، وغيرهما. مترجم في التهذيب . والكبير ٢ / ٢ / ٢٥٥ ، وابن سعد ٦ : ٢٦٢ ، و ٧ / ٢ / ٦٧ — ٦٨ وابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٣٥٥ — ٣٥٦ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٢٧١ — ٢٧٤ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٠٢ — ٢٠٣ .

ووقع في المطبوعة غلط في اسمه واسم الراوي عنه : فذكر « أبو الحسين المعلم » ! وهو تخليط ، وذكر « سنان أبو معاوية » ! وهو فوق ذلك تصحيف .

٢٣٤١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « إنّ الصّفا والمروة من َشعائر الله » ، وذلك أنّ ناساً كانوا يتحرجون أن َيطوفوا بين الصفا والمروة ، فأخبر الله أنهما من شعائره ، والطواف بينهما أحبُّ إليه ، فمضت السُّنة بالطّواف بينهما.

٢٣٤٢ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنّ الصفا والمروة من َشعائر الله فمن َحج البيت أو اعتمر فلا ُجناح عليه أن يطوّف بهما » ، قال : زعم أبو مالك ، عن ابن عباس : أنه كانَ فى الجاهلية َشياطين تعزِفُ الليل أجمعَ بين الصفا والمروة ، وكانت َبينهما آلهة ، فلما جاء الإسلام وَظهر ، قال المسلمون : يا رَسولَ الله، لا نطوف بين الصفا والمروة، فإنه شركٌ كنا نفعله فى الجاهلية ! فأنزل الله: «فلا ُجناح عليه أن يطوّف بهما».[1]

جابر الجعفى ، بضم الجيم وسكون العين المهملة : وهو جابر بن يزيد بن الحارث ، وهو ضعيف جداً، رمى بالكذب. مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢١٠ ، والضعفاء للبخارى ، ص : ٧ . والنسائى ، ص : ٧ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٩٧ — ٤٩٨، والمجروحين لابن حبان، رقم : ١٧٥ ، ص ١٤٠ — ١٤١ . والميزان ١ : ١٧٦ — ١٧٨ .

عمرو بن حبشى ، بضم الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة : تابعى ثقة ، مترجم فى التهذيب . وابن أبى حاتم ٣/١/٢٢٦ .

وهذا الحديث — الضعيف الإسناد — لم أجده إلا فى هذا الموضع . وذكره السيوطى ١ : ١٥٩ ، ولم ينسبه إلا إلى الطبرى .

(١) الحديث : ٢٣٤٢ — هذا الإسناد ، هو من أسانيد تفسير السدى الثلاثة ، وقد فصلنا القول فيها ، فى : ١٦٨ .

والحديث رواه أبو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف ، ص : ١٠٠ — ١٠١ ، عن الحسين ابن على ابن مهران ، عن عامر بن الفرات ، عن أسباط ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وفى إسناد ابن أبى داود فائدة جديدة : أن هناك راوياً لتفسير السدى ، غير « عمرو بن طلحة القناد » راويه عن أسباط بن نصر . فها هو ذا عامر بن الفرات يروى شيئاً منه عن أسباط أيضاً . و « عامر بن الفرات » : لم أجد له ترجمة أصلا . ومن عجب أن يذكره ابن أبى حاتم ، فى ترجمة « الحسين بن على بن مهران » ١/٢/٥٦ — شيخاً له ، ثم لا يترجم له فى بابه !

ورواه أيضاً الحاكم ٢ : ٢٧١ ، من طريق عمرو بن طلحة القناد ، عن أسباط . بهذا الإسناد نحوه . وزاد فى آخره : « يقول : عليه إثم ولكن له أجر » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

٢٣٤٣ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله » ، قال : قالت الأنصار : إنّ السَّعي بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية ! فأنزل الله تعالى ذكره : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله »

٢٣٤٤ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٢٣٤٥ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « فلا جُناح عليه أن يَطَّوَّف بهما » ، قال : كان أهل الجاهلية قد وَضَعوا على كل واحد منهما صَنَماً يعظمونهما ، فلما أسلم المسلمون كرِهوا الطواف بالصفا والمروة لمكان الصنمين ، فقال الله تعالى : « إنّ الصفا والمروةَ من شعائر الله فمن حج البيتَ أو اعتمر فلاَ جُناح عليه أن يطَّوَّف بهما» ، وقرأ: ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [سورة الحج : ٣٢] ، وَسن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما . ٢٩/٢

٢٣٤٦ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عاصم قال ، قلت لأنس : الصفا والمروة ، أكنتم تكرَهون أن تطوفوا بهما مع الأصنام التي نُهيتم عنها ؟ قال : نعم ، حتى نزلت: « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله » .

٢٣٤٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير قال ، أخبرنا عاصم قال ، سمعت أنس بن مالك يقول : إنّ الصفا والمروة من مَشاعر قُريش في الجاهلية ،

ولنا على الحاكم والذهبي في هذا استدراك ، هو : أن أبا مالك - التابعي راويه عن ابن عباس - وهو « غزوان الغفاري» : لم يرو له مسلم في صحيحه أصلا. فلا يكون الحديث على شرط مسلم، في اصطلاح الحاكم !

وفي رواية الحاكم - هذه - فائدة أيضاً : أنا ظننا عند الكلام على أسانيد تفسير السدي الثلاثة ، أن الحاكم اختار منها إسنادين فقط ، ولكن أظهرنا هذا الإسناد على أنه صحح الثلاثة الأسانيد .

والحديث ذكره السيوطي ١ : ١٥٩ ، وزاد نسبته لابن أبي حاتم أيضاً .

فلما كان الإسلام تركناها.(١)

* * *

وقال آخرون : بل أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية ، فى سبب قوم كانوا فى الجاهلية لا يسعون بينهما ، فلما جاء الإسلام تخوفوا السعى بينهما كما كانوا يتخوفونه فى الجاهلية.

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٤٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة، قوله: « إن الصفا والمروة من شعائر الله » الآية، فكان حى من تهامة فى الجاهلية لا يسعون بينهما ، فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله . وكان من سنة إبراهيم وإسمعيل الطواف بينهما .

٢٣٤٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كان ناس من أهل تهامة لا يطوفون بين الصفا والمروة ، فأنزل الله : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » .

٢٣٥٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال ، حدثنى عروة بن الزبير قال ، سألت عائشة فقلت لها : أرأيت قول الله : « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ؟ وقلت لعائشة : والله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة ؟ فقالت عائشة : بئس ما قلت يا ابن أختى ! إن هذه الآية لو كانت كما أولتها كانت : لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت فى الأنصار : كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة ، الطاغية التى كانوا يعبدون بالمشلل ، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بين

(١) الحديثان : ٢٣٤٦ — ٢٣٤٧ — جرير : هو ابن عبد الحميد الضبى ، وهو ثقة حجة حافظ . مترجم فى التهذيب، والكبير ١/٢/٢١٤، وابن سعد ٧/٢/١١٠، وابن أبى حاتم ١/١/٥٠٥ — ٥٠٧ . وتاريخ بغداد ٧ : ٢٥٣ — ٢٦١ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٥٠ .

والحديثان مضى معناهما ، من رواية عاصم عن أنس : ٢٣٣٨ ، ٢٣٣٩ .

الصفا والمروة ، فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك — فقالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نَطُوف بين الصفا والمروة — أنزل الله تعالى ذكره : « إنّ الصفا والمروَة من شعائر الله فمن حجّ البيتَ أو اعتمرَ فلا جُناح عليه أن يطّوّفَ بهما ». قالت عائشة: ثم قد سَن رَسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يَترك الطواف بَينهما .(١)

---

(١) الحديث : ٢٣٥٠ — عقيل — بضم العين : هو ابن خالد الأيلي ، وهو ثقة ثبت حجة ، قال ابن معين : « أثبت من روى عن الزهرى : مالك ، ثم معمر ، ثم عقيل » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٩٤/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٤٣/٢/٣ .

عروة بن الزبير بن العوام : تابعى ثقة فقيه عالم ثبت مأمون ، قال أبو الزناد : « كان فقهاء أهل المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان » . وأمه أسماء ذات النطاقين بنت أبى بكر الصديق ، وعائشة أم المؤمنين خالته ، رضى الله عنهم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣١/١/٤ — ٣٢ ، وابن سعد ١٣٤/٢/٢ — ١٣٥ ، و ٥ : ١٣٢ — ١٣٥ ، وابن أبى حاتم ٣٩٥/١/٣ — ٣٩٦ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٥٨ — ٥٩ ، وتاريخ الإسلام ٣ : ٣١ — ٣٤.

والحديث — من هذا الوجه — رواه مسلم ١ : ٣٦٢ ، من طريق عقيل ، عن ابن شهاب ، وهو الزهرى ولم يذكر لفظه كله ، إحالة على روايات قبله .

ورواه البخارى ٣ : ٣٩٧ — ٤٠١ ، مطولا ، من طريق شعيب ، عن الزهرى ، باللفظ الذى هنا ، إلا خلافاً فى أحرف يسيرة : « فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا ... أنزل الله . . . » فى البخارى : « فلما أسلموا سألوا . . . قالوا . . فأنزل الله . . . » . ولكن زاد البخارى فى آخره قول الزهرى أنه ذكر ذلك لأبى بكر بن عبد الرحمن — الذى سيأتى فى الرواية التالية لهذه ، بنحو معناه .

وثبت من أوجه كثيرة ، عن الزهرى ، عن عروة ، مطولا ومختصراً :

فرواه مالك فى الموطأ ، ص : ٣٧٣ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه . ورواه البخارى ٨ : ١٣٢ . وابن أبى داود فى المصاحف ، ص ١٠٠ — ولم يذكر لفظه — كلاهما من طريق مالك .

ورواه أحمد فى المسند ٦ : ١٤٤ ، ٢٢٧ (حلبى) ، من طريق إبرهيم بن سعد ، عن الزهرى . وكذلك رواه ابن أبى داود ، ص : ١٠٠ — ولم يذكر لفظه — من طريق إبرهيم بن سعد .

ورواه مسلم مطولا ١ : ٣٦١ — ٣٦٢ ، من طريق سفيان بن عيينة ، عن الزهرى . وكذلك رواه البخارى ٨ : ٤٧٢ ، من طريق سفيان . ولكنه اختصره جداً .

ورواه مسلم وابن أبى داود — قبل ذلك وبعده : من أوجه كثيرة .

وذكره السيوطى ١ : ١٥٩ ، وزاد نسبته إلى أبى داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، وابن الأنبارى فى المصاحف ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى السنن .

وانظر الحديث التالى لهذا .

قوله « يهلون لمناة » : أى يحجون . ومناة ، بفتح الميم والنون الخفيفة : صنم كان فى الجاهلية .

٢٣٥١ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان رجالٌ من الأنصار مِمَّن يُهِلُّ لمناةَ في الجاهلية — و « مناةُ » صنمٌ بين مكة والمدينة — قالوا : يا نبيَّ الله ، إنا كنا لا نطوفُ بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة ، فهل علينا من حَرَج أن نَطوف بهما ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « إنَّ الصفا والمروةَ من شعائر الله فمن حج البيتَ أو اعتمرَ فلا جناح عليه أن يطوف بهما » . قال عروة : فقلت لعائشة : ما أبالي أن لا أطوف بين الصفا والمروة ! قال الله : « فلاَ جُناحَ عليه » . قالت : يا ابن أختي ، ألا ترى أنه يقول : « إن الصفا والمروة من شَعائر الله » ! قال : الزهري : فذكرت ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال : هذا العلم ! قال أبو بكر : ولقد سمعتُ رجالاً من أهل العلم يقولون : لما أنزل الله الطوافَ بالبيت ولم يُنزل الطواف بين الصفا والمروة ، قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا كنا نطوفُ في الجاهلية بين الصفا والمروة ، وإنَّ الله قد ذكر الطواف بالبيت ولم يذكر الطوافَ بين الصفا والمروةَ ، فهل علينا من حرج أن لا نطوفَ بهما ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « إنَّ الصفا والمروةَ من شعائر الله » الآية كلها ، قال أبو بكر : فأسمعُ أن هذه الآية نَزلت في الفريقين كليهما ، فيمن طافَ وفيمن لم يَطُف.[1]

وقال ابن الكلبي : كانت صخرة نصبها عمرو بن لحي لهذيل ، وكانوا يعبدونها . والطاغية : صفة لها إسلامية . قاله الحافظ في الفتح .

« المشلل » : بضم الميم وفتح الشين المعجمة ولامين ، الأولى مفتوحة مثقلة ، هي الثنية المشرفة على قديد ، وقديد ، بضم القاف ودالين مهملتين ، مصغراً : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، كثيرة المياه . عن الفتح .

(١) الحديث : ٢٣٥١ — هو تكرار للحديث السابق بمعناه ، من وجه آخر صحيح ، عن الزهري. وفيه زيادة قول الزهري أنه ذكر ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، إلخ . وهذه الزيادة ذكرها البخاري ، في روايته من طريق شعيب عن الزهري ، كما قلنا آنفاً .

ورواية معمر عن الزهري — هذه : ذكر البخاري بعضها تعليقاً ٨ : ٤٧٢ ، فقال : « قال معمر عن الزهري . . . » . وقال الحافظ : « وصله الطبري ، عن الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق ، مطولا » . فهذه إشارة إلى الرواية التي هنا ، وأشار إليها في الفتح ٣ : ٣٩٩ ، وذكر أنه وصلها أحمد وغيره .

٢٣٥٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال : كانَ ناسٌ من أهل تِهامة لا يَطوفون بين الصفا والمروة، فأنزل الله : « إنّ الصفا والمرْوَة من شعائر الله » .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إنّ الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله، كما جعل الطواف بالبيت من شعائره .

فأما قوله : « فلا جناحَ عليه أن يطَّوَّف بهما »، فجائزٌ أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوَّف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي، وبَعضُهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما فى الجاهلية، على ما رُوى عن عائشة .

وقد رواها أيضاً ابن أبى داود فى المصاحف، ص : ١٠٠، عن « خشيش بن أصرم، والحسن بن أبى الربيع، أن عبد الرزاق أخبرهم عن معمر . . . » . ولم يسق لفظ الحديث، إحالة على ما قبله .
و « خشيش » : بضم الخاء وفتح الشين وآخره شين، معجمات كلها . و « الحسن بن أبى الربيع » : هو « الحسن بن يحيى » شيخ الطبرى، كنية أبيه « أبو الربيع » . وخلط المستشرق طابع كتاب المصاحف : فكتب « حشيش » بالحاء المهملة ! وكتب « الحسن بن أبى الربيع بن عبد الرزاق » ! !
و « أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام » المخزومى القرشى المدنى : من كبار التابعين الأئمة، ومن سادات قريش . وهو أحد الفقهاء السبعة . مترجم فى التهذيب، والكنى للبخارى، رقم : ٥١، وابن سعد ٢/٢/١٣٣، و٥ : ١٥٣ — ١٥٤، وتذكرة الحفاظ ١ : ٥٩ — ٦٠، وتاريخ الإسلام ٤ : ٧٢ — ٧٣ .

وقول أبى بكر بن عبد الرحمن « فأسمع أن هذه الآية نزلت . . . » — إلخ : هو فى رواية البخارى أيضاً ٣ . ٤٠١، وقال الحافظ : « كذا فى معظم الروايات، بإثبات الهمزة وضم العين، بصيغة المضارعة للمتكلم . وضبطه الدمياطى فى نسخته [يعنى من صحيح البخارى] بالوصل وسكون العين . بصيغة الأمر، والأول أصوب، فقد وقع فى رواية سفيان المذكورة : فأراها نزلت . وهو بضم الهمزة، أى أظنها » .

وانظر كثيراً من طرق هذا الحديث أيضاً، فى السنن الكبرى للبيهقى ٥ : ٩٦ — ٩٧ .

(١) الأثر : ٢٣٥٢ — كان فى المطبوعة : « حدثنا الحسن بن يحيى، قال أخبرنا معمر » بإسقاط « أخبرنا عبد الرزاق قال »، وهو إسناد دائر فى التفسير، وهو مكرر رقم : ٢٣٤٩ بنصه، وأخشى أن يكون زيادة ناسخ سها .

وأيُّ الأمرين كان من ذلك ، فليس في قول الله تعالى ذكره : « فلا جُناح عليه أن يطَّوَّف بهما » ، الآية ، دلالةٌ على أنه عَني به وَضع الحرَج عمن طاف بهما ، من أجل أن الطواف بهما كان غير جائزٍ بحظر الله ذلك ، ثم جُعل الطواف بهما رُخصة ، لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظُر ذلك في وقت ، ثم رخص فيه بقوله : « فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما » .

* * *

٣٠/٢ وإنما الاختلافُ في ذلك بين أهل العلم على أوجُهٍ . فرأى بعضُهم أن تارك الطواف بينهما تاركٌ من مَناسك حجه ما لا يُجزيه منه غيرُ قضَائه بعينه ، كما لا يُجزى تارك الطواف — الذى هو طواف الإفاضة — إلا قضَاؤه بعينه . وقالوا : هما طوافانَ : أمرَ الله بأحدهما بالبيت ، والآخرُ بينَ الصفا والمروة .

* * *

ورأى بعضهم أن تارك الطواف بهما يُجزيه من تَركه فِدية ، ورأوا أن حُكم الطواف بهما حُكمُ رَمى بعض الجمرات والوقوف بالمشعر وطَواف الصَّدَر وما أشبه ذلك ، مما يُجزى تاركه من تَرْكه فِديةٌ ، ولا يلزمه العَوْد لقضَائه بعينه .

* * *

ورأى آخرون أنّ الطواف بهما تطوع ، إن فعله صاحبه كان مُحسناً ، وإن تَركه تاركٌ لم يلزمه بتَرْكه شيء .[1]

* * *

* ذكر من قال إن السعي بين الصفا والمروة واجبٌ ، ولا يُجزى منه فدية ، ومن تركه فعليه العَوْد .[2]

٢٣٥٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لَعمرى ما حَجَّ من لم يَسع بين الصفا والمروة ، لأن الله قال : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » .

---

(١) في المطبوعة : « لم يلزمه بتركه شيءٌ والله تعالى أعلم » ، وهذه لا شك زيادة من ناسخ .

(٢) في المطبوعة : « فعليه المودة » ، والأجود ما أثبت ، وهو أشبه بعبارة الطبرى وأقرانه من فقهاء عصره . وسيأتى كذلك بعد مرات في عبارته الآتية ، وكأن هذه من تصرف ناسخ أو طابع .

٢٣٥٣ م — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال مالك بن أنس : مَنْ نسي السعي بين الصفا والمروة حتى يستبعد من مكة ، فليرجع فليسْعَ ، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العمرة والهدى .[1]

* * *

وكان الشافعي يقول : عَلى مَنْ تَرَكَ السعي بين الصفا والمروةَ حتى رجع إلى بلده ، العود إلى مكة حتى يَطوف بينهما ، لا يجزيه غير ذلك .[2]

٢٣٥٤ — حدثنا بذلك عنه الربيع

* * *

* ذكر من قال : يُجزى منه دم ، وليس عليه عودٌ لقضائه .

قال الثورى بما : —

٢٣٥٥ — حدثني به على بن سهل، عن زيد بن أبي الزرقاء ، عنه = ،

= وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: إن عَاد تاركُ الطوافَ بينهما لقضائه فحسن، وإن لم يعُدْ فعليه دمٌ .

* * *

* ذكر من قال : الطوافُ بينهما تطوّعٌ ، ولا شيء على من تركه ، ومنْ كان يقرأ : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾

٢٣٥٦ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا ابن جريج قال ، قال عطاء : لو أن حاجاً أفاضَ بعد ما رمى جمرة العقبة ، فطاف بالبيت ولم يَسع ، فأصابها — يعني : امرأته — لم يكن عليه شيء ، لا حجٌّ ولا عمرة، من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود : « فمنْ حج البيتَ أو اعتمر فلا جُناح عليه أن لا يَطَّوَّفَ بهما » . فعاودته بعد ذلك فقلت : إنه قد ترك سُنة النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ألا تسمعه يقول: « فمن تطوّع خيراً » ، فأبى أن يجعل عليه شيئاً ؟

٢٣٥٧ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك،

---

(١) انظر لفظ مالك في الموطأ : ٣٧٤ — ٣٧٥ .

(٢) انظر لفظ الشافعي في الأم ٢ : ١٧٨ .

عن عطاء ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ : « إن الصفا والمروَة منْ شعائر الله » الآية « فلا جُناح عليه أنْ لا يَطَّوَّف بهما » .

٢٣٥٨ - حدثني على بن سهل قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم قال : سمعت أنساً يقول : الطواف بينهما تطوع .

٢٣٥٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا عاصم الأحول قال ، قال أنس بن مالك : هما تطوُّعٌ .

٢٣٦٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٢٣٦١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمنْ حجّ البيتَ أو اعتمر فلا جناح عليه أن يَطَّوَّفَ بهما » ، قال : فلم يُحرِّج من لم يَطُفْ بهما .

٢٣٦٢ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا أحمد ، عن عيسى ابن قيس ، عن عطاء ، عن عبد الله بن الزبير قال : هما تطوع .[1]

---

(١) الخبر : ٢٣٦٢ - عيسى بن قيس ، الراوى عن عطاء : لم أستطع اليقين به . ففى ابن أبى حاتم ٢٨٤/١/٣ ترجمتان : « عيسى بن قيس » ، روى عن سعيد بن المسيب ، وروى عنه الليث . و « عيسى ابن قيس السلمى » ، روى عنه هشيم . ولم يذكر عنهما شيئاً آخر . إلا أن الأول مجهول . فمن المحتمل أن يكون الراوى هنا أحدهما . فإن عطاء بن أبى رباح مات سنة ١١٤ ، فالراوى عن سعيد بن المسيب - المتوفى سنة ٧٣ - محتمل جداً أن يروى عن عطاء . والليث وهشيم متقاربا الطبقة ، مات الليث سنة ١٧٥ ، وهشيم سنة ١٨٣ . وأما « أحمد » الراوى هنا عن « عيسى بن قيس » - فلم أستطع معرفته .

ثم ترجح عندى أن « حجاجاً » - فى هذا الإسناد : هو « حجاج بن الشاعر » . وهو : حجاج بن يوسف بن حجاج الثقفى البغدادى ، عرف بابن الشاعر ، لأن أباه يوسف كان شاعراً صحب أبا نواس ، وحجاج هذا : ثقة ، من شيوخ مسلم وأبى داود وغيرهما ، قال ابن أبى حاتم : « كان من الحفاظ ، ممن يحسن الحديث ويحفظه . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٦٨/٢/١ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٢٤٠ - ٢٤١ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ١١٧ - ١١٨ .

وأن شيخه « أحمد » : هو أحمد بن عبد الله بن يونس ، وهو ثقة متقن حافظ ، من شيوخ البخارى ومسلم ، سماه الإمام أحمد « شيخ الإسلام » . وقد مضت الإشارة إليه : ٢١٤٤ .

فإن يكن الإسناد هكذا ، على ما رجحنا ، يكن « عيسى بن قيس » محرفاً ، صوابه « عمر بن قيس » ،

٢٣٦٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عاصم قال : قلت لأنس بن مالك : السعى بين الصفا والمروة تطوُّع ؟ قال : تطوعٌ .

* * *

والصواب من القول فى ذلك عندنا أنّ الطواف بهما فرض واجب ، وأن على من تركه العوْد لقضائه ، ناسياً كان ، أو عامدًا . لأنه لا يُجزيه غير ذلك ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حج بالناس ، فكان مما علمهم من مناسك حَجّهم الطوافُ بهما .

* * *

• ذكر الرواية عنه بذلك :

٢٣٦٥ — حدثنى يوسف بن سلمان قال ، حدثنا حاتم بن إسمعيل قال ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصفا فى حجه قال : « إنّ الصفا والمروةَ من شَعائر الله » ، ابدؤوا بما بدأ الله بذكره . فبدأ بالصفا فرَقِىَ عليه .(١)

٢٣٦٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا محمود بن ميمون أبو الحسن، عن أبى بكر بن عياش ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ الصفا والمروةَ من شَعائر الله » ، فأتى الصفا فبدأ بها ، فقام عليها ، ثم أتى المروة فقام عليها ، وطاف وَسعى .(٢)

* * *

وهو المكى المعروف بـ « سندل » — بفتح السين والدال المهملتين بينهما نون ساكنة . وهو ضعيف جداً ، منكر الحديث كما قال البخارى . وقال ابن عدى : « هو ضعيف بإجماع ، لم يشك أحد فيه ، وقد كذبه مالك » . وهو مترجم فى التهذيب . والصغير للبخارى، ص : ١٩٠ ، والضعفاء له ، ص : ٢٥ ، والنسائى ص : ٢٤ ، وابن سعد ٥ : ٣٥٨ ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٢٩ — ١٣٠ .

وأنا أرجح أن يكون هذا الإسناد على هذا النحو ، ولكنى لا أستطيع الجزم بذلك ، ولا تغيير اسم « عيسى بن قيس » — حتى أستبين بدليل آخر .

(١) الحديث : ٢٣٦٥ — هو قطعة من حديث جابر — الطويل ، فى صفة حجة الوداع . وقد مضت قطعة منه ، بهذا الإسناد : ٢٠٠٣ . وأخرى من رواية يحيى القطان ، عن جعفر الصادق: ١٩٨٩ .

(٢) الحديث : ٢٣٦٦ — محمود بن ميمون أبو الحسن : لا أدرى من هو ، ولا ما شأنه . لم أجد له ترجمة ولا ذكراً .

فإذ كان صحيحاً بإجماع الجميع من الأمة ــ أنّ الطواف بهما على تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّته فى مناسكهم ، وعمله فى حَجّه وعُمرته = وكان بيانه صلى الله عليه وسلم لأمَّته جُمَلَ ما نصّ الله فى كتابه ، وفَرَضه فى تنزيله ، وأمرَ به مما لم يُدْرَك علمه إلا ببيانه ، لازماً العمل به أمته ، كما قد بينا فى كتابنا « كتاب البيان عن أصول الأحكام » ــ إذا اختلفت الأمة فى وُجوبه ،[1] ثم كان مُختلفاً فى الطواف بينهما : هل هو واجبٌ أو غير واجب = كان بيناً وُجوب فرضه على مَنْ حجّ أو اعتمر ،[2] لما وصفنا .

٣١/٢

وكذلك وُجوب العوْد لقضاء الطواف بين الصفا والمروة ــ لما كان مختلَفاً فيما عَلى مَنْ تركه ، مع إجماع جَميعهم على أنّ ذلك مما فَعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلَّمه أمته فى حجهم وعمرتهم إذ علَّمهم مناسك حجهم ــ كما طاف بالبيت وعلَّمه أمته فى حجهم وعمرتهم ، إذ علمهم مناسك حجهم وعُمرْتهم ــ وأجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لا تُجزى منه فديةٌ ولا بَدلٌ ، ولا يجزى تاركه إلاّ العوْد لقضائه = كان نظيراً له الطوافُ بالصفا والمروة ، ولا تجزى منه فديةَ ولا جزاءٌ ، ولا يجزى تاركَه إلا العودُ لقضائه ، إذ كانا كلاهما طَوافين : أحدهما بالبيت ، والآخرُ بالصفا والمروة .

ابن عطاء ، عن أبيه : هو يعقوب بن عطاء بن أبى رباح ، وهو ثقة ، بينا ذلك فى المسند : ١٨٠٩ . مترجم فى التهذيب والكبير ٣٩٨/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٢١١/٢/٤ .

وهذا الحديث لم أجده فى شىء من المراجع . وإن كان لابن عباس أحاديث أخر فى شأن الصفا والمروة والسعى بينهما . من ذلك الحديث الماضى : ٢٣٤٢ . وحديث فى المستدرك ٢ : ٢٧٠ - ٢٧١ ، وصححه الحاكم والذهبى .

(١) كان فى المطبوعة : « لما قد بينا » ، وهو خطأ يختل به الكلام . وقوله : « وكان بيانه . . . » إلى قوله : « إذا اختلفت الأمة فى وجوبه » جملة فاصلة معطوفة على التى قبلها وسياقها وسياق معناها : وكان بيانه لأمته جمل ما نص الله فى كتابه . . ــ مما لا يدرك علمه إلا ببيانه ــ لازماً العمل به أمته . . . إذا اختلفت الأمة فى وجوبه » .

(٢) وهذه الجملة من تمام قوله ومن سياقها : « وإذا كان صحيحاً بإجماع الأمة . . . كان بيناً وجوب فرضه على من حج أو اعتمر » .

ومن فرّق بين حكمهما عُكس عليه القولُ فيه ، ثم سئل البرهان على التفرقة بينهما .

فإن اعتل بقراءة من قرأ : « فلا جُناح عليه أنْ لا يَطوَّف بهما » .

قيل : ذلك خلافُ ما فى مصاحف المسلمين ، غيرُ جائز لأحد أن يزيد فى مصاحفهم ما ليس فيها . وسواء قرأ ذلك كذلك قارئ ، أو قرأ قارئ : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [سورة الحج : ٢٩] ، « فلا جناح عليهم أنْ لا يَطوَّفوا به » .[1] فإن جازت إحدى الزيادتين اللتين ليستا فى المصحف ،[2] كانت الأخرى نظيرتَها ، وإلا كان مُجيزُ إحداهما — إذا منع الأخرى — مُتحكماً . والتحكم لا يعجِزُ عنه أحدٌ .

وقد رُوى إنكار هذه القراءة ، وأن يكون التنزيل بها ، عن عائشة .

٢٣٦٧ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا يومئذ حديث السِّن : أرأيت قول الله عز وجل : « إنّ الصفا والمروةَ من شعائر الله فمنْ حجّ البيتَ أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يطوَّف بهما » ، فما نرى على أحد شيئاً أنْ لا يَطوَّف بهما ! فقالت عائشة : كلا! لو كانت كما تقول، كانت : « فلا جُناح عليه أن لا يَطوَّف بهما » ، إنما أنزلت هذه الآية فى الأنصار ، كانوا يُهلّون لمناة — وكانت مناة حذوَ قديد — ، وكانوا يتحرَّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة . فلما جاء الإسلام ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأنزل الله : « إنّ الصفا والمرْوةَ من شعائر الله فمن حجّ

---

(١) كان فى المطبوعة : « فلا جناح عليه » ، وهو خطأ بين . ويعنى : أن يجعل القارئ قوله : «فلا جناح عليهم أن لا يطوفوا بهما» من تمام آية سورة الحج السالفة، فيزيد فى القرآن ما ليس فيه .

(٢) فى المطبوعة : « فإن جاءت إحدى الزيادتين » تصحيف ، والصواب ما أثبت .

(٣) الحديث : ٢٣٦٧ — هو أحد روايات حديث عائشة ، الذى مضى بإسنادين آخرين : ٢٣٥٠ ، ٢٣٥١ . وهذه الرواية هنا ، من طريق مالك . وقد خرجناها هناك ، وهى فى الموطأ ، ص : ٣٧٣ .

البيت أو اعتمر فلا جُناحَ عليه أن يطوف بهما » .

* * *

قال أبو جعفر : وقد يحتمل قراءة من قرأ : « فلا جُناحَ عليه أنْ لا يَطَّوَّف بهما » ، أن تكون « لا » التي مع « أن » ، صلةً في الكلام ،[1] إذْ كان قد تقدَّمها جَحْدٌ في الكلام قبلها ، وهو قوله : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾، فيكون نظير قول الله تعالى ذكره : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] ، بمعنى ما منعك أن تسجدَ ، وكما قال الشاعر :[2]

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمَا وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ[3]

ولو كان رسمُ المصحف كذلك ، لم يكن فيه لمحتجٍّ حجة ، مع احتمال الكلام ما وصفنا . لما بيَّنا أن ذلك مما عَلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّته في مناسكهم ، على ما ذكرنا ، ولدلالة القياس على صحته ، فكيف وهو خلافُ رُسوم مصاحف المسلمين ، ومما لو قَرأه اليوم قارئٌ كان مستحقًّا العقوبةَ ، لزيادته في كتاب الله عز وجل ما ليس منه ؟

* * *

---

(١) قوله : « صلة » ، أي زيادة ملغاة ، وانظر ما سلف ١ : ١٩٠ ، ٤٠٥ وفهرس المصطلحات ، وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء ١ : ٩٥ ، فقد ذكر هذا الوجه .

(٢) هو جرير .

(٣) سلف تخريجه في ١ : ١٩١ - ١٩٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٥٨)

قال أبو جعفر : اختلف القرّأة فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قُراء أهل المدينة والبصرة : « ومن تطوَّع خيراً » على لفظ المضىّ بـ « التاء » وفتح « العين » . وقرأته عامة قراء الكوفيين : « وَمَنْ يَطَّوَّعْ خيراً » بـ « الياء » وجزم « العين » وتشديد « الطاء » ، بمعنى : ومن يتطوع . وذُكر أنها فى قراءة عبد الله : « وَمَنْ يَتطوَّعْ » ، فقرأ ذلك قُرّاء أهل الكوفة ، على ما وصفنا ، اعتباراً بالذى ذكرنا من قراءة عبد الله — سوى عاصم ، فإنه وافق المدنيين — فشددوا «الطاء» طلباً لإدغام « التاء » فى « الطاء » . وكلتا القراءتين معروفة صحيحة ، متفقٌ معنياهما غيرُ مختلفين — لأن الماضى من الفعل مع حروف الجزاء بمعنى المستقبل . فبأىّ القراءتين قرأ ذلك قارىءٌ فمصيبٌ .

* * *

(١) [والصواب عندنا فى ذلك ، أن] معنى ذلك : ومن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه ، فإن الله شاكرٌ له على تطوعه له بما تطوع به من ذلك ابتغاءَ وجهه ، فمجازيه به ، عليمٌ بما قصد وأراد بتطوُّعه بما تطوع به .

وإنما قُلنا إنّ الصوابَ فى معنى قوله : « فمن تطوَّع خيراً » هو ما وصفنا ، دونَ قول من زعم أنه معنىٌّ به : فمنَ تطوع بالسعى والطواف بين الصفا والمروة ، لأن الساعى بينهما لا يكون متطوعاً بالسعى بينهما ، إلاّ فى حج تطوع أو عُمرة تطوع ، لما وصفنا قبل . وإذ كان ذلك كذلك كان معلوماً أنه إنما عنى بالتطوع بذلك ، التطوُّعَ بما يعملُ ذلك فيه من حجّ أو عمرة . ٣٢/٢

(١) زدت ما بين القوسين ، استظهاراً من قوله بعد : « وإنما قلنا إن الصواب فى معنى قوله . . . » والظاهر أنها مما سقط من ناسخ .

* * *

وأما الذين زعموا أنّ الطواف بهما تطوُّع لا واجب ، فإنّ الصواب أن يكون تأويل ذلك على قولهم : فمن تطوَّع بالطواف بهما ، فإنّ الله شاكر = لأن للحاج والمعتمر على قولهم الطوافَ بهما إن شاء ، وتركَ الطواف . فيكون معنى الكلام على تأويلهم : فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة ، فإنّ الله شاكرٌ تطوُّعَه ذلك = عليمٌ بما أراد ونوى الطائف بهما كذلك ، كما :-

٢٣٦٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومن تطوَّع خيراً فإن الله شاكرٌ عليمٌ » ، قال : من تطوع خيراً فهو خيرٌ له ، تطوَّع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت من السنن .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن تطوع خيراً فاعتمر .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٦٩ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومن تطوَّع خيراً فإن الله شاكر عليم » ، من تطوع خيراً فاعتمر فإن الله شاكر عليمٌ . قال : فالحج فريضةٌ ، والعمرةُ تطوع ، ليست العمرة واجبةً على أحد من الناس .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله :[1] « إنّ الذين يَكتمون َما أنزلنا منَ البينات» ، علماءَ اليهود وأحبارَها ، وعلماءَ النصارى ، لكتمانهم الناسَ أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم ، وتركهم اتباعه وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل .

* * *

و « البينات» التى أنزلها الله :[2] ما بيّن من أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه وصفته ، فى الكتابين اللذين أخبر الله تعالى ذكره أنّ أهلهما يجدون صفته فيهما .

* * *

ويعنى تعالى ذكره بـ « الهدى » ما أوضح لهم من أمره فى الكتب التى أنزلها على أنبيائهم ، فقال تعالى ذكره : إنّ الذين يكتمون الناسَ الذى أنزلنا فى كتبهم من البيان عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ، وصحة الملة التى أرسلته بها وحقّيّتها ، فلا يخبرونهم به ، ولا يعلنونه من بعد تبيينى ذلك للناس وإيضاحيه لهم ،[3] فى الكتاب الذى أنزلته إلى أنبيائهم ، « أولئك يَلعنهم الله ويَلعنهم اللاعنون إلاّ الذين تابوا » الآية . كما :ـ

٢٣٧٠ ـ حدثنا أبو كريب قال ، وحدثنا يونس بن بكير ـ وحدثنا ابن

---

(١) فى المطبوعة : يقول : « إن الذين يكتمون . . . » ، وهو خطأ ناسخ ، صوابه ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « من البينات » ، كأنه متصل بالكلام قبله ، وهو لا يستقيم ، وكان الصواب ما أثبت .

(٣) كان فى المطبوعة « ولا يعلمون من تبيني ذلك للناس وإيضاحى لهم » ، وهى عبارة لا تستقيم وسياق معنى الآية يقتضى ما أثبت ، من جعل « يعلمون » « يعلنونه » ، وزيادة « بعد » ، وجعل « إيضاحى » « إيضاحيه » .

حميد قال ، حدثنا سلمة — قالا جميعاً ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : سأل مُعاذ بن جبل أخو بني سَلِمة ، وسعد بن مُعاذ أخو بني عبد الأشهل ، وخارجة بن زيد أخو بني الحارث بن الخزرج ، نفراً من أحبار يَهود — قال أبو كريب : عما في التوراة ، وقال ابن حميد : عن بَعض مَا في التوراة — فكتموهم إياه ، وأبوْا أن يُخبروهم عنه ، فأنزل الله تعالى ذكره فيهم : « إنّ الذين يَكتمون مَا أنزَلنا من البينات والهدى من بعد ما بيَّناه للناس في الكتاب أولئك يَلعنهم الله وَيَلعنهم اللاعنون ». (١)

٢٣٧١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « إنّ الذين يَكتمونَ مَا أنزَلنا من البينات والهدى » ، قال : هم أهل الكتاب .

٢٣٧٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٣٧٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه عن الربيع في قوله : « إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى » ، قال : كتموا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم ، فكتموه حسدًا وبغياً .

٢٣٧٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنّ الذين يَكتمون مَا أنزلنا من البينات والهدى من بَعد مَا بيَّناه للناس في الكتاب » ، أولئكَ أهلُ الكتاب ، كتموا الإسلام وهو دين الله ، وكتموا محمداً صلى الله عليه وسلم وهم يَجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

---

(١) الأثر رقم : ٢٣٧٠ — في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٠ كما في رواية ابن حميد .

٢٣٧٤ م — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنّ الذين يَكتمونَ ما أنزلنا من البينات والهدى من بَعد مَا بيَّناه للناس في الكتاب » ، زعموا أن رجلاً من اليهود كان له صديقٌ من الأنصار يُقال له ثَعلبة بن غَنَمة ،[1] قال له : هل تجدون محمداً عندكم ؟ قال : لا != قال : مُحمد : « البينات » .[2]

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ﴾

[قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « من بعد ما بيناه للناس »] ،[3] بعضَ الناس ، لأن العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومَبعثه لم يكن إلاّ عند أهل الكتاب دون غيرهم ، وإياهم عَنى تعالى ذكره بقوله : « للناس في الكتاب » ، ويعني بذلك : التوراة والإنجيل .

* * *

وهذه الآية وإن كانت نَزلت في خاصٍّ من الناس ، فإنها معنيٌّ بها كل كاتمٍ علماً فرضَ الله تعالى بيانه للناس . وذلك نظير الخبر الذي رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

---

(١) في سيرة ابن هشام ، وغيرها بالغين المعجمة غير مضبوط باللفظ ، ولكن ابن حجر ضبطه في الإصابة ، وقال : « بفتح المهملة والنون » ، ولم يذكر شكاً ولا اختلافاً في ضبطه بالغين المعجمة .

(٢) قوله : « قال : محمد البينات » من تفسير السدى ، ليس من الخطاب بين ثعلبة بن غنمة واليهودى . ويعني أن البينات التي يكتمونها هي محمد صلى الله عليه وسلم ، أي صفته ونعته في كتابهم .

(٣) الزيادة بين القوسين لابد منها ، وقد استظهرتها من نهج أبي جعفر في جميع تفسيره . وهذا سقط من الناسخ بلا ريب .

٣٣/٢ ٢٣٧٥ — من سُئل عن علم يَعلمهُ فكتمه، أُلجِمَ يوم القيامة بلجام من نار . [١]

* * *

وكان أبو هريرة يقول ما : —

٢٣٧٦ — حدثنا به نصر بن علي الجهضمي قال ، حدثنا حاتم بن وردان قال ، حدثنا أيوب السختياني ، عن أبي هريرة قال : لولا آيةٌ من كتاب الله ما حدّثتكم ! وتلا : « إنّ الذين يكتمونَ ما أنزلنا من البينات والهدى من بَعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يَلعنهم اللهُ ويَلعنهم اللاعنون » . [٢]

٢٣٧٧ — حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أبو زرعة وَهْب الله بن راشد ، عن يونس قال، قال ابن شهاب ، قال ابن المسيب : قال أبو هريرة : لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدّثت شيئاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ إلى آخر الآية، والآية الأخرى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ إلى آخر الآية [سورة آل عمران : ١٧٨]. [٣]

* * *

(١) الحديث : ٢٣٧٥ — هذا حديث صحيح . ذكره الطبري هنا معلقاً دون إسناد . وقد رواه أحمد في المسند : ٧٥٦١ ، من حديث أبي هريرة . وخرجناه في شرح المسند ، وفي صحيح ابن حبان بتحقيقنا ، رقم : ٩٥ .

(٢) الحديث : ٢٣٧٦ — نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي : ثقة ، من شيوخ أصحاب الكتب الستة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٠٦/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٧١/١/٤ .

حاتم بن وردان السعدي : ثقة ، روى له الشيخان . مترجم في التهذيب ، والكبير ٧٢/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٦٠/٢/١ .

أيوب السختياني : مضى في : ٢٠٣٩ . ولكن روايته هنا عن أبي هريرة منقطعة ، فإنه ولد سنة ٦٦ ، وأبو هريرة مات سنة ٥٩ أو نحوها . ومعنى الحديث صحيح ثابت عن أبي هريرة ، بروايات أخر متصلة ، كما سنذكر في الحديث بعده .

(٣) الحديث : ٢٣٧٧ — محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : الإمام الحافظ المصري ، فقيه عصره ، قال ابن خزيمة : « ما رأيت في فقهاء الإسلام أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين — منه» . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣٠٠/٢/٣ — ٣٠١ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ١١٥ — ١١٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ أُولَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (١٥٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك يَلعنهم الله » ، هؤلاء الذين يكتمون ما أنزلهُ الله من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفتَه وأمر دينه ، أنه

أبو زرعة وهب الله بن راشد المصرى ، مؤذن الفسطاط : ثقة ، قال أبو حاتم : « محله الصدق » . ترجمه ابن أبى حاتم ٢٧/٢/٤ ، وقال : « روى عنه عبد الرحمن ، ومحمد ، وسعد ، بنو عبد الله بن عبد الحكم » . وترجم أيضاً فى لسان الميزان ٦ : ٢٣٥ ، ونقل عن ابن يونس ، أنه مات فى ربيع الأول سنة ٢١١ « وكانت القضاة تقبله » ، وروى عنه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم . فى فتوح مصر مراراً ، منها فى ص : ١٨٢ س ٣ — ٤ : « حدثنا وهب الله بن راشد ، أخبرنا يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب . . . » . وهذا الإسناد ثابت فى تاريخ ولاة مصر للكندى ، ص ٣٣ ، عن على بن قديد ، عن عبد الرحمن : « حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد » . وذكره الدولابى فى الكنى والأسماء ١ : ١٨٢ ، وروى : « حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، والربيع بن سليمان الجيزى ، قالا : حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، إلخ » . ورواية الربيع الجيزى عنه ، ثابتة فى كتاب الولاة ، ص ٣١٣ ، أيضاً .

وهذا الاسم « وهب الله » : من نادر الأسماء ، لم أره — فيما رأيت — إلا لهذا الشيخ ، ولم يذكره أصحاب المشتبه ، بل لم يذكره الزبيدى فى شرح القاموس ، على سعة اطلاعه . واشتبه أمره على ناسخى الطبرى أو طابعيه ، فثبت فى المطبوعة هكذا : « ثنا أبو زرعة وعبد الله بن راشد » ؛ فحرفوا « وهب الله » إلى « وعبد الله » — فجعلوه راويين !

يونس : هو ابن يزيد الأيلى ، وهو ثقة ، عرف بالرواية عن الزهرى وملازمته . قال أحمد بن صالح : « نحن لا نقدم فى الزهرى أحداً على يونس » ، وقال : « كان الزهرى إذا قدم أيلة نزل على يونس ، وإذا سار إلى المدينة زامله يونس» . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤٠٦/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٢٤٧/٢/٤ — ٢٤٩ ، وابن سعد ٢٠٦/٢/٧ .

وهذا الحديث جزء من حديث مطول ، رواه مسلم ٢ : ٢٦١ — ٢٦٢ ، من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب — فذكر حديثاً عن عائشة — ثم : « قال ابن شهاب : وقال ابن المسيب : إن أبا هريرة قال . . . » .

ورواه عبد الرزاق فى تفسيره ، ص ١٤ — ١٥ ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، بنحوه مطولا . ورواه أحمد فى المسند : ٧٦٩١ ، عن عبد الرزاق .

ورواه البخارى ٥ : ٢١ (فتح) ، بنحوه ، من رواية إبرهيم بن سعد ، عن الزهرى ، عن الأعرج . ورواه البخارى أيضاً ١ : ١٩٠ — ١٩١ (فتح) من رواية مالك ، عن الزهرى ، عن الأعرج وكذلك رواه ابن سعد ١١٨/٢/٢ ، وأحمد فى المسند : ٧٢٧٤ — كلاهما من طريق مالك .

وروى الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٧١ ، نحوه مختصراً ، من طريق أبى أسامة ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى هريرة ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

الحق — من بعد ما بيَّنه الله لهم فى كتبهم — يلعنهم بكتمانهم ذلك ، وتركهم تبيينه للناس .

* * *

و « اللعنة » « الفَعْلة » ، من « لعنه الله » بمعنى أقصاه وأبعده وأسحقه . وأصل « اللعن » : الطرْد ،[1] كما قال الشماخ بن ضرار ، وذكر ماءً ورَدَ عليه :

ذَعَرْتُ بِهِ القَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ[2]

يعنى : مقامَ الذئب الطريد . و « اللعين » من نعت « الذئب » ، وإنما أراد : مقام الذئب الطريد اللعين كالرَّجل.[3]

* * *

فمعنى الآية إذاً : أولئك يُبعدهم الله منه ومن رحمته ، ويسألُ ربَّهم اللاعنون أنْ يلعنهم ، لأن لعنةَ بنى آدم وسائر خلق الله ما لَعنوا أن يقولوا : « اللهم العنه » إذْ كان معنى « اللعن » هو ما وصفنا من الإقصاء والإبعاد .

وإنما قلنا : إن لعنة اللاعنين هى ما وصفنا : من مسألتهم ربَّهم أن يلعنهم ، وقولهم : « لعنه الله » أو « عليه لعنة الله » ، لأن : —

٢٣٧٨ — محمد بن خالد بن خِداش ويعقوب بن إبراهيم حدثانى قالا ، حدثنا إسمعيل بن علية ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أولئك يَلعنهم الله ويَلعنهم اللاعنون » ، البهائم ، قال : إذا أسنَتَتِ السَّنة ،[4] قالت البهائم : هذا من أجل عُصَاة بنى آدم ، لعنَ اللهُ عُصَاة بنى آدم !

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله تعالى ذكره بـ « اللاعنين » . فقال بعضهم : عنى بذلك دوابَّ الأرض وَهوامَّها .

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٢٨ .

(٢) سلف تخريجه وشرحه فى ٢ : ٣٢٨ . وفى التعليق هناك خطأ صوابه « مجاز القرآن : ٤٦ » .

(٣) كان فى المطبوعة : « الطريد واللعين » ، والصواب طرح الواو .

(٤) أسنتت الأرض والسنة : أجدبت ، وعام مسنت مجدب . والسنة : القحط والجدب . وكان فى المطبوعة : « أسنت » ، والصواب ما أثبت . وفى الدر المنثور ١ : ١٦٢ : « إذا اشتدت السنة » .

• ذكر من قال ذلك :

٢٣٧٩ — حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قال : تلعنهم دوابُّ الأرض ، وما شاءَ الله من الخنافس والعقارب تقول : نُمْنَعَ القطرَ بذنوبهم .

٢٣٨٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد: « أولئك يَلعنهم الله ويَلعنهم اللاعنون » ، قال : دواب الأرض ، العقاربُ والخنافس ، يقولون : مُنِعنا القطرَ بخطايا بنى آدم .

٢٣٨١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد : « ويلعنهم اللاعنون » ، قال : تلعنهم الهوامّ ودواب الأرض ، تقول : أمسك القطرُ عنا بخطايا بنى آدم .

٢٣٨٢ — حدثنا مُشرف بن أبان الحطاب البغدادى قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة فى قوله : « أولئك يَلعنهم اللهُ ويَلعنهم اللاعنون » ، قال : يلعنهم كل شيء حتى الخنافس والعقاربُ ، يقولون : مُنعنا القطرَ بذنوب بنى آدم .[1]

٢٣٨٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ،حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ويلعنهم اللاعنون » ، قال : اللاعنون : البهائم .

٢٣٨٣ م — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد فى قوله: « ويلعنهم اللاعنون» ، البهائمُ ،تلعن عُصاةَ بَنى آدم حين أمسك الله عنهم بذنوب بنى آدم المطر ، فتخرج البهائم فتلعنهم .

٢٣٨٤ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا بن وهب قال ، أخبرنى مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أولئك يَلعنهم الله

(١) الخبر : ٢٣٨٢ — مشرف بن أبان الحطاب البغدادى : ثبت هنا على الصواب ، كما ظهر فى : ١٩٥١ . وقد مضى قبل ذلك مغلوطاً « بشر بن أبان » : ١٣٨٣ .

وَيلعنهم اللاعنون » ، البهائم : الإبل والبقرُ والغنم ، فتلعن عُصاةَ بنى آدم إذا أجدبت الأرض .

* * *

فإن قال لنا قائل: وَما وَجهُ الذين وجَّهوا تأويلَ قوله : « ويلعنهم اللاعنون» ، إلى أن اللاعنين هم الخنافسُ والعقارب ونحوَ ذلك من هَوامّ الأرض ، وقد علمتَ أنَّها إذا جمعتْ ما كان من نوع البهائم وغير بنى آدم ،[1] فإنما تجمعه بغير « الياء والنون » وغير « الواو والنون » ، وإنما تجمعه بـ « التاء » وما خالفَ ما ذكرنا ، فتقول : « اللاعنات » ونحو ذلك ؟

قيل : الأمر وإن كان كذلك ، فإنّ من شأن العرَب إذا وصفت شيئاً من البهائم أو غيرها — مما حُكمُ جمعه أن يكون بـ « التاء » وبغير صورة جمع ذُكْرَانِ بنى آدم — بما هُو منْ صفة الآدميين ، أن يجمعوه جمع ذكورهم ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ [سورة فصلت : ٢١] ، فأخرج خطابهم على مثال خطاب بنى آدم ، إذ كلَّمتهم وكلَّموها ، وكما قال :﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ [سورة النمل: ١٨] ، وكما قال: ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٤] .

٣٤/٢

* * *

وقال آخرون : عنى الله تعالى ذكره بقوله : « وَيلعنهم اللاعنون » ، الملائكة والمؤمنين .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٨٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وَيلعنهم اللاعنون » ، قال ، يَقول : اللاعنون من ملائكة الله ومن المؤمنين .[2]

---

(١) الضمير فى قوله : « أنها إذا جمعت » ، للعرب ، وإن لم يجر لها ذكر فى الكلام .

(٢) فى المطبوعة : « يزيد بن زريع عن قتادة » بإسقاط «قال حدثنا سعيد » ، والصواب ما أثبته ، وهو إسناد دائر فى التفسير أقربه رقم : ٢٣٧٤ .

٢٣٨٦ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : «ويلعنهم اللاعنون» ، الملائكة .

٢٣٨٧ ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : «اللاعنون» ، من ملائكة الله والمؤمنين .

* * *

وقال آخرون : يعنى بـ «اللاعنين» ، كل ما عدا بنى آدم والجنّ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٨٨ ـ حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : «ويلعنهم اللاعنون»، قال : قال البراء من عازب : إنّ الكافر إذا وُضع فى قبره أتته دابة كأن عينيها قِدْران من نُحاس، معها عمود من حديد ، فتضربه ضربة بين كتفيه ، فيصيح ، فلا يسمع أحد صوته إلاّ لعنه ، ولا يبقى شىء إلاّ سمع صوته ، إلا الثقلين الجن والإنس .

٢٣٨٩ ـ حدثنا المثنى قال ،حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : «أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» ، قال : الكافر إذا وضع فى حفرته، ضُرب ضربة بمطرق[1] ، فيصيح صيحةً، يسمع صَوْته كل شىء إلا الثقلين الجن والإنس ، فلا يسمع صيحته شىء إلاّ لعنه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : «اللاعنون» ، الملائكةُ والمؤمنون. لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التى تحلّ بهم إنما هى من الله والملائكة والناس أجمعين ، فقال تعالى ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ،[2] فكذلك

---

(١) المطرق والمطرقة : وهى أداة الحداد التى يضرب بها الحديد .

(٢) هى الآية رقم : ١٦١ ، تأتى بعد قليل .

اللعنة التي أخبر الله تعالى ذكره أنها حالّة بالفريق الآخر : الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعدما بينه للناس ، [١] هي لعنة الله ، ولعنة الذين أخبر أن لعنتهم حالّة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار ، [٢] وهم «اللاعنون» ، لأن الفريقين جميعاً أهلُ كفر .

* * *

وأما قول من قال إن « اللاعنين » هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من دبيب الأرض وهوامِّها ، [٣] فإنه قول لاتدرك حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها تقوم به الحجة . ولا خبرَ بذلك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فيجوز أن يقال إنّ ذلك كذلك .

وإذْ كان ذلك كذلك . فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال : إن الدليل من ظاهر كتاب الله موجودٌ بخلاف [قول] أهل التأويل ، [٤] وهو ما وصفنا . فإنْ كان جائزاً أن تكون البهائم وسائرُ خلق الله ، تلعن الذين يكتمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ونبوّته ، بعد علمهم به ، وتلعن معهم جميع الظَّلمة — فغير جائز قطعُ الشهادة في أن الله عنى بـ « اللاعنين » البهائمَ والهوامَّ ودَبيب الأرض ، إلا بخبر للعذر قاطع . ولا خبرَ بذلك ، وظاهر كتاب الله الذي ذكرناه دالٌّ على خلافه . [٥]

* * *

(١) في المطبوعة : « من بعد ما بيناه للناس » ، وهو سهو ناسخ .

(٢) في المطبوعة : « هي لعنة الله التي أخبر أن لعنتهم حالة . . . » ، والصواب ما أثبت .

(٣) كل ماش على وجه الأرض يقال له : دابة ودبيب .

(٤) ما بين القوسين زيادة ، أخشى أن تكون سقطت من ناسخ .

(٥) في المطبوعة : « وكتاب الله الذي ذكرناه » ، وهو كلام لا يقال . والصواب ما أثبت . والذي ذكره آنفاً : « إن الدليل من ظاهر كتاب الله . . . »

هذا ، ورد قول هؤلاء القائلين بما قالوه ، مبين لك عن نهج الطبري وتفسيره ، وكاشف لك عن طريقته في رد الأخبار التي رواها عن التابعين ، في كل ما يحتاج إلى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاطع بالبيان عما ذكروه . والطبري قد يذكر مثل هذه الأخبار ، ثم لا يذكر حجته في ردها ، لأنه كره إعادة القول وترديده فيما جعله أصلا في التفسير ، كما بين ذلك في « رسالة التفسير » ، ثم في تفسيره بعد ، ورد أشباهه في مواضع متفرقة منه . أما إذا كان في شيء من ذلك خبر قاطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يدع ذكره ، فإذ لم يذكر — فيما أشبه ذلك — خبراً عن رسول الله ، فاعلم أنه يدع لقارىء كتابه علم الوجه الذي يرد به هذا القول .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١٦٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أن الله واللاعنين يلعنون الكاتمين الناس ما علموا من أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته فى الكتاب الذى أنزله الله وبيّنه للناس، إلاّ من أناب من كتمانه ذلك منهم ؛ وراجع التوبة بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، والإقرار به وبنبوّته وتصديقه فيما جاء به من عند الله، وبيان ما أنزل الله فى كتبه التى أنزل إلى أنبيائه ، من الأمر باتباعه ؛ وأصلح حالَ نفسه بالتقرب إلى الله من صالح الأعمال بما يُرضيه عنه ؛ وبيّن الذى علم من وحى الله الذى أنزله إلى أنبيائه وعهد إليهم فى كتبه فلم يكتمه، وأظهرَه فلم يُخفه = « فأولئك » ، يعنى : هؤلاء الذين فعلوا هذا الذى وصفت منهم ، هم الذين أتوب عليهم ، فأجعلهم من أهل الإياب إلى طاعتى ، والإنابة إلى مرضاتى .

ثم قال تعالى ذكره : « وأنا التواب الرحيم » ، يقول : وأنا الذى أرجع بقلوب عبيدى المنصرفة عنّى إلىّ، والرادُّها بعد إدبارها عن طاعتى إلى طلب محبتى ، والرحيم بالمقبلين بعد إقبالهم إلىّ، أتغمدهم منى بعفو، وأصفح عن عظيم ما كانوا اجترموا فيما بينى وبينهم، بفضل رحمتى لهم .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يُتاب على من تاب ؟ وما وجه قوله : « إلاّ الذين تابوا فأولئك أتوب عليهم » ؟ وهل يكون تائبٌ إلا وهو متُوب عليه ، أو متوب عليه إلا وهو تائب ؟

قيل : ذلك مما لا يكون أحدُهما إلا والآخر معه ، فسواء قيل : إلاّ الذين تِيبَ عليهم فتابوا — أو قيل : إلا الذين تابوا فإنى أتوب عليهم . وقد بيّنا وجه ذلك

٣٥/٢ فيما جاء من الكلام هذا المجيء ، فى نظيره فيما مضى من كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وَبيَّنوا » ، يقول : أصلحوا فيما بينهم وبين الله ، وبيَّنوا الذى جاءهم من الله فلم يكتموه ولم يجحدوا به ، أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم .

٢٣٩١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وبَينوا » ، قال : بيَّنوا ما فى كتاب الله للمؤمنين ، وما سألوهم عنه من أمر النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا كله فى يهود .

* * *

قال أبو جعفر : وقد زعم بعضهم أن معنى قوله : « وبيَّنوا » ، إنما هو : وبينوا التوبة بإخلاص العمل . ودليل ظاهر الكتاب والتنزيل بخلافه . لأن القوم إنما عوتبوا قبل هذه الآية ،[2] على كتمانهم ما أنزلَ الله تعالى ذكره وبينه فى كتابه ، فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ، ثم استثنى منهم تعالى ذكره الذين يبينون أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ، فيتوبون مما كانوا عليه من الجحود والكتمان ، فأخرجهم من عِداد مَنْ يَلعنه الله ويَلعنه اللاعنون[3] = ولم يكن العتاب على تركهم تبيين التوبة بإخلاص العمل .

والذين استثنى اللهُ من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٥٤٩ .

(٢) فى المطبوعة : « فى مثل هذه الآية » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « فأخرجهم من عذاب من يلعنه الله » ، وهو تصحيف ، صوابه ما أثبت .

ما بيَّنه للناس فى الكتاب ، [١] عبدُ الله بن سلام وَذووه من أهل الكتاب ، [٢] الذين أسلموا فحسن إسلامهم ، واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٦١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إنّ الذين كفروا » ، إن الذين جَحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به = من اليهود والنصارى وسائر أهل الملل ، والمشركين من عَبدة الأوثان = « وماتوا وهم كفار » ، يعنى : وماتوا وهم على جُحودهم ذلك وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، « أولئك عَليهم لَعنةُ الله والملائكة » ، يعنى : فأولئك الذين كفروا وماتوا وهم كفار عليهم لعنة الله ، يقول : أبعدهم الله وأسحقهم من رحمته ، « والملائكة » ، يعنى : ولَعنهم الملائكةُ والناس أجمعون . ولعنة الملائكة والناس إياهم قولهم : « عليهم لعنة الله » .

* * *

وقد بينا معنى « اللعنة » فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته . [٣]

* * *

فإن قال قائل : وكيف تَكُون على الذى يموت كافراً بمحمد صلى الله عليه وسلم [لعنةُ الناس أجمعين] من أصناف الأمم ، [٤] وأكثرهم ممن لا يؤمن به ويصدقه ؟

---

(١) فى المطبوعة : « من بعد ما بيناه للناس » ، وهو خطأ وسهو.

(٢) قوله : « وذووه » ، أى أصحابه وأهل ملته ، بإضافة « ذو » إلى الضمير ، وللنحاة فيه قول كثير ، وزعموا أن ذلك يكون فى ضرورة الشعر ، وليس كذلك ، بل هو آت فى النثر قديماً ، بمثل ما استعمله الطبرى .

(٣) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣ : ٢٥٤ ، والتعليق : ١ ، ومراجعه .

(٤) الزيادة التى بين القوسين لا بد منها ، وإلا اختل الكلام والسؤال ، ولم يكن لها معنى محدود مفهوم ، واستظهرت الزيادة من جواب هذا السؤال .

قيل : إن معنى ذلك على خلاف ما ذهبتَ إليه . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم : عنى الله بقوله : « والناس أجمعين »، أهلَ الإيمان به وبرسوله خاصة ، دون سائر البشر .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٢ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والناس أجمعين » ، يعنى : بـ« الناس أجمعين»، المؤمنين .

٢٣٩٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « والناس أجمعين » ، يعنى بـ« الناس أجمعين » ، المؤمنين .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك يومَ القيامة ، يُوقَفُ على رؤوس الأشهاد الكافرُ فيلعنه الناس كلهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٤ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية : إن الكافر يُوقَف يوم القيامة فيلعنه الله ، ثم تلعنه الملائكة ، ثم يلعنه الناس أجمعون .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك قول القائل كائناً من كان : « لعنَ الله الظالم » ، فيلحق ذلك كل كافر ، لأنه من الظَّلَمة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٥ ــ حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « أولئك عليهم لَعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ، فإنه لا يتلاعن اثنان مُؤمنان ولا كافران فيقول أحدهما : « لعن الله الظالم » ، إلاّ وجبت تلك اللعنة على الكافر ، لأنه ظالم ، فكل أحد من الخلق يلعنه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا قولُ من قال : عنى الله بذلك جميعَ الناس ، بمعنى لعنهم إياهم بقولهم : « لعن الله الظالم — أو الظالمين » . فإنّ كلَّ أحد من بنى آدم لا يمتنع من قيل ذلك كائناً من كان،[1] ومن أى أهل ملة كان ، فيدخل بذلك فى لعنته كلَّ كافرٍ كائناً من كان . وذلك بمعنى ما قاله أبو العالية . لأن الله تعالى ذكره أخبر عمن شهدهم يوم القيامة أنهم يلعنونهم فقال : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
[سورة هود : ١٨]

وأما ما قاله قتادة ، من أنه عنى به بعضَ الناس ، فقولٌ ظاهرُ التنزيل بخلافه ، ولا برهان على حقيقته من خبر ولا نظر . فإن كان ظن أن المعنىّ به المؤمنون ، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا أولياءهم ، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر أنهم يلعنونهم فى الآخرة . ومعلومٌ منهم أنهم يلعنون الظَّلَمة ، وداخلٌ فى الظَّلَمة كل كافر ، بظلمه نفسه ، وجحوده نعمةَ ربه ، ومخالفته أمرَه ٣٦/٢

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (١٦٢)

* * *

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : ما الذى نصب « خالدين فيها » ؟

قيل : نُصب على الحال من « الهاء والميم » اللتين فى « عليهم » . وذلك أنّ معنى قوله : « أولئك عليهم لعنة الله » : أولئكَ يلعنهم الله والملائكةُ والناس أجمعون خالدين فيها . ولذلك قرأ ذلك : « أولئك عليهم لعنة الله والملائكةُ والناس أجمعون »

---

(١) فى المطبوعة « لا يمنع من قيل ذلك » ، والصواب ما أثبت .

مَنْ قرأه كذلك ،(١) توجيهاً منه إلى المعنى الذى وصفتُ . وذلك وإن كان جائزاً فى العربية ، فغيرُ جائزةٍ القراءةُ به ، لأنه خلافٌ لمصاحف المسلمين، وما جاء به المسلمون من القراءة مستفيضاً فيهم . فغير جائز الاعتراضُ بالشاذّ من القول، على ما قد ثبتت حجته بالنقل المستفيض.

* * *

وأما « الهاء والألف » اللتان فى قوله : « فيها » ، فإنهما عائدتان على « اللعنة » ، والمرادُ بالكلام : ما صار إليه الكافر باللعنة من الله ومن ملائكته ومن الناس . والذى صار إليه بها ، نارُ جهنم . وأجرى الكلام على « اللعنة » ، والمراد بها ما صار إليه الكافر ، كما قد بينا من نظائر ذلك فيما مضى قبل ، كما :—

٢٣٩٦ — حدثت عن عمار قال:حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية « خالدين فيها » ، يقول : خالدين فى جهنم ، فى اللعنة .

* * *

وأما قوله : « لا يخفّف عنهم العذاب » ، فإنه خبرٌ من الله تعالى ذكره عن دَوام العذاب أبداً من غير توقيت ولا تخفيف ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ [سورة فاطر : ٣٦] ، وكما قال : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا ﴾ [سورة النساء : ٥٦]

* * *

وأما قوله : « ولا هم يُنظرون » ، فإنه يعنى : ولا هُم يُنظرون بمعذرة يَعتذرون ، كما :—

٢٣٩٧ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « ولا هم ينظرون »، يقول : لا يُنظرون فيعتذرون ،

---

(١) فى المطبوعة : « والناس أجمعين » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت ، برفع « الملائكة والناس أجمعون » ، وهى قراءة الحسن . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٩٦ — ٩٧ ، وتفسير هذه الآية فى سائر كتب التفسير .

كقوله : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ .

[سورة المرسلات : ٣٥-٣٦]

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٦٣﴾

قال أبو جعفر : قد بينا فيما مضى معنى « الألوهية » ، وأنها اعتباد الخلق.[1]

فمعنى قوله : « وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هو الرحمن الرحيم » : والذى يستحق عليكم أيها الناس الطاعةَ له ، ويستوجب منكم العبادة ، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحد ، فلا تعبدوا غيرَه ، ولا تشركوا معه سواه ، فإنّ من تُشركونه معه فى عبادتكم إياه ، هو خلقٌ من خلق إلهكم مثلكم ، وإلهكم إله واحد، لا مثلَ لهُ ولا نظير .

* * *

واختُلِف فى معنى وحدانيته تعالى ذكره .

فقال بعضهم : معنى وحدانية الله ، معنى نفى الأشباه والأمثال عنه ، كما يقال : « فلان واحدُ الناس — وهو واحد قومه » ، يعنى بذلك أنه ليسَ له فى الناس مثل ، ولا له فى قومه شبيه ولا نظيرٌ . فكذلك معنى قول « اللهُ واحد » ، يعنى به : الله لا مثل له ولا نظير .

فزعموا أن الذى دلّهم على صحة تأويلهم ذلك، أنّ قول القائل: « واحد » يفهم لمعان أربعة . أحدها : أن تكون « واحداً » من جنس، كالإنسان « الواحد » من الإنس . والآخر: أن يكون غيرَ متفرّق، كالجزء الذى لا ينقسم .[2] والثالث :

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٢٢ - ١٢٦ .

(٢) فى المطبوعة : « غير متصرف » ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبت .

أن يكون معنيًّا به : المِثلُ والاتفاق، كقول القائل : « هذان الشيآن واحد » ، يراد بذلك : أنهما متشابهان ، حتى صارًا لاشتباههما فى المعانى كالشيء الواحد.

والرابع : أن يكون مرادًا به نفى النظير عنه والشبيه .

قالوا : فلما كانت المعانى الثلاثةُ من معانى « الواحد » منتفيةً عنه ، صح المعنى الرابع الذي وصفناه .

° ° °

وقال آخرون: معنى « وحدانيته » تعالى ذكره، معنى انفراده من الأشياء ، وانفرادالأشياء منه . قالوا : وإنما كان متفرداً وحده ، لأنه غير داخل فى شيء ولا داخلٌ فيه شيء . قالوا : ولا صحة لقول القائل : « واحد »، من جميع الأشياء إلا ذلك . وأنكر قائلو هذه المقالة المعانى الأربعةَ التى قالها الآخرون .

° ° °

وأما قوله : « لا إله إلا هو » ، فإنه خبرٌ منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيرُه ،ولا يستوجبُ على العبادِ العبادةَ سواه ،وأنّ كلّ ماسواه فهُم خلقه ،والواجبُ على جميعهم طاعته والانقيادُ لأمره ، وتركُ عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، وهجْر الأوثان والأصنام . لأنّ جميع ذلك خلقُه ، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهة ، ولا تنبغي الألوهة إلاّ له ، إذ كان ما بهم من نعمة فى الدنيا فمنه ، دون ما يعبدونه من الأوثان ويشركون معه من الأشراك ؛[1] وما يصيرون إليه من نعمة فى الآخرة فمنه ، وأن ما أشركوا معه من الأشراك لا يضر ولا ينفعُ فى عاجل ولا فى آجل ، ولا فى دنيا ولا فى آخرة .

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره أهلَ الشرك به على ضلالهم ، ودعاءٌ منه لهم إلى الأوبة من كفرهم ، والإنابة من شركهم .

---

(١) الأشراك جمع شريك ، كما يقال : شريف وأشراف ، ونصير وأنصار ، ويجمع أيضاً على « شركاء » .

ثم عرَّفهم تعالى ذكره بالآية التى تتلوها، موضعَ استدلال ذوى الألباب منهم على حقيقة ما نبَّههم عليه من توحيده وحُججه الواضحة القاطعة عُذرَهم، فقال تعالى ذكره: أيها المشركون، إن جهلتم أو شككتم فى حقيقة ما أخبرتكم من الخبر: من أنّ إلهكم إله واحد، دونَ ما تدّعون ألوهيته من الأنداد والأوثان، فتدبروا حُججى وفكروا فيها، فإن من حُججى خَلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلكُ التى تجرى فى البحر بما يَنفعُ الناس، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها، وما بثثتُ فيها من كل دابة، والسحاب الذى سَخرته بين السماء والأرض. فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به، إذا اجتمع جميعه فتظاهرَ أو انفرد بعضُه دون بعض، يقدرُ على أن يخلق نظيرَ شىء من خَلقى الذى سميتُ لكم، فلكم بعبادتكم ما تعبدون من دونى حينئذ عذرٌ، وإلاّ فلا عُذر لكم فى اتخاذ إله سواى، ولا إله لكم ولما تعبدون غيرى. ٣٧/٢

فليتدبر أولو الألباب إيجازَ الله احتجاجَه على جميع أهل الكفر به والملحدين فى توحيده، فى هذه الآية وفى التى بعدها، بأوْجز كلام، وأبلغ حجة، وألطف معنى يشرف بهم على مَعرفة فضْل حكمة الله وَبيانه.

* * *

القول فى المعنى الذى من أجله أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قوله: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ الآية

* * *

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية على نَبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم.

* * *

فقال بعضهم : أنزلها عليه احتجاجاً له على أهل الشرك به من عبدة الأوثان . وذلك أن الله تعالى ذكره لما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا ّ ُهو الرحمن ُ الرحيم » فتلا ذلك َعلى أصحابه ، وسمع به المشركون مِن ْ عبدة الأوثان ، قال المشركون : وما الحجة والبرهان على أن ّ ذلك كذلك ؟ ونحن ُننكر ذلك ، ونحن نزعم أن ّ لنا آلهة كثيرة ؟ فأنزل الله عند ذلك : « إن فى َخلق السموات والأرض » ، احتجاجاً لنبيه صلى الله عليه وسلم على الذين قالوا َما َذكرنا َعنهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء قال : نزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة : « وإلهكم إله واحد ٌ لا إله إلا ّ هو الرحمن الرحيم » ، فقال كفار قريش بمكة : كيف َيسع ُ الناس َ إله واحد ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « إن ّ فى َخلق السموات والأرْض واختلاف الليل والنهار » ، إلى قوله : « لآيات ٍ لقوم َيعقلون » ، فبهذا تعلمو ُن أنه إله واحد ٌ ، وأنه إله كل شىء ، وخالق كل شىء .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن ّ أهل َ الشرك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [آية] ،[1] فأنزل الله هذه الآية ، يعلمهم فيها أن ّ لهم فى َخلق السموات والأرض وسائر ما ذكر مع ذلك ، آية ً بينة ً على وحدانية الله ، وأنه لاشريك له فى ملكه ، لمن َعقل وتدبَّر ذلك بفهم صحيح .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٩ ــ حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبيه ،

---

(١) الزيادة بين القوسين لا يتم الكلام إلا بها ، ويدل عليها ما سيأتى فى الآثار بعد .

عن أبي الضحى قال : لما نزلت « وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » ، قال المشركون : إن كان هذا هكذا فليأتنا بآية ! فأنزل الله تعالى ذكره : « إن في خلق السموات والأرض ّواختلاف الليل والنهار » ، الآية

٢٤٠٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق بن الحجاج قال حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال حدثني سعيد بن مسروق ، عن أبي الضحى قال : لما نزلت : « وإلهكم إله واحدٌ لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » ، قال المشركون : إن كان هذا هكذا فليأتنا بآية ، فأنزل الله تعالى ذكره : « إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار » ، الآية .

٢٤٠١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال ، حدثني سعيد بن مسروق ، عن أبي الضحى قال : لما نزلت هذه الآية ، جعل المشركون يعجبون ويقولون : تقول إلهكم إله واحدٌ ! فلتأتنا بآية إن كنتَ من الصادقين ! فأنزل الله : « إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار » ، الآية .

٢٤٠٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا الحجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أرِنا آية ! فنزلت هذه الآية : « إنّ في خلق السموات والأرض » .

٢٤٠٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد قال : سألت قريش اليهودَ فقالوا : حدثونا عما جاءكم به موسى من الآيات ! فحدثوهم بالعصا وبيده البيضاء للناظرين . وسألوا النصارى عما جاءهم به عيسى من الآيات ، فأخبروهم أنه كان يُبرئ الأكمهَ والأبرصَ ويُحيي الموتى بإذن الله . فقالت قريش عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم : ادعُ الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً ، فنزداد يقيناً ، ونتقوّى به على عدوّنا . فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه ، فأوحى إليه :

إنّى مُعطيهم ، فأجعلُ لهم الصفا ذهباً ، ولكن إن كذَّبوا عذَّبتهم عذاباً لم أعذبه أحداً من العالمين . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ذَرْنى وَقومى فأدعوهم يوماً بيوم . فأنزل الله عليه : « إنّ فى خَلق السموات والأرض » ، الآية : إن فى ذَلك لآية لهم ، إن كانوا إنما يريدون أن أجعل لهم الصفا ذهباً ، فخلق الله السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، أعظمُ من أن أجعل لهم الصفا ذهباً ليزدادوا يقيناً .

٢٤٠٤ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى : « إنّ فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار » ، قال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم :[1] غيِّر لنا الصفا ذهباً إن كنت صادقاً أنه منه ! فقال الله : إنّ فى هذه الآيات لآياتٍ لقوم يعقلون . وقال : قد سأل الآيات قومٌ قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك، أنّ الله تعالى ذكره نَبَّه عباده = على الدلالة على وَحدانيته وتفرده بالألوهية ، دون كل ما سواه من الأشياء = بهذه الآية . وجائزٌ أن تكون نزلت فيما قاله عطاء ، وجائزٌ أن تكون فيما قاله سعيد بن جبير وأبو الضحى ، ولا خبرَ عندنا بتصحيح قول أحد الفريقين يقطع العذرَ ، فيجوز أن يقضىَ أحدٌ لأحد الفريقين بصحة قولٍ على الآخر . وأىُّ القولين كان صحيحاً، فالمراد من الآية ما قلت .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فقال المشركون للنبى . . . » ، والصواب طرح هذه الفاء .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : : « إنّ فى خَلق السموات والأرض » ، إن فى إنشاء السموات والأرض وابتداعهما

* * *

ومعنى « خلق » الله الأشياء : ابتداعه وإيجاده إياها ، بعد أن لم تكن موجودة .

وقد دللنا فيما مضى على المعنى الذى من أجله قيل : « الأرض » ، ولم تجمع كما جُمعت السموات ، فأغنى ذلك عن إعادته[1]

* * *

فإن قال لنا قائل : وهل للسموات والأرض خلقٌ هو غيرُها فيقال : « إنّ فى خلق السموات والأرض » ؟

قيل : قد اختلف فى ذلك . فقال بعض الناس : لها خَلقٌ هو غيرها. واعتلّوا فى ذلك بهذه الآية ، وبالتى فى سورة الكهف : ﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة الكهف : ٥١] . وقالوا : لم يخلق الله شيئاً إلا والله له مريدٌ . قالوا : فالأشياء كانت بإرادة الله ، والإرادة خلق لها .

* * *

وقال آخرون : خلق الشىء صفة له ، لا هى هو ، ولا غيرُه . قالوا : لو كان غيرُه لوجب أن يكون مثله موصوفاً . قالوا : ولو جاز أن يكون خَلقُه غيرَه ، وأن يكون موصوفاً ، لوجب أن تكون له صفة هى له خَلق . ولو وجب ذلك كذلك ، لم يكن لذلك نهاية . قالوا : فكان معلوماً بذلك أنه صفة للشىء . قالوا : فخلق السموات والأرض صفة لهما ، على ما وصفنا . واعتلّوا أيضاً — بأن للشىء خلقاً ليس هو به — من كتاب الله بنحو الذى اعتلّ به الأولون .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٤٣١ - ٤٣٧ .

وقال آخرون : خَلق السموات والأرض ، وخلق كل مخلوق ، هو ذلك الشيء بعينه لا غيره . فمعنى قوله : « إن فى خلق السموات والأرض » ، إنّ فى السموات والأرض.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « واختلاف الليل والنهار » ، وتعاقب الليل والنهار عليكم أيها الناس .

* * *

وإنما « الاختلاف » فى هذا الموضع « الافتعال » ، من « خُلوف » كل واحد منهما الآخر ،[2] كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٢] .

بمعنى : أن كل واحد منهما يخلف مَكان صاحبه ، إذا ذهب الليل جَاء النهارُ بعده ، وإذا ذهب النهارُ جاء الليل خلفه . ومن ذلك قيل : « خلف فلانٌ فلاناً فى أهله بسوء » ، ومنه قول زهير :

بِهَا الْعِينُ وَالآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلاَؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ[3]

* * *

---

(١) لم يتبع أبو جعفر فى هذا الموضع ما درج عليه من ترجيح القول الذى يختاره . وهذا مما يدل على ما ذهبنا إليه ، أنه كان يختصر كلامه أحياناً ، مخافة الإطالة . هذا إذا لم يكن فى المخطوطات خرم أو اختصار من ناسخ أو كاتب .

(٢) «خلوف » مصدر « خلف » ، ولم أجده فى كتب اللغة ، ولكنه عربى معرق فى قياسه .

(٣) ديوانه : من معلقته العتيقة . والهاء فى « بها » إلى « ديار أم أوفى » صاحبته . والعين جمع عيناء : وهى بقر الوحش ، واسعة العيون جميلتها . والآرام جمع رئم : وهى الظباء الخوالص البياض ، تسكن الرمل . « خلفة » إذا جاء منها فوج ذهب آخر يخلفه مكانه . يصف مجيئها وذهوبها فى براح هذه الرملة . والأطلاء جمع طلا : وهو ولد البقرة والظبية الصغير . ويصف الصغار من أولاد البقر والظباء فى هذه الرملة ، وقد نهض هذا وذاك منها من موضع جثومه . يصف اختلاف الحركة فى هذه القفرة المهجورة التى فارقتها أم أوفى ، وقد وقف بها من بعد عشرين حجة ـ، كما ذكر .

وأما « الليل » . فإنه جمعُ « ليلة » ، نظيرُ « التمر » الذى هو جمع « تمرة » . وقد يجمع « ليالٍ » ، فيزيدون فى جمعها ما لم يكن فى واحدها . وزيادتهم « الياء » فى ذلك نظير زيادتهم إياها فى « رباعية وثمانية وكراهية » .

* * *

وأما « النهار » ، فإن العرب لا تكاد تجمعه ، لأنه بمنزلة الضوء . وقد سمع فى جمعه « النُّهُر » ، قال الشاعر :

لَوْلاَ الثَّرِيدَانِ هَلَكْنَا بِالضُّمُرْ ثَرِيدُ لَيْلٍ وثَرِيدٌ بِالنُّهُرْ(١)

ولو قيل فى جمع قليله « أنهِرَة » كان قياساً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : إنّ فى الفلك التى تجرى فى البحر .

* * *

و« الفلك » هو السُّفن ، واحدُه وجمعه بلفظ واحد ، ويذكَّر ويؤنث ، كما قال تعالى ذكره فى تذكيره فى آية أخرى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ [سورة يس : ٤١] ، فذكَّره .

* * *

وقد قال فى هذه الآية : « والفلك التى تجرى فى البحر » ، وهى مُجْراة ، لأنها

---

(١) تهذيب الألفاظ : ٤٢٢ ، والمخصص ٩ : ٥١ ، واللسان (نهر) ، والأزمنة والأمكنة ١ : ٧٧ ، ١٥٥ وغيرها . ورواية اللسان والمخصص « لمتنا بالضمر » . والضمر (بضم الميم وسكونها) مثل العسر والعسر : الهزال ولحاق البطن من الجوع وغيره . والثريد : خبز يهشم ويبل بماء القدر ويغمس فيه حتى يلين .

٣٩/٢ إذا أجريت فهى « الجارية » ، فأضيف إليها من الصفة ما هو لها.[1]

* * *

وأما قوله : « بما ينفع الناس »، فإن معناه : ينفعُ الناسَ فى البحر .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله: « وما أنزل اللهُ من السماء من مَاء » ، وفيما أنزلهُ الله من السماء من ماء ، وهو المطر الذى يُنزله الله من السماء .

وقوله : « فأحيا به الأرضَ بعدَ موتها »، وإحياؤها عمارَتُها ، وإخراج نباتها .

و « الهاء » التى فى « به » عائدة على « الماء » ، و « الهاء والألف » فى قوله : « بعد موتها » على الأرض .

و « موت الأرض » ، خرابها ، ودُثور عمارتها ، وانقطاعُ نباتها ، الذى هو للعباد أقواتٌ ، وللأنام أرزاقٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وبث فيها منْ كلِّ دابة » ، وإن فيما بثّ فى الأرض من دابة .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ١٩٦ .

ومعنى قوله : « وَبثّ فيها »، وفرَّقَ فيها ، من قول القائل : « بث الأميرُ سراياه » ، يعنى : فرّق .

« والهاء والألف » فى قوله : « فيها » ، عائدتان على « الأرض » .

* * *

« والدابة » « الفاعلة » ، من قول القائل : « دبَّت الدابة تدبُّ دبيباً فهى دابة » . « والدابة » ، اسم لكل ذى رُوح كان غير طائر بجناحيه ، لدبيبه على الأرض .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وتصريف الرياح » ، وفى تصريفه الرياح ، فأسقط ذكر الفاعل وأضاف الفعل إلى المفعول ، كما تقول : [1]« يعجبنى إكرام أخيك » ، تريد : إكرامُك أَخاك .

* * *

« وتصريف » الله إياها ، أنْ يُرسلها مَرَّة لَواقحَ ، ومرة يجعلها عَقيما ، ويبعثها عذاباً تُدمِّر كل شىء بأمر ربها ، كما : —

٢٤٠٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتصريف الرياح والسحاب المسخر » ، قال : قادرٌ والله ربُّنا على ذلك ، إذا شَاء [جعلها رحمةً لواقح للسحاب ونشراً بين يدى رحمته ، وإذا شاء] جعلها عذاباً ريحاً عقيماً لا تُلقح ، إنما هى عَذابٌ على من أرسِلتْ عليه .[2]

* * *

(١) فى المطبوعة : « كما قال : يعجبنى . . . يريد » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الزيادة بين القوسين من نص الدر المنثور ١ : ١٦٤ ، من نص تفسير قتادة الذى أخرجه الطبرى .

وزعم بعض أهل العربية أنّ معنى قوله : « وتصريف الرياح » ، أنها تأتى مَرّة جنوباً وشمالاً وقبولاً ودبوراً . ثم قال : وذلك تصريفها .(١) وهذه الصفة التى وَصَفَ الرياح بها ، صفة تصرُّفها لا صفة تصريفها ، لأن « تصريفها » تصريفُ الله لها ، « وتصرفها » اختلافُ هبوبها .

وقد يجوز أن يكون معنى قوله : « وتصريف الرياح » ، تصريفُ الله تعالى ذكره هبوب الريح باختلاف مَهابِّها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « والسحاب المسخر » ، وفى السحاب ، جمع « سحابة » . يدل على ذلك قوله تعالى ذكره : ﴿ وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ [سورة الرعد : ١٢] ، فوحّد المسخر وذكره ، كما قالوا : « هذه تَمرة وهذا تمر كثير » . فى جمعه ، « وهذه نخلة وهذا نخل » .(٢)

وإنما قيل للسحاب « سحاب » إن شاء الله ، لجر بعضه بعضاً وسَحبه إياه ، من قول القائل : « مرّ فلان يَجر ذَيله » ، يعنى : « يسحبه » .

* * *

فأما معنى قوله : « لآيات » ، فإنه عَلامات ودلالاتٌ على أن خالق ذلك كلّه ومنشئه ، إله واحدٌ .(٣)

* * *

(١) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٩٧ .

(٢) فى المطبوعة : « كما قال : هذه ثمرة ... » ، والصواب ما أثبته .

(٣) انظر معنى « آية » فيما سلف ١ : ١٠٦ ، وفهارس اللغة . وقد ترك الطبرى تفسيره « المسخر » ، وكأن فى الأصول اختصاراً من ناسخ أو كاتب ، إن لم يكن من الطبرى نفسه ، كما أشرت إليه فيما مضى .

« لقوم يعقلون »، لمن عقل مواضع الحجج، وفهم عن الله أدلته على وحدانيته. فأعلم تعالى ذكره عبادَه، بأنّ الأدلة والحجج إنما وُضعت مُعتبَرًا لذوى العقول والتمييز، دون غيرهم من الخلق، إذ كانوا هم المخصوصين بالأمر والنهى، والمكلفين بالطاعة والعبادة، ولهم الثواب، وعليهم العقاب.

* * *

فإن قال قائل: وكيف احتج على أهل الكفر بقوله: « إنّ فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار » الآية، فى توحيد الله؟ وقد علمت أنّ أصنافاً من أصناف الكفرة تدفع أن تكون السموات والأرض وسائر ما ذكر فى هذه الآية مخلوقةً؟

قيل: إنّ إنكار من أنكر ذلك غيرُ دافع أن يكون جميعُ ما ذكرَ تعالى ذكره فى هذه الآية، دليلاً على خالقه وصانعه، وأنّ له مدبراً لا يشبهه [شىء]، وبارئاً لا مِثْل له.[1] وذلك وإن كان كذلك، فإن الله إنما حاجَّ بذلك قوماً كانوا مُقرِّين بأنّ الله خالقهم، غير أنهم يُشركون فى عبادته عبادة الأصنام والأوثان.[2] فحاجّهم تعالى ذكره فقال — إذ أنكروا قوله: « وإلهكم إلهٌ واحد »، وزعموا أن له شُركاء من الآلهة —: [إن إلهكم الذى خلق السموات وأجرى فيها الشمس والقمر لكم بأرزاقكم دائبين فى سيرهما. وذلك هو معنى اختلاف الليل والنهار فى الشمس والقمر][3]، وذلك هو معنى قوله: « والفلك التى تجرى فى البحر بما

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها هنا.

(٢) انظر ما سلف فى ١ : ٣٧١، والرد على من ظن أن العرب كانت غير مقرة بالوحدانية.

(٣) هذه الجملة قد سقط منها شىء كثير، فاختلت واضطربت، وكأن صوابها ما يأتى:

[إنّ إلٰهكم الذى خلق لكم السمٰوات والأرض، فخلق الأرض وقدّر لكم فيها أرزاقكم وأقواتكم، وخلق السمٰوات وأجرى فيها الشمس والقمر دائبين فى سيرهما — وذلك هو معنى: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ — وخلق الرياح التى تسوق السفن التى تحملكم فتجريها فى البحر لتبتغوا من فضله] —

ينفع الناس » — وأنزل إليكم الغيثَ من السماء، فأخصب به جنابكم بعد جُدوبه، وأمرعه بعد دُثوره، فنَعَشكم به بعد قُنوطكم[1] —، وذلك هو معنى قوله: «وَما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها» — وسخَّر لكم الأنعام فيها لكمْ مطاعمُ ومآكل، ومنها جمالٌ ومراكبُ، ومنها أثاث وملابس — وذلك هو معنى قوله: «وبث فيها من كل دابة» — وأرْسل لكم الرياح لواقح لأشجار ثماركم وغذائكم وأقواتكم، وسيَّر لكم السحاب الذى بوَدْقه حَياتكم وحياة نعمكم ومواشيكم — وذلك هو معنى قوله: «وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والأرض».

٢/٤٠

فأخبرهم أنّ إلهم هو الله الذى أنعمَ عليهم بهذه النعم، وتفرَّد لهم بها. ثم قال: هل من شُركائكم مَن يفعل مِنْ ذلكم من شيء، فتشركوه فى عبادتكم إياى، وتجعلوه لى نِدًّا وعِدلاً؟ فإن لم يكن من شُركائكم مَنْ يفعل مِنْ ذلكم مِن شيء، ففى الذى عددت عليكم من نعمتى، وتفردت لكم بأياديَّ، دلالاتٌ لكم إن كنتم تعقلون مواقعَ الحق والباطل، والجور والإنصاف. وذلك أنىّ لكم بالإحسان إليكم متفرِّد دون غيرى، وأنتم تجعلون لى فى عبادتكم إياى أنداداً. فهذا هو معنى الآية.

* * *

والذين ذُكِّروا بهذه الآية واحتج عليهم بها، هم القوم الذين وصفتُ صفتهم، دون المعطِّلة والدَّهْرية، وإن كان فى أصغر ما عدَّ الله فى هذه الآية، من الحجج البالغة، المَقْنَعُ لجميع الأنام، تركنا البيان عنه، كراهة إطالة الكتاب بذكره.

* * *

(١) أمرع الأرض: صيرها خصبة بعد الجدب. والدثور: الدروس، يريد خرابها وانمحاء آثار عمارتها من النبات وغيره. وكان فى المطبوعة: «فينعشكم»، والصواب ما أثبت. ونعشه الله ينعشه: رفعه وتداركه برحمته.

غُلامَك، «واستوفيتُ حَقّى منه استيفاء حَقك»، بمعنى استيفاءك حقك، فتحذف من الثانى كناية اسم المخاطَب، اكتفاء بكنايته فى «الغلام» و «الحق»، كما قال الشاعر :

فَلَسْتُ مُسَلِّماً مَا دُمْتُ حَيّاً عَلَى زَيْدٍ بتَسْلِيم الأَمِيرِ[1]

يعنى بذلك : كما يُسلَّم على الأمير .

* * *

فعنى الكلام إذاً : ومنَ الناس من يتخذ ، أيها المؤمنون ، من دون الله أنداداً يحبونهم كحبكُم الله .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ (١٦٥)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك . فقرأه عامة أهل المدينة والشأم : «ولوْ ترى الذين ظلموا» بالتاء «إذ يَرون العذابَ» بالياء «أن القوة لله جميعاً وأن الله شديدُ العذاب» بفتح «أنّ» و «أنّ» كلتيهما — بمعنى : ولو ترى يا محمد

(١) لم أعرف قائله . وسيأتى فى هذا الجزء ٣ : ٣١١ ، وهو من أبيات أربعة فى البيان والتبيين ٤ : ٥١ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٠٠ ، وأمالى الشريف ١ : ٢١٥ . وبعد البيت :

أميرٌ يأكُلُ الفَالُوذَ سِرّاً ويُطعِمُ ضيفَهُ خُبْزَ الشَّعِيرِ !
أتذكُرُ إذْ قَباؤكَ جِلْدُ شاةٍ وَإذْ نَعْلاكَ من جِلْدِ البَعِيرِ ؟
فسُبْحان الذى أعطاكَ مُلْكاً وعَلَّمكَ الجلوسَ على السَّرِيرِ !!

(٢) فى المطبوعة : «كحب الله» ، وليس هذا تفسيراً على سياق كلامه وتفسيره ، بل هو نص الآية ، والصواب ما أثبت .

الذين كفروا وَظلموا أنفسهم ، حينَ يَرون عذابَ الله ويعاينونه « أنّ القوة لله جميعاً وأن الله شديدُ العذاب » .

٤١/٢ ثم فى نصبْ « أنّ » و « أنّ » فى هذه القراءة وجهان : أحدهما أن تُفتح بالمحذوف من الكلام الذى هو مطلوب فيه ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : ولو ترى يَا محمد الذين ظلموا إذ يرون عذاب الله ، لأقروا — ومعنى ترى : تبصر — أن القوة لله جميعاً وأنّ الله شديد العذاب . ويكون الجواب حينئذ — إذا فتحت « أن » على هذا الوجه — متروكاً ، قد اكتنى بدلالة الكلام عليه ، ويكون المعنى ما وصفت . فهذا أحد وجهى فتح « أن » ، على قراءة من قرأ « ولو ترى » بـ« التاء » .

والوجهُ الآخر فى الفتح : أن يكون معناه : ولو ترى ، يا محمد ، إذ يَرى الذين ظلموا عذابَ الله ، لأن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب ، لعلمت مبلغ عذاب الله . ثم تحذف « اللام » ، فتفتح بذلك المعنى ، لدلالة الكلام عليها .

* * *

وقرأ ذلك آخرون من سَلف القراء : «ولو تَرى الذين ظَلموا إذ يرون العذاب إن القوة لله جميعاً وإن الله شديدُ العذاب » . بمعنى : ولو ترى ، يا محمد ، الذين ظلموا حين يعاينون عذابَ الله ، لعلمت الحال التى يصيرون إليها . ثم أخبر تعالى ذكره خبرًا مبتدأ عن قدرته وسلطانه ، بعد تمام الخبر الأول فقال : «إن القوة لله جميعاً » فى الدنيا والآخرة ، دون من سواه من الأنداد والآلهة ، « وإن الله شديد العذاب » لمن أشرك به ، وادعى معه شُركاء ، وجعل له نداً .

* * *

وقد يحتمل وجهاً آخر فى قراءة من كسر « إن » فى « ترى » بالتاء . وهو أن يكون معناه : ولو ترَى ، يا محمد ، الذين ظلموا إذ يرون العذاب يَقولون : إنّ القوة لله جميعاً وإنّ الله شديد العذاب. ثمّ تحذفُ « القول » وتَكتنى منه بالمقول .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : « ولو يرَى الذين ظلموا » بالياء « إذ يَرَون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شَديدُ العذاب » بفتح « الألف » من « أنّ » « وأنّ » ، بمعنى : ولو

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أنّ من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً له =

وقد بينا فيما مضى أن «الندّ» ، العدل ، بما يدل على ذلك من الشواهد ، فكرهنا إعادته .(١)

= وأن الذين اتخذوا هذه «الأنداد» من دُون الله ، يحبون أندادهم كحب المؤمنين الله . ثم أخبرَهم أن المؤمنين أشد حباً لله ، من متخذى هذه الأنداد لأندادهم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الأنداد » التى كان القوم اتخذوها . وما هى ؟

* * *

فقال بعضهم : هى آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٠٦ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : قوله : « ومن الناس من يّتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله » ، من الكفار لأوثانهم .

٢٤٠٧ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله تعالى ذكره : « يحبونهم كحب الله » ، مباهاةً ومُضاهاةً للحقّ بالأنداد ، « والذين آمنوا أشد حباً لله » ، من الكفار لأوثانهم.

٢٤٠٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣٦٨ - ٣٧٠ .

٢٤٠٩ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ومن الناس من يتخذُ من ُدون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » ، قال : هى الآلهة التى تُعبد من دون الله ، يقول : يحبون أوثانهم كحب الله ، « والذين آمنوا أشد حباً لله » ، أى : من الكفار لأوثانهم .

٢٤١٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ومنَ الناس من يَتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله »، قال : هؤلاء المشركون . أندادُهم : آلهتهم التى َعبدوا مع الله ، يحبونهم كما يحب الذين آمنوا الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله من حبهم هم آلهتُهم .

* * *

وقال آخرون : بل « الأنداد » فى هذا الموضع ، إنما هم سادتهم الذين كانوا يطيعونهم فى معصية الله تعالى ذكره .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤١١ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومنَ الناس من يَتخذ من ُدون الله أنداداً يحبونهم كحب الله »، قال : الأنداد من الرجال، يطيعونهم كما يطيعون الله، إذا أمروهم أطاعوهم وَعصَوا الله.[1]

* * *

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : « كحب الله » ؟ وهل يحب الله الأنداد ؟ وهل كان ُمتخذو الأنداد يحبون الله ، فيقال : « ُيحبونهم كحب الله » ؟

قيل : إنّ معنى ذلك بخلاف ما ذهبتَ إليه، وإنما ذلك نظير قول القائل:[2] « بعت ُغلامى كبيع غلامِك » ، بمعنى : بعته كما بيع غلامك ، وكبيْعك

---

(١) الأثر : ٢٤١١ — فى المطبوعة : « حدثنى موسى قال حدثنا أسباط » ، أسقط منه « قال حدثنا عمرو » ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ٢٤٠٤ . ثم انظر ص : ٢٨٨ س : ١١ فسيأتى تأويله وبيانه عن قول السدى .

(٢) فى المطبوعة : « وإنما نظير ذلك » ، وأثبت أولى العبارتين بالسياق والمعنى .

يرى الذين ظلموا عذابَ الله الذى أعد لهم فى جهنم ، لعلموا حين يَرونه فيعاينونه أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب ، إذ يرون العذاب . فتكون « أن » الأولى منصوبة لتعلقها بجواب « لو » المحذوف ، ويكون الجواب متروكاً ، وتكون الثانية معطوفة على الأولى . وهذه قراءة عامة القرّاء الكوفيين والبصريين وأهل مكة

* * *

وقد زعم بعض نحويى البصرة أنّ تأويل قراءة من قرأ : « ولو يَرَى الذين ظلموا إذ يرون العذابَ أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب» بالياء فى « يرى » وفتح « الألفين » فى «أن» « وأن » — : ولو يعلمون،[1] لأنهم لم يكونوا علموا قدر ما يعاينون من العذاب . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم َعلم ، فإذا قال : « ولو ترى » ، فإنما يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم .

ولو كسر « إنّ » على الابتداء، إذا قال : « ولو يرى » جاز ، لأن « لو يرى » ، لو يعلم .

وقد تكون « لو » فى معنى لا يَحتاج معها إلى شىء .[2] تقول للرجل : « أمَا َوالله لو يعلم ، ولو تعلم »[3] ، كما قال الشاعر :[4]

إنْ يكُنْ طِبَّكِ الدّلاَلُ ، فلَوْ فِى سَالِفِ الدَّهْرِ والسِّنِينَ الخوَالِى ![5]

---

(١) يريد أن « يرى » بمعنى : يعلم . وقاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن : ٦٢ .

(٢) فى المطبوعة : « وقد تكون « لو يعلم » فى معنى لا يحتاج . . . » ، والصواب حذف « يعلم » فإنه أراد « لو » وحدها ، وذلك ظاهر فى استدلاله بعد .

(٣) فى المطبوعة: « لو يعلم» فى الموضعين ، والصواب جعل أحداهما بالياء . والأخرى بالتاء .

(٤) هو عبيد بن الأبرص .

(٥) ديوانه : ٣٧ ، من قصيدة جيدة يعاتب امرأته وقد عزمت على فراقه ، وقبله :

تلكَ عِرْسِى تَرُومُ قِدْماً زِيَالِى أَلِبَيْنٍ تُرِيد أَمْ لِدَلاَلِ ؟

والزيال : المفارقة . وقوله : « طبك » ، أى شهوتك وإرادتك وبغيتك . يقول لها : إن كنت الدلال على تبغين وترومين ، فقد مضى حين ذلك ، أيام كنا شباباً فى سالف دهرنا ولياليا الخوالى ! إذ — :

أنْت بَيْضَاءُ كالمهاة ، وإذْ آ تِيكِ نَشْوَانَ مُرْخِياً أذْيَالِى

هذا ليس له جواب إلا فى المعنى ، وقال الشاعر [١] :

وَبِحَظٍّ مِمَّا نَعِيشُ ، وَلاَ تَذْ هَبْ بِكَ التُّرَّهَاتُ فِى الْأَهْوَالِ [٢]

فأضمر : فعيشى. [٣]

قال : وقرأ بعضهم : « ولو ترى » ، وفتح « أن » على « ترى » . وليس بذلك، [٤] لأن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم ، ولكن أراد أن يعلم ذلك الناسُ ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ [سورة السجدة : ٢] ، ليخبر الناس عن جهلهم ، وكما قال : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٧] . [٥]

* * *

قال أبو جعفر : وأنكر قوم أن تكون « أنَّ » عاملاً فيها قوله : « ولو يرى » . وقالوا : إنّ الذين ظلموا قد علموا حين يرون العذاب أن القوة لله جميعاً ، فلا وجه لمن تأوّل ذلك : ولو يرى الذين ظلموا أنّ القوة لله . وقالوا : إنما عمل فى « أن » جواب « لو » الذى هو بمعنى « العلم » ، لتقدم « العلم » الأول. [٦]

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : مَنْ نصب « أن القوة لله وأن الله شديد العذاب »

---

(١) هو عبيد بن الأبرص أيضاً من قصيدته السالفة .

(٢) ديوانه : ٣٧ ، وسيأتى فى التفسير ٧ : ١١٧ ، وهو فى الموضعين مصحف . كان هنا « وبحظ ما تعيش » . قال لها ذلك بعد أن ذكر أنها زعمت أنه كبر وقل ماله ، وضن عنه إخوانه وأنصاره . ثم أمرها أن ترفض مقالة العاذلين ، ويعظها أن تعيش معه بما يعيش به . والترهات جمع ترهة : وهى أباطيل الأمور . والأهوال جمع هول : وهو الأمر المخيف . ثم ذكر لها أمر أهلها إذا فارقته إليهم وما تلقاه من أهوال ، فقال :

مِنْهُمُ مُمْسِكٌ ، وَمِنْهُم عَدِيمٌ ، وَبَخِيلٌ عَلَيْكِ فِى بُخَّالِ

(٣) فى المطبوعة : « فأضمر : عش » ، والصواب ما أثبت ، وستأتى على الصواب فى الجزء السابع .

(٤) قوله : « ليس بذلك » ، أى قول ضعيف ليس بذلك القوى .

(٥) انظر ما سلف ٢ : ٤٨٤ — ٤٨٨ .

(٦) يعنى بالعلم الأول « لو يرى » بمعنى « لو يعلم » ، والآخر الجواب المحذوف : « لعلموا » .

ممن قرأ: « ولو يَرَى » بالياء، فإنما نصبها بإعمال «الرؤية» فيها، وجعل « الرؤية » واقعةً عليها . وأما مَنْ نصبها ممن قرأ : « ولو ترى » بالتاء ، فإنه نَصبَها على تأويل: لأنّ القوة لله جميعاً، ولأن الله شديد العذاب. قال: ومن كسرهما ممن قرأ بالتاء ، فإنه يكسرهما على الخبر .

* * *

وقال آخرون منهم: فتح « أنّ » فى قراءة من قرأ : « ولو يَرَى الذين ظلموا » بالياء ، بإعمال « يرى » ، وجوابُ الكلام حينئذ متروك ، كما ترك جواب : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ﴾ [سورة الرعد: ٣١]، لأن معنى الجنة والنار مكررٌ معروف.[١] وقالوا : جائز كسر « إن » ، فى قراءة من قرأ بـ «الياء » وإيقاع « الرؤية» على« إذ» فى المعنى ، وأجازوا نصب «أن» على قراءة من قرأ ذلك بـ « التاء » ، لمعنى نية فعل آخر ، وأن يكون تأويل الكلام: « ولو ترى الذين ظَلموا إذ يرون العذاب » ، [يرَون] أنّ القوة لله جميعاً،[٢] وزعموا أن كسر « إنّ » الوجهُ ، إذا قرئت « ولو تَرَى » بـ « التاء » على الاستئناف، لأن قوله : « ولو ترى » قد وَقع على « الذين ظلموا ».[٣]

٤٢/٢

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا فى ذلك : « ولو تَرَى الذين ظلموا» — بالتاء من « ترى » — « إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب» بمعنى : لرأيتَ أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب . فيكون قوله : « لرأيت » الثانية ، محذوفةً مستغنى بدلالة قوله : « ولو ترى الذين ظلموا » ، عن ذكره ، إذ كان

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٩٧ ، وفيه « معانى الجنة . . . » ، والصواب ما فى الطبرى وإحدى نسخ معانى القرآن .

(٢) الذى بين القوسين زيادة لا بد منها ، وإلا اختل الكلام ، واستدركتها من معانى القرآن للفراء ١ : ٩٨ .

(٣) هذا قول الفراء فى معانى القراء ١ : ٩٧ — ٩٨ ، مع بعض التصرف فى اللفظ . وقوله : « وقع » ، و « الوقوع » يعنى به تعدى الفعل إليه . وانظر فهرس المصطلحات .

كان جواباً لـ « لو » .(١)

ويكون الكلام ، وإن كان مخرجه مَخرجَ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم — معنيًّا به غيره . لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لاشك عالماً بأن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب . ويكون ذلك نظيرَ قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٧] . وقد بيناه فى موضعه .(٢)

وإنما اخترنا ذلك على قراءة « الياء » ، لأن القوم إذا رَأوا العذاب ، قدأيقنوا أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب ، فلاوجه أن يُقال : لو يرون أنّ القوة لله جميعاً — حينئذ . لأنه إنما يقال : « لو رأيت » ، لمن لم يرَ ، فأما من قد رآه ، فلا معنى لأن يقال له : « لو رأيت » .

* * *

ومعنى قوله : « إذ يَرون العذاب » ، إذ يُعاينون العذاب ، كما :—

٢٤١٢ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولو يرى الذين ظلموا إذ يَرون العذابَ أن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب » ، يقول : لو عاينوا العذاب .

* * *

وإنما عنى تعالى ذكره بقوله : « ولو تَرَى الذين ظلموا » ، ولو ترى ، يا محمد ، الذين ظلموا أنفسهم ، فاتخذوا من دونى أنداداً يحبونهم كحبكم إياى ، حين يُعاينون عذابى يومَ القيامة الذى أعددتُ لهم ، لعلمتم أن القوة كلها لى دُون الأنداد والآلهة ، وأنّ الأنداد والآلهة لاتغنى عنهم هنالك شيئاً ، ولاتدفع عنهم عذاباً أحللتُ بهم ، وأيقنتم أنِّى شديدٌ عذابى لمن كفر بى ، وادّعى معى إلهاً غيرى .

* * *

(١) فى المطبوعة : « وإن كان جواباً . . . » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٤٨٤ — ٤٨٨ .

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله :«إذْ تبرّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبعوا ورَأوا العذاب » ، إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوهم.[1]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عَنى الله تعالى ذكره بقوله : « إذ تَبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا » ، فقال بعضهم بما : —

٢٤١٣ — حدثنا به بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : «إذ تبرأ الذين اتُّبعوا»، وهم الجبابرة والقادةُ والرؤوس فى الشرك ، « من الذين اتَّبعوا » ، وهم الأتباع الضعفاء ، « ورأوا العذاب » .

٢٤١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إذ تَبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا » ، قال : تبرأت القادةُ من الأتباع يوم القيامة .

٢٤١٥ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، ابن جريج : قلت لعطاء : « إذ تبرّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا » ، قال : تبرأ رؤساؤهم وقادتهم وساداتهم من الذين اتبعوهم .

* * *

وقال آخرون بما : —

٢٤١٦ — حدثنى به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : «من الذين اتبعوا» مرة أخرى ، والصواب « اتبعوهم » كما أثبت ، وإلا لم يكن ذلك إلا تكراراً بلا معنى .

أسباط ، عن السدى : « إذ تبرأ الذين اتُّبعُوا من الذين اتَّبعوا » ، أما « الذين اتُّبعوا » ، فهم الشياطين تبرأوا من الإنس .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندى فى ذلك أنّ الله تعالى ذكره أخبرَ أنّ المتَّبَعين على الشرك بالله يتبرأون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله . ولم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض ، بل عمّ جميعهم . فداخلٌ فى ذلك كل متبوع على الكفر بالله والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتَّبعونه على الضلال فى الدنيا ، إذا عاينوا عذابَ الله فى الآخرة .

* * *

وأما دِلالة الآية فيمن عنى بقوله : « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتَّبعوا » ، فإنها إنما تدل على أنّ الأنداد الذين اتخذهم مِن دُون الله مَنْ وَصَفَ تعالى ذكره صفته بقوله : « ومنَ الناس مَن يَتخذُ من دُون الله أنداداً » ، هم الذين يتبرأون من أتباعهم .

وإذ كانت الآيةُ على ذلك دالّةً ، صحّ التأويل الذى تأوله السدى فى قوله :[1] « ومن الناس مَنْ يَتخذ من دون الله أنداداً » ، أن « الأنداد » فى هذا الموضع ، إنما أريد بها الأندادُ من الرجال الذين يُطيعونهم فيما أمرُوهم به من أمر ، ويَعصُون الله فى طاعتهم إياهم ، كما يُطيع اللهَ المؤمنون ويَعصون غيره = وفسد تأويل قول من قال :[2] « إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا » ، أنهم الشياطين تبرأوا من أوليائهم من الإنس . لأن هذه الآية إنما هى فى سياق الخبر عن مُتخذى الأنداد .

* * *

---

(١) انظر الأثر رقم : ٢٤١١ .

(٢) قوله : « وفسد » معطوف على قوله : « صح » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ (١٦٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أن الله شديد العذاب ، إذ تبرأ الذين اتبعوا ، وإذ تقطعت بهم الأسباب .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « الأسباب » . فقال بعضهم بما : —

٢٤١٧ — حدثنى به يحيى بن طلحة اليربوعى قال ، حدثنا فضيل بن عياض — وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، — عن عبيد المكتب ، عن مجاهد : « وتقطعت بهم الأسباب » ، قال : الوصال الذى كان بينهم فى الدنيا .[1]

٤٣/٢

٢٤١٨ — حدثنا إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا يحيى ابن يمان ، عن سفيان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد : « وتقطّعت بهم الأسباب » ، قال : تواصلهم فى الدنيا .[2]

٢٤١٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن — وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد — جميعاً قالا ، حدثنا سفيان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد بمثله .

---

(١) الخبر : ٢٤١٧ — فضيل بن عياض بن مسعود التميمى الزاهد الخراسانى : ثقة ، قال ابن سعد : « كان ثقة ثبتاً فاضلا عابداً ورعاً كثير الحديث » . مات فى أول المحرم سنة ١٨٧ بمكة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/١٢٣ ، والصغير : ٢٠٩ ، وابن سعد ٥ : ٣٦٦ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٧٣ .

وهذا الخبر يرويه أبو جعفر بإسنادين : من طريق الفضيل بن عياض ، ثم من طريق جرير ، وهو ابن عبد الحميد الضبى — كلاهما عن عبيد المكتب . ثم سيرويه عقب ذلك ، بإسنادين آخرين : ٢٤١٨ ، ٢٤١٩ ، من رواية سفيان ، وهو الثورى ، عن عبيد المكتب .

و « عبيد المكتب » ، بضم الميم وسكون الكاف وكسر التاء المثناة ، من « الإكتاب » ، أى تعليم الكتابة : هو عبيد بن مهران الكوفى ، وهو ثقة ، أخرج له مسلم فى صحيحه . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٣٧ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢ .

(٢) الخبر : ٢٤١٨ — إسحق بن إبرهيم بن حبيب بن الشهيد ، شيخ الطبرى : ثقة مأمون . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/٢١١ ، وتاريخ بغداد ٦ : ٣٧٠ .

٢٤٢٠ ـ حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وتقطعت بهم الأسباب » ، قال : المودّة.

٢٤٢١ ـ حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٤٢٢ ـ حدثني القاسم قال، حدثني الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد قال : تواصلٌ كان بينهم بالمودة فى الدنيا .

٢٤٢٣ ـ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى قال ، أخبرني قيس بن سعد ، عن عطاء ، عن ابن عباس فى قول الله تعالى ذكره : « وتقطّعت بهم الأسباب» ، قال : المودة .

٢٤٢٤ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وتقطعت بهم الأسباب »، أسبابُ الندامة يوم القيامة، وأسباب المواصلة التى كانت بينهم فى الدنيا يتواصلون بها ، ويتحابُّون بها ، فصارت عليهم عداوةً يوم القيامة ، ثم يوم القيامة يكفر بعضُكم ببعض ، ويلعن بعضُكم بعضاً ، ويتبرأ بعضُكم من بعض . وقال الله تعالى ذكره: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف : ٦٧] ، فصارت كل خُلّة عداوة على أهلها إلا خُلة المتقين .

٢٤٢٥ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وتقطعت بهم الأسباب » ، قال : هو الوصْل الذى كان بينهم فى الدنيا .

٢٤٢٦ ـ حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه ، عن الربيع : « وتقطعت بهم الأسباب » ، يقول : الأسبابُ ، الندامة .

* * *

وقال بعضهم : بل معنى « الأسباب » ، المنازل التى كانت لهم من أهل الدنيا .

• ذكر من قال ذلك :

٢٤٢٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وتقطعت بهم الأسباب » ، يقول : تقطّعت بهم المنازلُ .

٢٤٢٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : « وتقطعت بهم الأسباب » ، قال : الأسباب المنازل .

* * *

وقال آخرون : « الأسباب » ، الأرحام .

• ذكر من قال ذلك :

٢٤٢٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : « وتقطّعت بهم الأسباب » ، قال : الأرحام .

* * *

وقال آخرون : « الأسباب » ، الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا .

• ذكر من قال ذلك :

٢٤٣٠ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أمّا « وتقطعت بهم الأسباب » ، فالأعمال .

٢٤٣١ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وتقطعت بهم الأسباب » ، قال : أسباب أعمالهم ، فأهل التقوى أعطوا أسبابَ أعمالهم وَثيقةً ، فيأخذون بها فينجُون ، والآخرون أعطوا أسبابَ أعمالهم الخبيثة ، فتقطّعُ بهم فيذهبون في النار .

* * *

قال أبو جعفر :[1] « والأسباب » ، الشىء يُتعلَّقُ به . قال : و « السبب » الحبل . « والأسباب » جمع « سَبب » ، وهو كل ما تسبب به الرجل إلى طَلِبته وحاجته . فيقال للحبل « سبب » ، لأنه يُتسبب بالتعلق به إلى الحاجة التى لا يوصل إليها إلا بالتعلق به . ويقال للطريق « سبب » ، للتسبب بركوبه إلى ما لا يدرك إلا بقطعه . وللمصاهرة « سبب » ، لأنها سَببٌ للحرمة . وللوسيلة « سَبب » ، للوصول بها إلى الحاجة ، وكذلك كل ما كان به إدراك الطلبة ، فهو « سبب » لإدراكها .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول فى تأويل قوله : « وتقطعت بهم الأسباب » أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ أن الذين ظلموا أنفسهم — من أهل الكفر الذين ماتوا وهم كفار — يتبرأ = عند معاينتهم عذابَ الله = المتبوعُ من التابع ، وتتقطع بهم الأسباب .

وقد أخبر تعالى ذكره فى كتابه أن بَعضهم يلعنُ بعضاً ، وأخبر عن الشيطان أنه يقول لأوليائه : ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٢] ، وأخبر تعالى ذكره أنّ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، وأن الكافرين لا ينصر يومئذ بعضهم بعضاً ، فقال تعالى ذكره : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [سورة الصافات : ٢٤ — ٢٥] ؛ وأنّ الرجل منهم لا ينفعه نسيبه ولا ذو رحمه ، وإن كان نسيبه لله وليًّا ، فقال تعالى ذكره فى ذلك : ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [سورة التوبة : ١١٤] ، وأخبر تعالى ذكره أنّ أعمالهم تَصيرُ عليهم حسرات . ٢/٤٤

وكل هذه المعانى أسباب يتسبب فى الدنيا بها إلى مطالب ، فقطع الله منافعها فى الآخرة عن الكافرين به ، لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه ، فهى منقطعة

---

(١) من أول هذه الفقرة ، كلام أبى جعفر ، وأخشى أن يكون سقط شىء قبله . وهذا الابتداء على كل حال ، جار على غير النهج الذى سار عليه كتابه من قبل ومن بعد .

بأهلها . فلا خِلالُ بعضهم بعضاً نَفعهم عند وُرودهم على ربهم،[1] ولا عبادتُهم أندادهم ولا طاعتهم شياطينهم ؛ ولا دافعت عنهم أرحامٌ فنصرتهم من انتقام الله منهم ، ولا أغنتِ عنهم أعمالهم ، بل صارت عليهم حسرات . فكل أسباب الكفار منقطعة .

فلا مَعْنىً أبلغُ — فى تأويل قوله : « وتقطعت بهم الأسباب » — من صفة الله [ذلك] ، وذلك ما بينَّا من [تقطع] جميع أسبابهم دون بعضها ،[2] على ما قلنا فى ذلك. ومن ادعى أن المعنىَّ بذلك خاص من الأسباب ، سُئل عن البيان على دعواه من أصلٍ لا منازع فيه ، وعورض بقول مخالفه فيه . فلن يقول فى شىء من ذلك قولاً إلاَّ ألزم فى الآخر مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « وَقال الذين اتَّبعوا » ، وقال أتباع الرجال — الذين كانوا اتخذوهم أنداداً من دون الله ، يطيعونهم فى معصية الله ، ويَعصُون ربَّهم فى طاعتهم ، إذ يرون عذابَ الله فى الآخرة — : « لو أن لنا كرة » .

* * *

يعنى « بالكرة » ، الرجعةَ إلى الدنيا ، من قول القائل : « كررتَ على القوم أكُرُّ كرًّا » ، و « الكرَّة » المرة الواحدة ، وذلك إذا حمل عليهم راجعاً عليهم بعد الانصراف عنهم ، كما قال الأخطل :

---

(١) فى المطبوعة : « ينفعهم » ، والصواب ما أثبت ، فالأفعال قبله وبعده كلها ماضية . والخلال مصدر خاله (بشديد اللام) يخاله مخالة وخلالا : وهى الصداقة والمودة ، يقول امرؤ القيس :

صَرَفْتُ الهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى ... فَلَسْتُ بِمَقْلِيِّ الخِـلالِ وَلَا قَالِى

(٢) الزيادة التى بين الأقواس ، لا بد منها حتى يستقيم صدر الكلام وآخره ، فى الجملة التالية . ويعنى بقوله « صفة الله » : ما وصف الله سبحانه من تقطع أسباب الكافرين يوم القيامة ، كالذى عدده آنفاً فى الفقرة السالفة .

وَلَقَدْ عَطَفْنَ عَلَى فَزَارَةَ عَطْفَةً كَرَّ الْمَنِيحِ ، وَجُلْنَ ثَمَّ مَجَالا[1]

وكما : —

٢٤٣٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « وقال الذين اتَّبعوا لوأن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا » ، أى: لنا رجعةً إلى الدنيا .

٢٤٣٣ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وقال الذين اتبعوا لو أنَّ لنا كرة »، قال : قالت الأتباع : لو أن لنا كرة إلى الدنيا فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا .

* * *

وقوله : « فنتبرأ منهم » ، منصوبٌ، لأنه جواب للتمنى بـ « الفاء » . لأن القوم تمنوا رجعةً إلى الدنيا ليتبرأوا من الذين كانوا يطيعونهم فى معصية الله ، كما تبرأ منهم رؤساؤهم الذين كانوا فى الدنيا ، المتبوعون فيها على الكفر بالله ، إذْ عاينوا عظيم النازل بهم من عذاب الله ، [2]فقالوا : يا ليت لنا كرَّة إلى الدنيا فنتبرأ منهم، و ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٧]

* * *

(١) ديوانه ٤٨ ، ونقائض جرير والأخطل : ٧٩ . وفى المطبوعة : « كر المشيح » ، وهو خطأ وفى الديوان « على قدارة »، وهو خطأ . وفزارة بن ذبيان بن بغيض . والمنيح : قدح لاحظ له فى الميسر ، وأقداح الميسر سبعة ذوات أنصباء ، وأربعة لا نصيب لها مع السبعة ، ولكنها تماد معها فى كل ضربة . وقوله : « عطفن » يعنى الخيل ، ذكرها فى بيت قبله . وقد مضى من هذه القصيدة أبيات فى ٢ : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٦ .

(٢) فى المطبوعة : « إذا عاينوا » ، وهو خطأ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى قوله : « كذلك يُريهم الله أعمالهم » ، يقول : كما أراهم العذابَ الذى ذكره فى قوله : « ورأوا العذاب » ، الذى كانوا يكذبون به فى الدنيا ، فكذلك يُريهم أيضاً أعمالهم الخبيثة التى استحقوا بها العقوبة من الله « حسرات عليهم » ، يعنى : نَدامات .

* * *

« والحسرات » جَمع « حَسْرة » . وكذلك كل اسم كان واحده على « فَعْلة » مفتوح الأول ساكن الثانى ، فإن جمعه على « فَعَلات » مثل « شَهوة و َتمرة » تجمع « شَهوات و َتمرات » مثقَّلة الثوانى من حروفها . فأما إذا كان نَعتاً فإنك تَدع ثانيَه ساكناً مثل « ضخمة » ، تجمعها « ضخْمات » و « عَبْلة » تجمعها « عَبْلات » ، وربما سُكِّن الثانى فى الأسماء ، كما قال الشاعر :[1]

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُولاَتِهَا يُدِلْنَنَا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِهَا
فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفْرَاتِهَا[2]

فسكن الثانى من « الزفرات » ، وهى اسم . وقيل : إن « الحسرة » أشد الندامة .

* * *

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) سيأتى فى التفسير ٢٤ : ٤٣ / ٣٠ : ٣٤ (بولاق) بزيادة بيت . والعينى ٤ : ٣٩٦ واللسان (لمم) (زفر) (علل) وغيرها . والدولة (بفتح فسكون) والدولة (بضم الدال) : العقبة فى المال والحرب وغيرهما ، وهو الانتقال من حال إلى حال ، هذا مرة وهذا مرة . ودالت الأيام : دارت بأصحابها . ويروى : « تديلنا » وأداله : جعل له العقبة فى الأمر الذى يطلبه أو يتمناه ، بتغيره وانتقاله عنه إلى حال أخرى . واللمة : النازلة من نوازل الدهر ، كالملمة . والبيت الرابع الذى زاده الطبرى :

* وَتَنقَعُ الغُلّةَ من غُلاَّتِهَا *

والغلة : شدة العطش وحرارته . ونقع الغلة : سكنها وأطفأها وأذهب ظمأها .

فإن قال لنا قائل : فكيف يرون أعمالهم حسرات عليهم ، وإنما يتندم المتندم على ترك الخيرات وفوتها إياه ؟ وقد علمت أن الكفار لم يكن لهم من الأعمال ما يتندمون على تركهم الازدياد منه ، فيريهم الله قليله ![1] بل كانت أعمالهم كلها معاصي لله ، ولا حسرة عليهم في ذلك ، وإنما الحسرة فيما لم يعملوا من طاعة الله ؟

قيل : إن أهل التأويل في تأويل ذلك مختلفون ، فنذكر في ذلك ما قالوا ، ثم نخبر بالذى هو أولى بتأويله إن شاء الله .

فقال بعضهم : معنى ذلك : كذلك يريهم الله أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيعوها ولم يعملوا بها ، حتى استوجب = ما كان الله أعد لهم ، لو كانوا عملوا بها في حياتهم ، من المساكن والنعم = غيرهم بطاعته ربه .[2] فصار ما فاتهم من الثواب - الذى كان الله أعده لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا ، إذ عاينوه[3] عند دخول النار أو قبل ذلك - أسى وندامة وحسرة عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٣٤ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » ، زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها ، لو أنهم أطاعوا الله ، فيقال لهم : تلك مساكنكم لو أطعتم الله ! ثم تقسم بين المؤمنين ، فيرثونهم . فذلك حين يندمون . ٢/٤٥

٢٤٣٥ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل قال ، حدثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله - في

---

(١) قوله : « فيريهم الله قليله » ، يعني به : فيريهم الله أنه قليل ، فيتمنون أن لو كانوا ازدادوا من فعله حتى يكثر .

(٢) سياق هذه الجملة : حتى استوجب غيرهم بطاعته ربه ، ما كان الله أعد لهم . . . » فقدم وأخر وفصل ، كعادته .

(٣) في المطبوعة : « إذا عاينوه » ، والصواب ما أثبت .

قصة ذكرها — فقال : فليس نَفْسٌ إلا وهى تنظر إلى بَيتٍ فى الجنة وبَيتٍ فى النار ، وهو يومُ الحسرة . قال : فيرى أهلُ النار الذين فى الجنة ، فيقال لهم : لو عملتم ! فتأخذهم الحسرة . قال : فيرى أهلُ الجنة البيتَ الذى فى النار ، فيقال : لولا أن منّ الله عليكم ! (١)

* * *

فإن قال قائل : وكيف يكون مضافاً إليهم من العمل ما لم يَعملوه على هذا التأويل ؟

قيل : كما يُعرض على الرجل العملُ فيقال [له] قبل أن يعمله :(٢) هذا عملك . يعنى : هذا الذى يجب عليك أن تعمله ، وكما يقال للرجل يَحضرُ

---

(١) الحديث : ٢٤٣٥ — سفيان : هو الثورى. سلمة بن كهيل الحضرمى . سبق توثيقه : ٤٣٩ ، ونزيدهنا أن الثورى قال : « كان ركناً من الأركان » . وقال أحمد : « سلمة متقن الحديث » . وقال أبو زرعة : « كوفى ثقة مأمون ذكى» . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٧٥ ، وابن سعد ٦ : ٢٢١ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٧٠ — ١٧١ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ٨١ — ٨٢ .

أبو الزعراء — بفتح الزاى والراء بينهما عين مهملة ساكنة ؛ هو عبد الله بن هانىء أبو الزعراء الكبير ، وهو خال سلمة بن كهيل . وهو ثقة من كبار التابعين . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ١١٩ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٩٥ .

وهذا الحديث قطعة من حديث طويل — كما قال الطبرى هنا: « فى قصة ذكرها » وستأتى قطعة أخرى منه فى الطبرى ١٥ : ٩٧ (بولاق) . وهو حديث موقوف من كلام ابن مسعود ولكنه — عندنا — وإن كان موقوفاً لفظاً ، فإنه مرفوع حكماً ، لأنه فى صفة آخر الزمان ، وما يأتى من الفتن ، ثم فناء الدنيا ، ثم البعث والنشور والشفاعة ، وما إلى ذلك ، مما لا يعلم بالرأى .

وقد رواه — بطوله كاملا — الحاكم فى المستدرك ٤ : ٤٩٦ — ٤٩٨ ، من طريق الحسين بن حفص الإصبهانى ، عن سفيان ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى . وهو كما قالا .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٣٢٨ — ٣٣٠ ، بطوله ، وقال : رواه الطبرانى وهو موقوف ، مخالف للحديث الصحيح وقول النبى صلى الله عليه وسلم : أنا أول شافع » ! هكذا قال الهيثمى ولم يذكر شيئاً عن إسناده . وليس هذا موضع التعقب على تعليله .

وروى أبو داود الطيالسى : ٣٨٩ — قطعة أخرى منه ، عن يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه . و « يحيى بن سلمة » . ضعيف جداً . قال البخارى فى الصغير ، ص : ١٤٣ « منكر الحديث » ولا يضر ضعف الإسناد عند الطيالسى ، إذ جاء الحديث — كما ترى — بإسناد صحيح ، من رواية سفيان الثورى ، عن سلمة بن كهيل .

(٢) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام .

غداؤه قبل أن يتغدى به :[1] هذا غداؤك اليوم . يعنى به : هذا ما تتغدى به اليوم . فكذلك قوله : « كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » ، يعنى : كذلك يُريهم الله أعمالهم التى كان لازماً لهم العمل بها فى الدنيا ، حسرات عليهم.

* * *

وقال آخرون : كذلك يُريهم الله أعمالهم السيئة حسرات عليهم ، لم عملوها ؟ وهلاَّ عملوا بغيرها مما يُرضى الله تعالى ذكره ؟

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » ، فصارت أعمالهم الخبيثة حسرةً عليهم يوم القيامة .

٢٤٣٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أعمالهم حسرات عليهم » ، قال : أو ليس أعمالهم الخبيثةُ التى أدخلهم الله بها النار ؟ [فجعلها] حسرات عليهم .[2] قال : وجعل أعمالَ أهل الجنة لهم ، وقرأ قول الله : ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأَيَّامِ الخَالِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٤] .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : معنى قوله : « كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » ، كذلك يُرِى الله الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم ، لم عملوا بها ؟ وهلاَّ عملوا بغيرها ؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة ، إذ رأوا جزاءها من الله وعقابها ،[3] لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندماً عليهم .

---

(١) فى المطبوعة : « كما يقال للرجل » ، وزيادة الواو لازمة .

(٢) الزيادة بين القوسين مما يستقيم به معنى الكلام ، ليطابق القول الذى قاله هؤلاء . ويوافق الشطر الثانى من هذا الخبر فى ذكر أعمال أهل الجنة .

(٣) فى المطبوعة : « إذا رأوا جزاءها » ، والصواب ما أثبت .

فالذى هو أولى بتأويل الآية ، ما دلّ عليه الظاهرُ دون ما احتمله الباطن الذى لا دلالة له على أنه المعنىُّ بها .[١] والذى قال السدى فى ذلك ، وإن كان مَذهباً تحتمله الآية، فإنه مَنزع بعيد . ولا أثرَ — بأنّ ذلك كما ذكر— تقوم به حُجة فيسلم لها،[٢] ولا دلالة فى ظاهر الآية أنه المراد بها . فإذْ كان الأمر كذلك ، لم يُحَلْ ظاهر التنزيل إلى باطن تأويل.[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا هُمْ بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٦٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وما هؤلاء الذين وَصفتهم من الكفار = وإنْ نَدموا بعد معاينتهم مَا عاينوا من عذاب الله ، فاشتدت ندامتهم على ما سلف منهم من أعمالهم الخبيثة ، وتمنَّوا إلى الدنيا كرةً ليُنيبوا فيها ، ويتبرأوا من مُضليهم وسادتهم الذين كانوا يطيعونهم فى معصية الله فيها = بخارجين من النار التى أصلاهُموها الله بكفرهم به فى الدنيا ، ولا ندمُهم فيها بمنجيهم من عذاب الله حينئذ ، ولكنهم فيها مخلدون .

* * *

وفى هذه الآية الدلالةُ على تكذيب الله الزاعمين أن َعذابَ الله أهلَ النار من أهل الكفر مُنقضٍ ، وأنه إلى نهاية، ثم هو بعدَ ذلك فانٍ . لأن الله تعالى ذكره أخبرَ عن هؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآية ، ثم ختَم الخبر عنهم بأنهم غيرُ خارجين من النار ،بغير استثناء منه َوقتاً دون وقت . فذلك إلى غير حدّ ولا نهاية .

* * *

(١) انظر تفسير معنى : « الظاهر ، والباطن » فيما سلف ٢ : ١٥ ، واطلبه فى فهرس المصطلحات.

(٢) فى المطبوعة : « تقوم له حجة » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « فإذا كان الأمر . . . » ، والصواب ما أثبت . وقوله : « لم يحل » من أحال الشىء يحيله : إذا حوله من مكان إلى مكان ، أو من وجه إلى وجه .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٦٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : يا أيها الناسُ كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولى محمد صلى الله عليه وسلم ، فطيَّبْتُه لكم — مما تُحرِّمونه عَلى أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل وما أشبه ذلك مما لم أحرِّمه عليكم = دون مَا حرَّمته عليكم من المطاعم والمآكل فنجَّسته من مَيتة ودم ولحم خنزير وما أُهِلّ به لغيرى . ودَعوا خُطوات الشيطان — الذى يوبقكم فيهلككم ، ويوردكم مَوارد العطب ، ويحرّم عليكم أموالكم — فلا تتبعوها ولا تعلموا بها ، إنه = يعنى بقوله : « إنه » إنّ الشيطان ، و « الهاء » فى قوله : « إنه » عائدة على الشيطان = لكم أيها الناس « عدو مُبين » ، يعنى : أنه قد أبان لكم عَداوته ، بإبائه عن السجود لأبيكم ، وغُروره إياه حَتى أخرجه من الجنة ، واستزله بالخطيئة ، وأكل من الشجرة .

يقول تعالى ذكره : فلا تنتصحوه ، أيها الناس ، مع إبانته لكم العداوة ، ودعوا ما يأمركم به ، والتزموا طاعتى فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه مما أحللته لكم وحرَّمته عليكم ، دون ما حرمتموه أنتم على أنفسكم وحللتموه ، طاعة منكم للشيطان واتباعاً لأمره . ٤٦/٢

* * *

ومعنى قوله : « حَلالاً » ، طِلْقاً .[1] وهو مصدر من قول القائل : « قد حَلّ لك هذا الشيء » ، أى صار لك مُطلقاً ،[2] « فهو يَحِلّ لك حَلالاً وحِلاًّ » ، ومن

---

(١) الطلق (بكسر فسكون) . الحلال . يقال : هو لك طلق ، أى حلال . وفى الحديث : « الخيل طلق » ، أى أن الرهان عليها حلال .

(٢) هكذا فى المطبوعة ، وأخشى أن يكون الصواب فيما كتب الطبرى « طلقاً » كما سلف ، وكما سيأتى فى عبارته .

كلام العرب : « هو لك حِلٌّ » ، أى : طِلْق.[1]

* * *

وأما قوله : « طيباً » ، فإنه يعنى به : طاهرًا غير نَجس ولا محرَّم .

* * *

وأما « الخطوات » فإنه جمع « خُطوة » ، و « الخطوة » بعد ما بين قدمى الماشى .
و « الخطوة » بفتح « الخاء » « الفعلة » الواحدة من قول القائل : « خَطوت خَطوة واحدةً » . وقد تجمع « الخُطْوة » « خُطاً » و « والخَطْوة » تجمع « خَطوات » ، « وخِطاء » .

* * *

والمعنى فى النهى عن اتباع خُطواته ، النهى عن طريقه وأثره فيما دعا إليه ، مما هو خلاف طاعة الله تعالى ذكره .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الخطوات » . فقال بعضهم : خُطُوات الشيطان : عمله .

* ذكر من قال ذلك .

٢٤٣٨ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « خطوات الشيطان » ، يقول : عمله .

* * *

وقال بعضهم : « خطوات الشيطان » ، خَطاياه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٣٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « خُطُوات الشيطان » ، قال : خطيئته .

٢٤٤٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : خَطاياه

(١) فى المطبوعة : « من كلام العرب . . . » ، وأثبت الواو ، وحذفها جيد أيضاً .

٢٤٤١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : « ولا تتَّبعوا خُطُوات الشيطان » ، قال : خطاياه .

٢٤٤٢ ــ حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قوله : « خطوات الشيطان » ، قال : خطايا الشيطان التى يأمرُ بها .

* * *

وقال آخرون : « خطوات الشيطان » ، طاعته .

• ذكر من قال ذلك :

٢٤٤٣ ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » ، يقول : طاعته.

* * *

وقال آخرون : « خطوات الشيطان » ، النذورُ فى المعاصى.

• ذكر من قال ذلك .

٢٤٤٤ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن سليمان ، عن أبى مجلز فى قوله : « ولا تتّبعوا خُطوات الشيطان » ، قال : هى النذور فى المعاصى .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التى ذكرناها عمن ذكرناها عنه فى تأويل قوله : « خطوات الشيطان » ، قريبٌ معنى بعضها من بعض . لأن كل قائلٍ منهم قولاً فى ذلك ، فإنه أشار إلى نَهْى اتباع الشيطان فى آثاره وأعماله . غيرَ أن حقيقة تأويل الكلمة هو ما بينت ، من أنها « بعد ما بين قَدميه » ، ثم تستعمل فى جميع آثاره وطُرقه ، على ما قد بينت .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٦٩)

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره بقوله : « إنما يأمركم »، الشيطانَ، « بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ».

* * *

« والسوء » الإثم، مثل « الضُّرّ »، من قول القائل : « ساءك هذا الأمر يَسوءك سُوءًا »، وهو ما يَسوء الفاعل.

* * *

وأما « الفحشاء »، فهى مصدر مثل « السراء والضراء »،(١) وهى كل ما استُفحش ذكره، وقَبُح مَسموعه.

وقيل : إن « السوء » الذى ذكره الله، هو معاصى الله. فإن كان ذلك كذلك، فإنما سَمّاها الله « سوءاً » لأنها تسوء صاحبها بسوء عاقبتها له عند الله. وقيل : إن « الفحشاء »، الزنا : فإن كان ذلك كذلك، فإنما يُسمى [كذلك]،(٢) لقبح مسموعه، ومكرُوه ما يُذْكَر به فاعله.

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٤٥ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « إنما يأمركم بالسوء والفحشاء »، أمّا « السوء »، فالمعصية، وأما « الفحشاء »، فالزنا.

* * *

وأما قوله : « وأنْ تَقولوا على الله مَا لا تعلمون »، فهو ما كانوا يحرّمون من البحائر والسوائب والوَصائل والحوامى، ويزعمون أن الله حرّم ذلك. فقال تعالى

---

(١) لعل الصواب، « فهى اسم مصدر ».

(٢) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.

ذكره لهم : ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ ولاَ حَامٍ ولَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾
[سورة المائدة : ١٠٣]

فأخبرهم تعالى ذكره فى هذه الآية،(١) أنّ قيلهم : « إنّ الله حرم هذا ! » من الكذب الذى يأمرهم به الشيطان، وأنه قد أحلّه لهم وطيّبه، ولم يحرم أكله عليهم، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون حقيقته ، طاعةً منهم للشيطان ، واتباعاً منهم خطواته ، واقتفاء منهم آثارَ أسلافهم الضُّلال وآبائهم الجهال، الذين كانوا بالله وبما أنزل على رسوله جُهالاً ، وعن الحق ومناهجه ضُلالاً — وإسرافاً منهم ، كما أنزل الله فى كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ذكره : « وإذا قيلَ لهمُ اتبعوا ما أنزل اللهُ قالوا بَلْ نَتبع مَا ألفينا عليه آباءنا » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ (١٧٠)

قال أبو جعفر : وفى هذه الآية وجهان من التأويل .

٢/٤٨ أحدهما : أن تكون« الهاء والميم » من قوله : « وإذا قيلَ لهم » عائدة على « من » فى قوله : « ومنَ الناس مَنْ يَتخذُ من دون الله أنداداً » ، فيكون معنى الكلام : ومن الناس مَنْ يَتخذُ من دُون الله أنداداً ، وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله . قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .

والآخر : أن تكون « الهاء والميم » اللتان فى قوله : « وإذا قيل لهم »، من ذكر « الناس » الذين فى قوله : « يا أيها الناسُ كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً » ، فيكون

---

(١) فى المطبوعة ، « وأخبرهم » بالواو ، والصواب الجيد ما أثبت .

ذلك انصرافاً من الخطاب إلى الخبر عن الغائب ، كما فى قوله تعالى ذكره : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [سورة يونس : ٢٢]

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه عندى بالصواب وأولى بتأويل الآية [١] : أن تكون « الهاء والميم » فى قوله : «لهم » ، من ذكر « الناس » ، وأن يكون ذلك رجوعاً من الخطاب إلى الخبر عن الغائب . لأن ذلك عَقيب قوله : « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض » . فلأنْ يكون خبراً عنهم ، أولى من أن يكون خبراً عن الذين أخبرَ أنْ منهم « مَنْ يَتخذ من دُون الله أنداداً » ، مع ما بينهما من الآيات ، وانقطاع قَصَصهم بقصة مُستأنفة غيرها = وأنها نزَلت فى قوم من اليهود قالوا ذلك، [٢] إذ دعوا إلى الإسلام ، كما : —

٢٤٤٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : دَعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهودَ من أهل الكتاب إلى الإسلام ورَغَّبهم فيه، وحذرهم عقاب الله ونقمته ، فقال له رَافع بن خارجة ، ومَالك بن عوف : بل نَتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، فإنهم كانوا أعلم وخيراً منا ! فأنزل الله فى ذلك من قولهما [٣] : « وإذا قيلَ لهمُ اتبعوا ما أنزل اللهُ قالوا بَل نتَّبع ما ألفينا عَليه

---

(١) فى المطبوعة : « وأشبه عندى وأولى بالآية » ، وهو كلام مختل ، ورددته إلى عبارة الطبرى فى تأويل أكثر الآيات السالفة .

(٢) فى المطبوعة : «وإنما نزلت فى قوم من اليهود» ، وهو خطأ ناطق ، واضطراب مفسد للكلام . والصواب ما أثبت . يقول أبو جعفر إن أولى الأقوال بالصواب أن تكون الآية نزلت فى ذكر عرب الجاهلية الذين حرموا ما حرموا على أنفسهم ، كما ذكر فى تفسير الآيتين السالفتين (١٦٨ ، ١٦٩) ، ويستبعد أن يكون المعنى بها من ورد ذكرهم فى الآية (١٦٥) ، كما يستبعد قول من قال إنها نزلت فى اليهود ، فى الخبر الذى سيرويه بعد . فقوله : « وأنها نزلت » عطف على قوله « خبراً » فى قوله : « أولى من أن يكون خبراً عن الذين أخبر أن منهم من يتخذ . . . »

(٣) فى المطبوعة : « فأنزل الله من قولهم ذلك » . وهو خطأ محض ، ورددتها إلى نصها فى سيرة ابن هشام ، كما سيأتى مرجعه .

آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » .[١]

٢٤٤٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد ابن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله — إلا أنه قال : فقال له أبو رافع ابن خارجة ، ومالك بن عوف .[٢]

* * *

وأما تأويل قوله : « اتبعوا ما أنزل الله » ، فإنه : اعملوا بما أنزل الله في كتابه على رسوله ، فأحِلُّوا حلاله ، وحرِّموا حرامه ، واجعلوه لكم إماماً تأتمون به ، وقائداً تتبعون أحكامه .

* * *

وقوله : « ألفينا عليه آباءنا » ، يعني : وَجدنا ، كما قال الشاعر :[٣]

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلَا ذَاكِرِ اللهَ إِلَّا قَلِيلَا[٤]

---

(١) الأثر رقم : ٢٤٤٦ — في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٠ — ٢٠١ ، مع اختلاف يسير في لفظه

(٢) الأثر رقم : ٢٤٤٧ — انظر الأثر : ٢٤٤٦ .

(٣) هو أبو الأسود الدؤلي .

(٤) ديوانه : ٤٩ (نفائس المخطوطات) ، سيبويه ١ : ٨٥ ، والأغاني ١١ : ١٠٧ ، وأمالي ابن الشجري ١ : ٢٨٣ والصداقة والصديق : ١٥١ ، والخزانة ٤ : ٥٥٤ ، وشرح شواهد المغني : ٣١٦ ، واللسان (عتب) . وهو من أبيات قالها في امرأة كان يجلس إليها بالبصرة ، وكانت برزة جميلة ، فقالت له يوماً : يا أبا الأسود ، هل لك أن أتزوجك ؟ فإني امرأة صناع الكف ، حسنة التدبير ، قانعة بالميسور . قال : نعم . فجمعت أهلها وتزوجته . ثم إنه وجدها على خلاف ما قالت ، فأسرعت في ماله ، ومدت يدها في خيانته ، وأفشت عليه سره ، فغدا على من كان حضر تزويجه ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا . فقال لهم :

أَرَيْتَ امْرءًا كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ أَتَانِي ، فَقَالَ : اتَّخِذْنِي خَلِيلَا
فَخَالَلْتُهُ ، ثُمَّ صَافَيْتُهُ فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدُنْهُ فَتِيلَا
وَأَلْفَيْتُهُ حِينَ جَرَّبْتُهُ كَذُوبَ الحَدِيثِ سَرُوقًا بَخِيلَا

يعنى : وجدته ، وكما : —

٢٤٤٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قالوا بَل نَتبع ما ألفينا عليه آباءنا » ، أى : ما وجدنا عليه آباءنا .

٢٤٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

قال أبو جعفر : فمعنى الآية : وإذا قيل لهؤلاء الكفار : كلوا مما أحلّ الله لكم ، ودَعوا خُطوات الشيطان وطريقه ، واعملوا بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فى كتابه — استكبروا عن الإذعان للحقّ وقالوا : بل نأتم بآبائنا فنتّبع ما وجدناهم عليه ، من تحليل ما كانوا يُحلّون ، وتحريم ما كانوا يحرّمون .

* * *

قال الله تعالى ذكره : « أوَ لو كانَ آباؤهم » — يعنى : آباء هؤلاء الكفار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم — « لا يعقلون شيئاً » من دين الله وفرائضه ، وأمره ونهيه ، فيُتَّبعون على ما سَلكوا من الطريق ، ويؤتَمّ بهم فى أفعالهم — « ولا يَهتدون » لرشد ، فيهتدى بهم غيرهم ، ويَقتدى بهم من طَلب الدين ، وأراد الحق والصواب ؟ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار : فكيف أيها الناس تَتّبعون ما وجدتم عليه

فَذَكَّرْتُهُ ، ثُمَّ عَاتَبْتُــهُ عِتَابًا رَفِيقًا وَقَوْلاً جَمِيلاَ
فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلاَ ذَاكِرِ اللهَ إلاَّ قَلِيلاَ
أَلَسْتُ حَقِيقًا بِتَوْدِيعِهِ وَإِتْبَاعِ ذٰلِكَ صَرْمًا طَوِيلاَ ؟!

قالوا : بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتها ، وأنا أحب أن أستر ما أنكرت من أمرها . ثم صرفها معهم .

قال ابن الشجرى : « والذى حسن لقائل هذا البيت حذف التنوين لالتقاء الساكنين ، ونصب اسم الله تعالى ، واختيار ذلك على حذف التنوين للإضافة وجر اسم الله — أنه لو أضاف لتعرف بإضافته إلى المعرفة ، ولو فعل ذلك لم يوافق المعطوف المعطوف عليه فى التنكير ، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وأعمل اسم الفاعل » .

واستعتب الرجل : رجع عن الإساءة وطلب الرضا ، فهو مستعتب .

آباءكم فتتركون ما يأمركم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئاً ، ولا هم مصيبون حقًّا ، ولا مدركون رشداً ؟ وإنما يَتَّبع المتبعُ ذا المعرفة بالشيء المستعملَ له في نفسه ، فأما الجاهل فلا يتبعه — فيما هو به جاهل — إلا من لا عقل له ولا تمييز .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى ذلك .

* * *

فقال بعضهم : معنى ذلك : مثل الكافر = في قلة فهمه عن الله ما يُتلى عليه في كتابه ، وسُوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به = مثلُ البهيمة التي تسمع الصوتَ إذا نُعق بها ، ولا تعقلُ ما يقال لها .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٥٠ — حدثنا هناد بن السرّي قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله : « ومثلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يَسمع إلا دعاء ونداءً » ، قال : مَثلُ البعير أو مثل الحمار ، تدعوه فيسمع الصوت ولا يفقه ما تقول .

٢٤٥١ — حدثني محمد بن عبد الله بن زريع قال ، حدثنا يوسف بن خالد السمتي قال ، حدثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « كمثل الذي يَنعق بما لا يَسمع » ، قال : هو كمثل الشاة ونحو ذلك .[1]

---

(١) الخبر : ٢٤٥١ — هذا خبر منهار الإسناد . أما « محمد بن عبد الله بن زريع » شيخ الطبري فلم أجد ترجمته . والطبري يروى عن « محمد بن عبد الله بن بزيع » ، ولا أستطيع الترجيح بأنه هو ، محرف اسم جده .

٢٤٥٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «ومثل الذين كفروا كمثل الذى يَنعِق بما لا يَسمع إلادعاءً ونداءً»، كمثل البعير والحمار والشاة، إن قلت لبعضها: «كُلْ» – لايعلم ما تقول،غير أنه يسمع صوتك. وكذلك الكافر، إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وَعظته، لم يعقل ما تقول، غير أنه يسمع صوتك.

٤٨/٢

٢٤٥٣ – حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس: مثل الدابة، تنادى فتسمعُ ولاتعقل ما يقال لها. كذلك الكافر، يسمع الصوت ولا يعقل.

٢٤٥٤ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد: «كمثل الذى ينعق بما لا يسمع»، قال: مثل الكافر مثل البهيمة، تسمع الصوت ولا تعقل.

٢٤٥٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «كمثل الذى ينعِق»، مثلٌ ضربه الله للكافر يسمع ما يقال له ولا يعقل، كمثل البهيمة تسمع النعيق وَلا تعقل.

٢٤٥٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً»، يقول: مثل الكافر كمثل البعير والشاة، يسمع الصوت ولا يعقل ولا يدرى ما عُنى به.

وأما «يوسف بن خالد السمتى»: فهو ضعيف جداً، قال فيه ابن معين: «كذاب، زنديق، لا يكتب حديثه». ولا يشتغل بمثله. مترجم فى التهذيب، والكبير ٣٨٨/٢/٤، وابن سعد ٤٧/٢/٧، وابن أبى حاتم ٢٢١/٢/٤ – ٢٢٢. و «السمتى»: بفتح السين وسكون الميم، نسبة إلى السمت والهيئة. قال ابن سعد: «وقيل له: السمتى – للحيته وهيئته وسمته»!!

نافع بن مالك: هو الأصبحى، أبو سهيل، وهو عم الإمام مالك بن أنس، وهو تابعى ثقة. مترجم فى التهذيب، والكبير ٨٦/٢/٤، وابن أبى حاتم ٤٥٣/١/٤.

٢٤٥٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « كمثل الذى ينعقُ بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً » ، قال : هو مثل ضربه الله للكافر . يقول : مَثل هذا الكافر مثل هذه البهيمة التى تسمع الصوت ولا تدرى ما يقال لها . فكذلك الكافر لا ينتفع بما يقال له .

٢٤٥٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : هو مَثل الكافر ، يسمع الصوت ولا يعقل ما يقال له .

٢٤٥٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : سألت عطاء ثم قلت له : يقال : لا تعقل — يعنى البهيمة — إلا أنها تسمع دُعاء الداعى حين ينعِقُ بها، فهم كذلك لا يَعقلون وهم يسمعون . فقال : كذلك . قال : وقال مجاهد : « الذى ينعِق » ، الراعى « بما لا يسمع » من البهائم .

٢٤٦٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « كمثل الذى ينعق » الراعى « بما لا يسمع » من البهائم .

٢٤٦١ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو ،قال حدثنا أسباط ،عن السدى: « كمثل الذى ينعِق بما لا يَسمع إلا دُعاء ونداءً »، لا يعقل ما يقال له، إلاّ أن تُدعى فتأتى ،أو ينادَى بها فتذهب. وأما « الذى ينعق» ، فهو الراعى الغنم، كما ينعق الراعى بما لا يسمع ما يقال له ، إلا أن يُدعى أو ينادى . فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، يدعو من لا يسمع إلا خرير الكلام ، يقول الله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٨]

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى قائلى هذا القول — فى تأويلهم ما تأوّلوا،على ما حكيت عنهم — : ومثَلُ وَعْظِ الذين كفروا وواعظهم ، كمثل نَعْق الناعق بغنمه

ونعيقِه بها . فأضيف « المثل » إلى الذين كفروا ، وترك ذكر « الوعظ والواعظ » ، لدلالة الكلام على ذلك . كما يقال : « إذا لقيت فلاناً فعظِّمه تعظيمَ السلطان » ، يراد به : كما تعظم السلطانَ ، وكما قال الشاعر :

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الأَمِيرِ[1]

يراد به : كما يُسلَّم على الأمير .

وقد يحتمل أن يكون المعنى — على هذا التأويل الذى تأوله هؤلاء — : ومثل الذين كفروا فى قلة فهمهم عن الله وعن رسوله ، كمثل المنعوق به من البهائم ، الذى لا يَفقه من الأمر والنهى غير الصوت . وذلك أنه لو قيل له : « اعتلف ، أورِدِ الماء » ، لم يدر ما يقال له غير الصوت الذى يسمعه من قائله . فكذلك الكافر ، مَثله فى قلة فهمه لما يؤمر به وينهى عنه — بسوء تدبُّره إياه وقلة نظره وفكره فيه — مَثلُ هذا المنعوق به فيما أُمِر به ونُهِىَ عنه . فيكون المعنى للمنعوق به ، والكلام خارجٌ على الناعق ، كما قال نابغة بنى ذبيان :

وَقَدْ خِفْتُ ، حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِى عَلَى وَعِلٍ فِى ذِى المَطَارَةِ عَاقِلِ[2]

والمعنى : حتى ما تزيدُ مخافة الوعل على مخافتى ، وكما قال الآخر :[3]

---

(١) مضى تخريج هذا البيت فى هذا الجزء : ٢٨١ تعليق : ١ ، وهذا القول فى تفسير الآية ذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٠٠

(٢) ديوانه : ٩٠ ، وسيأتى فى التفسير ٣٠ : ١٤٦ (بولاق) ، ومجاز القرآن : ٦٥ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٩٩ ، ومشكل القرآن : ١٥١ ، والإنصاف : ١٦٤ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٥٢ ، ٣٢٤ ، وأمالى الشريف ١ : ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ومعجم ما استعجم : ١٢٣٨ . وهو من قصيدة مضى منها تخريج بيت فى هذا الجزء : ٢١٣ . وقوله : « ذى المطارة » (بفتح الميم) ، وهو اسم جبل . وعاقل : قد عقل فى رأس الجبل ، لجأ إليه واعتصم به وامتنع . والوعل : تيس الجبل : يتحصن بوزره من الصياد . وقد ذكر البكرى أنه رأى لابن الأعرابى أنه يعنى بذى المطارة (بضم الميم) ناقته ، وأنها مطارة الفؤاد من النشاط والمرح . ويعنى بذلك : ما عليها من الرحل والأداة . يقول : كأنى على رحل هذه الناقة وعل عاقل من الخوف والفرق .

(٣) النابغة الجعدى .

كَانَتْ فَرِيضَةَ مَا تَقُولُ ، كَمَا كَانَ الزِّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ [١]

والمعنى : كما كان الرجمُ فريضة الزنا ، فجعل الزنا فريضة الرجم ، لوضوح معنى الكلام عند سامعه ، وكما قال الآخر :

إِنَّ سِرَاجاً لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهْ تَحْلَى بِهِ العَيْنُ إِذَا مَا تَجْهَرُهْ [٢]

والمعنى : يَحلى بالعين ، فجعله تحلى به العين . [٣] ونظائر ذلك من كلام العرب أكثرُ من أن تحصى ، مما تُوجِّهه العرب من خبر ما تخبر عنه إلى ما صاحَبَه ، لظهور معنى ذلك عند سامعه ، فتقول : « اعرِض الحوضَ على الناقة » ، وإنما تعرض الناقة على الحوض ، وما أشبه ذلك من كلامها . [٤] ٤٩/٢

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وَمثل الذين كفروا فى دعائهم آلهتهم وأوثانهم التى لا تسمع ولا تعقل ، كمثل الذى يَنعق بما لا يسمع إلاَّ دعاءً ونداءً ، وذلك الصدى الذى يسمع صوته ولا يفهم به عنه الناعقُ شيئاً .

فتأويل الكلام على قول قائلى ذلك: ومثل الذين كفروا وآلهتهم — فى دعائهم إياها وهى لا تفقه ولا تعقل — كمثل الناعق بما لا يسمعه الناعقُ إلاَّ دعاءً ونداءً ، أى : لا يسمع منه الناعق إلا دعاءَه .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) سيأتى فى التفسير ٢ : ١٩٨، ٣٢٧ (بولاق) ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٩٩، ١٣١ ، ومشكل القرآن : ١٥٣ ، والإنصاف : ١٦٥ ، وأمالى الشريف ١ : ٢١٦ ، والصاحبى : ١٧٢ ، وسمط اللآلى : ٣٦٨ ، واللسان (زنا). وقال الطبرى فى ٢ : ٣٢٧ : « يعنى : كما كان الرجم الواجب من حد الزناء ».

(٢) سيأتى فى التفسير : (٢ ؛ ١٩٨ بولاق) ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٩٩ ، ١٣١ ، وأمالى الشريف ١ : ٢١٦ ، واللسان (حلا) . يقال : « ما فى الحى أحد تجهره عينى » ، أى تأخذه عينى فيعجبنى . وفى حديث صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على : « لم يكن قصيراً ولا طويلا ، وهو إلى الطول أقرب . من رآه جهره » ، أى عظم فى عينه .

(٣) هذا الذى مضى أكثر من قول الفراء فى معانى القرآن ١ : ٩٩ .

(٤) هذا من نص كلام أبى عبيدة فى مجاز القرآن : ٦٣ — ٦٤ .

٢٤٦٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وَمثل الذين كفروا كمثل الذى يَنعِق بما لا يَسمعُ إلا دعاءً ونداءً » ، قال : الرجل الذى يصيح فى جَوف الجبال فيجيبه فيها صوت يُراجعه يقال له « الصَّدى » . فمثل آلهة هؤلاء لهم ، كمثل الذى يُجيبه بهذا الصوت ، لا ينفعه ، لا يَسمع إلا دعاء ونداء . قال : والعرب تسمى ذلك الصدى .

* * *

وقد تحتمل الآية على هذا التأويل وجهاً آخر غير ذلك . وهو أن يكون معناها : ومثل الذين كفروا فى دعائهم آلهتهم التى لا تفقه دعاءَهم ، كمثل الناعق بغنم لهُ من حيث لا تسمعُ صوتَه غنمُه ، فلا تنتفع من نَعقِه بشىء ، غير أنه فى عَناء من دعاء ونُداء . فكذلك الكافر فى دعائه آلهته ، إنما هو فى عناء من دعائه إياها ونداثه لها ، ولا ينفعه شىء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويل عندى بالآية ، التأويل الأول الذى قاله ابن عباس وَمن وافقه عليه . وهو أن معنى الآية : ومثل وَعظ الكافر وواعظه ، كمثل الناعق بغنمه وَنعيقه ، فإنه يسمع نَعقه ولا يعقل كلامه ، على ما قد بينا قبل .

فأما وَجه جَواز حذف « وعظ » اكتفاء بالمثل منه ، فقد أتينا على البيان عنه فى قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾ [سورة البقرة : ١٧] ، وفى غيره من نظائره من الآيات ، بما فيه الكفاية من إعادته.(١)

* * *

وإنما اخترنا هذا التأويل ، لأن هذه الآية نزلت فى اليهود ، وإياهم عَنى الله تعالى ذكره بها ، ولم تكن اليهود أهل أوثان يَعبدونها ، ولا أهل أصنام يُعظمونها ويرجون نَفعها أو دَفع ضرها . ولا وجه — إذ كان ذلك كذلك — لتأويل من

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣١٨ — ٣٢٨ ، واطلب ذلك فى فهرس العربية من الأجزاء السالفة .

تأوّل ذلك أنه بمعنى : مَثل الذين كفروا فى ندائهم الآلهة ودُعائهم إياها .

* * *

فإن قال قائل : وما دليلك على أنّ المقصود بهذه الآية اليهود ؟

قيل : دليلنا على ذلك ما قبلها من الآيات وما بعدها ، فإنهم هم المعنيون به . فكان ما بينهما بأن يكون خبراً عنهم ، أحقّ وأولى من أن يكون خبراً عن غيرهم ، حتى تأتى الأدلة واضحةً بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم . هذا ، مع ما ذكرنا من الأخبار عمن ذكرنا عنه أنها فيهم نزلت ، والرواية التى روينا عن ابن عباس أنّ الآية التى قبل هذه الآية نزلت فيهم .[1] وبما قُلنا من أن هذه الآية معنىّ بها

(١) هذا موضع مشكل فى كلام أبى جعفر رضى الله عنه ، كان ينبغى أن يبينه فضل بيان . فإن صدر عبارته قاض بأن كل الآيات التى قبل هذه الآية نزلت فى يهود ، وليس كذلك . ثم عاد بعد قليل يقول : «هذا مع الرواية التى رويناها عن ابن عباس أن الآية التى قبل هذه الآية نزلت فيهم» — يعنى فى يهود . ولو كان الأمر كما يفهم من صدر عبارته ، لم يكن لنصه بعد ذلك على أن الآية التى «قبل هذه الآية» نزلت فيهم ، فيما روى عن ابن عباس — معنى مفهوم .

والظاهر أن أبا جعفر كان أراد أن يقول : إن الآيات السالفة نزلت فى اليهود — إلا الآيات الأخيرة من أول قوله : «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار» إلى قوله : «وإلهكم إله واحد» (١٦٣ — ١٧٠) ، فهى قد نزلت فى كفار العرب ، وذكر ابن عباس أن الآية الأخيرة : (١٧٠) نزلت فى يهود أيضاً . ثم إن الآيات بعدها هى ولاشك فى يهود وأهل الكتاب ، فلذلك حمل معنى الآية هذه أنه مراد به اليهود . فكأنه جعل الآيات من (١٦٣ — ١٦٩) اعتراضاً فى سرد قصة واحدة ، هى قصة يهود .

فإن لم يكن ذلك كذلك ، فلست أدرى كيف يتسق كلامه . فهو منذ بدأ فى تفسير هذه الآيات من ١٦٣ — ١٦٩ لم يذكر إلا أهل الشرك وحدهم ، وبين أن المقصود بقوله تعالى : «يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً» — هم الذين حرموا على أنفسهم البحائر والسوائب والوصائل (ص ٣٠٠) ، ثم عاد فى تأويل قوله تعالى : «وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» فقال : فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى (ص ٣٠٣) . واليهود ، كما أنهم لم يكونوا أهل أوثان يعبدونها ، أو أصنام يعظمونها كما قال أبو جعفر ، فهم أيضاً لم يحرموا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة كما ذكر فى تفسير الآيات السالفة . فهذا تناقض منه رحمه الله — إلا إذا حمل كلامه على استثناء الآيات التى ذكرت أنه فسرها على أنه مراد بها مشركو العرب الذين حرموا على أنفسهم ما حرموا من البحائر والسوائب والوصائل .

والصواب من القول عندى ، أن هذه الآية تابعة للآيات السالفة ، وأن قصتها شبيهة بقصة ما قبلها فى ذكر المشركين الذى قال الله لهم : «يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً» ، وأن العود إلى قصة أهل الكتاب هو من أول قوله تعالى : «إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب» والآيات التى تليها . وانظر ما سيأتى : ٣١٧ ، فإنه قد عاد هناك ، فجعل الآية خاصة بالمشركين من أهل الجاهلية ، بذكره ما حرموا على أنفسهم من المطاعم ، وهو تناقض شديد .

اليهود، كان عطاء يقول :

٢٤٦٣ ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال لى عطاء فى هذه الآية : هم اليهود الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ إلى قوله : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٤ - ١٧٥] .

* * *

وأما قوله : « يَنعِق » ، فإنه : يُصوِّت بالغنم ، « النَّعيق ، والنُّعاق » ، ومنه قول الأخطل :

فَانْعِقْ بِضَأْنِكَ يَا جَرِيرُ ، فَإِنَّمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الخَلَاءِ ضَلَالاَ[(١)]

يعنى : صوِّت به .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٧١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « صُمٌّ بُكمٌ عُمْيٌ » ، هؤلاء الكفارَ الذين مَثلهم كمثل الذى يَنعق بما لا يسمع إلا دُعاءً ونداءً « صُمٌّ » عن الحق فهم لا يسمعون ـ « بُكمٌ » يعنى : خُرسٌ عن قيل الحقّ والصواب ، والإقرار بما أمرهم الله أن يقرُّوا به ، وتبيين ما أمرهم الله تعالى ذكره أن يُبينوه من أمر محمد صلى الله عليه وسلم للناس ، فلا ينطقون به ولا يقولونه ، ولا يبينونه للناس ـ ، «عُمْيٌ»

(١) ديوانه : ٥٠ ، ونقائض جرير والأخطل : ٨١ ، وطبقات فحول الشعراء : ٤٢٩ ، ومجاز القرآن : ٦٤ ، واللسان (نعق) وقد مضت أبيات منها فى ٢ : ٣٨ : ٣٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٦ ، وهذا الجزء ٣ : ٢٩٤ ، وقد ذكر قبله حروب رهطه بنى تغلب ، ثم قال لجرير : إنما أنت راعى غنم ، فصوت بغنمك ، ودع الحروب وذكرها . فلا علم لك ولا لأسلافك بها . وكل ما تحدث به نفسك من ذلك ضلال وباطل .

عن الهدى وطريق الحق فلا يبصرونه ،[1] كما : —

٢٤٦٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « صُمٌّ بكم عمى » ، يقول : صم عن الحق فلا يسمعونه ، ولا ينتفعون به ولا يعقلونه ؛ عُمى عن الحق والهدى فلا يبصرونه ؛ بُكم عن الحقّ فلا ينطقون به .

٢٤٦٥ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « صم بكم عمى » ، يقول : عن الحق .

٢٤٦٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « صم بكم عمى » ، يقول : لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه .

* * *

وأما الرفع فى قوله : « صم بكم عمى » ، فإنه أتاهُ من قبل الابتداء والاستئناف ، يدل على ذلك قوله : « فهم لا يعقلون » ، كما يقال فى الكلام : « هو أصم لا يسمع ، وهو أبكم لا يتكلم » .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿١٧٢﴾ ٢/٥٠

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله « يا أيها الذين آمنوا » ، يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقروا لله بالعبودية ، وأذعنوا له بالطاعة ، كما : —

٢٤٦٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن

---

(١) انظر تفسير : « صم » « بكم » « عمى » فيما سلف ١ : ٣٢٨ — ٣٣١ . وقد حمل أبو جعفر معنى الآية هنا على أنه عنى به اليهود وأهل الكتاب . انظر التعليق السالف ص : ٣١٤ ، رقم : ١ .

(٢) انظر إعرابه فى الآية الأخرى فيما سلف ١ : ٣٢٩ — ٣٣٠ .

جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا »، يقول : صدَّقوا .

* * *

« كلوا من طيبات ما رَزقناكم » ، يعنى : اطعَموا من حَلال الرزق الذى أحللناهُ لكم ، فطاب لكم بتحليلى إياه لكم ، مما كنتم تحرِّمونَ أنتم، ولم أكن حرمته عليكم ، من المطاعم والمشارب . « واشكروا لله »، يقول : وأثنوا على الله بما هو أهله منكم، على النعم التى رزقكم وَطيَّبها لكم . « إن كنتم إياه تعبدون »، يقول : إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين، فكلوا مما أباح لكم أكله وحلله وطيَّبه لكم ، ودعوا فى تحريمه خطوات الشيطان .

وقد ذكرنا بعض ما كانوا فى جاهليتهم يحرِّمونه من المطاعم ، وهو الذى ندبهم إلى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه ، إذْ كان تحريمهم إياه فى الجاهلية طاعةً منهم للشيطان ، واتباعاً لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف . ثم بيَّن لهم تعالى ذكره ما حرَّم عليهم ، وفصَّله لهم مُفسَّراً . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : لا تُحرِّموا على أنفسكم ما لم أحرمه عليكم أيها المؤمنون بالله وبرسوله منَ البحائر والسوائب ونحو ذلك، بَل كلوا ذلك ، فإنى لم أحرم عليكم غير الميتة والدم ولحم الخنزير ، ومَا أهلَّ به لغيرى.

* * *

ومعنى قوله : « إنما حَرَّم عليكم الميتة » ، ما حرَّم عليكم إلا الميتة .

---

(١) فى المطبوعة : « وفصل لهم » ، والصواب ما أثبت . وهذا الذى قاله هنا برهان آخر على أن أبا جعفر قد اضطرب فى قصة هذه الآيات ، فهو قد عاد وجعل بعض الآيات السالفة ، فى مشركى العرب فى جاهليتهم ، كما ترى ، وهو بين أيضاً فى تفسيره الآية التالية . انظر ص : ٣١٤ ، تعليق : ١ .

« وإنما » حرف واحدٌ ، ولذلك نصبت « الميتة والدم » ، وغير جائز فى « الميتة » إذا جعلت « إنما » حرفاً واحداً — إلا النصب. ولو كانت « إنما » حرفين ، وكانت منفصلة من « إنّ » ، لكانت « الميتة » مرفوعة وما بعدها . وكان تأويل الكلام حينئذ : إنّ الذى حرم الله عليكم من المطاعم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير ، لا غير ذلك .(١)

وقد ذُكر عن بعض القراء أنه قرأ ذلك كذلك ، على هذا التأويل . ولست للقراءة به مستجيزاً = وإن كان له فى التأويل والعربية وجه مفهومٌ = لاتفاق الحجة من القراء على خلافه . فغيرُ جائز لأحد الاعتراض عليهم فيما نقلوه مجمعين عليه .

* * *

ولو قرئ فى « حرّم » بضم الحاء من « حرّم » ، لكان فى « الميتة » وجهان من الرفع . أحدهما : من أن الفاعل غير مسمى ، « وإنما » حرفٌ واحد .

والآخر : « إن » و « ما » فى معنى حرفين ، و « حرّم » من صلة « ما » ، « والميتة » خبر « الذى » مرفوع على الخبر . ولست ، وإن كان لذلك أيضاً وجه ، مستجيزاً للقراءة به ، لما ذكرت .

* * *

وأما « الميتة » ، فإن القرأةَ مختلفة فى قراءتها . فقرأها بعضهم بالتخفيف ، ومعناه فيها التشديد ، ولكنه يُخففها كما يخفف القائلون فى : « هو هيّن ليّن » « الهيْن الليْن » ،(٢) كما قال الشاعر :(٣)

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ(٤)

---

(١) انظر تفصيل هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٢ – ١٠٣ .

(٢) فى المطبوعة : « القائلون وهو هين لين . . . . » ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٣) هو على بن الرعلاء الغسانى ، والرعلاء أمه .

(٤) الأصمعيات : ٥ ، ومعجم الشعراء : ٢٥٢ ، وتهذيب الألفاظ : ٤٤٨ ، واللسان (موت) وحماسة ابن الشجرى : ٥١ ، والخزانة ٤ : ١٨٧ ، وشرح شواهد المغنى : ١٣٨ . من أبيات جيدة صادقة ، يقول بعده :

فجمع بين اللغتين في بيت واحد ، في معنى واحد .

وقرأها بعضهم بالتشديد، وحملوها على الأصل، وقالوا : إنما هو « مَيْوِت » « فيعل » ، من الموت . ولكن « الياء » الساكنة و« الواو» المتحركة لما اجتمعتا، « والياء» مع سكونها متقدمة، قلبت « الواو» « ياء » وشددت ، فصارتا «ياء» مشددة ، كما فعلوا ذلك في « سيد وجيد » . قالوا : ومن خففها ، فإنما طلب الخفة . والقراءةُ بها على أصلها الذى هو أصلها أولى .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى أن التخفيف والتشديد في « ياء » « الميتة » لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب ، فبأيهما قرأ ذلك القارئ فصيب . لأنه لا اختلاف في معنييهما .

* * *

وأما قوله : « وَمَا أُهِلَّ به لغير الله » ، فإنه يعنى به : وما ذُبح للآلهة والأوثان يُسمى عليه بغير اسمه ، أو قُصد به غيرُه من الأصنام .

وإنما قيل: « وما أُهِلَّ به » ، لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قرَّبوه لآلهتهم، سموا اسم آلهتهم التى قربوا ذلك لها، وَجهروا بذلك أصْواتَهم ، فجرى ذلك من أمرهم على ذلك ، حتى قيل لكل ذابح، سمَّى أو لم يُسمِّ ،[1] جهر بالتسمية أو لم يجهر — : « مُهِلٌّ». فرفعهم أصواتهم بذلك هو « الإهلال » الذى ذكره الله تعالى فقال: « وما أُهِلَّ به لغير الله » . ومن ذلك قيل للملبِّى في حجة أو عمرة « مُهِلٌّ »، لرفعه صوته بالتلبية . ومنه « استهلال » الصبى ، إذا صاح عند سقوطه من بطن أمه، « واستهلال » المطر ، وهو صوت وُقوعه على الأرض، كما قال عمرو بن قميئة :

إِنَّمَا المَيْتُ مَنْ يَعِيشُ ذَلِيلاً ... كَاسِفًا بَالُهُ قَلِيلَ الرَّجَاء

فَأُنَاسٌ يُمَصِّصُونَ ثِمَاداً ... وَأُنَاسٌ حُلُوقُهُمْ فِى المَاء

الثماد الماء القليل يبقى في الحفر . وما أصدق ما قال هذا الأبى الحر .

(١) في المطبوعة : « يسمى بذلك أو لم يسم » ، والصواب ما أثبت ، فعل ماض كالذى يليه .

ظَلَّ البِطَاحَ لَهُ انْهِلَالُ حَرِيصَةٍ فَصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ المُقْلَعِ[1]

واختلف أهل التأويل فى ذلك . فقال بعضهم : يعنى بقوله : « وما أُهِلَّ به لغير الله » ، ما ذبح لغير الله .

• ذكر من قال ذلك :

٢٤٦٨ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما أُهِلَّ به لغير الله » ، قال : ما ذبح لغير الله .

٢/٥١ ٢٤٦٩ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وما أُهلَّ به لغير الله » ، قال : ما ذبح لغير الله مما لم يُسم عليه .

٢٤٧٠ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما أُهلَّ به لغير الله » ، ما ذبح لغير الله

٢٤٧١ ـ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس فى قوله : « وما أُهِلَّ به لغير الله » ، قال : ما أُهِلَّ به للطواغيت .

٢٤٧٢ ـ حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « وما أُهلَّ به لغير الله » ، قال : ما أهل به للطواغيت .

٢٤٧٣ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وما أُهِلَّ به لغير الله » ، يعنى : ما أُهِلَ للطواغيت كلّها . يعنى : ما ذبح لغير الله من أهل الكفر ، غير اليهودى والنصارى .

٢٤٧٤ ـ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء فى قول الله : « وما أُهِلَّ به لغير الله » ، قال : هو ما ذبح لغير الله .

• • •

(١) سلف تخريج هذا البيت فى ١ : ٥٢٣ – ٥٢٤ ، وأن صواب نسبته إلى الحادرة الذبيانى .

وقال آخرون : معنى ذلك : ما ذكر عليه غير اسم الله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٧٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله : « وما أهلّ به لغير الله »، يقول : ما ذكر عليه غير اسم الله .

٢٤٧٦ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد — وسألته عن قول الله : « وما أهلّ به لغير الله » — قال : ما يذبح لآلهتهم، الأنصابُ التي يعبدونها ويسمّون أسماءَها عليها . قال : يقولون : « باسم فلان »، كما تقول أنت : « باسم الله »، قال : فذلك قوله : « وما أهلّ به لغير الله » .

٢٤٧٧ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثنا حيوة، عن عقبة بن مسلم التُّجيبي وقيس بن رافع الأشجعي أنهما قالا : أحِل لنا ما ذُبح لعيد الكنائس، وما أهدى لها من خبز أو لحم، فإنما هو طعام أهل الكتاب . قال حيوة، قلت : أرأيتَ قول الله : « وما أهِلّ به لغير الله »؟ قال : إنما ذلك المجوسُ وأهلُ الأوثان والمشركون .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « فمن اضطر »، فمن حلّت به ضرورة مجاعة إلى ما حرّمت عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله — وهو بالصفة التي وصفنا — فلا إثم عليه في أكله إن أكله .

* * *

وقوله : فمن « اضطر » « افتعل » من « الضَّرورة ».

* * *

و « غيرَ بَاغ » نُصِب على الحال مِنْ « مَنْ »، فكأنه . قيل: فمن اضطرَّ لا باغياً ولا عادياً فأكله ، فهو له حلال .

* * *

وقد قيل إن معنى قوله : « فمن اضطر » ، فمن أكره على أكله فأكله ، فلا إثم عليه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٧٨ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سالم الأفطس ، عن مجاهد قوله : « فمن اضطر غيرَ باغ ولا عاد » ، قال: الرجل يأخذُه العدو فيدعونه إلى معصية الله .

* * *

وأما قوله: « غيرَ بَاغ ولا َعاد » ، فإن أهل التأويل فى تأويله مختلفون .

فقال بعضهم : يعنى بقوله : « غير باغ » ، غيرَ خارج على الأئمة بسيفه باغياً عليهم بغير َجور ، ولا عادياً عليهم بحرب وعدوان، فمفسدٌ عليهم السبيلَ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٧٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن مجاهد : « فمن اضطر غيرَ بَاغٍ ولا عاد » ، قال : غيرَ قاطع سبيل ، ولا مفارق جماعة ، ولا خارج فى معصية الله ؛ فله الرخصة

٢٤٨٠ — حدثنى المثنى قال،حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمن اضطر غيرَ باغ ولا عاد » ، يقول : لا قاطعاً للسبيل ، ولا مفارقاً للأئمة ، ولا خارجاً فى معصية الله ، فله الرخصة . ومن خرج َباغياً أو عادياً فى معصية الله، فلا رخصة له وإن اضُطرَّ إليه .

٢٤٨١ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « غير باغ ولا عاد » ، قال : هو الذى يقطع الطريق ، فليس له رخصة

إذا جاع أن يأكل الميتة ، وإذا عطش أن يشربَ الخمر .

٢٤٨٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ــ يعنى الأفطس ــ عن سعيد فى قوله : « فمن اضطُر غير باغ ولا عاد » ، قال : الباغى العادى الذى يقطع الطريق ، فلا رخصة له ولا كرامة .

٢٤٨٣ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد فى قوله : « فمن اضطُر غير باغ ولا عاد » ، قال : إذا خرج فى سبيل من سُبُل الله فاضطر إلى شرب الخمر شرب ، وإن اضطر إلى الميتة أكل . وإذا خرج يقطع الطريق ، فلا رخصة له .

٢٤٨٤ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حفص بن غياث ، عن الحجاج ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد قال : « غيرَ باغ » على الأئمة ، « ولا عاد » ، قال : قاطع السبيل .

٢٤٨٥ ــ حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمن اضطر غير باغ ولاعاد » ، قال : غير قاطع السبيل ، ولا مفارق الأئمة ، ولا خارج فى معصية الله ، فله الرخصة .

٢٤٨٦ ــ حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مجاهد : « فمن اضطُر غير باغ ولا عاد » ، قال : غير باغ على الأئمة ، ولا عاد على ابن السبيل . ٥٢/٢

* * *

وقال آخرون فى تأويل قوله : « غيرَ باغ ولا عاد » : غيرَ باغ الحرامَ فى أكله ، ولا معتدٍ الذى أبيحَ له منه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٨٧ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ،

عن قتادة قوله : « فمن اضطُرَّ غير باغ ولا عاد » ، قال : غير باغ فى أكله ، ولا عادٍ : أن يتعدى حلالاً إلى حرام ، وهو يجد عنه مَندوحة .

٢٤٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « فمن اضطر غيرَ باغ ولا عاد » ، قال : غير باغ فيها ولا معتدٍ فيها بأكلها ، وهو غنىٌّ عنها .

٢٤٨٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عمن سمع الحسن يقول ذلك .

٢٤٩٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال حدثنا أبو تميلة ،[1] عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قوله : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد » ، « غير باغ » يَبتغيه ، « ولا عادٍ » : يتعدى على ما يُمسك نفسه .

٢٤٩١ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد » ، يقول : من غير أن يبتغى حراماً ويَتعداه ، ألا ترى أنه يقول : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾
[سورة المؤمنون : ٧ / سورة المعارج : ٣١]

٢٤٩٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فمن اضطُرَّ غير باغٍ ولا عادٍ » ، قال : أن يأكل ذلك بَغياً وتعدياً عن الحلال إلى الحرام ، ويترك الحلال وهو عنده ، ويتعدى بأكل هذا الحرام . هذا التعدى . ينكر أن يكونا مختلفين ، ويقول : هذا وهذا واحد !

* * *

وقال آخرون تأويل ذلك : فمن اضطر غير باغ فى أكله شهوة ، ولا عاد فوق ما لا بُدَّ له منه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٩٣ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « أبو نميلة » ، والصواب بالتاء . مضت ترجمته برقم : ٣٩٢ ، ٤٦١ .

أسباط ، عن السدى: « فمن اضطر غير باغ ولا عاد » . أمَّا « باغ »، فيبغى فيه شهوته . وأما« العادى » ، فيتعدى فى أكله ، يأكل حتّى يشبع ، ولكن يأكل منه قدر ما يُمسك به نفسه حتّى يبلغ به حاجته .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : فمن اضطر غير باغ بأكله ما حُرم عليه من أكله ، ولا عاد فى أكله ، وله عن ترك أكله — بوجود غيره مما أحله الله له — مندوحة وغنى .

وذلك أن الله تعالى ذكره لم يرخِّص لأحد فى قتل نفسه بحال . وإذ كان ذلك كذلك، فلاشك أن الخارجَ على الإمام والقاطعَ الطريقَ ، وإن كانا قد أتيا ما حرَّم الله عليهما = : من خروج هذا على من خرج عليه، وسَعى هذا بالإفساد فى الأرض، = فغيرُ مبيح لهما فعلهما ما فعلا مما حرّم الله عليهما — ما كان حرّم الله عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من ذلك — من قتل أنفسهما. [وردُّهما إلى محارم الله عليهما بعد فعلهما ما فعلا ، وإن كان قد حرَّمَ عليهما ما كان مُرَخَّصاً لهما قبل ذلك من فعلهما، وإن لم نرَ ردَّهما إلى محارم الله عليهما تحريماً ،[1] فغير مرخَّص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حراماً] . فإذ كان ذلك كذلك ، فالواجبُ على قُطاع الطريق والبغاة على الأئمة العادلة، الأوبةُ إلى طاعة الله، والرجوعُ إلى ما ألزمهما الله الرجوع إليه ، والتوبةُ من معاصى الله — لا قتلُ أنفسهما بالمجاعة ، فيزدادان إلى إثمهما إثماً ، وإلى خلافهما أمرَ الله خلافاً .[2]

---

(١) فى المطبوعة : «وإن لم يؤدهما إلى محارم الله عليهما تحريماً» . وهو تصحيف مفسد قد آذى من أراد أن يفهم عن الطبرى ما يقول . و « المحارم » : كل ما حرم الله سبحانه علينا فهو من محارم الله . وانظر التعليق التالى .

(٢) هذه الفقرة رد على القول الأول ، قول من ذهب إلى أن « الباغى » هو الخارج على الأئمة ، وأن « العادى » هو قاطع الطريق ، وأنهما لفعلهما ذلك مستثنيان من حكم الآية فى الترخيص للمضطر أن يأكل مما حرم الله عليه . ولكن العبارة فى الأصل فاسدة ، لا يكاد يكون لها معنى . ولم أستجز أن أدعها فى الأصل على ما هى عليه . وهكذا كانت فى الأصل :

وأما الذى وجّه تأويل ذلك إلى أنه غيرُ باغ فى أكله شهوة ، فأكل ذلك شهوة ، لا لدفع الضرورة المخوف منها الهلاك — مما قد دخل فيما حرمه الله عليه — فهو بمعنى ما قلنا فى تأويله ، وإن كان للفظه مخالفاً .

فأما توجيه تأويل قوله : « ولا عاد » ، ولا آكل منه شبعة ، ولكن ما يمسك به نفسه ، فإن ذلك ، بعض معانى الاعتداء فى أكله . ولم يخصص الله من معانى الاعتداء فى أكله معنى ، فيقال عنى به بعض معانيه .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول ما قلنا : من أنه الاعتداء فى كل معانيه المحرّمة .

* * *

وأما تأويل قوله : « فلا إثم عليه » ، يقول : من أكل ذلك على الصفة التى وصفنا ، فلا تبعة عليه فى أكله ذلك كذلك ولا حرَج .

* * *

[بل ذلك من فعلها ، وإن لم يؤدها إلى محارم الله عليهما تحريماً ، فغير مرخص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حراما] .

وهو كلام لا يستقيم ، وقد اجتهدت فرأيت أنه سقط من ناسخ كلامه سطر كامل فيما أرجح ، بين قوله : « من قتل أنفسهما » وقوله : «قبل ذلك من فعلهما» فبقيت «قبل» وحدها ، فجاء ناسخ آخر فلم يستبن معنى ما يكتب ، فجعل « قبل » « بل » ، ظناً منه أن ذلك يقيم المعنى على وجه من الوجوه . فاضطرب الكلام كما ترى اضطراباً لا يخلص إلى شىء مفهوم . وزاده فساداً واضطراباً تصحيف قوله : « وإن لم نردهما » بما كتب : « وإن لم يؤدهما » ، فخلص إلى كلام ضرب عليه التخليط ضرباً !

وقد ساق الطبرى فى هذه الفقرة حجتين لرد قول من قال إن الباغى هو الخارج على الإمام ، وإن العادى هو قاطع السبيل .

فالحجة الأولى : أن الباغى والعادى ، وإن كان كلاهما قد أتى فعلا محرماً ، فإن إتيان هذا الفعل المحرم ، لا يجعل قتل أنفسهما مباحاً لهما ، إذ هو محرم عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من محارم الله عليهما .

والحجة الأخرى : أن الله قد رخص لكل مضطر أن يأكل ما حرم عليه ، فاستثناء الباغى والعادى من رخصة الله للمضطر . لا يعد عنده تحريماً ، بل هو رد إلى ما كان محرماً عليهما قبل البغى أو العدوان . ومع ذلك فإن هذا الرد إلى ما كان محرماً عليهما ، وإن كان قد حرم عليهما ما كان مرخصاً لهما ولكل مضطر قبل البغى والعدوان ، فإنه لا يرخص لهما قتل أنفسهما ، وهو حرام عليهما قبل البغى والعدوان .

وإذن ، فالواجب عليهما أن يتوبا ، لا أن يقتلا أنفسهما بالمجاعة ، فيزدادان إثماً إلى إثمهما ، وخلافاً إلى خلافهما بالبغى والعدوان أمر الله .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٧٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « إنّ الله غفور رحيم » ، « إنّ الله غفورٌ » = إن أطعتم الله فى إسلامكم ، فاجتنبتم أكل ما حرم عليكم ، وتركتم اتباعَ الشيطان فيما كنتم تحرمونه فى جاهليتكم — طاعةً منكم للشيطان واقتفاءً منكم خطواته — مما لم أحرمه عليكم = لما سلف منكم ، فى كفركم وقبل إسلامكم ، فى ذلك من خطأ وذنب ومعصية ، فصافحٌ عنكم ، وتارك عقوبتكم عليه ، « رحيم » بكم إن أطعتموه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب » ، أحبارَ اليهود الذين كتموا الناس أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة ، برُشىً كانوا أُعطوها على ذلك ، كما : —

٢٤٩٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب » الآية كلها ، هم أهل الكتاب ، كتموا ما أنزل الله عليهم وبين لهم من الحق والهدى ، من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وأمره . ٥٣/٢

٢٤٩٥ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون

به ثمناً قليلاً »، قال : هم أهل الكتاب ، كتموا ما أنزل الله عليهم من الحق والإسلامَ وشأنَ محمد صلى الله عليه وسلم .

٢٤٩٦ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الذين يكتمون َما أنزل الله منَ الكتاب »، فهؤلاء اليهود ، كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

٢٤٩٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « إنّ الذين يكتمون َما أنزل الله من الكتاب »، والتي في « آل عمران » ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ [سورة آل عمران : ٧٧] ، نزلتا جميعاً في يهود .

* * *

وأما تأويل قوله « وَيشترون به ثمناً قليلاً » ، فإنه يعني : يبتاعون به . « والهاء » التي في « به » ، من ذكر « الكتمان » . فمعناه : ابتاعوا بكتمانهم ما كتموا الناس من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر نبوّته ثمناً قليلاً . وذلك أنّ الذى كانوا ُيعطَوْن = على تحريفهم كتابَ الله وتأويلهموه على غير وجهه، وكتمانهم الحق في ذلك = اليسيرَ من عرض الدنيا ، كما : —

٢٤٩٨ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ويشترون به ثمناً قليلاً » ، قال : كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخذوا عليه طمعاً قليلاً ، فهو الثمن القليل .

* * *

وقد بينت فيما مضى صفة « اشترائهم » ذلك ، بما أغنى عن إعادته ههنا

* * *

(١) انظر ما سلف في معنى « الاشتراء » و « الثمن » ١ : ٣١١ — ٣١٥، ٥٦٥/ثم ٢ : ٣٤١ — ٣٤٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى : (أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١٧٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك » ، — هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم بالخسيس من الرِّشوة يُعطَوْنها ، فيحرِّفون لذلك آيات الله ويغيِّرون معانيها = « ما يأكلون فى بطونهم » — بأكلهم ما أكلوا من الرُّشى على ذلك والجعالة ، [1] وما أخذوا عليه من الأجر = « إلا النار » — يعنى : إلا ما يوردهم النار ويُصْليهموها ، كما قال تعالى ذكره ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [سورة النساء : ١] ، معناه : ما يأكلون فى بطونهم إلا ما يوردهم النار بأكلهم ، فاستغنى بذكر « النار » وفهم السامعين معنى الكلام ، عن ذكر « ما يوردهم ، أو يدخلهم » . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٩٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « أولئك ما يأكلون فى بُطونهم إلا النار » ، يقول : ما أخذوا عليه من الأجر

* * *

فإن قال قائل : فهل يكون الأكل فى غير البطن فيقال : « ما يأكلون فى بطونهم » ؟

قيل : قد تقول العرب : « جُعت فى غير بطنى ، وشبعتُ فى غير بطنى » ، فقيل : فى بُطونهم لذلك ، كما يقال : « فعل فُلان هذا نفسُه » . وقد بينا ذلك فى غير هذا الموضع ، فيما مضى . [2]

---

(١) الجعل (بضم فسكون) والجعالة (مثلثة الجيم) : أجر مشروط يجعل للقائل أو الفاعل شيئاً .
(٢) انظر ما سلف ٢ : ٢٧٢ ، وهذا الجزء ٣ : ١٥٩ — ١٦٠ .

وأما قوله : « ولا يُكَلِّمُهم الله يَومَ القيامة » ، يقول : ولا يكلمهم بما يحبون ويشتهون ، فأما بما يسُوءهم ويكرَهون ، فإنه سيكلمهم . لأنه قد أخبر تعالى ذكره أنه يقول لهم — إذا قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ : قال ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ الآيتين [سورة المؤمنون : ١٠٧ ، ١٠٨] .

* * *

وأما قوله : « ولا يُزكّيهم » ، فإنه يعنى : ولا يطهّرهم من دَنس ذنوبهم وكفرهم ، (١) « ولهم عذاب أليم » ، يعنى : مُوجع (٢) .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك الذين اشترَوُا الضلالة بالهدى » ، أولئك الذين أخذوا الضلالة ، وتركوا الهدى ، وأخذوا ما يوجب لهم عذاب الله يوم القيامة ، وتركوا ما يُوجب لهم غفرانه ورضْوانه . فاستغنى بذكر « العذاب » و « المغفرة » ، من ذكر السبب الذى يُوجبهما ، لفهم سامعى ذلك لمعناه والمراد منه . وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى . (٣) وكذلك بينا وجه « اشتروا الضلالة بالهدى » باختلاف المختلفين ، والدلالة الشاهدة بما اخترنا من القول ، فيما مضى قبل ، فكرهنا إعادته. (٤)

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٧٣ — ٥٧٤ ، وهذا الجزء ٣ : ٨٨ .
(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٨٣ . ثم ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٥٠٦ ، ٥٤٠ .
(٣) انظر ما سلف فهارس مباحث العربية .
(٤) انظر ما سلف ١ : ٣١١ — ٣١٥ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ (١٧٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم معنى ذلك: فما أجرأهم على العمل الذى يقرِّبُهم إلى النار.

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٠٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فما أصْبَرَهم على النار » ، يقول : فما أجرأهم على العمل الذى يقربهم إلى النار .

٢٥٠١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فما أصْبَرَهم على النار » ، يقول : فما أجرأهم عليها . ٢/٥٤

٢٥٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن بشر ، عن الحسن فى قوله : « فما أصْبَرهم على النار » ، قال : والله ما لهم عليها من صبر ، ولكن ما أجرأهم على النار.

٢٥٠٣ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال، حدثنا مسعر = وحدثنى المثنى قال، حدثنا أبو بكير قال ،حدثنا مسعر = ، عن حماد ، عن مجاهد ، أو سعيد بن جبير ، أو بعض أصحابه : « فما أصبرهم على النار » ، ما أجرأهم .

٢٥٠٤ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فما أصبرهم على النار » ، يقول : ما أجرأهم وأصبرهم على النار .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما أعملهم بأعمال أهل النار .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٠٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فما أصْبَرهم على النار »، قال : ما أعملهم بالباطل .

٢٥٠٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

واختلفوا فى تأويل « ما » التى فى قوله : « فما أصبرهم على النار » . فقال بعضهم : هى بمعنى الاستفهام، وكأنه قال: فما الذى صبَّرهم؟ أىُّ شىء صبرهم؟ [١]

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٠٧ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فما أصبرَهم على النار » ، هذا على وجه الاستفهام . يقول : مَا الذى أصبرهم على النار ؟

٢٥٠٨ — حدثنى عباس بن محمد قال، حدثنا حجاج الأعور قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال لى عطاء : « فما أصبرهم على النار » ، قال : ما يُصبِّرهم على النار ، حين تَركوا الحق واتبعوا الباطل ؟

٢٥٠٩ — حدثنا أبو كريب قال: سُئل أبو بكر بن عياش : « فما أصبرهم على النار » ، قال : هذا استفهام ، ولو كانت من الصبر قال : « فما أصبرُهم »، رفعاً . قال : يقال للرجل : « ما أصبرك » ، ما الذى فعل بك هذا ؟

٢٥١٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال،قال ابن زيد فى قوله: « فما أصبرهم على النار » ، قال : هذا استفهام . يقول ما هذا الذى صبَّرهم على النار حتى جَرأهم فعملوا بهذا ؟

* * *

(١) وذلك قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن : ٦٤ .

وقال آخرون : هو تعجُّب. يعنى : فما أشد جراءَتهم على النار بَعملهم أعمال أهل النار !

* ذكر من قال ذلك :

٢٥١١ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فما أصبرهم على النار »، قال : ما أعملهم بأعمال أهل النار !

وهو قول الحسن وقتادة ، وقد ذكرناه قبل.(١)

* * *

فمن قال : هو تعجُّب — وجَّه تأويلَ الكلام إلى : «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذابَ بالمغفرة » ، فما أشد جراءَتهم — بفعلهم ما فعلوا من ذلك — على ما يوجب لهم النار ! كما قال تعالى ذكره : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [سورة عبس : ١٧] ، تعجباً من كفره بالذى خَلقه وسَوَّى خلقه .

* * *

فأما الذين وجهوا تأويله إلى الاستفهام ، فمعناه : هؤلاء الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ، فما أصبرهم على النار — والنار لا صبر عليها لأحد — حتى استبدلوها بمغفرة الله فاعتاضوها منها بدلاً ؟

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : ما أجرأهم على النار ، بمعنى : ما أجرأهم على عَذاب النار وأعملهم بأعمال أهلها . وذلك أنه مسموع من العرب : « ما أصبرَ فلاناً على الله » ، بمعنى : ما أجرأ فلاناً على الله !(٢) وإنما يعجب الله خَلقه بإظهار الخبر عن القوم الذين يكتمون ما أنزل الله تبارك وتعالى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوَّته ، واشترائهم بكتمان ذلك ثمناً قليلاً

---

(١) انظر ما سلف رقم : ٢٥٠١ ، ٢٥٠٢ .

(٢) انظر خبر ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٣ .

من السحت والرشى التى أعطوها — على وَجه التعجب من تقدمهم على ذلك، (١) مع علمهم بأنّ ذلك موجبٌ لهم سَخط الله وأليم عقابه.

وإنما معنى ذلك: فما أجرأهم على عذاب النار! ولكن اجتزىء بذكر «النار» من ذكر «عذابها»، كما يقال: «ما أشبه سخاءك بحاتم»، بمعنى: ما أشبه سَخاءك بسخاء حاتم، «وما أشبه شَجاعتك بعنترة». (٢)

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ (١٧٦)

قال أبو جعفر: أما قوله: «ذلك بأن الله نَزل الكتاب بالحق»، فإنه اختلف فى المعنىّ بـ «ذلك».

• • •

فقال بعضهم: معنىُّ «ذلك»، فعلُهم هذا الذى يفعلون = من جراءتهم على عذاب النار، فى مخالفتهم أمر الله، وكتمانهم الناسَ ما أنزل الله فى كتابه، وأمرَهم بيانه لهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر دينه = من أجل أن الله تبارك وتعالى «نَزّل الكتاب بالحق»، وتنزيله الكتاب بالحق هو خبرُه عنهم فى قوله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٦، ٧]، فهم — مع ما أخبر الله عنهم من أنهم لا يؤمنون — لا يكون منهم غيرُ اشتراء الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة.

---

(١) قدم، وتقدم، وأقدم، واستقدم، كلها بمعنى واحد، إذا كان جريئاً فاقتحم.

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١: ١٠٣، أيضاً.

وقال آخرون: معناه : « ذلك » معلومٌ لهم، بأن الله نزّل الكتاب بالحق، لأنّا قد أخبرنا فى الكتاب أنّ ذلك لهم ، والكتابُ حق . ٢/٥٥

كأن قائلى هذا القول كان تأويل الآية عندهم : ذلك العذاب = الذى قال الله تعالى ذكره ، فما أصبرهم عليه = معلومٌ أنه لهم . لأن الله قد أخبر فى مواضع من تنزيله أن النار للكافرين ، وتنزيله حق ، فالخبر عن « ذلك » عندهم مُضمر .

* * *

وقال آخرون: معنى « ذلك » ، أن الله وصف أهل النار ، فقال : « فما أصبرهم على النار » ، ثم قال: هذا العذاب بكفرهم . و « هذا » ههنا عندهم ، هى التى يجوز مكانها « ذلك » ،[1] كأنه قال: فعلنا ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به . قال : فيكون «ذلك» — إذا كان ذلك معناه — نصباً ، ويكون رفعاً بالباء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بتأويل الآية عندى : أن الله تعالى ذكره أشار بقوله : « ذلك » ، إلى جميع ما حواه قوله : « إنّ الذين يكتمونَ ما أنزلَ الله من الكتاب » ، إلى قوله : « ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق » ، من خبره عن أفعال أحبار اليهود ، وذكره ما أعد لهم تعالى ذكره من العقاب على ذلك ، فقال : هذا الذى فعلته هؤلاء الأحبارُ من اليهود = بكتمانهم الناسَ ما كتموا من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته مع علمهم به ، طلباً منهم لعرَض من الدنيا خسيس — وبخلافهم أمرى وطاعتى = وذلك — من تركى تطهيرَهم وتزكيتَهم وتكليمهم ، وإعدادى لهم العذاب الأليم — بأنى أنزلت كتابى بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه .

فيكون فى« ذلك » حينئذ وجهان من الإعراب: رفعٌ ونَصب . والرفع بـ « الباء » ، والنصب بمعنى: فعلت ذلك بأنى أنزلت كتابى بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه . وترك ذكر « فكفروا به واختلفوا » ، اجتزاءً بدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٢٥ — ٢٢٧ فى بيان « ذلك » ، و « هذا » .

وأما قوله : « وإنّ الذينَ اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد » ، يعنى بذلك اليهودَ والنصارى . اختلفوا فى كتاب الله ، فكفرت اليهودُ بما قصّ الله فيه من قَصَص عيسى بن مريم وأمه . وصَدّقت النصارى ببعض ذلك ، وكفروا ببعضه ، وكفروا جميعاً بما أنزل الله فيه من الأمر بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم . فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن هؤلاء الذين اختلفوا فيما أنزلت إليك يا محمد لفى منازعة ومفارقة للحق بعيدة من الرشد والصواب ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ فإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٣٧]

كما :

٢٥١٢ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإنّ الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد » ، يقول : هم اليهود والنصارى . يقول : هم فى عَداوة بعيدة . وقد بَينتُ معنى « الشقاق » ، فيما مضى.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ذلك . فقال بعضهم : معنى ذلك : ليس البرَّ الصلاةُ وحدها ، ولكن البرّ الخصال التى أبينها لكم .

٢٥١٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ليسَ البرّ أن تُولوا وُجُوهكم قِبَل

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣ : ١١٥ ، ١١٦ .

المشرق والمغرب » ، يعنى : الصلاة . يقول : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا ، فهذا منذ تحوّل من مكة إلى المدينة ، ونزلت الفرائض ، وحدّ الحدود . فأمر الله بالفرائض والعمل بها .

٢٥١٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » ، ولكنّ البر ما ثبت فى القلوب من طاعة الله .

٢٥١٥ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٥١٦ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس قال : هذه الآية نزلت بالمدينة : « ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » ، يعنى : الصلاة . يقول : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا غيرَ ذلك . قال ابن جريج ، وقال مجاهد : « ليس البرّ أن تُولوا وجوهكم قبَل المشرق والمغرب » ، يعنى السجود ، ولكن البر ما ثبت فى القلب من طاعة الله .

٢٥١٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ،[1] عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم ، أنه قال فيها ، قال يقول : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك . وهذا حين تحوّل من مكة إلى المدينة ، فأنزل الله الفرائض وحدّ الحدود بالمدينة ، وأمر بالفرائض أن يؤخذ بها .

* * *

وقال آخرون : عنى الله بذلك اليهود والنصارى . وذلك أن اليهود تصلى فتوجَّه قبل المغرب ، والنصارى تصلى فتوجَّه قبل المشرق ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، يخبرهم فيها أن البرّ غير العمل الذى يعملونه ، ولكنه ما بيناه فى هذه الآية .

* ذكر من قال ذلك

---

(١) فى المطبوعة : « أبو نميلة » بالنون ، والصواب ما أثبت . وانظر الأثر رقم : ٢٤٩٠ والتعليق عليه .

٢٥١٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كانت اليهود تصلى قبَل المغرب والنصارى تصلى قبل المشرق ، فنزلت : « ليس البر أن تولوا وُجُوهكم قبل المشرق والمغرب » .

٥٦/٢

٢٥١٩ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر » ، ذُكر لنا أن رَجلاً سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البر فأنزل الله هذه الآية . وذُكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا الرجل فتلاها عليه . وقد كان الرجلُ قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ثم مات على ذلك يُرْجى له ويطمع له فى خير ، فأنزل الله : « ليسَ البر أن تولوا وجوَهكم قبل المشرق والمغرب » . وكانت اليهود تَوجَّهت قبل المغرب ، والنصارى قبل المشرق ــ « ولكن البر من آمنَ بالله واليوم الآخر » الآية .

٢٥٢٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : كانت اليهود تصلى قبل المغرب ، والنصارى قبل المشرق ، فنزلت : « ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذين القولين بتأويل الآية ، القول الذى قاله قتادة والربيع بن أنس =: أن يكون عنى بقوله : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » ، اليهودَ والنصارَى . لأن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولَومهم ، والخبر عنهم وعما أُعدّ لهم من أليم العذاب . وهذا فى سياق ما قبلها ، إذْ كان الأمر كذلك ، ــ« ليس البر » ،ــ أيها اليهود والنصارى ، أنْ يولى بعضُكم وجهه قبل المشرق و بعضُكم قبل المغرب ، « ولكنّ البر مَنْ آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب » الآية .

* * *

فإن قال قائل : فكيف قيل : « ولكن البر من آمن بالله » ، وقد علمت أن « البر » فعل، و « مَنْ » اسم، فكيف يكون الفعل هو الإنسان ؟

قيل : إن معنى ذلك غيرَ ما توهمته ، وإنما معناه : ولكنّ البرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخر ،(١) فوضع « مَنْ » موضع الفعل، اكتفاءً بدلالته ، ودلالة صلته التي هى له صفةٌ ،مَنْ الفعل المحذوف، كما تفعله العرب ، فتضع الأسماء مواضع أفعالها التى هى بها مشهورة ، فتقول : « الجود حاتم ، والشجاعة عنترة »، و « إنما الجود حاتم والشجاعة عنترة »، ومعناها الجُود جود حاتم، فتستغنى بذكر « حاتم » إذ كان معروفاً بالجود ، من إعادة ذكر « الجود » بعد الذى قد ذكرته ، فتضعه موضع « جوده »، لدلالة الكلام على ما حذفته، استغناء بما ذكرته عما لم تذكره .(٢) كما قيل ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [سورة يوسف : ٨٢] ، والمعنى : أهل القرية ، وكما قال الشاعر ، وهو ذو الخِرَق الطُّهَوِى :

حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا ! وَمَا هِى ، وَيْبَ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ(٣)

يريد: بُغامَ عَناق،أو صوتَ[عناق]،(٤) كما يقال: «حسبتَ صياحى أخاك»، يعنى به : حسبتَ صياحى صياحَ أخيك .

* * *

وقد يجوز أن يكون معنى الكلام: ولكن البارَّ مَنْ آمن بالله ، فيكون « البر » مصدراً وُضع موضعَ الاسم .(٥)

* * *

(١) فى المطبوعة : « ولكن البر كن آمن بالله » وهو خطأ محض ، صوابه ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف : ٢ : ٦١ ، ٣٥٩ وهذا الجزء ٣ : ٣٣٤.

(٣) سلف تخريجه فى هذا الجزء ٣ : ١٠٣ تعليق : ٣

(٤) الزيادة بين القوسين لا بد منها

(٥) هذا قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن : ٦٥ ، وذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٠٤ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وآتَى المالَ على حُبه » ، وأعطى ماله فى حين محبته إياه ، وضِنِّه به ، وشُحِّه عليه ،[1] كما : —

٢٥٢١ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن زبيد ، عن مرة بن شراحيل البكيلى ، عن عبد الله بن مسعود : «وآتَى المالَ على حُبه » ، أى : يؤتيه وهو صحيحٌ شحيحٌ ، يأمل العيش ويخشى الفقر.[2]

٢٥٢٢ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن — وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق — قالا جميعاً ، عن سفيان ، عن زُبيد اليامىّ ،

---

(١) انظر معنى « الإيتاء » فيما سلف ١ : ٥٧٤/٢ : ١٦٠ ، ٣١٧ .

(٢) الخبر : ٢٥٢١ — ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودى ، مضى فى : ٤٣٨ ، ٢٠٣٠ .

ليث : هو ابن أبى سليم ، مضى فى شرح : ١٤٩٧ .

زبيد — بالباء الموحدة مصغراً : هو ابن الحارث بن عبد الكريم اليامى ، وهو ثقة ثبت . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤١١/١/٢ ، وابن سعد ٦ : ٢١٦ ، وابن أبى حاتم ٦٢٣/٢/١ .

مرة بن شراحيل : وهو الهمدانى الكوفى ، من كبار التابعين ، كما مضى توثيقه : ١٦٨ ، وهو مترجم فى التهذيب ١٠ : ٨٨ — ٨٩ ، والكبير ٥/٢/٤ ، وابن سعد ٦ : ٧٩ ، وابن أبى حاتم ٣٦٦/١/٤ . و « البكيلى » — بفتح الباء الموحدة وكسر الكاف : نسبه إلى « بكيل » ، وهم بطن من همدان . انظر الاشتقاق لابن دريد ، ص : ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٣١٢ ، وجمهرة الأنساب لابن حزم ص : ٣٧٢ — ٣٧٣ . وكذلك نسب مرة إلى « بكيل» فى كتاب ابن أبى حاتم ، وهو الصواب . ووقع فى التهذيب بدلها « السكسكى » ؛ وهو تصحيف لا شك فيه ، فإن « السكسك » : هو ابن أشرس ابن كندة . وشتان بين همدان وكندة ، إنما يجتمعان بعد بضعة جدود ، فى « زيد بن كهلان بن سبأ » . انظر جمهرة الأنساب ، ص : ٤٠٥ ، وما قبلها .

عن مرة ، عن عبد الله : « وآتى المالَ على حُبه » ، قال : وأنت صحيح ، تأمل العيش ، وتخشى الفقر.[1]

٢٥٢٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن زبيد اليامى ، عن عبد الله أنه قال فى هذه الآية : « وآتى المال على حبه » ، قال : وأنت حريصٌ شحيحٌ ، تأمل الغنى ، وتخشى الفقر .

٢٥٢٤ — حدثنا أحمد بن نعمة المصرى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا الليث قال ، حدثنا إبراهيم بن أعين ، عن شعبة بن الحجاج ، عن زبيد اليامى ، عن مرة الهمدانى قال ، قال عبد الله بن مسعود فى قول الله : « وآتى المال على حبه ذوى القربى » ، قال : حريصاً شحيحاً ، يأمل الغنى ويَخشى الفقر.[2]

---

(١) الخبر : ٢٥٢٢ — عبد الرحمن : هو ابن مهدى الإمام . وسفيان هو الثورى . فالطبرى يرويه من طريق ابن مهدى . ومن طريق عبد الرزاق — كلاهما عن سفيان .

والخبر فى تفسير عبد الرزاق ، ص : ١٥ ، وفيه : « وأنت صحيح شحيح » ، بزيادة « شحيح » .

(٢) الخبر : ٢٥٢٤ — شيخ الطبرى « أحمد بن نعمة المصرى » : لم أجد له ترجمة . أبو صالح : هو عبد الله بن صالح ، كاتب الليث . الليث : هو ابن سعد إمام أهل مصر .

إبرهيم بن أعين الشيبانى البصرى ، نزل مصر : ضعيف : قال البخارى : « فيه نظر فى إسناده » . وقال أبو حاتم : « هذا شيخ بصرى ، ضعيف الحديث ، منكر الحديث وقع إلى مصر » . مترجم فى التهذيب وفرق بينه وبين « إبرهيم بن أعين » آخر ثقة . وترجم ابن أبى حاتم ١/١/٨٧ ثلاث تراجم . والبخارى ١/١/٢٧٢ ترجمة واحدة .

وهذه الأسانيد الثلاثة : ٢٥٢١ — ٢٥٢٣ ، لخبر موقوف اللفظ على ابن مسعود . وهو فى الحقيقة مرفوع حكماً ، إذ مثل هذا لا يعرف بالرأى . وسيأتى معناه موقوفاً عليه أيضاً : ٢٥٢٩ ، ٢٥٣١ . وكذلك رواه الحاكم ٢ : ٢٧٢ ، من رواية منصور ، عن زبيد ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، موقوفاً . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى . ونسبه السيوطى ١ : ١٧٠ — ١٧١ لابن المبارك ، ووكيع ، وغيرهما . ثم ذكر أنه رواه الحاكم أيضاً « عن ابن مسعود ، مرفوعاً » . وكذلك نقل ابن كثير ١ : ٣٨٨ أن الحاكم رواه مرفوعاً . ولم أجده مرفوعاً فى المستدرك . ثم ذكر ابن كثير الرواية الموقوفة ، وزعم أنها أصح .

وهذا المعنى ثابت أيضاً فى حديث مرفوع صحيح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم — وقد سئل : أى الصدقة أعظم أجراً ؟ — فقال : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمل البقاء ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، وقد كان لفلان » . رواه أحمد فى المسند : ٧١٥٩ ، ٧٤٠١ . ورواه البخارى ومسلم وأبو داود ، كما بينا هناك .

٢٥٢٥ — حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم ، عن الشعبي ، سمعته يُسأل : هل على الرجل حق فى ماله سوى الزكاة ؟ قال : نعم ! وتلا هذه الآية : « وآتى المالَ على حُبه ذَوى القربى واليتامى والمساكينَ وابنَ السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة » .

٢٥٢٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا سُويد بن عمرو الكلبي قال ، حدثنا حمّاد بن سلمة قال، أخبرنا أبو حمزة قال ، قلت للشعبي : إذا زكّى الرجلُ ماله ، أيطيبُ له ماله ؟ فقرأ هذه الآية : « ليس البر أنْ تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » إلى « وآتى المال على حُبه » إلى آخرها، ثم قال : حدثتنى فاطمة بنت قيس أنها قالت : يا رسول الله، إنّ لى سبعين مثقالاً من ذَهب. فقال : اجعليها فى قَرابتك .[1]

٥٧/٢

٢٥٢٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن آدم، عن شريك قال ، حدثنا أبو حمزة ، فيما أعلم — عن عامر ، عن فاطمة بنت قيس أنها سمعته يقول : إنّ فى المال لحقّاً سوَى الزكاة .[2]

٢٥٢٨ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن أبى حيان

---

(١) الحديث : ٢٥٢٦ — سويد بن عمرو الكلبي : ثقة من شيوخ أحمد مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٤٩ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٣٩

أبو حمزة : هو ميمون الأعور القصاب ، وهو ضعيف جداً مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٤٣ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٢٣٥ — ٢٣٦ .

وهذا الحديث بهذا السياق لم أجده فى موضع آخر . وقد روى قريب من معناه ، بإسناد آخر أشد ضعفاً . فروى الدارقطنى فى سننه ، ص : ٢٠٥ ، من طريق أبى بكر الهذلى ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن الشعبى ،، عن فاطمة بنت قيس . قالت : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بطوق فيه سبعون مثقالا من ذهب ، فقلت : يا رسول الله، خذ منه الفريضة، فأخذ منه مثقالا وثلاثة أرباع مثقال » . وقال الدراقطنى : « أبو بكر الهذلى : متروك ، ولم يأت به غيره » . وقد مضى بيان ضعف الهذلى هذا : ٥٩٧ .

(٢) الحديث : ٢٥٢٧ — شريك : هو ابن عبد الله بن أبى شريك، النخعى القاضى، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب، والكبير ٢/٢/٢٣٨ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٦٥ — ٢٦٧ .

وقوله : « عن فاطمة بنت قيس : أنها سمعت » : يعنى النبى صلى الله عليه وسلم . كما هو ظاهر من سياق القول ، ومن الروايات الأخر . وسيأتى الحديث أيضاً : ٢٥٣٠ — وتخريجه هنالك ، إن شاء الله .

قال ، حدثني مزاحم بن زفر قال ، كنت جالساً عند عطاء فأتاه أعرابي فقال له : إن لي إبلاً ، فهل عليّ فيها حقٌّ بعد الصدقة ؟ قال : نعم ! قال : ماذا ؟ قال : عاريَّة الدلو ، وطُروق الفحل ، والحلَب (١)

٢٥٢٩ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، ذكره عن مرة الهمداني في : « وآتى المالَ على حُبه » قال : قال عبد الله بن مسعود : تُعطيه وأنت صحيحٌ شحيحٌ ، تطيل الأمل ، وتخاف الفقر . وذكر أيضاً عن السدي أن هذا شيء واجبٌ في المال ، حق على صاحب المال أن يفعله ، سوى الذي عليه من الزكاة .

٢٥٣٠ — حدثنا الربيع عن سليمان قال ، حدثنا أسد قال ، حدثنا سويد بن عبد الله ، عن أبي حمزة ، عن عامر ، عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : في المال حق سوى الزكاة ، وتلا هذه الآية « ليس البر » إلى آخر الآية . (٢)

---

(١) في المطبوعة : « عارية الذلول » ، وهو خطأ . في حديث عبد الله مسعود : « كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : عارية الدلو والقدر » ، وفي حديث أبي هريرة أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « فما حق الإبل ؟ قال : تعطى الكريمة ، وتمنح الغزيرة ، وتفقر الظهر ، وتطرق الفحل ، وتسقي اللبن » . وفي حديث عبيد بن عمير قال قال رجل : يا رسول الله ، ما حق الإبل — فذكر نحوه — زاد : « وإعارة دلوها » . (سنن أبي داود ٢ : ١٦٧ - ١٦٨ باب حقوق المال)

وطرق الفحل الناقة يطرقها طرقاً وطروقاً : قعا عليها وضربها . وإطراق الفحل : إعارته للضراب . والحلب (بفتحتين) : اللبن المحلوب ، سمي بمصدره من : حلب الناقة يحلبها حلباً وحلاباً .

(٢) الحديث : ٢٥٣٠ — أسد : هو ابن موسى ، الذي يقال له « أسد السنة » . مضى في : ٢٣ . سويد بن عبد الله هكذا ثبت في المطبوعة . وعندي أنه خطأ ، صواب « شريك بن عبد الله » ، الذي مضى في الإسناد السابق : ٢٥٢٧ . فإن الحديث معروف أنه من رواية شريك . ثم ليس في الرواة — الذين رأينا تراجمهم — من يسمى « سويد بن عبد الله » إلا رجلا له شأن لا بهذا الإسناد ، لم يعرف إلا بخبر آخر منكر ، وهو مترجم في لسان الميزان .

وهذا الحديث تكرار للحديث : ٢٥٢٧ بأطول منه قليلا . ورواه أيضاً الدارمي ١ : ٣٨٥ ، عن محمد بن الطفيل . والترمذي ٢ : ٢٢ ، من طريق الأسود بن عامر ، وعن الدارمي عن محمد بن الطفيل . وابن ماجة : ١٧٨٩ ، من طريق يحيى بن آدم . والبيهقي في السنن الكبرى ٤ : ٨٤ ، من طريق شاذان —

٢٥٣١ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن زبيد اليامى ، عن مرة بن شراحيل ، عن عبد الله فى قوله : « وآتى المالَ على حُبه » ، قال : أن يعطى الرجلُ وهو صحيح شحيحٌ به ، يأمل العيش ويخاف الفقر .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية : وأعطى المال - وهو له محب ، حريصٌ على جمعه ، شحيح به - ذوىَ قرابته ، فوصل به أرحامهم.

وإنما قلت عنى بقوله : « ذوى القربى » ، ذوى قرابة مؤدِّى المال على حُبه، للخبر الذى رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره فاطمةُ بنت قيس =

٢٥٣٢ - وقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل : أىُّ الصَّدقة أفضل ؟ قال : جُهْد المُقِلّ على ذى القَرابة الكاشح .(١)

* * *

كلهم عن شريك ، بهذا الإسناد ، مطولا ومختصراً .

قال الترمذى : « هذا حديث ليس إسناده بذاك . أبو ميمون الأعور يضعف » .

وقال البيهقى : « فهذا حديث يعرف بأبى حمزة ميمون الأعور ، كوفى ، وقد جرحه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، فن بعدهما من حفاظ الحديث » .

ونقل ابن كثير ١ : ٣٨٩ - ٣٩٠ أنه رواه أيضاً ابن أبى حاتم ، عن يحيى بن عبد الحميد . ورواه ابن مردويه ، من حديث آدم بن أبى إياس ، ويحيى بن عبد الحميد - كلاهما عن شريك ، ثم ذكر أنه أخرجه ابن ماجة ، والترمذى .

ووقع لفظ الحديث فى ابن ماجة مغلوطاً ، بنقيض معناه . بلفظ : « ليس فى المال حق سوى الزكاة » ! وهذا خطأ قديم فى بعض نسخ ابن ماجة . وحاول بعض العلماء الاستدلال على صحة هذا اللفظ عند ابن ماجة ، كما فى التلخيص الحبير للحافظ ابن حجر ، ص ١٧٧ ، وشرح الجامع الصغير للمناوى : ٧٦٤١ .

ولكن رواية الطبرى الماضية : ٢٥٢٧ - وهى من طريق يحيى بن آدم ، التى رواه منها ابن ماجة : تدل على أن اللفظ الصحيح هو ما فى سائر الروايات .

ويؤيد ذلك أن ابن كثير نسب الحديث للترمذى وابن ماجة ، معاً ، ولم يفرق بين روايتيهما ، وكذلك صنع النابلسى فى ذخائر المواريث : ١١٦٩٩ ، إذ نسبه إليهما حديثاً واحداً .

ويؤيد أيضاً أن البيهقى ، بعد أن رواه قال : « والذى يرويه أصحابنا فى التعاليق : ليس فى المال حق سوى الزكاة - فلست أحفظ فيه إسناداً . والذى رويت فى معناه ما قدمت ذكره » . ولو كان فى ابن ماجة على هذا اللفظ ، لما قال ذلك ، إن شاء الله .

(١) الحديث : ٢٥٣٢ - معناه ثابت من حديث أبى هريرة . رواه أحمد فى المسند : ٨٦٨٧

وأما « اليتامى » « والمساكين » ، فقد بينا معانيهما فيما مضى .[1]

* * *

وأما « ابن السبيل » ، فإنه المجتاز بالرَّجل . ثم اختلفُ أهل العلم في صفته .

فقال بعضهم : هو الضيفُ من ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٣٣ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وابن السبيل » قال ، هو الضيف قال : قد ذُكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت. قال : وكان يقول : حق الضيافة ثلاثُ ليال ، فكل شيء أضافه بعد ذلك صدقة .[2]

* * *

(٢ : ٣٥٨ حلبي) : « عن أبي هريرة : أنه قال : يا رسول الله ؟ أى الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل ، وابدأ بمن تعول » .

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢ : ٢٨ ، وقال : « رواه أبو داود ، وابن خزيمة في صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم » .

وروى الحاكم في المستدرك ١ : ٤٠٦ ، عن أم كلثوم بنت عقبة ، قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ : ١١٦ ، وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » ، وذكر قبله أحاديث أخر بنحوه .

والكاشح : المبغض . قال ابن الأثير : « العدو الذى يضمر عداوته ، ويطوى عليها كشحه ، أى باطنه » .

والكاشح الذى يضمر لك العداوة ، كأنه يطويها في كشحه . وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع ، أو يعرض عنك بوجهه ويوليك كشحه .

(١) انظر ما سلف في معنى « مسكين » ٢ : ١٣٧ ، ٢٩٣ ، ومعنى : « ذى القربى » ، و « اليتامى » ٢ : ٢٩٢ .

(٢) الحديث : ٢٥٣٣ ــ هو حديث مرسل ، يقول قتادة ــ وهو تابعي ــ : « قد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول . . . » ، فذكره .

و « سعيد » الذى يروى عن قتادة : هو سعيد بن أبي عروبة . و « يزيد » الراوى عنه : هو يزيد ابن زريع .

وقال بعضهم : هو المسافر يمر عليك.

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٣٤ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر : « وابن السبيل » ، قال : المجتاز من أرض إلى أرض .

٢٥٣٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد وقتادة في قوله : « وابن السبيل » ، قال : الذي يمر عليك وهو مسافر .

٢٥٣٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عمن ذكره ، عن ابن جريج عن مجاهد وقتادة مثله .

* * *

وإنما قيل للمسافر « ابن السبيل » ، لملازمته الطريق — والطريق هو « السبيل» — فقيل لملازمته إياه في سفره : « ابنه » ، كما يقال لطير الماء « ابن الماء » ، لملازمته إياه ، وللرجل الذي أتت عليه الدهور « ابن الأيام والليالي والأزمنة » ، ومنه قول ذي الرمة :

وَرَدْتُ اُعْتِسَافًا ، وَالثُّرَيَّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلِّقُ[1]

* * *

والحديث ثبت معناه ضمن حديث رواه مسلم ٢ : ٤٥ ، من حديث أبي شريح العدوي الخزاعي : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : يومه وليلته ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » . ورواه أيضاً أحمد ، وسائر أصحاب الكتب الستة ، كما في الفتح الكبير ٣ : ٢٣١ .

(١) ديوانه : ٤٠١ ، وهو متعلق ببيت قبله :

وَمَاءٍ قَدِيمِ العَهْدِ بالناسِ آجِنٍ كَأَنَّ الدَّبَى مَاءَ الغَضَا فِيهِ يَبْصُقُ

الآجن المتغير . والدبى : صغار الجراد . والغضى : شجر . كأن الجراد رعته ، فبصقت فيه رعيها فهو أصفر أسود . والاعتساف : الاقتحام والسير على غير هدى . والمحلق : العالي المرتفع . وابن

وأما قوله : « والسائلين » ، فإنه يعنى به : المستطعمين الطالبين ، كما : —

٢٥٣٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن عكرمة فى قوله : « والسائلين » ،قال : الذى يسألك .

* * *

وأما قوله : « وفى الرقاب » ، فإنه يعنى بذلك : وفى فك الرقاب من العبودة ، وهم المكاتبون الذين يسعون فى فك رقابهم من العبودة ،[1] بأداء كتاباتهم التى فارقوا عليها سادَاتِهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَاةَ ﴾ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : و « أقامَ الصلاة » ، أدام العمل بها بحدودها . وبقوله « وآتى الزكاة » ، أعطاها على ما فرَضها الله عليه .[2]

* * *

الماء : هو طير الغرانيق ، يعرف بالكركى ، والإوز العراق ، وهو أبيض الصدر ، أحمر المنقار ، أصفر العين . يقول الأقيشر ، يصف مجلس شراب :

كَأَنَّهُنَّ وأَيْدِى الشَّرْبِ مُعْمَلَةٌ إذَا تَلَأْلَأْنَ فِى أَيْدِى الغَرَانِيقِ
بَنَاتُ ماء ، تُرَى بيضاً جآجِئُها حُمْراً مَنَاقِرُهَا ، صُفْرَ الحَمَالِيقِ

والثريا : نجوم كثيرة مجتمعة ، سميت بالمفرد . جعلها « على قمة » ، وذلك فى جوف الليل ، ترى بيضاء زاهرة .

(١) العبودة والعبودية واحد ، ولا فعل له عند أبى عبيد . وقال اللحيانى فعله « عبد » على زنة « كرم » .

(٢) انظر معنى « إقامة الصلاة » و « إيتاء الزكاة » فيما سلف ١ : ٥٧٢ — ٥٧٤ ، ومواضع أخرى ، اطلبها فى فهرس اللغة .

فإن قال قائل : وهل من حق يجب فى مال إيتاؤه فرضاً غير الزكاة ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل فى ذلك :

فقال بعضهم : فيه حقوق تجبُ سوى الزكاة = واعتلّوا لقولهم ذلك بهذه الآية، وقالوا : لما قال الله تبارك وتعالى : « وآتى المالَ على حُبه ذَوى القربى »، ومن سمى الله معهم ، ثم قال بعد : « وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاة » ، علمنا أن المالَ — الذى وَصَف المؤمنين به أنهم يُؤتونه ذوى القربى ومن سمَّى معهم — غيرُ الزكاة التى ذكر أنهم يؤتونها . لأن ذلك لو كان مالاً واحداً لم يكن لتكريره معنى مفهوم . قالوا : فلما كان غيرَ جائز أن يقول تعالى ذكره قولاً لا معنى له، علمنا أنّ حكم المال الأول غيرُ الزكاة ، وأن الزكاة التى ذكرها بعد غيره . قالوا : وبعد، فقد أبان تأويل أهل التأويل صحة ما قلنا فى ذلك .

٥٨/٢

وقال آخرون: بل المال الأول هو الزكاة، ولكن الله وصَف إيتاء المؤمنين مَنْ آتوه ذلك ، فى أول الآية . فعرَّف عباده — بوصفه ما وصف من أمرهم — المواضعَ التى يجب عليهم أن يضعوا فيها زكواتهم، ثم دلّهم بقوله بعد ذلك : « وآتى الزكاة »، أن المال الذى آتاه القومُ هو الزكاة المفروضةُ = كانت = عليهم، إذ كان أهلُ سُهمانها هم الذين أخبرَ فى أول الآية أن القوم آتوهم أموالهم .

• • •

وأما قوله : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا »، فإنه يعنى تعالى ذكره : والذين لا ينقضون عهد الله بعد المعاهدة ، ولكن يوفُون به ويتمّونه على ما عاهدوا عليه من عاهدوه عليه ، كما : —

٢٥٣٨ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » ، قال : فمن أعطى عهدَ الله ثم نقضه ، فالله ينتقم منه . ومن أعطى ذمة النبى صلى الله عليه

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٤١٠ — ٤١٥ ، ٥٥٧ / ثم هذا الجزء ٣ : ٤ . . .

وسلم ثم غدر بها ، فالنبي صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيامة .

* * *

وقد بينت « العهد » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ههنا .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾

قال أبو جعفر : وقد بينا تأويل « الصبر » فيما مضى قبل .[2]

فمعنى الكلام : والمانعين أنفسهم — فى البأساء والضراء وحين البأس — مما يكرهه الله لهم ، الحابسيها على ما أمرهم به من طاعته. ثم قال أهل التأويل فى معنى « البأساء والضراء » بما : —

٢٥٣٩ — حدثنى به الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى[3] قال ، حدثنى أبى — وحدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد — قالا جميعاً ، حدثنا أسباط عن السدى ، عن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود أنه قال : أما البأساء فالفقر ، وأما الضراء فالسقم .

٢٥٤٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى — وحدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى — قالا جميعاً ، حدثنا شريك ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله فى قوله : « والصابرين فى البأساء والضراء » ، قال : البأساء الجوع ، والضراء المرض .

٢٥٤١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبدالله قال : البأساء الحاجة ، والضراء المرض .

٢٥٤٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد ، عن قتادة قال :

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٤١٠ — ٤١٥ ، ٥٥٧ / ثم هذا الجزء ٣ : ٢٠

(٢) انظر ما سلف ٢ : ١٠ — ١١ ، ١٢٤ / ثم هذا الجزء ٣ : ٢١٤

(٣) فى المطبوعة « العبقرى » ، والصواب ما أثبته ، وقد ترجم له فيما سلف رقم : ١٦٢٥ .

كنا نُحدَّث أن البأساء البؤس والفقر ، وأن الضراء السُّقم . وقد قال النبي أيوب صلى الله عليه وسلم { أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } [سورة الأنبياء : ٨٣] .

٢٥٤٣ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « والصابرين في البأساء والضراء » ، قال : البؤس : الفاقة والفقر ، والضراء : في النفس ، من وَجع أو مرَض يصيبه في جسده .

٢٥٤٤ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « البأساء والضراء » ، قال : البأساء : البؤس ، والضراء : الزمانة في الجسد .

٢٥٤٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا عبيد ، عن الضحاك قال : « البأساء والضراء » ، المرض .[1]

٢٥٤٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « والصابرين في البأساء والضراء » ، قال : البأساء : البؤس والفقر ، والضراء : السقم والوجع .

٢٥٤٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبيد ابن الطفيل قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في هذه الآية : « والصابرين في البأساء والضراء » ، أما البأساء : الفقر ، والضراء : المرض .[2]

• • •

قال أبو جعفر : وأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في ذلك . فقال بعضهم :

---

(١) الأثر : ٢٥٤٥ — أخشى أن يكون قد سقط من هذا الأثر شيء . وهو تفسير « البأساء » ، وذكر « الضراء » قبل قوله : « المرض » ، وسياق على الصواب في الأثر الذي يليه .

(٢) الخبر : ٢٥٤٧ — عبيد بن الطفيل : كنيته : « أبو سيدان » ، بكسر السين المهملة وسكون الياء التحتية ثم دال مهملة ، كما سيأتي باسمه وكنيته : ٢٥٥٥ . وهو الغطفاني ، يروى عنه أيضاً وكيع ، وأبو نعيم الفضل بن دكين ، قال أبو حاتم : « صالح ، لا بأس به » . وهو مترجم في التقريب ، والخلاصة وابن أبي حاتم ٢/٢/٤٠٩ .

« البأساء والضراء » ، مصدر جاء على « فعلاء » ليس له « أفعل » لأنه اسم ، كما قد جاء « أفعل » فى الأسماء ليس له « فعلاء » ، نحو « أحمد » . وقد قالوا فى الصفة « أفعل » ، ولم يجيء له « فعلاء »، فقالوا : « أنت من ذلك أوْجل »، ولم يقولوا : « وجلاء » .

وقال بعضهم : هو اسم للفعل . فإن « البأساء »، البؤس ، « والضراء » الضر. وهو اسم يقع إن شئت لمؤنث ، وإن شئت لمذكر ، كما قال زهير :

فَتُنْتَجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ ، كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ، ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ [1]

يعنى : فتنتج لكم غلمان شؤم .

وقال بعضهم : لو كان ذلك اسماً يجوز صرفه إلى مذكر ومؤنث، لجازَ إجراء « أفعل » فى النكرة ، ولكنه اسم قام مقام المصدر . والدليل على ذلك قوله : « لئن طلبتَ نُصرتَهم لتجدنّهم غير أبعدَ »، [2] بغير إجراء. وقال : إنما كان اسما للمصدر ، لأنه إذا ذُكر علم أنه يُراد به المصدر.

وقال غيره : لو كان ذلك مصدرًا فوقع بتأنيث ، لم يقع بتذكير ، ولو وَقع ٥٩/٢

---

(١) ديوانه : ٢٠ ، من معلقته الفريدة . وهى من أبياته فى صفة الحرب ، التى قال فى بدئها ، قبل هذا البيت :

وَمَا الحَرْبُ إلاَّ ما عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا ، تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ، وتَضْرَ ، إذا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فَتعْرُكُكُم عَرْكَ الرَّحَا بِثِفَالِهَا وَتلْقَحْ كِشافاً ، ثم تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

يقول : إن الحرب تلقح كما تلقح الناقة ، فتأتى بتوأمين فى بطن . وقوله : « أحمر عاد » يعنى أحمر ثمود ، فأخطأ ولم يبال أيهما قال . وأحمر ثمود ، هو قدار ، عاقر ناقة الله فأهلكهم ربهم بما فعلوا . يقول : إن الحرب ترضع مشائيمها وتقوم عليهم حتى تفطمهم بعد أن يبلغوا السعى لأنفسهم فى الشر .

(٢) يقال« فلان غير أبعد »، أى لا خير فيه . ويقال : « ما عند فلان أبعد » أى لا طائل عنده . قال رجل لابنه : « إن غدوت على المربد ربحت عنا ، أو رجعت بغير أبعد » ، أى بغير منفعة .

بتذكير ، لم يقع بتأنيث . لأن من سُمى بـ « أفعل » لم يصرف إلى « فُعلى » ، ومن سُمى بـ « فُعلى » لم يصرف إلى « أفعل » ، لأن كل اسم يبقى بهيئته لا يصرف إلى غيره ، ولكنهما لغتان . فإذا وقع بالتذكير ، كان بأمر « أشأم » ، وإذا وقع « البأساء والضراء » ،[1] وقع : الخلة البأساء ، والخلة الضراء . وإن كان لم يُبن على « الضراء » ، « الأضر » ، ولا على « الأشأم » ، « الشأماء » . لأنه لم يُرَدْ من تأنيثه التذكير ، ولا من تذكيره التأنيث ، كما قالوا « امرأة حسناء » ، ولم يقولوا : « رجل أحسن » . وقالوا : « رجل أمرد » ، ولم يقولوا : « امرأة مرداء » . فإذا قيل : « الخصلة الضراء » و « الأمر الأشأم » ، دل على المصدر ، ولم يحتج إلى أن يكون اسماً ، وإن كان قد كَفَى من المصدر .

وهذا قول مخالفٌ تأويلَ من ذكرنا تأويله من أهل العلم فى تأويل « البأساء والضراء » ، وإن كان صحيحاً على مذهب العربية . وذلك أن أهل التأويل تأولوا « البأساء » بمعنى : البؤس ، « والضراء » بمعنى : الضر فى الجسد . وذلك من تأويلهم مبنى على أنهم وجَّهوا « البأساءَ والضراء » إلى أسماء الأفعال ، دون صفات الأسماء ونعوتها . فالذى هو أولى بـ « البأساء والضراء » ، على قول أهل التأويل ، أن تكون « البأساء والضراء » أسماء أفعال ، فتكون « البأساء » اسماً « للبؤس » ، و « الضراء » اسماً « للضر » .

* * *

وأما « الصابرين » فنصبٌ ، وهو من نعت « مَن » على وجه المدح .[2] لأن من شأن العرب — إذا تطاولت صفةُ الواحد — الاعتراضُ بالمدح والذم بالنصب أحياناً ، وبالرفع أحياناً ،[3] كما قال الشاعر :[4]

---

(١) يعنى : إذا وقع بالتأنيث : وقع بمعنى : الخلة البأساء والخلة الضراء .

(٢) يريد « من » فى قوله تعالى : « ولكن البر من آمن . . . »

(٣) انظر ما سلف ١ : ٣٢٩ .

(٤) لم أعرف قائله .

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمَامِ وَلَيْثَ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمْ[(١)]
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تُغَمُّ الأُمُورُ بِذَاتِ الصَّلِيلِ وذَاتِ اللُّجُمْ[(٢)]

فنصب « ليث الكتيبة » ، وذا « الرأى » على المدح ، والاسم قبلهما مخفوضٌ لأنه من صفة واحد ، ومنه قول الآخر :[(٣)]

فَلَيْتَ الَّتِي فِيهَا النُّجُومُ تَوَاضَعَتْ عَلَى كُلِّ غَثٍّ مِنْهُمُ وَسَمِينِ[(٤)]
غُيُوثَ الوَرَى فِي كُلِّ مَحْلٍ وَأَزْمَةٍ أُسُودَ الشَّرَى يَحْمِينَ كُلَّ عَرِينِ[(٥)]

* * *

وقد زعم بعضهم أن قوله :[(٦)] « والصابرين فى البأساء » ، نصبٌ عطفاً على « السائلين » .

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٥ ، والإنصاف : ١٩٥ ، وأمالى الشريف ١ : ٢٠٥ ، وخزانة الأدب ١ : ٢١٦ . والقرم . السيد المعظم المقدم فى المعرفة وتجارب الأمور . والمزدحم : حومة القتال حيث يزدحم الكماة . يمدحه بالجرأة فى القتال .

(٢) وغم الأمر يغم (بالبناء للمجهول) : استعجم وأظلم ، وصار المرء منه فى لبس لا يهتدى لصوابه . والصليل : صوت الحديد . يعنى بذات الصليل كتيبة من الرجالة يصل حديد بيضها وشكتها وسلاحها . وذات اللجم : كتيبة من الفرسان . يذكر ثباته واجتماع نفسه ورأيه حين تطيش العقول فى صليل السيوف وكر الخيول فى معركة الموت . فقوله : « بذات الصليل » متعلق بقوله : « تغم الأمور » .

(٣) لم أعرف قائلهما .

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٦ ، وأمالى الشريف ١ : ٢٠٦ . وقوله : « تواضعت » ، هو عندى « تفاعل » من قولهم : وضع البانى الحجر توضيعاً : نضد بعضه على بعض . ومنه التوضيع : وهو خياطة الجبة بعد وضع القطن . ومنه أيضاً : وضعت النعامة بيضها : إذا رثدته ووضعت بعضه فوق بعض ، وهو بيض موضع : منضود بعضه على بعض . يقول : ليت السماء قد انفست على جميعهم ، فكانوا من نجومها . وقوله : « غث منهم وسمين » ، مدح ، يعنى : ليس فيهم غث ، فغثهم حقيق بأن يكون من أهل العلاء .

(٥) المحل : الجدب والقحط . ورواية الفراء والشريف : « ولزبة » . والأزمة والأزبة واللزبة ، بمعنى واحد : وهى شدة السنة والقحط . وروايتهما أيضاً : « غيوث الحيا » . والحيا : الخصب ، ويسمى المطر حيا ، لأنه سبب الخصب . والشرى : موضع تأوى إليه الأسود .

(٦) هذا القول ذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٠٨ ، ورده.

كأن معنى الكلام كان عنده : وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وابنَ السبيل والسائلينَ والصابرين فى البأساء والضراء . وظاهرُ كتاب الله يدلّ على خطأ هذا القول . وذلك أنّ « الصابرين فى البأساء والضراء » ، هم أهل الزمانة فى الأبدان ، وأهلُ الإقتار فى الأموال . وقد مضى وصف القوم بإيتاء — مَنْ كان ذلك صفته — المالَ فى قوله : « والمساكينَ وابنَ السبيل والسائلين » . وأهل الفاقة والفقر ، هم أهل « البأساء والضراء » ، لأن من لم يكن من أهل الضراء ذا بأساء ، لم يكن ممن له قبولُ الصدقة ، وإنما له قبولها إذا كان جامعاً إلى ضرائه بأساء ، وإذا جمع إليها بأساء ، كان من أهل المسكنة الذين قد دخلوا فى جملة « المساكين » الذين قد مضى ذكرهم قبل قوله : « والصابرين فى البأساء » . وإذا كان كذلك ، ثم نصب « الصابرين فى البأساء » بقوله « وآتى المال على حبه » ، كان الكلام تكريراً بغير فائدة معنى . كأنه قيل : وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكينَ والمساكينَ . والله يتعالى عن أن يكون ذلك فى خطابه عبادَه . ولكن معنى ذلك : ولكنّ البر مَن آمن بالله واليوم الآخر ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء . « والموفون » رفعٌ ، لأنه من صفة « مَنْ » ، و« مَنْ » رفعٌ ، فهو معرب بإعرابه . « والصابرين » نصب — وإن كان من صفته — على وجه المدح الذى وصفنا قبل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وحين البأس » ، والصابرين فى وقت البأس ، وذلك وَقت شدة القتال فى الحرب ، كما : —

٢٥٤٨ — حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزىّ قال ، حدثنا أبى قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله فى قول الله : « وحين البأس » ، قال : حين القتال .[1]

٢٥٤٩ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله مثله .

٢٥٥٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وحين البأس » ، القتال .

٢٥٥١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « وحين البأس » ، أى عندَ مواطن القتال .

٢٥٥٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وحين البأس » ، القتال .

٢٥٥٣ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، « وحين البأس » ، عند لقاء العدو .

٢٥٥٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا عبيدة ، عن الضحاك : « وحين البأس » ، القتال ٢/٦٠

٢٥٥٥ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبيد ابن الطفيل أبو سيدان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله : « وحين البأس » ، قال : القتال .[2]

* * *

---

(١) الأثر : ٢٥٤٨ — فى المطبوعة : « العبقرى » ، وقد مضى مراراً خطأ ، وصححناه . وانظر ترجمته فى رقم : ١٦٢٥ .

(٢) الخبران : ٢٥٥٤ — ٢٥٥٥ — أبو نعيم فى أولهما ؛ هو الفضل بن دكين . وأبو أحمد فى ثانيهما : هو الزبيرى ، محمد بن عبد الله بن الزبير . وباقى الإسناد ، مضى فى : ٢٥٤٧ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك الذين صدقوا » ، من آمن بالله واليوم الآخر ، ونعتهم النعتَ الذى نعتهم به فى هذه الآية . يقول : فمن فعل هذه الأشياء ، فهم الذين صدقوا الله فى إيمانهم ، وحققوا قولهم بأفعالهم — لا مَنْ ولَّى وجهه قبل المشرق والمغرب وهو يخالف الله فى أمره ، وينقض عهده وميثاقه ، ويكتم الناسَ بيانَ ما أمره الله ببيانه ، ويكذِّب رسله .

* * *

وأما قوله : « وأولئك هُم المتقون » ، فإنه يعنى : وأولئك الذين اتقوا عقابَ الله ، فتجنَّبوا عصيانه ، وحَذِروا وعده ، فلم يتعدَّوا حدوده . وخافوه ، فقاموا بأداء فرائضه .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى قوله : « أولئك الذين صَدقوا » ، كان الربيع بن أنس يقول :

٢٥٥٦ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « أولئك الذين صدقوا » ، قال : فتكلموا بكلام الإيمان ، فكانت حقيقتُه العمل ، صَدقوا الله . قال : وكان الحسن يقول : هذا كلام الإيمان ، وحقيقتُه العمل ، فإن لم يكن مع القول عملٌ فلا شىء .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « كتب عليكم القصاص فى القتلى » ، فُرض عليكم .

* * *

فإن قال قائل : أفرضٌ على ولىِّ القتيل القصاصُ من قاتل َوليِّه ؟

قيل : لا ، ولكنه مباح له ذلك ، والعفو ، وأخذُ الدية .

فإن قال قائل : وكيف قال : « كتب عليكم القصاص » ؟

قيل : إن معنى ذلك على خلاف ما ذهبتَ إليه ، وإنما معناه : يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص فى القتلى الحرّ بالحرّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى ، أي : أن الحر إذا قتل الحرَّ ، فدَم القاتل كفءٌ لدم القتيل ، والقصاصُ منه دون غيره من الناس ، فلا تجاوزوا بالقتل إلى غيره ممن لم يقتل ، فإنه حرام عليكم أن تقتلوا بقتيلكم غيرَ قاتله .

والفرض الذى فرضَ الله علينا فى القصاص ، هو ما وصفتُ من ترك المجاوزة بالقصاص َقتلَ القاتل بقتيله إلى غيره ، لا أنه وجب علينا القصاص فرضاً وُجوب فرضِ الصلاة والصيام ، حتى لا يكون لنا تركه . ولو كان ذلك فرضاً لا يجوز لنا تركه ، لم يكن لقوله : « َفمن ُعفى لهُ من أخيه شىء » ، معنى مفهوم . لأنه لا عفو بعد القصاص فيقال : « فمن عفى له من أخيه شىء » .

* * *

وقد قيل إن معنى القصاص فى هذه الآية ، مقاصَّة ديات بعض القتلى بديات بعض . وذلك أن الآية عندهم نزلت فى حزبين تحاربوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل بعضهم بعضاً ، فأُمِر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يُصلح بينهم بأن َتسقط ديات نساء أحد الحزبين بديات نساء الآخرين ، ودياتُ رجالهم

بديات رجالهم ، وديات عبيدهم بديات عبيدهم ، قصاصاً . فذلك عندهم مَعنى « القصاص » فى هذه الآية .

* * *

فإن قال قائل : فإنه تعالى ذكره قال : « كُتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحرّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى » ، فما لنا أن نقتص للحر إلا من الحر ، ولا للأنثى إلا من الأنثى ؟

قيل : بل لنا أن نقتص للحر من العبد ، وللأنثى من الذكر بقول الله تعالى ذكره : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ﴾ [سورة الإسراء : ٣٣] ، وبالنقل المستفيض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٢٥٥٧ — المسلمون تتكافأ دماؤهم .[1]

* * *

فإن قال : فإذ كان ذلك ، فما وجه تأويل هذه الآية ؟

قيل : اختلف أهلُ التأويل فى ذلك . فقال بعضهم : نزلت هذه الآية فى قوم كانوا إذا قتل الرجل منهم عبد قوم آخرين ، لم يرضوا من قتيلهم بدم قاتله ، من أجل أنه عبد ، حتى يقتلوا به سيده . وإذا قتلت المرأة من غيرهم رجلاً ، لم يرضوا من دم صاحبهم بالمرأة القاتلة ، حتى يقتلوا رجلا من رهط المرأة وعشيرتها . فأنزل الله هذه الآية ، فأعلمهم أن الذى فرُض لهم من القصاص أن يقتلوا بالرجل الرجلَ القاتل دون غيره ، وبالأنثى الأنثى القاتلةَ دون غيرها من الرجال ، وبالعبد العبدَ القاتلَ دون غيره من الأحرار . فنهاهم أن يتعدّوا القاتل إلى غيره فى القصاص .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٥٨ — حدثنى محمد بن المثنى قال ، حدثنا أبو الوليد — وحدثنى المثنى

---

(١) الحديث : ٢٥٥٧ — رواه الطبرى هنا معلقاً ، دون إسناد . وقد رواه أحمد فى المسند : ٦٧٩٧ ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده — وهو عبد الله بن عمرو بن العاص : « المسلمون تكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » . ورواه بنحوه أيضاً ابن ماجة : ٢٦٨٥ . ورواه أحمد ، بألفاظ مختلفة ، مطولا ومختصراً : ٦٦٩٢ ، ٦٩٧٠ ، ٧٠١٢ .

قال ، حدثنا الحجاج – قالا ، حدثنا حماد ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي في قوله : « الحر بالحرّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى » ، قال : نزلت في قبيلتين من قبائل العرب اقتتلتا قتال عُمِّيَّة ، فقالوا : نقتل بعبدنا فلانَ بن فلان، وبفلانة فلانَ بن فلان ، فأنزل الله : « الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » .[1]

٢٥٥٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « كتب عليكم القصَاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » ، قال : كان أهل الجاهلية فيهم بَغْيٌ وطاعة للشيطان ، فكان الحيّ إذا كان فيهم عُدة ومَنعة، فقتل عبدُ قوم آخرين عبدًا لهم ،قالوا: لا نقتل به إلا حرًّا! تعززًا، لفضلهم على غيرهم في أنفسهم . وإذا قُتلت لهم إمرأة قَتلتها امرأةُ قوم آخرين قالوا : لا نقتل بها إلا رجلاً ! فأنزل الله هذه الآية يخبرهم أنّ العبدَ بالعبد والأنثى بالأنثى ، فنهاهم عن البغى . ثم أنزل الله تعالى ذكره في سورة المائدة بعد ذلك فقال: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [سورة المائدة : ٤٥]. ٦١/٢

٢٥٦٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : «كتب عليكم القصاص في القتلى » ، قال : لم يكن لمن قبلنا ديةٌ، إنما هوُ القتل ، أو العفوُ إلى أهله. فنزلت هذه الآية في قوم كانوا أكثر من غيرهم ، فكانوا إذا قتل من الحيّ الكثير عبدٌ قالوا: لا نقتل به إلا حُراً . وإذا قتلت منهم امرأة قالوا : لا نقتل بها إلا رجلاً . فأنزل الله : « الحرّ بالحرّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى » .

---

(١) العمية (بضم العين أو كسرها ، وتشديد الميم وتشديد الياء) : الغواية والكبر واللجاجة في الباطل والفتنة والضلالة . وفي الحديث : « من قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة،أو ينصر عصبة ، أو يدعو لعصبة ، فقتل ، قتل قتلة جاهلية » . وقال أحمد بن حنبل : هو الأمر الأعمى للعصبية ، لا تستبين ما وجهه .

٢٥٦١ — حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر قال ، سمعت داود ، عن عامر في هذه الآية : « كتب عليكم القصّاص في القتلى الحر بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » ، قال : إنما ذلك في قتال عُمية،[1] إذا أصيب من هؤلاء عبدٌ ومن هؤلاء عبدٌ ، تكافآ ، وفي المرأتين كذلك ، وفي الحرّين كذلك . هذا معناه إن شاء الله .

٢٥٦٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : دخل في قول الله تعالى ذكره: « الحر بالحر » ، الرجل بالمرأة، والمرأةُ بالرجل . وقال عطاء : ليس بينهما فَضل .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في فريقين كان بينهم قتالٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل من كلا الفريقين جماعةٌ من الرجال والنساء ، فأُمِر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُصلح بينهم ، بأن يجعل ديات النساء من كل واحد من الفريقين قصاصاً بديات النساء من الفريق الآخر ، وديات الرجال بالرجال ، وديات العبيد بالعبيد ، فذلك معنى قوله : « كتب عليكم القصاص في القتلى » .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٦٣ — حدثنا موسى بن هرون قال: حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى » ، قال : اقتتل أهل ملتين من العرب ، أحدهما مسلم والآخر معاهد ، في بعض ما يكون بين العرب من الأمر ، فأصلح بينهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم — وقد كانوا قَتلوا الأحرار والعبيد والنساء — على أن يؤدِّى الحرُّ ديةَ الحر ، والعبد دية العبد ، والأنثى دية الأنثى ، فقاصَّهم بعضَهم من بعض .

٢٥٦٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا عبد الله

(١) سلف شرح « عمية » في ص : ٣٥٩ ، تعليق : ١ .

ابن المبارك ، عن سفيان ، عن السدى ، عن أبي مالك قال : كان بين حيين من الأنصار قتالٌ ، كان لأحدهما على الآخر الطَّوْل ،[1] فكأنهم طلبوا الفضل . فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليصلح بينهم ، فنزلت هذه الآية : « الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى » ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى .

٢٥٦٦ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبي بشر قال : سمعت الشعبي يقول في هذه الآية : « كتب عليكم القصاص في القتلى » ، قال : نزلت في قتال عُمية . قال شعبة : كأنه في صلح . قال : اصطلحوا على هذا .

٢٥٦٧ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة عن أبي بشر قال : سمعت الشعبي يقول في هذه الآية : « كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » ، قال : نزلت في قتال عُمية » ،[2] قال : كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ من الله تعالى ذكره بمقاصَّة دية الحرّ ودية العبد ، ودية الذكر ودية الأنثى ، في قتل العمد ــ إن اقتُصَّ للقتيل من القاتل ، والتراجع بالفضل والزيادة بين ديتي القتيل والمقتص منه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٦٨ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى » ، قال : حُدِّثنا عن علي بن أبي طالب أنه

---

(١) الطول : الفضل والعلو .

(٢) سلف شرح « عمية » في ص : ٣٥٩ ، تعليق : ١ .

كان يقول : أيما حُرّ قتل عبداً فهو قَوَدٌ به ، فإن شاء موالى العبد أن يقتلوا الحر قتلوه وقاصُّوهم بثمن العبد من دية الحرّ ، وأدَّوا إلى أولياء الحرّ بقية ديته . وإن عبدٌ قتل حرًّا فهو به قَودٌ ، فإن شاء أولياء الحرّ قتلوا العبد وقاصُّوهم بثمن العبد ، وأخذوا بقية دية الحرّ ، وإن شاؤا أخذوا الدية كلها واستحيَوُا العبد . وأىُّ حُرّ قتل امرأة فهو بها قَوَدٌ ، فإن شاء أولياء المرأة قَتلوه وأدَّوا نصفَ الدية إلى أولياء الحرّ . وإن امرأة قتلتْ حُرًّا فهى به قَوَدٌ ، فإن شاء أولياء الحر قتلوها وأخذوا نصف الدية ، وإن شاؤوا أخذوا الدية كلها واستحيوها ، وإن شاؤوا عفوْا .

٦٢/٢

٢٥٦٩ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا هشام بن عبد الملك قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن الحسن : أن عليًّا قال فى رجل قتل امرأته ، قال : إن شاؤوا قَتلوه وَغرِموا نصف الدية .

٢٥٧٠ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن قال : لا يُقتل الرجل بالمرأة ، حتى يُعطوا نصف الدية .

٢٥٧١ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن الشعبى ، قال ، فى رجل قَتل امرأته عمداً ، فأتوا به عليًّا فقال : إن شئتم فاقتلوه ، ورُدُّوا فضل دية الرجل على دية المرأة .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى حال مَا نزلت ، والقومُ لا يقتلون الرجل بالمرأة ، ولكنهم كانوا يقتلون الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة ، حتى سَوَّى الله بين حكم جميعهم بقوله : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [سورة المائدة : ٤٥] ، فجعل جميعَهم قَوَدَ بعضهم ببعض .

• ذكر من قال ذلك :

٢٥٧٢ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والأنثى بالأنثى » ،

وذلك أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ، ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة ، فأنزل الله تعالى : « النفس بالنفس » ، فجعل الأحرار فى القصاص سواءً فيما بينهم ، فى العمد رجالهم ونساؤهم ، فى النفس وما دون النفس . وجعل العبيد مستوين فيما بينهم فى العمد ، فى النفس وما دون النفس ، رجالهم ونساؤهم .

* * *

قال أبو جعفر :[1] فإذ كان مُختلَفاً الاختلافُ الذى وصفتُ ، فيما نزلت فيه هذه الآية ، فالواجب علينا استعمالها ، فيما دلت عليه من الحُكم ، بالخبر القاطع العذرَ . وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقل العامّ : أن نفس الرجل الحر قَوَدٌ قصاصاً بنفس المرأة الحرة. فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأمّة مختلفة فى التراجع بفضل ما بين دية الرجل والمرأة — على ما قد بيّنا من قول علىّ وغيره — كان واضحاً[2] فسادُ قول من قال بالقصاص فى ذلك والتراجع بفضل ما بين الديتين ، بإجماع جميع أهل الإسلام : على أن حراماً على الرجل أن يتلف من جسده عضواً بعوض يأخذه على إتلافه ، فدعْ جميعَه = وعلى أن حراماً على غيره إتلاف شىء منه — مثل الذى حُرّم من ذلك — بعوَض يُعطيه عليه .[3] فالواجب أن تكون نفسُ الرجل الحر بنفس المرأة الحرة قَوَداً .

وإذ كان ذلك كذلك ، كان بيّناً بذلك أنه لم يرد بقوله تعالى ذكره : « الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » أن لا يقادَ العبدُ بالحرّ ، وأن لا تُقتل الأنثى بالذكر ولا الذكر بالأنثى . وإذْ كان ذلك كذلك ، كان بيّناً أن الآية معنىٌّ بها أحد المعنيين الآخرين . إمّا قولنا : من أنْ لا يُتَعدّى بالقصاص إلى غير القاتل والجانى ، فيؤخذ بالأنثى الذكر وبالعبد الحر . وإمّا القول الآخر : وهو أن تكون

---

(١) قوله : « فإذ كان مختلف » هو تمام قوله فى رد السؤال فى ص : ٣٥٨ س : ١١ . : « قيل : اختلف أهل التأويل فى ذلك . . . »

(٢) فى المطبوعة : « وكان واضحاً » ، والصواب حذف الواو .

(٣) سياق العبارة : « كان واضحاً فساد من قال بالقصاص . . . بإجماع جميع أهل الإسلام على أن حراماً على الرجل . . . وعلى أن حراماً على غيره . . . » .

الآية نزلت فى قوم بأعيانهم خاصة أمِرَ النبى صلى الله عليه وسلم أن يجعل ديات قتلاهم قصاصاً بعضها من بعض ، كما قاله السدى ومن ذكرنا قوله .

وقد أجمع الجميع — لا خلاف بينهم — على أن المقاصَّة فى الحقوق غير واجبة ، وأجمعوا على أن الله لم يقض فى ذلك قضاء ثم نسخه . وإذ كان كذلك ، وكان قوله تعالى ذكره : « كُتب عليكم القصاص » ينبئ عن أنه فرضٌ ، كان معلوماً أن القول خلافُ ما قاله قائل هذه المقالة . لأن ما كان فرضًا على أهل الحقوق أن يفعلوه ، فلا خيارَ لهم فيه . والجميع مجمعون على أنّ لأهل الحقوق الخيارَ فى مقاصَّتهم حقوقهم بعضها من بعض . فإذْ تبيَّنَ فسادُ هذا الوجه الذى ذكرنا، فالصحيح من القول فى ذلك هو ما قلنا.

* * *

فإن قال قائل : = إذْ ذكرتَ أن معنى قوله : « كتب عليكم القصاص » — بمعنى : فُرض عليكم القصاص = : لا يعرف[1] لقول القائل : « كتب » معنىً إلا معنى : خط ذلك، فرسم خطًّا وكتاباً، فما برهانك على أن معنى قوله: « كتب » فُرِض ؟

قيل : إن ذلك فى كلام العرب موجودٌ ، وفى أشعارهم مستفيض ، ومنه قول الشاعر :[2]

كُتِبَ القَتْلُ وَالقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى المُحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ[3]

---

(١) فى المطبوعة : « ولا يعرف . . . » والصواب حذف الواو . والسياق : فإن قال قائل . . . — لا يعرف » وما بينهما فصل . والذى ذكره فى معنى « كتب » قد سلف فى ص : ٣٥٧ .

(٢) هو عمر بن أبى ربيعة ، أو عبد الله بن الزبير الأسدى .

(٣) ديوان عمر : ٤٢١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٣٦ ، والكامل ٢ : ١٥٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٥٨ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٢٦٤ ، والأغانى ٩ : ٢٢٩ . ولهذا الشعر خبر . وذلك أن مصعب بن الزبير ، لما خرج إلى المختار بن أبى عبيد الثقفى المتنبئ فظفر به وقتله ، كان فيمن أخذ امرأته عمرة بنت النعمان ابن بشير ، فلما سألها عنه قالت : رحمة الله عليه ، إن كان عبداً من عباد الله الصالحين : فكتب مصعب إلى أخيه عبد الله إنها تزعم أنه نبى ! فأمر بقتلها . وقتلها الذى تولى قتلها قتلا فظيماً ، فاستنكره الناس ، وقالوا فيه ، وممن قال عمر :

وقولُ نابغةَ بنى جعدة :

يَا بِنْتَ عَمِّى ، كِتَابُ اللهِ أَخْرَجَنِي عَنْـكُم ، فَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللهَ مَا فَعَلاَ![1]

٦٣/٢ وذلك أكثر فى أشعارهم وكلامهم من أن يحصى . غير أن ذلك ، وإن كان بمعنى : ُفرض ، فإنه عندى مأخوذ من « الكتاب » الذى هو رسمٌ وخط . وذلك أن الله تعالى ذكره قد كتب جميعَ ما فرَض على عباده وماهم عاملوه فى اللوح المحفوظ ، فقال تعالى ذكره فى القرآن: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [سورة البروج : ٢١ : ٢٢]، وقال :﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ [سورة الواقعة : ٧٧ – ٧٨]. فقد تبين بذلك أن كل ما فرضه علينا ، فى اللوح المحفوظ مكتوبٌ .

فمعنى قوله : — إذ كان ذلك كذلك — « كُتبَ عليكم القصاص » ، كتب عليكم فى اللوح المحفوظ القصَاصُ فى القتلى ، فرَضًا ، أن لا تقتلوا بالمقتول غير قاتله .

* * *

وأما « القصاص » فإنه من قول القائل: « قاصصتُ فلاناً حقّى قِبَلَهُ من َحقه قبلى، قصاصاً ومُقاصَّة » . فقتل القاتل بالذى قتله «قصاص »، لأنه مفعول به مثلُ الذى فعَل بمن قتله ، وإن كان أحد الفعلين ُعدواناً والآخر َحقًّا . فهما وإن اختلفا من هذا الوجه ، فهما متفقان فى أن كل واحد قد فعَل بصاحبه مثل

إنَّ مِنْ أَعجَبِ العَجَائِبِ عِنْدِى قَتْلُ بيضاء حُرَّةٍ عُطْبُولِ
قُتِلَتْ هكذا عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إنَّ لِلهِ دَرَّهَا من قَتِيلِ
كُتِبَ القتلِ . . . .

(١) اللسان (كتب) وأساس البلاغة (كتب) ، والمقاييس ٥ : ١٥٩ ، ويروى « يا ابنة عمى » ، وفى الأساس : « أخرنى » ، فأخشى أن تكون خطأ من ناسخ .

الذى فعل صاحبه به . وجعل فعل وَلىّ القتيل الأول إذا قتل قاتل وليه — قصاصاً ، إذ كان بسبب قتله استحق قتلَ من قتله ، فكأن وليّه المقتول هو الذى وَلى قَتل قاتله ، فاقتص منه .

• • •

وأما « القتلى » فإنها جمع « قتيل » كما « الصرعى » جمع « صريع » ، والجرحى جمع « جريح » . وإنما يجمع « الفعيل » على « الفعلى » إذا كان صفة للموصوف به ، بمعنى الزمانة والضرر الذى لايقدر معه صاحبه على البراح من موضعه ومصرعه ،[1] نحو القتلى فى معاركهم ، والصرعى فى مواضعهم ، والجرحى ، وما أشبه ذلك .

• • •

فتأويل الكلام إذاً: فُرض عليكم، أيها المؤمنون، القصاصُ فى القتلى: أن يُقتص الحر بالحرّ، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى . ثم ترك ذكر « أن يقتص» اكتفاءً بدلالة قوله : « كُتب عليكم القصاص » = عليه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : فمن تُرك له من القتل ظلماً ، من الواجب كان لأخيه عليه من القصاص — وهو الشىء الذى قال الله : « فمن عُفى له من أخيه شىء » — فاتباعٌ من العافى للقاتل بالواجب له قبله من الدية ، وأداءٌ من المعفوِّ عنه ذلك إليه بإحسان .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « أسرى » ٢ : ٣١١ .

٢٥٧٣ — حدثنا أبو كريب وأحمد بن حماد الدولابي قالا ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « فمن عفى له من أخيه شيء » ، فالعفو : أن يقبل الدية في العمد . واتباع بالمعروف : أن يطلب هذا بمعروف ، ويؤدّى هذا بإحسان .

٢٥٧٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، حدثنا عمرو بن دينار ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس أنه قال في قوله : « فمن عُفى له من أخيه شيءٌ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، فقال : هو العمد ، يرضى أهله بالدية ، واتباع بالمعروف : أُمر به الطالب = وأداء إليه بإحسان من المطلوب .

٢٥٧٥ — حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال ، حدثنا أبي — — وحدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر — قالا جميعاً ، أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : الذى يقبل الدية ، ذلك منه عفوٌ واتباعٌ بالمعروف ، ويؤدّى إليه الذى عُفى له من أخيه بإحسان .(١)

٢٥٧٦ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فمن عُفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان » ، وهى الدية : أن يحسن الطالبُ الطلبَ = وأداء إليه بإحسان : وهو أن يحسن المطلوبُ الأداءَ .

٢٥٧٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فمن عُفى له من أخيه شيء فاتباع المعروف

---

(١) الخبر : ٢٥٧٥ — محمد بن على بن الحسن بن شقيق ، شيخ الطبرى ، مضت الرواية عنه أيضاً : ١٥٩١ . وسيأتى أيضاً : ٢٥٩٤ . ووقع فى المطبوعة هنا « سفيان » بدل « شقيق » . وهو خطأ وتصحيف . فلا يوجد فى الرواة من يسمى « محمد بن على بن الحسن بن سفيان » ، ولا باسم أبيه .

وأداء إليه بإحسان » ، والعَفْوُ : الذى يعفو عن الدم ويأخذ الدية .

٢٥٧٨ — حدثنا سفيان قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « فمن عُفى له من أخيه شىء » ، قال : الدية .

٢٥٧٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن يزيد، عن إبراهيم، عن الحسن : « وأداء إليه بإحسان » ، قال : على هذا الطالب أن يطلبَ بالمعروف، وعلى هذا المطلوب أن يؤدى بإحسان .

٢٥٨٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف » ، والعفوُ : الذى يعفو عن الدم، ويأخذ الدية .

٢٥٨١ — حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد قال، حدثنا حماد، عن داود بن أبى هند، عن الشعبى فى قوله : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، قال : هو العمد، يرضى أهله بالدية .

٢٥٨٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، عن داود، عن الشعبى مثله .

٢٥٨٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، ٢/٦٤ يقول : قُتل عمداً فعُفى عنه، وقبلت منه الدية . يقول : « فاتباع بالمعروف » ، فأمر المتبع أن يتبع بالمعروف، وأمرَ المؤدِّى أن يؤدى بإحسان، والعمد قَوَدٌ إليه قصاص لا عَقل فيه،[1] إلا أن يرضَوا بالدية . فإن رضوا بالدية، فمئة خَلِفَة.[2] فإن قالوا : لا نرضى إلا بكذا وكذا . فذاك لهم .

---

(١) العقل : الدية، سميت عقلا، لأن الدية كانت عند العرب فى الجاهلية إبلا، لأنها كانت أموالهم . فكان القاتل يسوق الدية إلى فناء ورثة المقتول، فيعقلها بالعقل ويسلمها إلى أوليائه .

(٢) الخلفة (بفتح الخاء وكسر اللام) : الحامل من النوق . وليس لها جمع من لفظها، بل يقال هى « مخاض » ، كما يقال : امرأة ونساء .

٢٥٨٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فاتباعٌ بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، قال : يتبع به الطالبُ بالمعروف ، ويؤدى المطلوب بإحسان .

٢٥٨٥ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، يقول : فمن قتل عمداً فعفى عنه ، وأخذت منه الدية ، يقول : « فاتباع بالمعروف » ، أمِر صاحبُ الدية التى يأخذها أن يتبع بالمعروف ، وأمِر المؤدِّى أن يؤدى بإحسان .

٢٥٨٦ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : قوله : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، قال : ذلك إذا أخذ الدية ، فهو عفوٌ .

٢٥٨٧ ــ حدثنا الحسن قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد قال : إذا قبل الدية فقد عفا عن القصاص ، فذلك قوله : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، قال ابن جريج : وأخبرنى الأعرج ، عن مجاهد مثل ذلك ، وزاد فيه : ــ فإذا قبل الدية ، فإن عليه أن يتبع بالمعروف ، وعلى الذى عُفى عنه أن يُؤدى بإحسان .

٢٥٨٨ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو عقيل قال ، قال الحسن : أخذ الدية عفوٌ حَسن .

٢٥٨٩ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وأداء إليه بإحسان » ، قال : أنتَ أيها المعفوُّ عنه .

٢٥٩٠ ــ حدثنى محمد بن سعد ، قال حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع

بالمعروف وأداء إليه بإحسان» ، وهو الدية ، أن يحسن الطالب= وأداء إليه بإحسان : هو أن يُحسن المطلوب الأداء .

* * *

وقال آخرون معنى قوله : « فمن عُفى » ، فمن فَضَل له فضل ، وبقيتْ له بقية . وقالوا : معنى قوله : « من أخيه شىء » : من دية أخيه شىء ، أو من أرْش جراحته ،[1] فاتباع منه القاتلَ أو الجارحَ الذى بَقى ذلك قبله — بمعروف ، وأداء = من القاتل أو الجارح = إليه ما بقى قبله له من ذلك بإحسان .

وهذا قول من زعم أن الآية نزلت — أعنى قوله : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عَليكم القصاص فى القتلى » — فى الذين تحاربوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُمِر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُصلح بينهم ، فيقاصَّ ديات بعضهم من بعض ، ويُردَّ بعضُهم على بعض بفضل إن بَقى لهم قبل الآخرين . وأحسب أن قائلى هذا القول وَجَّهوا تأويل « العفو » — فى هذا الموضع — إلى : الكثرة من قول الله تعالى ذكره: ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾ [سورة الأعراف : ٩٥] . فكأنَّ معنى الكلام عندهم : فمن كثر له قبَل أخيه القاتل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٩١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمنَ عُفى له من أخيه شىء » ، يقول : بقى له من دية أخيه شَىءٌ أو من أرش جراحته ، فليتبع بمعروف ، وليؤدِّ الآخرُ إليه بإحسان .

* * *

والواجب على تأويل القول الذى روينا عن على والحسن — فى قوله : « كُتب عليكم القصاص » أنه بمعنى : مُقاصّة دية النفس الذكَر من دية نَفس الأنثى ، والعبد من الحر ، والتراجع بفضل ما بين ديَتى أنفسهما — أن يكون معنى قوله :

---

(١) الأرش : دية الجنايات والجراحات كالشجة ونحوها .

« فمن عُفى له من أخيه شيء » ، فمن عُفى له من الواجب لأخيه عليه — من قصّاص دية أحدهما بدية نفس الآخر ، إلى الرِّضى بدية نفس المقتول ، فاتباع من الولىّ بالمعروف ، وأداء من القاتل إليه ذلك بإحسان .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندى بالصواب فى قوله : « فمن عُفى له من أخيه شيء » : فمن صُفِح له — من الواجب كان لأخيه عليه من القود — عن شيء من الواجب ، على دية يأخذها منه ، فاتباعٌ بالمعروف = من العافى عن الدم ، الراضى بالدية من دم وليه = وأداء إليه — من القاتل — ذلك بإحسان . لما قد بينا من العلل فيما مضى قبل : من أنّ معنى قول الله تعالى ذكره : « كُتب عليكم القصاص » ، إنما هو القصّاص من النفوس القاتلة أو الجارحة أو الشاجَّة عمداً . كذلك « العفو » أيضاً عن ذلك .

* * *

وأما معنى قوله : « فاتباع بالمعروف » ، فإنه يعنى : فاتباع على ما أوجبه الله لهُ من الحقّ قبَل قاتل وليه ، من غير أن يزداد عليه ما ليس له عليه — فى أسنان الفرائض أو غير ذلك[1] — أو يكلفه ما لم يوجبه الله له عليه ، كما : —

٢٥٩٢ — حدثنى بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : بلغنا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من زاد أو ازداد بعيراً — يعنى فى إبل الديات وفرائضها — فمن أمر الجاهلية .[2] ٦٥/٢

* * *

وأما إحسان الآخر فى الأداء ، فهو أداءُ ما لَزِمه بقتله لولى القتيل ، على

---

(١) الفرائض جمع فريضة : وهو البعير المأخوذ فى الزكاة ، سمى فريضة لأنه فرض واجب على رب المال ، ثم اتسع فيه حتى سمى البعير فريضة فى غير الزكاة .

(٢) الحديث : ٢٥٩٢ — هذا حديث مرسل ، إذ يرويه « قتادة » ، وهو تابعى . ولم أجده فى مكان آخر ولا ذكره السيوطى .

ما ألزمه الله وأوجبه عليه ، من غير أن يبخسه حقًّا له قبله بسبب ذلك ، أو يحوجه إلى اقتضاءٍ ومطالبة .

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « فاتباعٌ بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، ولم يَقل فاتباعاً بالمعروف وأداءً إليه بإحسان ، كما قال : ﴿ فإذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [سورة محمد : ٤] ؟

قيل : لو كان التنزيل جاء بالنصب ، وكان : فاتباعاً بالمعروف وأداءً إليه بإحسان — كان جائزاً فى العربية صحيحاً ، على وجه الأمر ، كما يقال : « ضرباً ضرباً = وإذا لقيت فلاناً فتبجيلاً وتعظيماً » ، غير أنه جاءَ رفعاً ، وهو أفصح فى كلام العرب من نصبه . وكذلك ذلك فى كل ما كان نظيراً له ، مما يكون فرضاً عامًّا — فيمن قد فعل ، وفيمن لم يفعل إذا فعل — لا ندباً وحثًّا . ورفعه على معنى : فمن عفى له من أخيه شىء ، فالأمر فيه : اتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان ، أو فالقضاء والحكم فيه : اتباع بالمعروف .

وقد قال بعض أهل العربية : رفع ذلك على معنى : فمن عفى له من أخيه شىء ، فعليه اتباعٌ بالمعروف . وهذا مذهب ، والأول الذى قلناه هو وجه الكلام . وكذلك كلّ ما كان من نظائر ذلك فى القرآن ، فإن رفعَه على الوجه الذى قُلناه . وذلك مثل قوله : ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ [سورة المائدة : ٩٥] ، وقوله : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩] . وأما قوله : ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ ، فإن الصواب فيه النصب ، وهو وجه الكلام ، لأنه على وجه الحثّ من الله تعالى ذكره عبادَه على القتل عند لقاء العدو ، كما يقال : « إذا لقيتم العدو فتكبيراً وتهليلاً » ، على وجه الحضّ على التكبير ، لا على وجه الإيجاب والإلزام .[1]

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٩ — ١١٠ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ذلك » ، هذا[1] الذى حكمت به وسننته لكم ، من إباحتى لكم — أيتها الأمة — العفوَ عن القصاص من قاتل قتيلكم ، على دية تأخذونها فتملكونها ملككم سائر أموالكم التى كنت منعتها من قبلكم من الأمم السالفة = « تخفيف من ربكم » ، يقول : تخفيف منى لكم مما كنت ثقَّلته على غيركم ، بتحريم ذلك عليهم = « ورحمة » ، منى لكم ، كما :—

٢٥٩٣ — حدثنا أبو كريب وأحمد بن حماد الدولابى قالا ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان فى بنى إسرائيل القصاصُ ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله فى هذه الآية : « كُتب عليكم القصاصُ فى القتلى الحر بالحر » إلى قوله « فمن عُفى له من أخيه شىء » ، فالعفو : أن يقبل الدية فى العمد = « ذلك تخفيف من ربكم » . يقول : خفف عنكم ما كان على مَنْ كان قبلكم : أن يطلب هذا بمعروف ، ويؤدى هذا بإحسان .[2]

---

(١) انظر « ذلك » بمعنى « هذا » ١ : ٢٢٥ — ٢٢٧ / ثم هذا الجزء ٣ : ٣٣٥

(٢) الحديث : ٢٥٩٣ — أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصارى الرازى الدولابى : هو والد « أبى بشر محمد بن أحمد الدولابى » صاحب كتاب الكنى والأسماء . وقد رفعنا نسبه نقلا عن تذكرة الحفاظ ٢ : ٢٩١ فى ترجمة ابنه الحافظ . وأحمد بن حماد هذا : ثقة ، ترجمه ابن أبى حاتم ٤٩/١/١ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، وذكر أن أباه أبا حاتم سمع منه .

سفيان : هو ابن عيينة .

والحديث رواه عبد الرزاق فى تفسيره ، ص : ١٦ ، بنحوه . بإسنادين : عن معمر ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد . وعن ابن عيينة — كالإسناد هنا إلى مجاهد — عن ابن عباس .

ورواه البخارى ١٢ : ١٨٣ (فتح) ، عن قتيبة بن سعيد ، عن سفيان . بهذا الإسناد .

وذكره السيوطى ١ : ١٧٣ ، وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، والنسائى ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وغيرهم .

وذكره ابن كثير ١ : ٣٩٤ ، من رواية سعيد بن منصور ، عن سفيان . ثم قال : « وقد رواه غير واحد عن عمرو . وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن عمرو بن دينار » . فقد سها — رحمه الله — عن أن البخارى رواه فى صحيحه ، فنسبه لصحيح ابن حبان ، ولم يذكر البخارى .

٢٥٩٤ ـ حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال، حدثنا أبى قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان مَنْ قبلكم يقتلون القاتل بالقتيل ، لا تقبل منهم الدّية ، فأنزل الله : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر» إلى آخر الآية، « ذلك تخفيفٌ من ربكم » ، يقول : خفف عنكم، وكان على مَنْ قبلكم أنّ الدية لم تكن تقبل ، فالذى يَقبل الدية ذلك منه عَفوٌ .

٢٥٩٥ ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، أخبرنا عمرو بن دينار ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس : « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » ـ مما كان على بنى إسرائيل ، يعنى : من تحريم الدية عليهم .

٢٥٩٦ ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان على بنى إسرائيل قصاص فى القتل ، ليس بينهم دية فى نَفس ولا جَرْح، وذلك قول الله: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ ﴾ الآية كلها [سورة المائدة : ٤٥]، وخفف الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقبل منهم الدية فى النفس وفى الجراحة ، وذلك قوله تعالى : « ذلك تخفيفٌ من ربكم » بينكم .

٢٥٩٧ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » ، وإنما هى رحمة رَحم الله بها هذه الأمة ،أطعمهم الدية وأحلّها لهم ، ولم تحلّ لأحد قبلهم. فكان أهل التوراة إنما هو القصاص أو العفو ، وليس بينهما أرْش ، وكان أهل الإنجيل إنما هو عفوٌ، أمروا به . فجعل الله لهذه الأمة القوَد والعفو والدية إن شاؤوا ، أحلها لهم ، ولم تكن لأمة قبلهم .

٢٥٩٨ ـ حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن

أبيه ، عن الربيع بمثله سواء، غير أنه قال : ليس بينهما شيء .

٢٥٩٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « كتب عليكم القصاص فى القتلى »، قال : لم يكن لمن قبلنا دية ، إنما هو القتل ، أو العفو إلى أهله . فنزلت هذه الآية فى قوم كانوا أكثرَ من غيرهم . ٦٦/٢

٢٦٠٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، وأخبرنى عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : إنّ بنى إسرائيل كان كتب عليهم القصاص ، وخفف عن هذه الأمة - وتلا عمرو بن دينار : « ذلك تخفيف من ربّكم ورحمة » .

* * *

وأما على قول من قال: القصاص فى هذه الآية معناه: قصاصُ الديات بعضِها من بعض ، على ما قاله السدى ، فإنه ينبغى أن يكون تأويله : هذا الذى فعلتُ بكم أيها المؤمنون = من قصاص ديات قتلى بعضكم بديات بعض، وترك إيجاب القوَد على الباقين منكم بقتيله الذى قتله وأخذه بديته = تخفيفٌ منّى عنكم ثِقَلَ ما كان عليكُم من حكمى عليكم بالقوَد أو الدية ، ورحمة منى لكم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فمن اعتدى بعد ذلك » ، فمن تجاوز ما جعله الله له بعدَ أخذه الدّية ، اعتداءً وظلماً إلى ما لم يُجعل له من قتل قاتِل وليه وسفك دمه، فله بفعله ذلك وتعدّيه إلى ما قد حرمته عليه، عذابٌ أليم .

وقد بينت معنى « الاعتداء » فيما مضى بما أغنى عن إعادته.[1] وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٠١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمن اعتدى بعد ذلك » ، فقتل ، « فله عذابٌ أليم ».

٢٦٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمن اعتدى » ، بعد أخذ الدية ، « فله عذاب أليم ».

٢٦٠٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » ، يقول : فمن اعتدى بعد أخذه الدية فقتل ، فله عذاب أليم . قال : وذُكِر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا أعافى رجلاً قَتل بَعد أخذه الدية.[2]

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٠٧ .

(٢) الحديث : ٢٦٠٣ — وهذا رواه أيضاً قتادة — التابعى — مرفوعاً ، فهو مرسل . وكذلك ذكره السيوطى ١ : ١٧٣ ، عن قتادة ، ونسبه للطبرى وابن المنذر فقط .

وقد روى المرفوع منه — عبد الرزاق فى تفسيره ، ص : ١٦ ، عن معمر ، عن قتادة مرسلا أيضاً .

ثم ذكر السيوطى اللفظ المرفوع ، ونسبه لسمويه فى فوائده ، عن سمره . وقد قصر فيه جداً ، كما قصر فى الجامع الصغير : ٩٧٠١ ، إذ ذكره أيضاً ، ونسبه للطيالسى — فقط — عن جابر ، يعنى جابر ابن عبد الله .

وحديث الطيالسى — عن جابر — : هو فى مسنده : ١٧٦٣ ، عن حماد بن سلمة ، عن مطر الوراق ، عن رجل ، عن جابر ، فذكره مرفوعاً .

وقد رواه أحمد فى المسند : ١٤٩٦٨ ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة : « أخبرنا مطر ، عن رجل ، أحسبه الحسن ، عن جابر بن عبد الله » . وكذلك رواه أبو داود فى السنن : ٤٥٠٧ ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به .

فتقصير السيوطى : أن نسبه للطيالسى وحده ، وهو فى أحد الكتب الستة ومسند أحمد .

وعلى كل حال ، فحديث جابر ضعيف ، لأن إسناده رجلا مبهماً ، أو رجل شك فيه مطر الوراق .

وحديث الحسن عن سمرة ، ذكره أيضاً ابن كثير ١ : ٣٩٥ ، قال : « وقال سعيد بن أبى عروبة ،

٢٦٠٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك » ، قال : هو القتل بعد أخذ الدية . يقول : من قتل بعد أنْ يأخذ الدية فعليه القتلُ ، لا تُقبلُ منه الدية .[1]

٢٦٠٥ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » ، يقول : فمن اعتدى بعد أخذه الديةَ ، فله عذاب أليم .

٢٦٠٦ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنى أبى ، عن يزيد بن إبراهيم، عن الحسن قال : كان الرجل إذا قتل قتيلاً فى الجاهلية فرَّ إلى قومه ، فيجىء قومه فيصالحون عنه بالدية ، قال: فيخرج الفارُّ وقد أمن على نفسه ، قال : فيُقتل ثم يُرْمى إليه بالدية، فذلك « الاعتداء » .

٢٦٠٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو عقيل ، قال : سمعت الحسن فى هذه الآية : « فمن عُفِىَ لهُ من أخيه شىء » ، قال : القاتلُ إذا طُلب فلم يُقدر عليه، وأُخِذ من أوليائه الدية، ثم أمن، فأخِذ فقُتِل . قال الحسن : ما أكل عُدوانٌ .

٢٦٠٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا مسلم قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا هرون بن سليمان قال ، قلت لعكرمة : من قتل بعد أخذه الدية ؟ قال : إذاً يُقتل ! أما سمعت الله يقول : « فمن اعتدى بعدَ ذلك فله عذابٌ أليم » ؟

٢٦٠٩ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ،

عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة . . . » ، فذكره مرفوعاً .

فهذا إسناد يمكن أن يكون صحيحاً ، لو علمنا إسناده إلى سعيد بن أبى عروبة ، ومن الذى رواه من طريقه ؟ إذ لم أجده بعد طول البحث . ولو وجدناه لكان وصلا لهذا المرسل الذى رواه الطبرى من طريق سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة .

(١) الخبر : ٢٦٠٤ — رواه الطبرى من طريق عبد الرزاق . وهو فى تفسيره ، ص ١٦ ، بهذا الإسناد .

عن السدى : « فمن اعتدى بعد ذلك » ، بعد ما يأخذ الدية ، فيقتل « فله عذابٌ أليم ».

٢٦١٠ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فمن اعتدى بعد ذلك » ، يقول : فمن اعتدى بعد أخذه الدية ، فله عذاب أليم .

٢٦١١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم » ، قال : أخذ العَقْل ، ثم قَتل بعد أخذ العقل قاتلَ قتيله ، فله عذاب أليم .

* * *

واختلفوا فى معنى « العذاب الأليم » الذى جعله الله لمن اعتدى بعد أخذه الدية من قاتل وليِّه .

فقال بعضهم : ذلك « العذابُ » هو القتلُ بمن قتله بعد أخذ الدية منه ، وعفوه عن القصاص منه بدم وليِّه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦١٢ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم الدورقى قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » ، قال : يقتل ، وهو العذاب الأليم = يقول : العذاب الموُجع .

٢٦١٣ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنى هشيم قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن سعيد بن جبير أنه قال ذلك .

٢٦١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا هرون بن سليمان ، عن عكرمة : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم » ، قال : القتلُ .

* * *

وقال بعضهم : ذلك « العذابُ » عقوبة يعاقبه بها السلطان على قدر ما يَرَى من عقوبته .

• ذكر من قال ذلك :

٢٦١٥ ــ حدثني القاسم بن الحسن قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، أخبرني إسمعيل بن أمية، عن الليث= غير أنه لم ينسبه، وقال: ثقة =: أن النبي صلى الله عليه وسلم أوجبَ بقسَمٍ أو غيره أن لا يُعفى عن رَجل عَفا عن الدم وأخذ الدية، ثم عَدا فَقتل، قال ابن جريج، وأخبرني عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: في كتاب لعمرَ عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: و «الاعتداء» الذي ذكر الله: أنّ الرجل يأخذ العقلَ أو يقتصُّ أو يقضي السلطان فيما بين الجراح، ثم يعتدي بعضُهم من بعد أن يستوعبَ حقه. فمن فعل ذلك فقد اعتدى، والحكم فيه إلى السلطان بالذي يرى فيه من العقوبة قال: ولو عفا عنه، لم يكن لأحد من طلبة الحق أن [يعفو][1]، لأن هذا من الأمر الذي أنزل الله فيه قوله: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء: ٥٩].[2]

٢٦١٦ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن يونس،

---

(١) الذي بين القوسين، هكذا في الأصل. وصوابه فيما أرجح «أن يقتله». ولم أجد الخبر، ولا كتاب عمر الذي ذكره.

(٢) الحديث: ٢٦١٥ ــ هو في الحقيقة حديثان، رواهما ابن جريج، ولم أجدهما في مكان آخر. ولكني لا أسيغ لفظهما أن يكون من ألفاظ النبوة، ولا عليه شيء من نورها. وهو بألفاظ الفقهاء أشبه!

فأولهما: رواه ابن جريج، عن إسمعيل بن أمية، عن رجل اسمه «الليث»: «غير أنه لم ينسبه» ــ فلا أعرف من «الليث» هذا؟ وأما إسماعيل بن أمية: فإنه ثقة، يروى عن التابعين. مترجم في التهذيب. والكبير ١/١/٥١/٣٤، وابن أبي حاتم ١/١/١٥٩، ونسب قريش: ١٨٢، وجمهرة الأنساب لابن حزم: ٧٤.

وثانيهما: رواه ابن جريج، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، عن «كتاب لعمر عن النبي صلى الله عليه وسلم». والظاهر أنه يريد كتاباً لعمر بن عبد العزيز. ومن المحتمل أن يكون كتاباً لعمر بن الخطاب.

وعبد العزيز بن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: ثقة، وثقه ابن معين وغيره. مترجم في التهذيب. وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٨٩.

عن الحسن : فى رجل قُتل فأخذت منه الدية، ثم إن وليَّه قَتل به القاتل . قال الحسن : تؤخذ منه الدية التى أخذ ، ولا يُقتل به .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بقوله : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم » ، تأويلُ من قال: فمن اعتدى بعد أخذه الدية فقتلَ قاتلَ وليه، فله عذاب أليم فى عاجل الدنيا ، وهو القتل. لأن الله تعالى جعل لكل ولىٍّ قتيلٍ قُتل ظلماً، سلطاناً على قاتل وليه ، فقال تعالى ذكره ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ ﴾ [سورة الإسراء : ٣٣] . فإذ كان ذلك كذلك : وكان الجميع من أهل العلم مجمعين على أن من قَتل قاتلَ وليه بعد عفوه عنه وأخذِه منه دية قتيله ، أنه بقتله إياه له ظالم فى قتله — كان بيِّناً أن لا يولِّى من قَتله ظُلماً كذلك، السلطانَ عليه فى القصاص والعفو وأخذ الدية، أىَّ ذلك شاء .(٢) وَإذ كان ذلك كذلك، كان معلوماً أن ذلك عذابُه . لأن من أقيم عليه حدُّه فى الدنيا ، كان ذلك عقوبته من ذنبه، ولم يكن به متَّبَعاً فى الآخرة، على ما قد ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٣)

---

(١) الخبر : ٢٦١٦ — بشر بن معاذ ، شيخ الطبرى ، مضى فى : ٣٥٢ . ونزيد هنا أنه ثقة معروف ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/٣٦٨ ، وذكر أن أباه كتب عنه ، وأنه سئل عنه ، فقال : « صالح الحديث صدوق » . وهو يروى عن قدماء الشيوخ ، مثل « حماد بن زيد » المتوفى سنة ١٧٩ ، وعبد الواحد بن زياد ، شيخه هنا ، المتوفى تلك السنة .

عبد الواحد بن زياد العبدى البصرى : أحد الأعلام الثقات . مترجم فى التهذيب ، والصغير للبخارى : ٢٠٢ ، وذكر أنه مات سنة ١٧٩ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢٠ — ٢١ ، وابن سعد ٧/٢/٤٤ .

يونس : هو ابن عبيد بن دينار العبدى ، وهو ثقة ، من أوثق أصحاب الحسن وأثبتهم . مترجم فى التهذيب . والكبير ٤/٢/٤٠٢ ، والصغير : ١٦٠ ، وابن سعد ٧/٢/٢٣ — ٢٤ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٤٢ .

(٢) فى هذه العبارة غموض ، وأخشى أن يكون قد سقط من الكلام شىء ، ولكن المعنى العام ظاهر .

(٣) كالذى رواه البخارى من حديث عبادة بن الصامت قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط فقال : أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا

وأما ما قاله ابن جريج : من أن حكم من قتل قاتل وليه بعد عفوه عنه ، وأخذه دية وليه المقتول — إلى الامام دون أولياء المقتول ، فقول خلاف لما دل عليه ظاهر كتاب الله ، وأجمع عليه علماء الأمة . وذلك أن الله جعل لولى كل مقتول ظلماً السلطان دون غيره ، من غير أن يخص من ذلك قتيلاً دون قتيل . فسواء كان ذلك قتيل ولى من قتله أو غيره . ومن خص من ذلك شيئاً سئل البرهان عليه من أصل أو نظير ، وعكس عليه القول فيه ، ثم لن يقول فى شىء من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله . ثم فى إجماع الحجة على خلاف ما قاله فى ذلك ، مكتفى فى الاستشهاد على فساده بغيره .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » ، ولكم يا أولى العقول ، فيما فرضت عليكم وأوجبت لبعضكم على بعض ، من القصاص فى النفوس والجراح والشجاج ، ما منع به بعضكم من قتل بعض ، وقدع بعضكم عن بعض ، فحييتم بذلك ، فكان لكم فى حكمى بينكم بذلك حياة.[1]

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم فى ذلك نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصونى فى معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به فى الدنيا ، فهو كفارة له وطهور ، ومن ستره الله فذلك إلى الله ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » (البخارى : كتاب الحدود ٨ : ١٦٢) .

(١) قدعه يقدعه قدعاً : كفه . ومنه : « اقدعوا هذه الأنفس فإنها طلعة » ، أى كفوها عما تشتهى وتريد .

٢٦١٧ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب » ، قال : نكالٌ ، تَناهٍ .

٢٦١٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولكم في القصاص حياة » ، قال : نكالٌ ، تَناهٍ .

٢٦١٩ - حدثني المثنى قال : حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٦٢٠ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « ولكم في القصاص حياة » ، جعل الله هذا القصاص حياة ، ونكالاً ، وعظةً لأهل السفه والجهل من الناس . وكم من رجل قد هَمّ بداهية ، لولا مخافة القصاص لوقع بها ، ولكن الله حَجز بالقصاص بعضهم عن بعض ؛ وما أمر الله بأمر قط إلاّ وهو أمر صلاح في الدنيا والآخرة ، ولا نهى الله عن أمر قط إلاّ وهو أمر فساد في الدنيا والدين ، والله أعلم بالذي يُصلح خلقه .

٢٦٢١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » ، قال : قد جعل الله في القصاص حياة ، إذا ذكره الظالم المتعدي كفّ عن القتل .

٢٦٢٢ - حُدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولكم في القصاص حياة » الآية ، يقول : جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لكم . كم من رجل قد هَمّ بداهية فمنعه مخافة القصاص أن يقع بها ! وإن الله قد حَجز عباده بعضهم عن بعض بالقصاص .

٢٦٢٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولكم في القصاص حياة » ، قال : نكالٌ ، تَناهٍ . قال ابن جريج : حَياةٌ ، مَنعةٌ . ٦٨/٢

٢٦٢٤ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « ولكم في القصاص حياة »، قال : حياةٌ، بقية.[1] إذا خاف هذا أن يُقتل بي كفَّ عني ، لعله يكون عدوًّا لي يريد قتلي، فيذكر أن يُقْتَل في القصاص، فيخشى أن يقتل بي ، فيكفّ بالقصاص الذي خافَ أن يقتل ، لولا ذلك قتل هذا .

٢٦٢٥ — حدثت عن يعلى بن عبيد قال، حدثنا إسمعيل ، عن أبي صالح في قوله : « ولكم في القصاص حياة » ، قال : بقاء .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ولكم في القصاص من القاتل بقاء لغيره ، لأنه لا يقتل بالمقتول غيرُ قاتله في حكم الله . وكانوا في الجاهلية يقتلون بالأنثى الذكر وبالعبد الحرّ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٢٦ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولكم في القصاص حياة »، يقول : بقاء ، لا يقتل إلاّ القاتل بجنايته .

* * *

وأما تأويل قوله: « يا أولي الألباب »، فإنه: يا أولي العقول. « والألباب » جمع « اللب »، و « اللب » العقل .

* * *

وخص الله تعالى ذكره بالخطاب أهلَ العقول ، لأنهم هم الذين يعقلون عن الله أمره ونهيه ، ويتدبّرون آياته وحججه دونَ غيرهم .

* * *

(١) بقية : أي إبقاء . وأخشى أن تكون « تقية » بالتاء ، أي اتقاء ، كما يدل عليه سائر الأثر . وكلتاهما صحيحة المعنى .

القول فى تأويل قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « لعلكم تتقون » ، أى تتقون القصاص ، فتنتهون عن القتل ، كما :—

٢٦٩ — حدثنى به يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لعلكم تتقون »، قال : لعلك تتقى أن تقتله ، فتقتل به .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (١٨٠)

قال أبو جعفر: يعنى بقوله تعالى ذكره: « كُتب عليكم »، فُرض عليكم ، أيها المؤمنون ، الوصية = إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً — والخير : المال = للوالدين والأقربين الذين لا يرثونه ، بالمعروف : وهو ما أذن الله فيه وأجازه فى الوصية مما لم يجاوز الثلث ، ولم يتعمّد الموصى ظُلم وَرَثته = حقّا على المتقين = يعنى بذلك : فرض عليكم هذا وأوجبه ، وجعله حقّا واجباً على من اتقى الله فأطاعه أن يعمل به .

• • •

فإن قال قائل : أوَ فرضٌ على الرجل ذى المال أن يُوصى لوالديه وأقربيه الذين لا يرثونه ؟

قيل : نعم .

فإن قال : فإن هو فرّط فى ذلك فلم يوص لهم ، أيكون مضيّعاً فرضاً يحرج بتضييعه ؟

قيل : نعم .

فإن قال : وما الدلالة على ذلك ؟

قيل : قول الله تعالى ذكره : « كُتبَ عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً الوصيّةُ للوالدين والأقربين » ، فأعلم أنه قد كتبه علينا وفرضه ، كما قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٣] ، ولا خلاف بين الجميع أن تارك الصيام وهو عليه قادر ، مضيع بتركه فرضاً لله عليه . فكذلك هو بترك الوصية لوالديه وأقربيه وله ما يوصى لهم فيه ، مُضيعٌ فرْضَ الله عز وجل .

فإن قال : فإنك قد علمت أن جماعة من أهل العلم قالوا : الوصيةُ للوالدين والأقربين منسوخةٌ بآية الميراث ؟

قيل له : وخالفهم جماعةٌ غيرهم فقالوا : هى محكمةٌ غيرُ منسوخة . وإذا كان فى نسخ ذلك تنازع بين أهل العلم ، لم يكن لنا القضاءُ عليه بأنه منسوخٌ إلا بحجة يجب التسليم لها ، إذ كان غير مستحيل اجتماعُ حكمُ هذه الآية وحكمُ آية المواريث فى حال واحدةٍ على صحة ، بغير مدافعةِ حكم إحداهما حُكمَ الأخرى — وكان الناسخ والمنسوخ هما المعنيان اللذان لا يجوز اجتماع حكمهما على صحة فى حالة واحدة ، لنفى أحدهما صاحبه .

وبما قلنا فى ذلك قال جماعة من المتقدمين والمتأخرين .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٢٨ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك أنه كان يقول : من مات ولم يوُص لذوى قرابته . فقد ختم عمله بمعصية .

٢٦٢٩ — حدثنى سَلم بن جنادة .[1] قال ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ،

(١) فى المطبوعة : « سالم بن جنادة » . وهو خطأ . وقد مضى مراراً ، وانظر ترجمته فى رقم : ٤٨ .

عن مسلم ، عن مسروق : أنه حضر رجلاً فوصَّى بأشياء لا تنبغى ، فقال له مسروق : إنّ الله قد قسم بينكم فأحسن القَسْم ، وإنه من يرغب برأيه عن رأى الله يُضِلّه ، أوصِ لذى قرابتك ممن لا يرثك ، ثم دع المال على ما قسمه الله عليه .

٢٦٣٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو تميلة يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد ، عن الضحاك قال : لا تجوز وصية لوارث ، ولا يُوصى إلا لذى قرابة ، فإن أوصى لغير ذى قرابة فقد عمل بمعصية ، إلا أن لا يكون قرابة ، فيوصى لفقراء المسلمين .

٢٦٣١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة قال : العجبُ لأبى العالية ، أعتقته امرأة من بنى رياح ، وأوصى بما له لبنى هاشم !

٢٦٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن رجل ، عن الشعبى قال : لم يكن له [مَوالٍ] ، ولا كرامة .(١)

٢٦٣٣ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « لم يكن له حال ولا كرامة » . وهو خطأ بلا شك عندى . فإن هذا الخبر تعليق على الخبر السالف الذى تعجب فيه المغيرة من فعل أبى العالية : أعتقته امرأة من بنى رياح ، وأوصى بماله لبنى هاشم ! فرد الشعبى تعجب المغيرة فقال : إن أبا العالية لا موالى له ، ولا كرامة لأحد .

وخبر ذلك أن أبا العالية اشترته امرأة ، ثم ذهبت به إلى المسجد ، فقبضت على يده . فقالت : اللهم اذخره عندك ذخيرة ، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله ، ليس لأحد عليه سبيل إلا سبيل معروف . قال أبو العالية : والسائبة يضع نفسه حيث شاء . (ابن سعد ٧/١/٨١) .

والسائبة : العبد يعتق على أن لا ولاء له . واختلف الفقهاء فى ميراث السائبة ، إذا ترك ميراثاً : أيرثه معتقه ، أم لا يحل له أن يرزأ من ماله شيئاً ؟ قيل : لما هلك أبو العالية أتى مولاه بميراثه ، فقال : هو سائبة ! وأبى أن يأخذه . وفى حديث عمر : « السائبة والصدقة ليومهما » قال أبو عبيدة : أى ليوم القيامة ، واليوم الذى كان أعتق سائبته وتصدق بصدقة فيه . يقول : فلا يرجع إلى الانتفاع بشىء منها بعد ذلك فى الدنيا . وانظر ترجمة سالم مولى أبى حذيفة (ابن سعد ٣/١/٦٠) فقد كان سائبة ، وقتل يوم اليمامة فى عهد أبى بكر ، فأرسل أبو بكر ماله لمولاته فأبت أن تقبله ، فجعله عمر فى بيت المال .

فهذا ما أراد الشعبى أن يقول : إن أبا العالية سائبة ، فهو لا موالى له ، وماله يضعه حيث شاء ، ولا كرامة فى ذلك لأحد من الموالى ، لأن ذلك هو حكم السائبة .

هذا ما رأيت فى تصحيح هذه الجملة ، ولم أجدها فى مكان آخر ، فأسأل الله أن أكون قد بلغت التوفيق ، وجنبت الزلل .

أيوب ، عن محمد قال : قال عبد الله بن معمر فى الوصية : من سمَّى ، جعلناها حيثُ سمَّى — ومن قال : حيثُ أمرَ الله ، جعلناها فى قرابته .

٢/٦٩

٢٦٣٤ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى الصنعانى قال ، حدثنا المعتمر قال ، حدثنا عمران بن حُدير[1] قال : قلت لأبى مجلز : الوصية على كل مسلم واجبةٌ؟ قال : على من ترك خيراً .

٢٦٣٥ — حدثنا سوّار بن عبد الله قال ، حدثنا عبد الملك بن الصباح قال ، حدثنا عمران بن حدير[1] قال : قلت للاحق بن حُميد : الوصية حق على كل مسلم ؟ قال : هى حق على من ترك خيراً .

* * *

واختلف أهل العلم فى حكم هذه الآية .

فقال بعضهم : لم ينسخ الله شيئاً من حكمها ، وإنما هى آية ظاهرُها ظاهرُ عموم فى كل والد ووالدة والقريب ، والمرادُ بها فى الحكم البعضُ منهم دون الجميع ، وهو من لا يرث منهم الميت دون من يرث . وذلك قول من ذكرت قوله ، وقول جماعة آخرين غيرهم معهم .

* ذكر قول من لم يُذْكَر قولُه منهم فى ذلك :

٢٦٣٦ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنى أبى ، عن قتادة ، عن جابر بن زيد : فى رجل أوصى لغير ذى قرابة وله قرابةٌ محتاجون ، قال : يُرَدّ ثلثا الثلث عليهم ، وثلث الثلث لمن أوصى له به .

٢٦٣٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ قال ، حدثنا أبى ، عن قتادة ، عن الحسن وجابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى أنهم قالوا — فى الرجل يُوصى لغير ذى

(١) فى المطبوعة : « عمران بن جرير » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت . وهو عمران بن حدير السدوسى أبو عبيده البصرى ، صلى على جنازة خلف أنس . روى عن أبى مجلز ، وأبى قلابة وغيرهما وعنه معتمر بن سليمان وغيره . قال البخارى : مات سنة ١٩٤ . (تهذيب التهذيب)

وأبو مجلز ، هو لاحق بن حميد ، المذكور فى الإسناد التالى .

قرابته وله قرابة ممن لا يرثه ، قال : كانوا يجعلون ثُلثَى الثلث لذوى القرابة ، وثلث الثلث لمن أوصى له به .

٢٦٣٨ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حميد ، عن الحسن أنه كان يقول : إذا أوصى الرجل لغير ذى قرابته بثُلثه ، فلهم ثلث الثلث ، وثلثا الثلث لقرابته .

٢٦٣٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : من أوصى لقوم وسماهم ، وترك ذوى قرابته محتاجين ، انتُزِعتْ منهم وَرُدَّتْ إلى ذوى قرابته .

* * *

وقال آخرون : بل هى آية قد كان الحكم بها واجباً وعُمل به بُرهة ، ثم نَسخ الله منها بآية المواريث الوصيةَ لوالدى الموُصِى وأقربائه الذين يرثونه ، وأقرّ فرضَ الوصية لمن كان منهم لا يرثه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٤٠ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموت إن تَرك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين » ، فجعلت الوصية للوالدين والأقربين ، ثم نُسخ ذلك بعد ذلك ، فجعل لهما نصيبٌ مفروضٌ ، فصارت الوصية لذوى القرابة الذين لا يرثون ، وُجعل للوالدين نصيبٌ معلوم ، ولا تجوز وصية لوارث .

٢٦٤١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إن تَرك خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، قال : نسخ الوالدان منها ، وترك الأقربون ممن لا يرث .

٢٦٤٢ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله : « إن تَرك خيراً الوصية للوالدين

والأقربين » ، قال : نَسخ من يَرث ، ولم ينسخ الأقربين الذين لا يرثون .

٢٦٤٣ — حدثنا يحيى بن نصر قال ، حدثنا يحيى بن حسان قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : كانت الوصية قبلَ الميراث للوالدين والأقربين ، فلما نزل الميراث ، نَسخ الميراثُ من يرث ، وبقى من لا يرث . فمن أوصَى لذى قَرابته لم تجز وصيتُه . [1]

٢٦٤٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سُويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن إسمعيل المكى ، عن الحسن فى قوله : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، قال : نَسخ الوالدين ، وأثبتَ الأقربين الذين يُحرَمون فلا يرثون .

٢٦٤٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن فى هذه الآية : « الوصية للوالدين والأقربين » ، قال : للوالدين منسوخة ، والوصيةُ للقرابة وإن كانوا أغنياءَ .

٢٦٤٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن تَرَكَ خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، فكان لا يرث مع الوالدين غيرُهم ، إلا وصية إن كانت للأقربين ،

---

(١) الخبر : ٢٦٤٣ — يحيى بن نصر ، شيخ الطبرى : لم أعرف من هو ؟ ولم أجد فى الرواة من يدعى بهذا ، إلا رجلا قديماً لم يدركه الطبرى ، وهو « يحيى بن نصر بن حاجب القرشى » ، مات سنة ٢١٥ قبل أن يولد أبو جعفر . وهو مترجم فى ابن أبى حاتم ١٩٣/٢/٤ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٥٩ — ١٦٠ ، ولسان الميزان ٦ : ٢٧٨ — ٢٧٩ .

وفى تاريخ بغداد ١٤ : ٢٢٥ — ٢٢٦ ترجمة « يحيى بن أبى نصر ، أبو سعد الهروى » ، واسم أبيه منصور بن الحسن » . وهذا توفى سنة ٢٨٧ . ولكن يبعد أن يسمع من « يحيى بن حسان » المتوفى سنة ٢٠٨ .

وفى التهذيب ١١ : ٢٩٢ — ٢٩٣ ترجمة ثالثة : « يحيى بن النضر بن عبد الله الأصبهانى الدقاق » ، يروى عن أبى داود الطيالسى ، ويروى عنه أبو بكر بن أبى داود السجستانى . وهو مترجم أيضاً فى تاريخ إصبهان ٢ : ٣٥٧ — ٣٥٨ . فهذا من هذه الطبقة . ومن المحتمل جداً أن يكون هو الذى روى عنه الطبرى هنا .

وأما شيخه « يحيى بن حسان » : فهو التنيسى البكرى ، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٤/ ٢٦٩ ، والصغير : ٢٢٩ ، وابن أبى حاتم ١٣٥/٢/٤ .

فأنزل الله بعد هذا : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ﴾ [سورة النساء: ١١] ، فبين الله سبحانه ميراث الوالدين ، وأقرّ وصية الأقربين فى ثلث مال الميت .

٢٦٤٧ — حدثنى على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : : « إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين » ، فنسخ من الوصية الوالدين ، وأثبت الوصية للأقربين الذين لا يرثون .

٢٦٤٨ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إنْ ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » ، قال : كان هذا من قبل أن تُنزَّل «سورة النساء»، فلما نزلت آية الميراث نسخ شأنَ الوالدين ، فألحقهما بأهل الميراث ، وصارت الوصية لأهل القرابة الذين لا يرثون .

٢/٧٠ ٢٦٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، أخبرنا عطاء بن أبى ميمونة قال : سألت مسلم بن يسار والعلاء ابن زياد عن قول الله تبارك وتعالى: « إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين » ، قالا : فى القرابة .

٢٦٥٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن إياس ابن معاوية قال : فى القرابة .

* * *

وقال آخرون : بل نسخ الله ذلك كله وفرضَ الفرائض والمواريث ، فلا وصية تجب لأحد على أحد قريبٍ ولا بعيدٍ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٥١ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله :

« إن تَرَكَ خيراً الوصية للوَالدين والأقربين » الآية ، قال : فنسخ الله ذلك كله وفرضَ الفرائض .

٢٦٥٢ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس : أنه قام فخطب الناس ههنا ، فقرأ عليهم «سورة البقرة » ليبين لهم منها ، فأتى على هذه الآية : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، قال : نُسخت هذه .

٢٦٥٣ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، نسخت الفرائضُ التي للوالدين والأقربين الوصيةَ .

٢٦٥٤ ــ حدثني محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا سفيان ، عن جهضم ، عن عبد الله بن بدر قال ، سمعت ابن عمر يقول في قوله : « إن تَرَكَ خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين» ، قال: نسختْها آيةُ الميراث . قال ابن بشار : قال عبد الرحمن : فسألت جهضماً عنه فلم يحفظه .

٢٦٥٥ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد ،عن يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن البصري قالا : « إن تَرَكَ خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، فكانت الوصية كذلك حتى نسختها آية الميراث .

٢٦٥٦ ــ حدثني أحمد بن المقدام قال، حدثنا المعتمر قال ، سمعت أبي قال، زعم قتادة ، عن شريح في هذه الآية : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين» ، قال : كان الرجل يُوصي بماله كله ، حتى نزلت آية الميراث .

٢٦٥٧ ــ حدثنا أحمد بن المقدام قال، حدثنا المعتمر قال ، سمعت أبي قال ، زعم قتادة : أنه نسختْ آيتا المواريث في «سورة النساء»، الآيةَ في «سورة البقرة » في شأن الوصية .

٢٦٥٨ ــ حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ،

عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : «إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين» ، قال : كان الميراث للوَلد ، والوصية للوالدين والأقربين ، وهى منسوخة .

٢٦٥٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : كان الميراث للولد ، والوصية للوالدين والأقربين ، وهى منسوخة ، نسختها آيةٌ فى « سورة النساء» : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلَادِكُمْ ﴾ [سورة النساء : ١١]

٢٦٦٠ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين » ، أما الوالدان والأقربون ، فيوم نزلت هذه الآية كان الناس ليس لهم ميراث معلومٌ ، إنما يُوصى الرجل لوالده ولأهله فيقسم بينهم ، حتى نسختها «النساء» ، فقال : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلَادِكُمْ ﴾ .

٢٦٦١ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أيوب ، عن نافع : أن ابن عمر لم يُوصِ ، وقال : أمّا مالى ، فالله أعلمُ ما كنت أصنع فيه فى الحياة ، وأما رِباعى فما أحب أن يَشْرَك ولدى فيها أحد .

٢٦٦٢ — حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ، حدثنا محمد بن يوسف قال ، حدثنا سفيان ، عن نسير بن ذعلوق قال ، قال عروة — يعنى ابن ثابت — لربيع ابن خُثيم :[1] أوْصِ لى بمصحفك . قال : فنظر إلى أبيه فقال : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ ﴾ [سورة الأنفال : ٧٥] .

٢٦٦٣ — حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا يزيد ، عن سفيان ، عن الحسن ابن عبد الله ، عن إبراهيم قال : ذكرنا له أن زيداً وطلحة كانا يشدّدان فى الوصية ، فقال : ما كان عَليهما أن يفعلا ، مات النبى صلى الله عليه وسلم ولم يُوصِ ، وأوصَى أبو بكر ، أىَّ ذلك فعلتَ فحسنٌ .

---

(١) فى المطبوعة : « بن خيثم » ، وأثبت ما فى التهذيب ، وانظر ترجمته .

٢٦٦٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الحسن بن عبد الله ، عن إبراهيم قال : ذكر عنده طلحة وزيد فذكر مثله .

* * *

وأما «الخير» الذى إذا تركه تاركٌ وجب عليه الوصية فيه لوالديه وأقربيه الذين لا يرثون ، فهو : المال ، كما : ــ

٢٦٦٥ ــ حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن تركَ خيراً » ، يعنى مالاً .

٢٦٦٦ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « إن ترك خيراً » ، مالاً .

٢٦٦٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة[1] قال ، حدثنا شبل ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إن تَرَكَ خيراً » ، كان يقول : الخير فى القرآن كله : المال ، ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة العاديات : ٨] ، الخير : المال ــ ﴿وَأَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ [سورة ص : ٣٢] ، المال ــ ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة النور : ٣٣] ، المال = و ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ ، المالُ . ٧١/٢

٢٦٦٨ ــ حدثنا بشر بن مَعاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إن ترك خيراً الوصية » ، أى : مالاً .[2]

٢٦٦٩ ــ حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « أبو جعفر » والصواب « أبو حذيفة » ، وهو إسناد دائر فى التفسير أقربه آنفاً رقم : ٢٦٥٩ .

(٢) الأثر : ٢٦٦٨ ــ فى المطبوعة : « حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا سعيد » أسقط « حدثنا يزيد » ، وهو إسناد دائر فى التفسير أقربه آنفاً رقم : ٢٦٤٠ .

أسباط ، عن السدى : « إن تَرك خيراً الوصية » ، أما « خيراً » ، فالمالُ.

٢٦٧٠ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إن ترك خيراً » ، قال : إن ترك مالاً.

٢٦٧١ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله : « إن ترك خيراً » ، قال : الخيرُ المال .

٢٦٧٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، عن الضحاك فى قوله : « إن ترك خيراً الوصية » ، قال : المال . ألا ترى أنه يقول : قال شعيب لقومه : ﴿ إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ ﴾ [سورة هود : ٨٤] ، يعنى الغنى.

٢٦٧٣ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا محمد بن عمرو اليافعى ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح ، تلا : « كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً » ، قال عطاء : الخير فيما يُرى المال .

* * *

ثم اختلفوا فى مبلغ المال الذى إذا تركه الرجل كان ممن لزمه حكم هذه الآية .

فقال بعضهم : ذلك ألف درهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٧٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ابن يحيى ، عن قتادة فى هذه الآية « إن تَرَك خيراً الوصية » ، قال : الخيرُ ألف فما فوقه .

٢٦٧٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا هشام بن عروة ، عن عروة : أن على بن أبى طالب دخل على ابن عم لهُ يعوده ، فقال : إنّى أريد أن أوصى . فقال على : لا توص ، فإنك لم تترك خيراً فتوصى . قال : وكان ترك من السبعمئة إلى التسعمئة .

٢٦٧٦ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثني عثمان بن الحكم الحزامي[1] وابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب : أنه دخل على رجل مريض فذكر له الوصية، فقال : لا تُوص، إنما قال الله : « إن تَرك خيراً »، وأنت لم تترك خيراً . قال ابن أبي الزناد فيه : فدع مالك لبنيك .

٢٦٧٧ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور بن صفية، عن عبد الله بن عيينة — أو : عتبة، الشك مني — : أنّ رجلاً أراد أن يوصي وله ولد كثير، وترك أربعمئة دينار، فقالت عائشة : ما أرى فيه فضلاً .

٢٦٧٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال : دخل عليٌّ على مولى لهم في الموت وله سبعمئة درهم، أو ستمئة درهم، فقال : ألا أوصي؟ فقال : لا! إنما قال الله : « إن ترك خيراً »، وليس لك كثير مال .

* * *

وقال بعضهم ذلك ما بين الخمسمئة درهم إلى الألف .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٧٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أبان بن إبراهيم النخعيّ في قوله : « إن ترك خيراً »، قال : ألف درهم إلى خمسمئة .

* * *

وقال بعضهم : الوصية واجبة من قليل المال وكثيره .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) ضبطه في الخلاصة « بكسر المهملة » وفي التهذيب والميزان « الجذامي » بجيم مضمومة، ثم ذال معجمة .

٢٦٨٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى قال : جعل الله الوصية حقًّا ، مما قل منه أو كثر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى تأويل قوله : « كُتِبَ عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية » ما قال الزهرى . لأن قليلَ المال وكثيره يقع عليه «خيرٌ» ، ولم يحدّ الله ذلك بحدٍّ ، ولا خص منه شيئاً فيجوز أن يحال ظاهر إلى باطن . فكلّ من حضرته منيَّته وعنده مالٌ قلّ ذلك أو كثُر ، فواجبٌ عليه أن يوصى منه لمن لا يرثه من آبائه وأمهاته وأقربائه الذين لا يرثونه بمعروف ، كما قال الله جل ذكره وأمرَ به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك: فمن غيَّر ما أوصَى به الموصِى — من وصيته بالمعروف لوالديه أو أقربيه الذين لا يرثونه — بعد ما سمع الوصية ، فإنما إثم التبديل على من بدّل وصيته .

* * *

فإن قال لنا قائل: وعلامَ عادت « الهاء » التى فى قوله : « فمن بدّله » ؟

قيل: على محذوف من الكلام يدل عليه الظاهر. وذلك هو أمر الميت، وإيصاؤه إلى من أوصَى إليه، بما أوصَى به ، لمن أوْصَى له .

ومعنى الكلام : « كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًّا على المتقين» ، فأوصوا لهم ، فمن بدل ما أوصيتم به لهم بعد ما سمعكم توصون لهم ، فإنما إثم ما فعل من ذلك عليه دونكم .

وإنما قلنا إن « الهاء » فى قوله : « فمن بدله » عائدة على محذوف من الكلام يدل عليه الظاهرُ ، لأن قوله : « كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيرًا الوصية » من قول الله ، وأنّ تبديل المبدِّل إنما يكون لوصية الموصِى . فأما أمرُ الله بالوصية فلا يقدر هو ولا غيره أن يبدّله ، فيجوز أن تكون « الهاء » فى قوله: « فمن بدله » عائدة على « الوصية » .

٧٢/٢

وأما « الهاء » فى قوله: « بعد ما سمعه » ، فعائدة على « الهاء » الأولى فى قوله : « فمن بدّله » .

وأما « الهاء » التى فى قوله : « فإنما إثمه » ، فإنها مكنىُّ « التبديل » ، كأنه قال : فإنما إثم ما بدّل من ذلك على الذين يبدلونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك

٢٦٨١ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « فمن بدّله بعد ماسمعه » ، قال : الوصية .

٢٦٨٢ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٦٨٣ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله: « فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه » ، وقد وقع أجر الموصى على الله وَبرئ من إثمه ، وإن كان أوصى فى ضِرَارٍ لم تجز وصيته ، كما قال الله : ﴿ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ [سورة النساء : ١٢]

٢٦٨٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فمن بدّله بعد ما سمعه » ، قال : من بدّل الوصية بعد ما سمعها ، فإثم ما بدّل عليه .

٢٦٨٥ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا : عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه »، فمن بدَّل الوصية التي أُوصَى بها ، وكانت بمعروف ، فإنما إثمها على من بدَّلها . إنه قد ظلم .

٢٦٨٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن قتادة : أن عطاء بن أبي رباح قال فى قوله : « فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه » ، قال : يُمضىَ كما قال .

٢٦٨٧ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن : « فمن بدَّله بعد ما سمعه » ، قال : من بدل وصية بعد ما سمعها .

٢٦٨٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال ، حدثنا يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن فى هذه الآية : « فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه »، قال : هذا فى الوصية ، من بدَّلها من بعد ما سمعها ، فإنما إثمه على من بَدَّله .

٢٦٨٩ — حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبى ، عن قتادة ، عن عطاء وسالم بن عبد الله وسليمان بن يسار أنهم قالوا : تُمضى الوصية لمن أوصَى له به = إلى ههنا انتهى حديث ابن المثنى ، وزاد ابن بشار فى حديثه = قال قتادة : وقال عبد الله بن معمر : أعجبُ إلىّ لو أوْصى لذوى قرابته ، وما يعجبنى أن أنزعه ممن أوصَى له به . قال قتادة : وأعجبه إلىّ لمن أوصى له به ، قال الله عز وجل : « فمن بدَّله بعدَ ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٨١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : «إن الله سميع» = لوصيتكم التى أمرتكم أن توُصوا بها لآبائكم وأمهاتكم وأقربائكم حين توصون بها ، أتعدلون فيها على ما أذِنت لكم من فعل ذلك بالمعروف، أم تَحيفون فتميلون عن الحق وتجورون عن القصد؟ = «عليمٌ» بما تخفيه صدوركم من الميل إلى الحق، والعدل، أم الجور والحيْف.

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٨٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل هذه الآية .

فقال بعضهم : تأويلها : فمن حضر مريضاً وهو يوصى عند إشرافه على الموت، فخاف أن يخطئ فى وصيته فيفعل ما ليس له ، أو أن يعمد جورًا فيها فيأمر بما ليس له الأمر به ، فلا حرج على من حَضره فسمع ذلك منه أنْ يصلح بينه وبين وَرَثته ، بأن يأمره بالعدل فى وصيته ، وأن ينهاهم عن مَنعه مما أذن الله له فيه وأباحه له .

• ذكر من قال ذلك :

٢٦٩٠ ـ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : «فمن خافَ من مُوص جَنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه» ، قال : هذا حين يُحضَر الرجلُ وهو يموت ، فإذا

أسرف أمروه بالعدل ، وإذا قصَّر قالوا : افعل كذا ، أعطِ فلاناً كذا .

٢٦٩١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « فمن خافَ من مُوصٍ جَنفا أو إثما » ، قال : هذا حين يُحضَر الرجلُ وهو فى الموت ، فإذا أشرف على الجور أمروه بالعدل ،[1] وإذا قصر عن حق قالوا : افعل كذا ، أعط فلاناً كذا .

• • •

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمن خافَ — من أولياء ميت ،[2] أو والى أمر المسلمين — من مُوص جنفا فى وصيته التى أوصى بها الميت ، فأصلح بين وَرَثته وبين الموصى لهم بما أوصَى لهم به ، فرد الوصية إلى العدل والحقّ ، فلا حرج ولا إثم .

ذكر من قال ذلك :

٢٦٩٢ — حدثنى المثنى ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « فمن خاف من مُوص جَنفاً » — يعنى : إثْماً — يقول : إذا أخطأ الميت فى وصيته أو حاف فيها ، فليس على الأولياء حرجٌ أن يردوا خطأه إلى الصواب . ٧٣/٢

٢٦٩٣ — حدثنا الحسن بن يحيى ،[3] حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فمن خافَ من مُوص جَنفاً أو إثماً » ، قال : هو الرجل يوُصى

---

(١) فى المطبوعة : « فإذا أشرف على الموت أمروه بالعدل » ، وهو لا يستقيم مع سياق الخبر ، ولا مع الخبر الذى قبله عن مجاهد أيضاً . ورجحت أن يكون الناسخ صحف « الجور » فجعلها « الموت » أو سها أو سبق قلمه . أو لعله أخطأ وصحف وزاد ، وأن أصل عبارته كالسياق قبله : « فإذا أسرف أمروه بالعدل » . وكلاهما جائز وصواب فى المعنى .

(٢) فى المطبوعة : « أوصياء ميت » ، وهما سواء .

(٣) فى المطبوعة : « الحسن بن عيسى » وهو خطأ صرف ، وهو إسناد دائر فى التفسير أقربه إلينا رقم : ٢٦٨٤ .

فيحيف فى وصيته ، فيردها الولىّ إلى الحقّ والعدل. [1]

٢٦٩٤ ــ حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « فمن خاف من مُوص جَنفاً أو إثماً » ، وكان قتادة يقول : من أوصى بجورٍ أو حيْف فى وصيته فردها وَلىّ المتوفى أو إمام من أئمة المسلمين ، إلى كتاب الله وإلى العدل ، فذاك له .

٢٦٩٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فمن خافَ من مُوص جَنفاً أو إثماً » ، فمن أوصى بوصية بجور ، فردّه الوصىُّ إلى الحق بعد موته ، فلا إثم عليه ــ قال عبد الرحمن فى حديثه : « فأصلح بينهم » ، يقول : رده الوصىّ إلى الحق بعد موته ، فلا إثم عليه .

٢٦٩٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن إبراهيم : « فمن خافَ من مُوص جَنفاً أو إثماً فأصْلح بينهم » ، قال : رده إلى الحق .

٢٦٩٧ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن إبراهيم قال : سألته عن رجل أوصى بأكثر من الثلث ؟ قال : اردُدها . ثم قرأ : « فمن خاف من مُوص جَنفاً أو إثماً » .

٢٦٩٨ ــ حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا خالد بن زيد صاحب اللؤلؤ قال ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس : « فمن خاف من مُوص جَنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه » ، قال : رده الوصى إلى الحق بعد موته ، فلا إثم على الوصى .

* * *

وقال بعضهم : بل معنى ذلك : فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فى عطيته

---

(١) فى المطبوعة : « الوالى » ، والصواب ما أثبت ، أى ولى الميت .

عند حضور أجله بعضَ ورثته دون بعض، فلا إثم على من أصلح بينهم = يعني : بين الورثة.

ذكر من قال ذلك :

٢٦٩٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء قوله : «فمن خاف من موص جَنفاً أو إثماً»، قال : الرجل يحيف أو يأثم عند موته، فيعطي ورثته بعضَهم دون بعض، يقول الله : فلا إثم على المصلح بينهم. فقلت لعطاء : أله أن يُعطي وارثه عند الموت، إنما هي وصية، ولا وصية لوارث؟ قال : ذلك فيما يَقسم بينهم.

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن خاف من مُوص جنفاً أو إثماً في وصيته لمن لا يرثه، بما يرجع نفعه على من يَرثه، فأصلح بينَ وَرَثته، فلا إثم عليه.

ذكر من قال ذلك :

٢٧٠٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، أخبرني ابن طاوس، عن أبيه أنه كان يَقول : جَنفُه وإثمه، أنْ يوصي الرجل لبني ابنه ليكونَ المالُ لأبيهم، وتوصي المرأة لزوج ابنتها ليكون المال لابنتها؛ وذو الوارث الكثير والمالُ قليل، فيوصي بثلث ماله كله، فيصلح بينهم الموصَى إليه أو الأمير. قلت : أفي حياته أم بعد موته؟ قال : ما سمعنا أحداً يقول إلاّ بعد موته، وإنه ليوعظ عند ذلك.

٢٧٠١ — حدثني الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة، عن ابن طاوس، عن أبيه في قوله : «فمن خافَ من موص جَنفاً أو إثماً فأصلح بينهم»، قال : هو الرجل يوصي لولد ابنته.

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمن خاف من موص لآبائه وأقربائه جَنفاً على بعضهم لبعض. فأصلح بين الآباء والأقرباء. فلا إثم عليه.

ذكر من قال ذلك

٢٧٠٢ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن خافَ من مُوص جَنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه» . أما « جَنفاً » : فخطأ فى وصيته ،وأما « إثماً» : فعمداً يَعمد فى وصيته الظلم . فإن هذا أعظمُ لأجره أن لا يُنفذها ، ولكن يصلح بينهم على ما يرى أنه الحق ، ينقص بعضاً ويزيد بعضاً . قال : ونزلت هذه الآية فى الوالدين والأقربين .

٢٧٠٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « فمن خافَ من مُوص جَنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه »، قال : « الجنَف » أن يحيف لبعضهم على بعض فى الوصية ، « والإثم » أن يكون قد أثم فى أبويه بعضهم على بعض، «فأصلح بينهم» الموصَى إليه بين الوالدين والأقربين — الابن والبنون هُم «الأقربون» — فلا إثم عليه. فهذا الموصَى الذى أوْصى إليه بذلك، وجعل إليه، فرأى هذا قد أجنفَ لهذا على هذا ، فأصلح بينهم فلا إثم عليه ، فيعجز الموصِي أن يوصى كما أمره الله تعالى ، وعجز الموصَى إليه أن يصلح ، فانتزع الله تعالى ذكره ذلك منهم ، ففرَضَ الفرائض .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل الآية أن يكون تأويلها : فمن خاف من مُوصٍ جَنفاً أو إثماً = وهو أن يميل إلى غير الحق خطأ منه ، أو يتعمد إثماً فى وصيته ، بأن يوصى لوالديه وأقربيه الذين لا يرثونه بأكثر مما يجوز له أن يوصى لهم به من ماله، وغير ما أذن الله له به مما جاوز الثلث أو بالثلث كله، وفى المال قلة ، وفى الورَثة كثرةٌ = فلا بأس على من حضره أن يصلح بين الذين يُوصَى لهم ، وبين ورثة الميت ، وبين الميت، بأن يأمرَ الميت فى ذلك بالمعروف ويعرِّفه ما أباح الله له فى ذلك وأذن له فيه من الوصية فى ماله ، وينهاه أن يجاوز فى وصيته المعروف الذى قال الله تعالى ذكره فى كتابه : « كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » ، وذلك هو « الإصلاح » الذى

٧٤/٢

قال الله تعالى ذكره : « فأصلح بينهم فلا إثم عليه » . وكذلك لمن كان فى المال فَضْل وكثرةٌ وفى الورثة قِلة ، فأراد أن يقتصر فى وصيته لوالديه وأقربيه عن ثلثه ، فأصلح من حَضرَه بينه وبين ورثته وبين والديه وأقربيه الذين يريد أن يوصى لهم ، بأن يأمر المريض أن يزيد فى وصيته لهم ، ويبلغ بها ما رَخّص الله فيه من الثلث . فذلك أيضاً هو من الإصلاح بينهم بالمعروف .

وإنما اخترنا هذا القول ، لأن الله تعالى ذكره قال : « فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً » ، يعنى بذلك : فمن خاف من موص أن يَجْنَف أو يأثم . فخوفُ الجنف والإثم من الموصى ، إنما هو كائن قبل وقوع الجنف والإثم ، فأما بعد وجوده منه ، فلا وجه للخوف منه بأن يَجنف أو يأثم ، بل تلك حال مَنْ قد جَنفَ أو أثم . ولوْ كان ذلك معناه لقيل : فمن تبيّن من مُوص جَنفاً أو إثماً — أو أيقن أو علم — ولم يقل : فمن خافَ منه جَنفاً .

* * *

فإن أشكل ما قلنا من ذلك على بعض الناس فقال : فما وجه الإصلاح حينئذ، والإصلاح إنما يكون بين المختلفين فى الشىء ؟

قيل : إنّ ذلك وإن كان من معانى الإصلاح ، فمن الإصلاح الإصلاحُ بين الفريقين ،[1] فيما كان مخوفاً حدوثُ الاختلاف بينهم فيه ، بما يؤمن معه حُدوث الاختلاف . لأن « الإصلاح » ، إنما هو الفعل الذى يكون معه إصلاحُ ذات البين ، فسواء كان ذلك الفعل الذى يكون معه إصلاح ذات البين — قبلَ وقوع الاختلاف أو بعد وقوعه .

فإن قال قائل : فكيف قيل : « فأصلح بينهم » ، ولم يجر للورثة ولا للمختلفين، أو المخوف اختلافهم ، ذكرٌ ؟

(١) فى المطبوعة : « لمن الإصلاح بين الفريقين ... » ، والصواب زيادة ، « الإصلاح » ، كما يدل عليه السياق .

قيل : بل قد جرى ذكر الذين أمر الله تعالى ذكره بالوصية لهم ، وهم والدا المُوصى وأقربوه ، والذين أمروا بالوصية فى قوله : « كُتبَ عليكم إذا حَضر أحدكم الموتُ إن تَركَ خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » ، ثم قال تعالى ذكره : « فمن خافَ من مُوص » — لمن أمرته بالوصية له — « جَنفاً أو إثماً فأصلح بينهم » — وبين من أمرته بالوصية له — « فلا إثم عليه » . والإصلاح بينه وبينهم ، هو إصلاح بينهم وبين ورثة الموصى .

* * *

قال أبو جعفر : وقد قرئ قوله : « فمنْ خَافَ منْ مُوص » بالتخفيف فى « الصاد » والتسكين فى « الواو » — وبتحريك « الواو » وتشديد « الصاد » .

فمن قرأ ذلك بتخفيف « الصاد » وتسكين « الواو » ، فإنما قرأه بلغة من قال : « أوصيتُ فلاناً بكذا » .

ومن قرأ بتحريك « الواو » وتشديد « الصاد » ، قرأه بلغة من يقول : « وصَّيت فلاناً بكذا » . وهما لغتان للعرب مشهورتان : « وصَّيتك ، وأوصيتك »[1]

* * *

وأما « الجنف » ، فهو الجورُ والعدول عن الحق فى كلام العرب ، ومنه قول الشاعر :[2]

هُمُ المَوْلَى وَإِنْ جَنَفُوا عَلَيْنَا وَإِنَّا مِنْ لِقَائِهِمُ لَزُورُ[3]

يقال منه : « جَنف الرجل على صاحبه يَجنَف » — إذا مال عليه وَجار — « جَنفاً » .

* * *

(١) انظر تفسير (وصى) فيما سلف من هذا الجزء ٣ : ٩٢ — ٩٦

(٢) هو عامر الخصفى ، من بنى خصفة بن قيس عيلان .

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٦٦ ، ٦٧ ، ومشكل القرآن : ٢١٩ ، واللسان (جنف) (ولى) . والمولى : ابن العم ، وأقام المفرد مقام الجمع ، وأراد « الموالى » ، قال أبو عبيدة هو كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ وزور جمع أزور : وهو المائل عن الشيء . يقول : هم أبناء عمنا ، ونحن نكره أن نلاقيهم فنقاتلهم ، لما لهم من حق الرحم .

فمعنى الكلام من خاف من موص "جنفاً" له بموضع الوصية ، وميلاً عن الصواب فيها ، وجوراً عن القصد أو إثماً بتعمده ذلك على علم منه بخطأ ما يأتى من ذلك ، فأصلح بينهم ، فلا إثم عليه .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى معنى « الجنف » « والإثم » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٠٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « فمن خاف من موص جنفاً » ، يعنى : بالجنف الخطأ .

٢٧٠٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « فمن خاف من موص جنفاً » ، قال : ميلاً .

٢٧٠٦ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء مثله .

٢٧٠٧ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا خالد بن الحارث ويزيد بن ابن هرون قالا ، حدثنا عبد الملك ، عن عطاء مثله .

٢٧٠٨ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : الجنفُ الخطأ ، والإثم العمد .

٢٧٠٩ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا [أبو أحمد] الزبيرى قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن عطاء مثله .

٢٧١٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن خاف من مُوص جنفاً أو إثماً » ، أما « جنفاً » فخطأ فى وصيته ، وأما « إثماً » فعمداً ، يعمد فى وصيته الظلم .[1]

٢٧١١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) الأثر : ٢٧١٠ — مضى رقم : ٢٧٠٢ مطولا .

عن ابن أبي نجيح ،عن مجاهد في قوله : « فمن خافَ من مُوص جنفاً أو إثماً » ، قال : خطأً أو عمدًا .(١)

٢٧١٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبي جعفر ، عن أبي جعفر ، عن الربيع : « فمن خاف من مُوص جَنفاً أو إثماً » ، قال : الجنف الخطأ ، والإثم العمد . ٧٥/٢

٢٧١٣ — حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا خالد بن يزيد صاحب اللؤلؤ قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس مثله .

٢٧١٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا قبيصة ، عن سفيان، عن أبيه ، عن إبراهيم : « فمن خاف من مُوص جَنفاً أو إثماً » ، قال : الجنف الخطأ ، والإثم العمد .

٢٧١٥ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل ابن مرزوق، عن عطية: « فمن خاف من مُوص جَنفاً » ، قال : خطأ، « أو إثماً » متعمداً .

٢٧١٦ — حدثني المثنى قال: حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « فمن خافَ من مُوص جَنفاً » ، قال : ميلاً .

٢٧١٧ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال،قال ابن زيد في قوله : « جَنفاً » حَيْفاً ، « والإثم » ميله لبعض على بعض . وكلّه يصير إلى واحد ، كما يكون « عفوًّا غفوراً » و « غفوراً رحيماً ».

٢٧١٨ — حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن

---

(١) الأثر : ٢٧١١ — كان في المطبوعة: « فمن خاف من موص جنفاً » قال : جنفاً إثما » ، وهي عبارة مضطربة فاسدة ، فلم أستجز تركها على فسادها وفقلت قول مجاهد الذي أخرجه سفيان بن عيينة وعبد بن حميد فيما نقله السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٧٥ .

جريج قال ، قال ابن عباس : الجنف « الخطأ ، والإثم العمد .

٢٧١٩ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، حدثنا الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قال : الجنف الخطأ ، والإثم العمد .[1]

* * *

وأما قوله : « إنَّ اللهَ غفورٌ رَحيم » ، فإنه يعنى : واللهَ غفورٌ للموصى[2] = فيما كان حدَّث به نفسه من الجنف والإثم ، إذا تَرَك أن يأثم ويَجنف فى وصيته ، فتجاوزَ له عما كان حدَّث به نفسه من الجور ، إذ لم يُمْضِ ذلك فيُغْفِل أن يؤاخذه به[3] = « رحيمٌ » بالمصلح بينَ المُوصى وبين من أراد أن يَحيف عليه لغيره ، أو يَأثَم فيه له .

* * *

(١) الخبر : ٢٧١٩ — الحسين بن الفرج الخياط البغدادى : شيخ لا يعبأ بروايته ، قال فيه ابن معين : « كذاب ، صاحب سكر ، شاطر » ؛ مترجم فى ابن أبى حاتم ١/٢/٦٢-٦٣ ، وتاريخ إصبهان ١ : ٢٦٦ — ٢٦٧ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٨٤ — ٨٦ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٠٧ . والطبرى يروى عنه فى التفسير كثيراً بإسناد مجهل ، يقول : « حدثت عن الحسين بن الفرج » . ولعل ذلك من أجل ضعف حديثه ، فلا يصل الإسناد إليه . وصرح فى بعض مرات فى التاريخ باسم من حدثه عنه ، انظر التاريخ ١ : ٣٠ ، ٤٢ .

ويقع اسمه فى المطبوعة على الصواب ، كما فى ٢٨٩٨ . وكثيراً ما يقع خطأ مصحفاً : « الحسن بن الفرج » ، كما فى هذا الموضع ، وكما فى : ٢٧٥٠ . ومن ذلك ما مضى : ٦٩١ ، وقلت هناك : « لم أعرف من هو ؟ » . فيصحح فى ذاك الموضع ، وحيثما جاء فى التفسير .

الفضل بن خالد : مضت ترجمته : ٦٩١ .

(٢) كان فى المطبوعة : « غفور رحيم للموصى . . . » ، وليس صواباً ، وسياق عبارته دال على صواب ما أثبتنا .

(٣) فى المطبوعة : « فيفعل أن يؤاخذه به » ، ولعل الصواب ما أثبت .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « يا أيها الذين آمنوا » ، يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بهما وأقرّوا .(١)

ويعنى بقوله : « كتب عليكم الصيام » ، فرض عليكم الصيام.(٢)

* * *

و « الصيام » مصدر ، من قول القائل : « صُمت عن كذا وكذا » — يعنى : كففت عنه — « أصوم عنه صوْماً وصياماً » . ومعنى « الصيام » ، الكف عما أمر الله بالكف عنه . ومن ذلك قيل : « صامت الخيل » ، إذا كفت عن السير ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

خَيْلٌ صِيَامٌ ، وخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ العَجَاجِ ، وأُخْرَى تَعْلُكُ اللُّجُمَا(٣)

ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً ﴾ [سورة مريم : ٢٦] يعنى : صمتاً عن الكلام .

* * *

وقوله : « كما كُتب على الذين من قبلكم » ، يعنى فرض عليكم مثل الذى فرض على الذين منْ قبلكم .

---

(١) انظر تفسير « الإيمان » فيما سلف ١ : ٢٣٤ — ٢٣٥ ، والمراجع فى فهرس اللغة .

(٢) انظر تفسير « كتب » فيما سلف فى هذا الجزء ٣ : ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥

(٣) ديوانه : ١٠٦ (زيادات) واللسان (علك) (صام) ، ولكنه من قصيدته التى أولها :

* بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْجَذَمَا *

وقد فسر « صامت الخيل » بأنها الإمساك عن السير ، وعبارة اللغة ، « صام الفرس » إذا قام فى آريه لا يعتلف ، أو قام ساكناً لا يطعم شيئاً . وقال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير ، فهو صائم . والعجاج : الغبار الذى يثور ، يعنى أنها فى المعركة لا تقر . وعلك الفرس لجامه : لاكه وحركه فى فيه .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله بقوله « كما كُتِبَ على الذين من قبلكم »، وفى المعنى الذى وَقعَ فيه التشبيه بين فرضِ صومنا وصوم الذين من قبلنا .

فقال بعضهم : الذين أخبرنا الله عن الصوم الذى فرضه علينا ، أنه كمثل الذى كان عليهم ، هم النصارى . وقالوا : التشبيه الذى شَبه من أجله أحدَهما بصاحبه ، هو اتفاقهما فى الوقت والمقدار الذى هو لازم لنا اليوم فرضُه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢٠ — حدثت عن يحيى بن زياد، عن محمد بن أبان [القرشى]، عن أبى أمية الطنافسى ، عن الشعبى أنه قال : لو صُمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذى يشك فيه فيقال من شعبان ، ويقال : من رمضان . وذلك أن النصارى فُرض عليهم شهر رَمضان كما فرض علينا فحوّلوه إلى الفصل . وذلك أنهم كانوا ربما صاموه فى القيظ يعدون ثلاثين يوماً .[1] ثم جاء بعدهم قرن فأخذوا بالثقة من أنفسهم ، فصاموا قبل الثلاثين يوماً وبعدها يوماً . ثم لم يزل الآخرُ يستن سنّة القرن الذى قبله حَتى صارت إلى خمسين.[2] فذلك قوله : « كتبَ عليكم الصيام كما كتبَ عَلى الذين من قَبلكم ».[3]

* * *

(١) فى معانى القرآن للفراء : « فعدوه ثلاثين يوماً » .

(٢) فى معانى القرآن : « يستن سنة الأول حتى صارت . . . » .

(٣) الخبر : ٢٧٢٠ — يحيى بن زياد أبو زكرياء : هو الفراء الإمام النحوى ، وهو ثقة معروف مترجم فى التهذيب . وتاريخ بغداد ١٤ : ١٤٩ — ١٥٥ . وفى دواوين كثيرة .

محمد بن أبان : نقل أخى السيد محمود محمد شاكر أن هذا الخبر مذكور فى كتاب « معانى القرآن » الفراء رواه عن « محمد بن أبان القرشى » . ومحمد بن أبان القرشى : هو « محمد بن أبان بن صالح بن عمير » ، مولى لقريش . ترجمه البخارى فى الكبير ١/١/٣٤ ، برقم ٥٠ وقال « يتكلمون فى حفظه » وذكر فى الصغير مرتين ، ص ١٨٨ ، ٢١٤ وقال فى أولاهما « يتكلمون فى حفظ محمد بن أبان ، لا يعتمد عليه » وقال فى الضعفاء ، ص ٣٠ « ليس بالقوى »

وقال آخرون : بل التشبيه إنما هو من أجل أنّ صومهم كان من العشاء الآخرة إلى العشاء الآخرة . وذلك كان فرضُ الله جل ثناؤه على المؤمنين فى أول ما افترض عليهم الصوم . ووافق قائلو هذا القول القائلى القولَ الأوّلَ : أن الذين عَنى الله جل ثناؤه بقوله : « كما كُتبَ على الذين من قبلكم » ، النصارى .

• ذكر من قال ذلك :

٢٧٢١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، أما الذين من قبلنا : فالنصارى ، كتب عليهم رمضان ، وكتب عليهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم ، ولا ينكحوا النساءَ شهر رمضان . فاشتد على النصارى صيامُ رَمضان ، وجعل يُقلَّبُ عليهم فى الشتاء والصيف . فلما رأوا ذلك اجتمعوا فجعلوا صياماً فى الفصل بين الشتاء والصيف ، وقالوا : نزيد عشرين يوماً نكفّر بها ما صنعنا ! فجعلوا صيامهم خمسين . فلم يزل المسلمون على ذلك يَصنعون كما تصنع النصارى ، حتى كان من أمر أبى قيس بن صرمة وعمر بن الخطاب ، ما كان ،[1] فأحل الله لهم الأكل والشرب والجماعَ إلى طُلوع الفجر . ٢/٧٦

وكذلك ترجمه ابن أبى حاتم ١٩٩/٢/٣ ، برقم : ١١١٩ ، وروى تضعيفه عن يحيى بن معين .

والراجح عندى أنه هو الذى روى عنه الفراء ، فإن ابن أبى حاتم ذكر من الرواة عن القرشى هذا — أبا داود الطيالسى ، وهو من طبقة الفراء .

وأما ترجمته فى التهذيب ٩ : ٢ — ٣ فإنها مختلة مضطربة ، خلط فيها بين هذا وبين « محمد بن أبان الواسطى » ، وشتان بينهما . والواسطى مترجم عند البخارى ، برقم : ٤٨ ، وعند ابن أبى حاتم ، برقم : ١١٢١ . وكلاهما لم يذكر فيه جرحاً .

« عن أبى أمية الطنافسى » : كذا ثبت هنا . وليس لأبى أمية الطنافسى ترجمة ولا ذكر ، فيما رأينا من المراجع . وإنما المترجم ابنه « عبيد بن أبى أمية » . وهو الذى يروى عن الشعبى . وهو مترجم فى التهذيب وابن أبى حاتم ٤٠١/٢/٢ .

وهذا الخبر فى معانى القرآن للفراء ١ : ١١١ ، ونقله السيوطى ١ : ١٧٦ ، ولم ينسبه لغير الطبرى . ولكنه اختصره جداً . كأنه تلخيص لا نقل .

(١) سيأتى خبر أبى صرمة وعمر فى الآثار رقم : ٢٩٣٥ — ٢٩٥٢ .

٢٧٢٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « كتب عليكم الصيامُ كما كتب على الذين من قبلكم » ، قال : كتب عليهم الصوم من العتمة إلى العتمة .

* * *

وقال آخرون : الذين َعنى الله جل ثناؤه بقوله : « كما كتب على الذين من قبلكم » ، أهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، أهل الكتاب .

* * *

وقال بعضهم : بل ذلك كان على الناس كلهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « كتب عليكم الصيامُ كما كتب على الذين من قبلكم » ، قال : كتب شهرُ رمضان على الناس ، كما كُتب على الذين من قبلهم . قال : وقد كتب الله على الناس قبل أن ينزل رمضانُ صَوْمَ ثلاثة أيام من كل شهر .

٢٧٢٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، رمضانُ ، كتبه الله على من كان َقبلهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معنى الآية : يا أيها الذين آمنوا ُفرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب ، « أياماً معدودات » ، وهي شهر رمضان كله . لأن مَن بعدَ إبراهيم

صلى الله عليه وسلم كان مأموراً باتباع إبراهيم ، وذلك أن الله جل ثناؤه كان جعله للناس إماماً ، وقد أخبرنا الله عز وجل أن دينه كان الحنيفيةَ المسلمةَ ، فأمر نبينا صلى الله عليه وسلم بمثل الذى أمر به مَنْ قبله من الأنبياء .

وأما التشبيه ، فإنما وقع على الوقت . وذلك أن مَنْ كان قبلنا إنما كان فرِض عليهم شهر رمضان ، مثل الذى فُرض علينا سواء .

* * *

وأما تأويل قوله : « لعلكم تتقون » ، فإنه يعنى به : لتتقوا أكل الطعام وشرب الشراب وجماع النساء فيه.[1] يقول : فرضت عليكم الصوم والكفّ عما تكونون بترك الكف عنه مفطرين ، لتتقوا ما يُفطركم فى وقت صومكم .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢٦ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما قوله : « لعلكم تتقون » ، يقول : فتتقون من الطعامِ والشرابِ والنساءِ مثل ما اتقوا — يعنى : مثل الذى اتقى النصارى قبلكم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره ، كتب عليكم أيها الذين آمنوا — الصيامُ أياماً معدودات .

ونصبَ« أياماً » بمضمر من الفعل، كأنه قيل: كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ،أن تصوموا أياماً معدودات ، كما يقال : « أعجبنى الضربُ، زيداً» .

* * *

(١) انظر تفسير « لعل » بمعنى « لكى » ١ : ٣٦٤ ، ٣٦٥ / ثم ٢ : ٦٩ ، ١٦١ ، واطلبه فى الفهرس أيضاً .

وقوله : « كما كتب على الذين من قبلكم » من الصيام ، كأنه قيل : كتب عليكم الذى هو مثل الذى كتب على الذين من قبلكم : أن تصوموا أياماً معدودات .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيما عَنى الله جل وعز بقوله : « أياماً معدودات » .

فقال بعضهم : « الأيام المعدودات » ، صومُ ثلاثة أيام من كل شهر . قال : وكان ذلك الذى فُرض على الناس من الصيام قبل أن يُفرض عليهم شهرُ رمضان .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء قال : كان عليهم الصيامُ ثلاثة أيام من كل شهر ، ولم يُسمِّ الشهرَ أياماً معدودات . قال : وكان هذا صيام الناس قبل ، ثم فرض الله عز وجل على الناس شهرَ رمضان .

٢٧٢٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »، وكان ثلاثةَ أيام من كل شهر ، ثم نسخ ذلك بالذى أنزل من صيام رمضان . فهذا الصوم الأول، من العتمة.

٢٧٢٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن معاذ بن جبل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصامَ يومَ عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر ، ثم أنزل الله جل وعزّ فرضَ شهر رمضان ، فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » حتى بلغ « وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مِسكين » .(١)

---

(١) الحديث : ٢٧٢٩ — يونس بن بكير : مضت ترجمته ، فى : ١٦٠٥ . ووقع فى المطبوعة هنا « بشر بن بكير » ، وهو خطأ واضح . وسيأتى هذا الحديث بهذا الإسناد — بأطول مما هنا — على الصواب ، برقم : ٢٧٣٣ .

٢٧٣٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : قد كتب الله تعالى ذكره على الناس ، قبلَ أن ينزل رمضان ، صومَ ثلاثة أيام من كل شهر .

* * *

وقال آخرون : بل الأيام الثلاثةُ التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومُها قبل أن يفرض رمضان ، كان تطوعاً صومُهُنّ . وإنما عنى الله جل وعز بقوله : « كتب عليكم الصيامُ كما كتب على الذين من قبلكم أياماً معدودات » ، أيامَ شهر رمضان، لا الأيامَ التى كان يصومهن قبل وُجوب فرض صَوم شهر رمضان . ٧٧/٢

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٣١ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال ، حدثنا أصحابنا : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليهم أمرَهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعاً لا فريضةً . قال : ثم نزل صيام رمضان – قال أبو موسى : قوله : « قال عمرو بن مرة : حدثنا أصحابنا »

عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة : هو المسعودى ، وهو ثقة . تكلموا فيه بأنه تغير فى آخر حياته قبل موته بسنة أو سنتين . مات سنة ١٦٠ . مترجم فى التهذيب . وابن سعد ٦ : ٢٥٤، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٥٠ – ٢٥٢ .

وهذا الحديث قطعة من حديث مطول، فى أحوال الصلاة، وفى أحوال الصيام . مضت قطعة صغيرة منه ، فى شأن الصلاة إلى بيت المقدس : ٢١٥٦ ، من طريق أبى داود الطيالسى ، عن المسعودى .

ورواه أحمد فى المسند بطوله ٥ : ٢٤٦ – ٢٤٧ (حلبى)، عن أبى النضر ، يزيد بن هرون – كلاهما عن المسعودى. وكذلك رواه أبو داود السجستانى : ٥٠٧ ، من طريق أبى داود الطيالسى ، ويزيد بن هرون.

وروى الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٧٤ ، شطره الذى فى أحوال الصيام ، من طريق أبى النضر ، عن المسعودى . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

ونقله ابن كثير ١ : ٤٠٢ – ٤٠٤ ، كاملا ، عن رواية المسند بإسنادها . وذكره السيوطى ، كاملا أيضاً ١ : ١٧٥ – ١٧٦ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى سننه .

يريد ابن أبى ليلى ، كأنّ ابنَ أبى ليلى القائلُ : « حدثنا أصحابنا » . [1]

٢٧٣٢ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو داود قال، حدثنا شعبة قال ، سمعت عمرو بن مرة قال ، سمعت ابن أبى ليلى ، فذكر نحوه .

* * *

(١) الحديث : ٢٧٣١ — وهذه قطعة من الحديث السابق ، الطويل ، الذى أشرنا إليه فى : ٢٧٢٩ ، ولكنه هنا مروى من طريق آخر ، طريق شعبة عن عمرو بن مرة . ويقول هنا عمرو بن مرة « حدثنا أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، إلخ . فلو أخذ هذا على ظاهره ، لكان مرسلا . فلذلك فسره أبو موسى — وهو محمد بن المثنى شيخ الطبرى — بأن الذى قال هذا هو عبد الرحمن بن أبى ليلى . ثم تلاه المثنى بالرواية بعده : ٢٧٣٢ ، عن أبى داود — وهو الطيالسى — عن شعبة « قال : سمعت عمرو ابن مرة، قال : سمعت ابن أبى ليلى » . وهذا هو الإسناد الذى أشرنا آنفاً إلى رواية الطبرى قطعة أخرى من الحديث ، به ، فى : ٢١٥٦ .

والظاهر أن ابن المثنى سمع الحديث من محمد بن جعفر مرتين أو أكثر ، إحداها على هذا الوجه الذى هنا ، وبعضها على الوجه الواضح الصريح ، بذكر ابن أبى ليلى .

فقد روى الحديث — كله — أبو داود السجستانى فى السنن : ٥٠٦ ، بإسنادين ، أحدهما إسناد الطبرى هذا ، أعنى عن محمد بن المثنى . فقال أبو داود : « حدثنا عمرو بن مرزوق ، أخبرنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت ابن أبى ليلى — ح — وحدثنا ابن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمعت ابن أبى ليلى ، قال : أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، وحدثنا أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . . . . » .

فأعاد فى الإسناد الثانى — فى طريق شعبة — قول عمرو بن مرة : « سمعت ابن أبى ليلى » . ولعله أراد بهذه الإعادة ، التى فيها التصريح باسم ابن أبى ليلى ، رفع التوهم أن يظن أن تلك الرواية التى لم يصرح فيها محمد بن جعفر باسم « ابن أبى ليلى » تعلل هذه الرواية الصريحة .

اويؤيد هذا قول الطبرى — عقب الحديث — : « قال أبو موسى : قوله « قال عمرو بن مرة حدثنا أصحابنا » — يريد ابن أبى ليلى ، كأن ابن أبى ليلى القائل : حدثنا أصحابنا » . وأبو موسى : هو محمد ابن المثنى نفسه، شيخ الطبرى وأبى داود. فحين حدث بالرواية المبهمة — التى فى الطبرى هنا — فسرها بالرواية الأخرى الموضحة ، وصرح فى تفسيره بأن القائل « حدثنا أصحابنا » هو ابن أبى ليلى ، لا عمرو بن مرة . تحرزاً من إيهام أن الإسناد يكون مرسلا إذا كان القائل ذلك هو عمرو بن مرة .

وقد عقب الطبرى على ذلك ، بالإسناد من طريق أبى داود الطيالسى ، الذى فيه التصريح بسماع عمرو ابن مرة ذلك من ابن أبى ليلى : ٢٧٣٢ .

وقول ابن أبى ليلى « حدثنا أصحابنا » — يريد به الصحابة ، مثل معاذ وغيره . وابن أبى ليلى من كبار التابعين . ويؤيد هذا رواية البخارى ٤ : ١٦٤ (فتح) ، قطعة من الحديث نفسه المطول ، رواية معلقة بصيغة الجزم . فقال : « وقال ابن نمير : حدثنا الأعمش ، حدثنا عمرو بن مرة ، حدثنا ابن أبى ليلى حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم » . وقال الحافظ : « وصله أبو نعيم فى المستخرج ، والبيهقى من طريقه . . . وهذا الحديث أخرجه أبو داود ، من طريق شعبة والمسعودى ، عن الأعمش مطولا ، فى الأذان ، والقبلة ، والصيام . واختلف فى إسناده اختلافاً كثيراً . وطريق ابن نمير هذه أرجحها » .

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا قول من قال : عنى بقوله : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، شهرَ رمضان .

* * *

وأولى ذلك بالصواب عندي قولُ من قال : عنى الله جل ثناؤه بقوله : « أياماً معدودات » ، أيامَ شهر رمضان . وذلك أنه لم يأت خبرٌ تَقوم به حُجة ، بأنّ صوماً فُرِض على أهل الإسلام غيرَ صوم شهر رمضان، ثم نسخ بصوم شهر رمضان، وأن الله تعالى قد بيَّن في سياق الآية، [١]أنّ الصيامَ الذي أوجبه جل ثناؤه علينا هو صيام شهر رمضان دون غيره من الأوقات ، بإبانته عن الأيام التي أخبر أنه كتب علينا صومَها بقوله : « شهرُ رَمضان الذي أنزلَ فيه القرآن » . فمن ادعى أن صوماً كان قد لزم المسلمين فرضُه غير صوم شهر رمضان الذي هم مجمعون على وجوب فرض صومه — ثم نسخ ذلك — سئل البرهانَ على ذلك من خبر تقوم به حُجة ، إذ كان لا يعلم ذلك إلا بخبر يقطع العذرَ .

وإذ كان الأمر في ذلك على ما وصفنا للذي بينا، فتأويل الآية : كتب عليكم أيها المؤمنون الصيامُ كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات هي شهر رمضان . وجائز أيضاً أن يكون معناه : « كتب عليكم الصيام » ، كتب عليكم شهر رمضان .

* * *

وأما « المعدودات » ، فهي التي تعدّ مبالغها وساعاتُ أوقاتها . ويعني بقوله : « معدودات » ، مُحْصَيَات .

* * *

---

(٢) في المطبوعة : « وبأن الله تعالى . . . » ، وهو خطأ . ليس معطوفاً على قوله : « بأن صوماً . . » بل هو عطف على قوله : « وذلك أنه لم يأت خبر . . . . »

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فمن كان منكم مريضاً »[1] ، من كان منكم مريضاً ، ممن كلِّف صومه ، أو كان صحيحاً غير مريض وكان على سفر ، « فعدة من أيام أخر » ، يقول : فعليه صوم عدة الأيام التى أفطرها فى مرضه أو فى سفره ، « من أيام أخر » ، يعنى : من أيام أخر غير أيام مرضه أو سفره .

* * *

والرفع فى قوله : « فعدةٌ من أيام أخر » ، نظير الرفع فى قوله : « فاتباع بالمعروف » . وقد مضى بيان ذلك هنالك بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

وأما قوله : « وَعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، فإنّ قراءة كافة المسلمين : « وعلى الذين يُطيقونه » ، وعلى ذلك خطوط مصاحفهم . وهى القراءة التى لا يجوز لأحد من أهل الإسلام خلافُها ، لنقل جميعهم تصويبَ ذلك قرناً عن قرن .

وكان ابن عباس يقرؤها فيما روى عنه : « وعلى الذين يُطوَّقونه » .[3]

* * *

ثم اختلف قُرّاء ذلك : « وَعلى الذين يُطيقونه » فى معناه .

فقال بعضهم : كان ذلك فى أول ما فرض الصوم ، وكان من أطاقه من المقيمين صامَه إن شاء ، وإن شاء أفطره وافتدى ، فأطعم لكل يوم أفطره مسكيناً ، حتى نُسخ ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) نص هذا الجزء من الآية لم يكن فى المطبوعة ، وأثبته على نهجه فى التفسير .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣ : ٣٧٢

(٣) انظر رفض هذه القراءة فيما سيأتى : ٤٣٨

٢٧٣٣ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصامَ يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر . ثم إنّ الله جل وعز فرض شهر رَمضان، فأنزل الله تعالى ذكره : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » حتى بلغ « وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعام مسكين » ، فكان من شاء صامَ ومن شاء أفطر وأطعمَ مسكيناً . ثم إن الله عز وجل أوجب الصيام على الصحيح المقيم ، وثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصوم ، فأنزل الله عز وجل : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو عَلى سفر » إلى آخر الآية.[1]

٢٧٣٤ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال حَدثنا أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليهم أمرهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعاً غيرَ فريضة . قال: ثم نزل صيام رمضان . قال : وكانوا قوماً لم يتعودوا الصيام . قال : وكان يشتد عليهم الصوم . قال : فكان من لم يصم أطعمَ مسكيناً ، ثم نزلت هذه الآية : « فمن شهد منكم فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، فكانت الرخصة للمريض والمسافر ، وأمرنا بالصيام . قال محمد بن المثنى قوله : « قال عمرو : حدثنا أصحابنا » ، يريد ابنَ أبي ليلى . كأن ابن أبي ليلى القائل: « حدثنا أصحابنا ». ٧٨/٢

٢٧٣٥ ــ حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو داود قال، حدثنا شعبة قال ، سمعت عمرو بن مرة قال ، سمعت ابن أبي ليلى فذكر نحوه .[2]

---

(١) الحديث : ٢٧٣٣ ــ هو قطعة من الحديث الذى خرجناه فى : ٢٧٢٩ ــ أطول من الرواية الماضية .

(٢) الحديثان : ٢٧٣٤ ، ٢٧٣٥ ــ وهذان أيضاً قطعتان من الحديث الذى أشرنا إليه فى : ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ ، وقد صرح الطبرى فى أولها ــ هنا ــ باسم « محمد بن المثنى » ، الذى ذكره هناك بكنيته « قال أبو موسى » .

٢٧٣٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة فى قوله : « وَعلى الذين يُطيقونه فدية ٌ طعامُ مسكين » ، قال : كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم نصف صاع مسكيناً ، فنسخها : « شهرُ رَمضَان » إلى قوله : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه » .

٢٧٣٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، بنحوه — وزاد فيه ، قال : فنسختها هذه الآية ، وصارت الآية الأولى للشيخ الذى لا يستطيع الصوم ، يتصدق مكانَ كل يوم على مسكين نصفَ صاع .

٢٧٣٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح أبو تميلة قال، حدثنا الحسين ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن البصرى قوله : « وَعلى الذين يُطيقونه فدية ٌ طعامُ مسكين » ، فكان من شاء منهم أن يصومَ صَام ، ومن شاء منهم أن يَفتدى بطعام مسكين افتدى وَتمّ له صومه . ثم قال : « فمن شَهد منكم الشهرَ فليصمه » ، ثم استثنى من ذلك فقال : « ومن ْكان مريضاً أو ْ عَلى سفر فعدة ٌ من أيام أخر » .

٢٧٣٩ — حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سألت الأعمش عن قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فدية ٌ طعامُ مسكين » ، فحدثنا عن إبراهيم ، عن علقمة . قال : نسختها : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه » .[1]

٢٧٤٠ — حدثنا عمر بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : نَسَخت هذه الآيةَ — يعنى : « وَعلى الذين يُطيقونه فدية ٌ طعامُ مسكين » — التى بَعدها : « فمن شَهد منكم الشهرَ فَليصمه ومن كان

---

(١) الأثر : ٢٧٣٩ — أبو هشام الرفاعى محمد بن يزيد بن محمد بن كثير بن رفاعة العجلى ، قاضى بغداد ، روى عن عبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ، روى عنه مسلم والترمذى وابن ماجة وغيرهم . ذكره ابن حبان فى الثقات، وقال : يخطىءُ ويخالف . وقال ابن أبى حاتم . سألت أبى عنه فقال : ضعيف يتكلمون فيه ، وله كتاب فى القراآت ، مات سنة ٢٤٨ .

مريضاً أو على سَفر فعدة من أيام أخر » . (١)

٢٧٤١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت الأعمش، عن إبراهيم ، عن علقمة فى قوله : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، قال : نسختْها : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ».

٢٧٤٢ — حدثنا الوليد بن شجاع أبو همام قال،حدثنا على بن مُسهر ، عن عاصم ، عن الشعبى قال : نزلت هذه الآية : « وعلى الذين يُطيقونه فدية ٌ طعامُ مسكين » ، كان الرجل يُفطر فيتصدق عن كل يوم على مسكين طعاماً ، ثم نزلت هذه الآية : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة ٌ من أيام أخر »، فلم تنزل الرّخصةُ إلاّ للمريض والمسافر .

٢٧٤٣ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا على بن مسهر ، عن عاصم ،

---

(١) الحديث : ٢٧٤٠ — عمر بن المثنى : هكذا فى المطبوعة ، وأنا أرجح أن يكون صوابه « محمد ابن المثنى » شيخ الطبرى الذى يروى عنه كثيراً . ولم أجد من يسمى « عمر بن المثنى » إلا رجلا واحداً ، ذكر فى التهذيب ولسان الميزان على أنه من التابعين . ثم لم أجترىء على تصحيحه هنا ، لاحتمال أن يكون من شيوخ الطبرى الذين لم نجد تراجمهم .

عبد الوهاب : هو ابن عبد المجيد الثقفى ، مضت ترجمته فى : ٢٠٢٩ .

عبد الله : هو ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، عرف بلقب « العمرى » ، وهو ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٠٩ — ١١٠ .

ومن المحتمل أن يكون فى المطبوعة خطأ ، وأن يكون صوابه « عبيد الله » بالتصغير ، وهو أخو عبد الله أكبر منه وأوثق عند أئمة الجرح والتعديل ، وهو أحد الفقهاء السبعة . مترجم فى التهذيب . وابن أبى حاتم ٢/٢/٣٢٦ — ٣٢٧ . وهو وأخوه يشتركان فى كثير من الشيوخ ، منهم « نافع مولى ابن عمر »

وإنما ظننت هذا الاحتمال، لأن الحديث مروى من حديث « عبيد الله » ، كما سنذكر ، إن شاء الله :

فرواه البيهق فى السنن الكبرى ٤ : ٢٠٠ ، من طريق عبد الوهاب الثقفى ، « عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر » .

ورواه البخارى مختصراً ٤ : ١٦٤ ، و ٨ : ١٣٦ ، من طريق عبد الأعلى ، وهو ابن عبد الأعلى عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر .

ورواه البيهق أيضاً من أحد طريقى البخارى .

والحديث صحيح بكل حال . وذكره السيوطى ١ : ١٧٨ ، وزاد نسبته إلى وكيع ، وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة فى المصنف ، وابن المنذر .

عن الشعبي قال : نزلت هذه الآية للناس عامة : « وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، وكان الرجل يفطر ويتصدق بطعامه على مسكين ، ثم نزلت هذه الآية : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، قال : فلم تنزل الرخصة إلا للمريض والمسافر .

٢٧٤٤ — حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي ليلى قال : دخلت على عطاء وهو يأكل في شهر رمضان ، فقال : إني شيخ كبير ، إن الصوم نزل ، فكان من شاء صام ، ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً ، حتى نزلت هذه الآية : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومَنْ كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، فوجب الصوم على كل أحد ، إلاّ مريض أو مسافر أو شيخ كبير مثلي ، يفتدى .

٢٧٤٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : قال الله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيامُ كما كتب على الذين منْ قبلكم » ، قال ابن شهاب : كتب الله الصيام علينا ، فكان من شاء افتدى ممن يطيق الصيامَ من صحيح أو مريض أو مسافر ، ولم يكن عليه غير ذلك . فلما أوجب الله على من شهد الشهرَ الصيامَ ، فمن كان صحيحاً يُطيقه وضع عنه الفدية ، وكان من كان على سفر أو كان مريضاً فعدة من أيام أخر . قال : وبقيت الفديةُ التي كانت تُقبل قبل ذلك للكبير الذي لا يُطيق الصيام ، والذي يعرض له العطشُ أو العلة التي لا يستطيع معها الصيام.

٢٧٤٦ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : جعل الله في الصوم الأوّل فدية طعام مسكين ، فمن شاء من مسافر أو مقيم أن يُطعم مسكيناً ويفطر ، كان ذلك رخصةً له . فأنزل الله في الصوم الآخِر : « فعدة من أيام أخر » ، ولم يذكر الله في الصوم الآخر فدية طعام مسكين ، فنُسِخت الفدية ، وثبت في الصوم الآخر :

« يُريد الله بكم اليسرَ ولا يُريد بكم العسر » ، وهو الإفطار فى السفر ، وجعله عدةً من أيام أخرَ .

٢٧٤٧ — حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال، أخبرنى عمى عبد الله ابن وهب قال، أخبرنى عمرو بن الحارث قال ، بكَيْر بن عبد الله، عن يزيد مولى سلمة بن الأكوع ، عن سلمة بن الأكوع أنه قال : كنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ، ومن شاء أفطر وافتدى بطعام مسكين، حتى أنزلت : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .[1]

٧٩/٢

٢٧٤٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، عن الشعبى فى قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين » ،

---

(١) الحديث : ٢٧٤٧ — أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، المصرى ، ابن أخى عبد الله بن وهب ثقة من شيوخ مسلم وابن خزيمة . تكلم فيه بعضهم فلم ينصفه . وأهل بلده أعرف به . فقال ابن أبى حاتم : « سألت محمد بن عبد الحكم عنه ؟ فقال : ثقة ، ما رأينا إلا خيراً ، قلت : سمع من عمه ؟ قال : إى واقه » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/٥٩ — ٦٠ .

« بكير بن عبد الله بن الأشج » المدنى نزيل مصر : تابعى ثقة ، قال ابن وهب : « ما ذكر مالك ابن أنس بكير بن الأشج إلا قال : كان من العلماء » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١١٣ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٠٣ — ٤٠٤ .

« بكير » : بالتصغير . ووقع فى المطبوعة « بكر » بغير الياء ، وهو خطأ . فليس لبكر بن عبد الله المزنى رواية فى هذا الحديث . والحديث حديث « بكير بن عبد الله » .

يزيد مولى سلمة بن الأكوع : هو يزيد بن أبى عبيد الحجازى ، وهو تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٤٨ — ٣٤٩ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٨٠ .

وقال البخارى فى الصحيح — بعد روايته هذا الحديث — : « مات بكير قبل يزيد » . وهو كما قال ، فإن بكير بن عبد الله مات سنة ١٢٧ ، وقيل غير ذلك ، إلى سنة ١٢٧ . وأما يزيد مولى سلمة فإنه مات سنة ١٤٦ أو ١٤٧ . فسمع عمرو بن الحارث هذا الحديث من بكير عن يزيد — فى حياة يزيد .

والحديث رواه مسلم ١ : ٣١٥ ، عن عمرو بن سواد العامرى ، عن ابن وهب ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه البيهقى ٤ : ٢٠٠ ، من طريق بحر بن نصر ، عن ابن وهب .

ورواه البخارى ٨ : ١٣٦ ، ومسلم ١ : ٣٢٥، والبيهقى ٤ : ٢٠٠ — كلهم من حديث قتيبة بن سعيد ، عن بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن بكير .

وذكره السيوطى ١ : ١٧٧ — ١٧٨ ، وزاد نسبته للدارمى ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم ، وغيرهم .

قال : كانت للناس كلهم : فلما نزلت : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، أمروا بالصوم والقضاء ، فقال : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

٢٧٤٩ — حدثنا هناد قال، حدثنا على بن مسهر ، عن الأعمش ، عن إبراهيم فى قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : نسختها الآية التى بعدها ، وأن تصوموا خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون » .

٢٧٥٠ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن محمد بن سليمان ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : نسختها الآية التى تليها : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

٢٧٤١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، حدثنا الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « كتب عليكم الصيام » الآية ، فرُض الصوم من العتمة إلى مثلها من القابلة ، فإذا صلى الرجل العتمة حَرُم عليه الطعام والجماع إلى مثلها من القابلة . ثم نزل الصوم الآخِر بإحلال الطعام والجماع بالليل كله، وهو قوله : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، وأحل الجماع أيضاً فقال : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ، وكان فى الصوم الأول الفدية ، فمن شاء من مسافر أو مقيم أن يُطعم مسكيناً ويفطرَ فعل ذلك ، ولم يذكر الله تعالى ذكره فى الصوم الآخِر الفديةَ ، وقال : « فعدةٌ من أيام أخر » ، فنسخ هذا الصومُ الآخِرُ الفديةَ .[1]

* * *

وقال آخرون : بل كان قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، حُكماً خاصًّا للشيخ الكبير والعجوز اللذين يُطيقان الصوم ، كان مرخصاً لهما

---

(١) الخبر : ٢٧٥١ — « الحسين بن الفرج » : ثبت فى المطبوعة هنا « الحسن » . وهو خطأ ، كما بينا فى : ٢٧١٩ .

أن يَفديا صومهما بإطعام مسكين ويفطرا ، ثم نسخ ذلك بقوله : « فمن شَهد منكم الشهرَ فليصمه » ، فلزمهما من الصوم مثل الذى لزم الشاب إلاّ أن يعجزا عن الصوم ، فيكون ذلك الحكم الذى كان لهما قبلَ النسخ ثابتاً لهما حينئذ بحاله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٥٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عَزْرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الشيخُ الكبير والعجوزُ الكبيرةُ وهما يطيقان الصوم ، رُخص لهما أن يفطرا إن شاءا ويطعما لكلّ يوم مسكيناً . ثم نَسخَ ذلك بعد ذلك : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه ومَنْ كان مريضاً أو عَلى سفر فعدةٌ من أيام أخر » ، وثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة ، إذا كانا لا يطيقان الصوم ، وللحبلى والمرضع إذا خافتا .

٢٧٥٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عروة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وعَلى الذين يُطيقونه » ، قال : الشيخ الكبير ، والعجوز الكبيرة ، ثم ذكر مثل حديث بشر ، عن يزيد . (١)

---

(١) الحديثان : ٢٧٥٢ — ٢٧٥٣ — سعيد : هو ابن أبى عروبة .

عزرة — بفتح العين والراء بينهما زاى ساكنة : هو ابن عبد الرحمن بن زرارة الخزاعى ، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٦٥ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢١ — ٢٢ .

ووقع فى المطبوعة هنا ، وفى سنن أبى داود المطبوعة « عروة » بدل « عزرة » ، وهو تصحيف . والتصويب من السنن مخطوطة الشيخ عابد السندى ، ومن السنن الكبرى للبيهقى .

والحديث رواه أبو داود : ٢٣١٨ (٢ : ٢٦٦ عون المعبود) ، من طريق ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وراواه البيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٢٣٠ ، من طريق روح بن عبادة ، ومن طريق مكى بن إبرهيم — كلاهما عن سعيد بن أبى عروبة ، به .

ثم رواه من طريق أبى داود فى السنن ، قال : « عن سعيد ، فذكره » . يعنى بهذا الإسناد . فلو كانت

٢٧٥٤ ـ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن عكرمة قال : كان الشيخ والعجوز لهما الرخصة أن يفطرا ويُطعما بقوله : « وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين ». قال : فكانت لهم الرخصة ، ثم نسخت بهذه الآية : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، فنسخت الرخصة عن الشيخ والعجوز إذا كانا يطيقان الصوم ، وبقيت الحاملُ والمرضعُ أن يفطرَا ويُطعما .

٢٧٥٥ ـ حدثنا المثنى قال، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ابن يحيي قال ، سمعت قتادة يقول فى قوله : « وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : كان فيها رخصة للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وهما يطيقان الصومَ أن يطعما مكانَ كل يوم مسكيناً ويفطرا، ثم نسخ ذلك بالآية التى بعدها فقال: « شهرُ رَمضَانَ » إلى قوله : « فعدةٌ من أيام أخر »،فنسخَتْها هذه الآية . فكان أهل العلم يُرَوْن ويرجُون الرخصةَ تثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا لم يطيقا الصومَ أن يفطرا ويُطعما عن كل يوم مسكيناً، وللحبلى إذا خشيت على ما فى بطنها ، وللمرضع إذا ما خشيت على ولدها .

٢٧٥٦ ـ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وَعلى الذين يطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، فكان الشيخ والعجوز يطيقان صوم رمضان، فأحل الله لهما أن يفطراه إن أرادا ذلك، وعليهما الفدية لكل يَوم يفطرانه طعامُ مسكين ، فأنزل الله بعد ذلك :« شهرُ

رواية أبي داود من طريق « عروة » لذكر ذلك ، ولم يحل إسناد أبي داود على إسناده السابق الذى فيه « عن عزرة » .

وذكره السيوطى ١ : ١٧٧ — وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

وروى البخارى ٨ : ١٣٥ ، نحو معناه ، من طريق عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس وكذلك رواه النسائى ١ : ٣١٨ — ٣١٩ ، من طريق عمرو بن دينار .

رَمضانَ الذى أنزل فيه القرآن » ، إلى قوله : « فعدةٌ من أيام أخر » .

* * *

وقال آخرون ممن قرأ ذلك : « وَعلى الذين يُطيقونه » ، لم ينسخ ذلك ولا شيء منه ، وهو حكم مثبتٌ من لَدُنْ نزلت هذه الآية إلى قيام الساعة ، وقالوا : إنما تأويل ذلك : وعلى الذين يطيقونه — فى حال شبابهم وَحداثتهم ، وفى حال صحتهم وقوّتهم — إذا مَرضوا وكبروا فعجزوا من الكبر عن الصوم ، فدية طعام مسكين = لا أنّ القوم كان رُخّص لهم فى الإفطار — وهم على الصوم قادرون — إذا افتدوا .

٢/٨٠

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٥٧ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وَعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : أما الذين يطيقونه ، فالرجل كان يطيقه وقد صام قَبل ذلك ، ثم يعرض له الوَجع أو العطش أو المرض الطويل ، أو المرأة المرضعُ لا تستطيع أن تصوم ، فإن أولئك عليهم مكانَ كل يوم إطعام مسكين ، فإن أطعم مسكيناً فهو خيرٌ له ، ومن تكلف الصيام فصامه فهو خيرٌ له .

٢٧٥٨ — حدثنا هناد قال ، حدثنا عبدة ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن عَزْرَة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إذا خافت الحاملُ على نفسها ، والمرضع على ولدها فى رمضان ، قال : يفطران ويطعمان مكانَ كل يوم مسكيناً ، ولا يقضيان صوماً .[1]

---

(١) الخبر : ٢٧٥٨ — هناد : هو ابن السرى ، مضت ترجمته : ٢٠٥٨ . وعبدة : هو ابن سليمان الكلابى ، مضت ترجمته : ٢٣٢٣ . وهذا الخبر فى معنى الحديثين الماضيين : ٢٧٥١ ، ٢٧٥٢ ، من رواية سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن عزرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وذانك حديثان ، لأنهما إخبار من ابن عباس عن نسخ الفدية وجواز الإفطار عامة ، وإثباتهما فى حق الشيخ الكبير ومن ذكر معه هناك . وأما هذا فإنه فتوى من ابن عباس .

ووقع هنا فى المطبوعة « عروة » بدل « عزرة » ، كما كان فى ذينك الحديثين . فأثبتنا الصواب هنا كما أثبتناه هناك .

٢٧٥٩ — حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة ، . . . . . ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه رأى أمَّ ولدٍ له حاملاً أو مُرضعاً، فقال : أنت بمنزلة الذى لا يُطيقه ، عليك أن تطعمى مكانَ كل يوم مسكيناً ، ولا قضاء عليك.[1]

٢٧٦٠ — حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة ، عن سعيد ، عن على بن ثابت ، عن نافع ، عن ابن عمر ، مثل قول ابن عباس فى الحامل والمرضع.[2]

---

(١) الخبر : ٢٧٥٩ — وهذا الخبر كسابقه ، فتوى أخرى من ابن عباس لأم ولده ، بمعنى التى قبلها . ولكن وقع هنا فى المطبوعة سقط فى الإسناد ، بين « عبدة » و « سعيد بن جبير » نرجح أن صوابه كالإسناد السابق . ولكن لم نستجز أن نثبته عن غير ثبت ، فوضعنا أصفاراً موضع السقط .

ويدل على صحة هذا السقط : أن الدارقطنى روى هذا الخبر ، فى سننه ، ص : ٢٥٠ ، من طريق روح ، وهو ابن عبادة : « حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عزرة ، عن سعيد بن جبير : أن ابن عباس قال لأم ولد له . . . » . ثم قال الدارقطنى عقبه : « إسناد صحيح » .

وذكره السيوطى ١ : ١٧٩ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد .

(٢) الخبر : ٢٧٦٠ — وهذا إسناد صحيح ، موقوف على ابن عمر .

على بن ثابت بن عمرو بن أخطب البصرى الأنصارى : ثقة ، ترجمه ابن أبى حاتم ١٧٧/١/٣ ، ولم أجد ترجمته فى موضع آخر . وملخص ما قال : روى عن نافع ، ومحمد بن يزيد ، ومحمد بن زياد . روى عنه سعيد بن أبى عروبة ، وعمران القطان ، وحماد بن سلمة ، وسويد بن إبرهيم . ثم روى عن أحمد بن حنبل ، قال : « على بن ثابت بن أبى زيد الأنصارى : ثقة ، حدث عنه سعيد بن أبى عروبة ، وحماد بن زيد ، وأخوه عزرة بن ثابت ، وأخوه محمد بن ثابت ، » . ثم ذكر ابن أبى حاتم ، أنه سأل أباه « عن على بن ثابت ، أخى عزرة ومحمد ابنى ثابت ؟ فقال : لا بأس به » .

ووجدت البخارى ذكره فى الكبير ٥٠/١/١ ، والصغير ، ص : ١٧١ ، فى ترجمة أخيه « محمد بن ثابت » .

وجدهم « عمرو بن أخطب الأنصارى » ، كنيته : أبوزيد ، وقد اشتهر بكنيته . ترجمه ابن سعد ١٧/٧ — ١٨ ، قال : « وله مسجد ينسب إليه بالبصرة » .

وبقية الإسناد — قبل على بن ثابت وبعده — ثقات معروفون ، كما هو ظاهر .

ولم يذكر الطبرى لفظ خبر ابن عمر :

وذكره السيوطى ١ : ١٧٩ ، عن نافع : « قال : أرسلت إحدى بنات ابن عمر تسأله عن صوم رمضان وهى حامل ؟ قال : تفطر وتطعم كل يوم مسكيناً » ، ونسبه لعبد بن حميد، وابن أبى حاتم ، والدارقطنى .

والدارقطنى رواه ص : ٢٥٠ ، بإسنادين : من طريق حماد، عن أيوب، عن نافع عن ابن عمر : « أن امرأته سألته وهى حبلى ؟ فقال : أفطرى وأطعمى عن كل يوم مسكيناً ، ولا تقضى » .

ثم رواه من طريق أبى أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع ، قال: « كانت بنت لابن عمر تحت رجل من قريش، وكانت حاملا ، فأصابها عطش فى رمضان، فأمرها ابن عمر أن تفطر وتطعم عن كل يوم مسكيناً » .

٢٧٦١ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن ابن عباس قال ، لأم ولد له حبلى أو مرضع : أنتِ بمنزلة الذين لا يطيقونه ، عليك الفداءُ ولا صومَ عليك . هذا إذا خافت على نفسها .

٢٧٦٢ ـ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وَعلى الذين يطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، هو الشيخ الكبير كان يُطيق صومَ شهر رمضان وهو شاب ، فكبر وهو لا يستطيع صوْمه ، فليتصدق على مسكين واحد لكل يوم أفطرَه ، حين يُفطر وحينَ يَتسحَّر .

٢٧٦٣ ـ حدثنا هناد قال ، حدثنا عبدة، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس نحوه ـ غير أنه لم يقل : حين يُفطر وحينَ يَتسحر .

٢٧٦٤ ـ حدثنا هناد قال، حدثنا حاتم بن إسمعيل ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال فى قول الله تعالى ذكره: « فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : هو الكبير الذى كان يصوم فكبر وعجز عنه ، وهى الحامل التى ليس عليها الصيام ، فعلى كل واحد منهما طعامُ مسكين : مُدٌّ من حنطة لكلِّ يوم حتى يمضىَ رَمضان .

* * *

وقرأ ذلك آخرون: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾، وقالوا : إنه الشيخ الكبير والمرأة العجوز اللذان قد كبرا عن الصوم ، فهما يكلفان الصوم ولا يطيقانه ، فلهما أن يفطرا ويطعما مكانَ كلِّ يوم أفطراه مسكيناً . وقالوا : الآية ثابتة الحكم منذ أنزلت ، لم تنسخ ، وأنكروا قول من قال : إنها منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٦٥ ـ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا ابن جريج ،

عن عطاء، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : « يُطوَّقونه » .

٢٧٦٦ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا على بن مسهر ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ : « وَعلى الذين يُطوقونه فدية طعامُ مسكين » ، قال : فكان يقول : هى للناس اليوم قائمة .

٢٧٦٧ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : « وَعلى الذين يُطوَّقونه فدية طعامُ مسكين » ، قال : وكان يقول : هى للناس اليوم قائمة .

٢٧٦٨ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : « وَعلى الذين يُطوَّقونه »، ويقول: هو الشيخ الكبير يُفطر ويُطعِم عنه .

٢٧٦٩ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية : « وعلى الذين يُطوَّقونه » ، ــ وكذلك كان يقرؤها ــ : إنها ليست منسوخة، كلِّف الشيخُ الكبير أن يُفطر ويطعم مكان كل يوم مسكيناً .

٢٧٧٠ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قرأ : « وعلى الذين يُطوَّقونه » .

٢٧٧١ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن عمران بن حدَير ،عن عكرمة قال : « الذين يُطيقونه » يصومونه ، ولكن الذين « يُطوَّقونه » ، يعجزون عنه .

٢٧٧٢ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن جريج قال ، حدثنى محمد بن عباد بن جعفر ، عن أبى عمرو مولى عائشة ، أن عائشة كانت تقرأ : « يُطوَّقونه » .

٢٧٧٣ ــ حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء أنه كان يقرؤها« يطوَّقونه ».قال ابن جريج : وكان مجاهد يقرؤها كذلك.

٢٧٧٤ — حدثنا حميد بن مسعدة قال حدثنابشر بن المفضل قال : حدثنا خالد، عن عِكرمة : « وعلى الذين يُطيقونه » قال، قال ابن عباس: هو الشيخُ الكبير .[1]

٨١/٢

٢٧٧٥ — حدثنا إسمعيل بن موسى السدىّ قال ، أخبرنا شريك، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ،عن ابن عباس : « وعلى الذين يُطوَّقونه » قال : يَتجشمونه، يَتكلفونه .[2]

٢٧٧٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن مسلم الملائى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، قال : الشيخ الكبير الذى لا يُطيق فيفطر ويُطعم كل يوم مسكيناً .

٢٧٧٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال،حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وعطاء ، عن ابن عباس فى قول الله : « وَعلى الذين يُطيقونه » ، قال : يُكلَّفونه ، فديةٌ طعامُ مسكين واحد . قال : فهذه آية منسوخةٌ لا يرخص فيها إلاّ للكبير الذى لا يُطيق الصيام ، أو مريض يعلم أنه لا يُشفى .

٢٧٧٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : « الذين يطيقونه » ، يتكلَّفونه ، فديةٌ طعام مسكين واحد ، ولم يُرخَّص هذا إلا للشيخ الذى لا يُطيق الصوم ، أو المريض الذى يعلم أنه لا يشفى — هذا عن مجاهد .

٢٧٧٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) الأثر : ٢٧٧٤ — أخشى أن يكون الصواب هنا : « يطوقونه » .

(٢) الأثر : ٢٧٧٥ — إسماعيل بن موسى السدى الفزارى ، قيل : هو ابن بنت السدى الكبير إسماعيل بن عبد الرحمن ، مات سنة ٢٤٥ .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه كان يقول : ليست بمنسوخة.

٢٧٨٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « وَعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، يقول : من لم يطق الصوم إلا على جَهد ، فله أن يفطر ويطعم كل يوم مسكيناً ، والحاملُ والمرضعُ والشيخُ الكبيرُ والذي به سُقمٌ دائم .

٢٧٨١ — حدثنا هناد قال ، حدثنا عبيدة،عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قول الله تعالى ذكره : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، قال : هو الشيخ الكبير ، والمرء الذي كان يصومُ في شبابه فلما كبر عجز عن الصوم قبل أن يموتَ ، فهو يطعم كل يوم مسكيناً — قال هناد : قال عبيدة : قيل لمنصور : الذي يطعم كل يوم نصف صاعٍ ؟ قال : نعم .[1]

٢٧٨٢ — حدثنا هناد قال،حدثنا مروان بن معاوية ، عن عثمان بن الأسود قال : سألتُ مجاهداً عن امرأة لي وافقَ تاسعها شهرَ رَمضان ، ووافق حرًّا شديداً ، فأمرني أن تُفطر وتُطعم . قال : وقال مجاهد : وتلك الرخصة أيضاً في المسافر والمريض ، فإن الله يقول : « وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين » .

٢٧٨٣ — حدثنا هناد قال،حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الحاملُ والمرضعُ والشيخُ الكبير الذي لا يستطيع الصوم ، يفطرون في رمضان ، ويطعمون عن كل يوم مسكيناً ، ثم قرأ : « وعلى الذينَ

---

(١) الخبر : ٢٧٨١ — عبيدة ، بفتح العين : هو ابن حميد ، بضم الحاء ، بن صهيب الحذاء ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره ، وأخرج له البخاري في الصحيح . مترجم في التهذيب ، والصغير للبخاري ، ص : ٢١٢ ، وابن سعد ٧/٢/٧٢ — ٧٣ ، وابن أبي حاتم ٣/١/٩٢ — ٩٣ ، وتاريخ بغداد ١١ : ١٢٠ — ١٢٣ .

يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » .[١]

٢٧٨٤ — حدثنا على بن سَعيد الكندى قال، حدثنا حفص ، عن حجاج ، عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على فى قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعام مسكين » ، قال : الشيخ الكبير الذى لا يستطيع الصومَ ، يُفطر ويطعم مكانَ كل يوم مسكيناً .[٢]

٢٧٨٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عمرو ابن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين» ، قال : هم الذين يتكلفونه ولا يطيقونه ، الشيخُ والشيخة .

٢٧٨٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حَماد، عن الحجاج، عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على قال : هو الشيخُ والشيخة .

٢٧٨٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عمران ابن حُدير ، عن عكرمة أنه كان يقرؤها: « وَعلى الذين يُطيقونه » فأفطروا .

٢٧٨٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عاصم ، عمن حدثه ، عن ابن عباس قال : هى مُثبتةٌ للكبير والمرضع والحامل ، وعلى الذين يُطيقونَ الصيام .

٢٧٨٩ — حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما قوله : « وعلى الذين يطيقونه » ؟ قال : بلغنا أن الكبير إذا لم يستطع الصوم يفتدى من كل يوم بمسكين . قلت : الكبيرُ الذى

---

(١) الأثر ٢٧٨٣ — أبو معاوية الضرير محمد بن خازم التميمى السعدى . قال ابن سعد : « كان ثقة كثير الحديث ، يدلس ، كان مرجئاً . مات سنة ١٩٣ .

(٢) الأثر ٢٧٨٤ — فى المطبوعة : « على بن سعد » . على بن سعيد بن مسروق الكندى أبو الحسن الكوفى روى عن حفص بن غياث وابن المبارك وغيرهما . وروى عنه الترمذى والنسائى وأبو حاتم ، قال أبو حاتم : صدوق ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، توفى سنة ٢٤٩ .

لا يستطيعُ الصوم ، أوالذى لا يستطيعه إلا بالجهد ؟ قال : بل الكبير الذى لا يستطيعه بجهد ولا بشىء ، فأما مَن استطاع بجهد فليصمه ، ولا عذر له فى تركه .

٢٧٩٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرنى عبد الله بن أبى يزيد : « وَعلى الذين يُطيقونه » الآية ، كأنه يعنى الشيخَ الكبير — قال ابن جريج : وأخبرنى ابن طاوس ، عن أبيه أنه كان يقول : نزلت فى الكبير الذى لا يَستطيع صيامَ رمضان ، فيفتدى من كل يوم بطعام مسكين . قلت له : كم طعامه ؟ قال : لا أدرى ، غير أنه قال : طعام يوم .

٢٧٩١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، عن الضحاك فى قوله : « فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصومَ ، يفطر ويطعم كل يوم مسكيناً .

* * *

٨٢/٢ قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : « وَعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، منسوخٌ بقول الله تعالى ذكره : « فمن شَهد منكم الشهرَ فليصمه » .

لأن « الهاء » التى فى قوله : « وَعلى الذين يُطيقونه » ، من ذكر « الصيام » ومعناه : وعلى الذين يطيقون الصيام فدية طعامُ مسكين . فإذْ كان ذلك كذلك ، وكان الجميعُ من أهل الإسلام مجمعينَ على أن من كان مُطيقاً من الرجال الأصحاء المقيمين غير المسافرين صَوْمَ شهر رمضان ، فغير جائز له الإفطار فيه والافتداء منه بطعام مسكين — كان معلوماً أنَّ الآية منسوخةٌ .

هذا ، مع ما يؤيد هذا القول من الأخبار التى ذكرناها آنفاً عن مُعاذ بن جبل ، وابن عمر ، وسلمة بن الأكوع : من أنهم كانوا — بعد نُزول هذه الآية على عَهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى صوم شهر رمضان بالخيار بين صومه

وسُقوط الفدية عنهم ، وبين الإفطار والافتداء من إفطاره بإطعام مسكين لكل يوم ؛ وأنهم كانوا يفعلون ذلك حتّى نزلت : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، فألزموا فرضَ صومه ، وبطل الخيار والفديةُ .

* * *

فإن قال قائل : وكيف تدَّعى إجماعاً من أهل الإسلام = على أنَّ من أطاق صومه وهو بالصفة التى وصفت ، فغير جائز له إلاَّ صومُه = وقد علمت قول من قال : الحامل والمرضعُ إذا خافتا على أولادهما ، لهما الإفطار ، وإن أطاقتا الصوم بأبدانهما ، مع الخبر الذى رُوى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى :

٢٧٩٢ — حدثنا به هناد بن السرى قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس قال : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يتغدَّى ، فقال : تعالَ أحدِّثك ، إن الله وَضع عن المسافر والحامل والمرضع الصومَ وَشطرَ الصلاة » ؟ (١)

---

(١) الحديث : ٢٧٩٢ — قبيصة : هو ابن عقبة السوائى ، مضت ترجمته : ٤٨٩ ، وأشرنا هناك إلى الكلام فى روايته عن سفيان الثورى ، وأنه غير مقبول ، ونزيد هنا أن الشيخين أخرجا له فى الصحيحين من روايته عن الثورى ، كما فى كتاب رجال الصحيحين ، ص : ٤٢٢ .

أبو قلابة — بكسر القاف وتخفيف اللام : هو عبد الله بن زيد الجرمى — بفتح الجيم وسكون الراء — احد الأعلام الحفاظ من التابعين . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧/١/١٣٣ — ١٣٥ . وابن أبى حاتم ٢/٢/٥٧ — ٥٨ ، ورجال الصحيحين : ٢٥١ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٨٨ — ٨٩ .

أنس — فى هذا الحديث فقط : هو أنس بن مالك الكعبى ، من بنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وهو صحابى ليس له رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث الواحد. وبعضهم يذكر فى نسبته « القشيرى». يذهبون إلىأن « قشيراً » هو ابن كعب بن ربيعة . وهذا هو الثابت فى بعض كتب الأنساب ، مثل الاشتقاق لابن دريد ، ص : ١٨١ ، وجمهرة الأنساب لابن حزم ، ص : ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وقلدهم الحافظ فى التهذيب . ولكن البخارى قال فى ترجمته فى التاريخ الكبير ١/٢/٣٠ : « وكعب إخوة قشير » . وقال ابن أبى حاتم فى ترجمته ١/٢/٢٨٦ : « من بنى عبد الله بن كعب ، وكعب أخو قشير » . وفى رواية أبى داود لهذا الحديث — كما سيأتى فى التخريج إن شاء الله — : « عن أنس بن مالك ، رجل من بنى عبد الله بن كعب ، إخوة بنى قشير » . وقال الحافظ فى الإصابة ١ : ٧٣ « وهذا هو الصواب ، وبذلك جزم البخارى فى ترجمته . وعلى هذا فهو كعبى ، لاقشيرى ولأنه قشيراً هو ابن كعب ، ولكعب ابن اسمه عبد الله . فهو من إخوة قشير ، لا من قشير نفسه » .

و «أنس بن مالك » — فى الرواة ، خمسة نفر : « أنس بن مالك » بن النضر الأنصارى خادم رسول

قيل : إنّا لم ندّع إجماعاً فى الحامل والمرضع ، وإنما ادعينا فى الرجال الذين

الله صلى الله عليه وسلم . وهو المراد فى أكثر الأحاديث عند إطلاق اسم « أنس » . ثم « أنس بن مالك الكعبى » — هذا الذى هنا . وهذان صحابيان . و « أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى » ، والد الإمام « مالك بن أنس » ، وهو تابعى . ثم « أنس بن مالك الصيرفى » ، شيخ خلاد بن يحيى . و « أنس بن مالك» شيخ لأبى داود الطيالسى . وهذان متأخران ، يرويان عن التابعين . وقد ترجم ابن أبى حاتم لهؤلاء الخمسة . وترجم البخارى فى الكبير الثلاثة الأول فقط . وذكرهم كلهم ابن الجوزى فى تلقيح فهوم أهل الأثر ، ص : ٣٢٠ . وقال فى شأن « الكعبى » هذا ، وأشار إلى حديثه الذى هنا — : روى هذا الحديث الثورى ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس [يعنى الكعبى] . وعند الثورى بهذا الإسناد عن أنس الأنصارى أحاديث » .

وهذا حق . ولذلك كان إطلاق اسم « أنس » هنا غير مستساغ ممن أطلقه ، سواء أكان الطبرى أم أحد شيوخ الإسناد ، لما فيه من الإيهام .

والحديث رواه البخارى فى الكبير ١/٢/٣٠ ، عن قبيصة — شيخ هناد فى هذا الإسناد — وعن محمد ابن يوسف ، كلاهما عن الثورى ، به . موجزاً كعادته . وصرح فى الإسناد بأنه « عن أنس بن مالك الكعبى »

ورواه النسائى ١ : ٣١٥ — ٣١٦ ، عن عمر بن محمد بن الحسن — هو ابن التل — عن أبيه ، عن الثورى ، به ، بلفظ : « إن الله وضع عن المسافر ، يعنى نصف الصلاة ، والصوم ، وعن الحامل والمرضع » .

ورواه أحمد فى المسند ٥ : ٢٩ (حلبى) عن ابن علية ، عن أيوب ، قال : « كان أبو قلابة حدثنى بهذا الحديث ، ثم قال لى : هل لك فى الذى حدثنيه ؟ قال : فدلنى عليه ، فأتيته ، فقال : حدثنى قريب لى يقال له أنس بن مالك . . . » . فذكره بقصة فى أوله .

فى هذه الرواية أن بين أبى قلابة وأنس الكعبى رجلا مبهماً هو الذى حدثه به عنه .

وكذلك ذكر البخارى أن بينهما رجلا : فرواه عقب ذاك ، عن يحيى بن موسى ، عن عبد الرزاق عن معمر ، عن أيوب ، عن أبى قلابة « عن رجل من بنى عامر : أن رجلا يقال له أنس حدثه : أنه قدم المدينة — نحوه » .

وأنا أرى ترجيح رواية قبيصة ومحمد بن يوسف ، التى ليس فيها الرجل المبهم ، وقد تابعهما عليها محمد ابن الحسن التل . فإن الثورى أحفظ من معمر ومن ابن علية معاً ، وهو المقدم على من خالفه فى الحفظ والإتقان.

وللحديث إسناد آخر ، من وجه آخر . رواه أبو هلال محمد بن سليم الراسبى ، عن عبد الله بن سوادة ، عن أنس الكعبى ، وهو إسناد جيد ، بل صحيح ، وأبو هلال الراسبى : ثقة لا بأس به .وعبد الله بن سوادة ابن حنظلة القشيرى : ثقة أيضاً .

فرواه أحمد فى المسند ٤ : ٣٤٧ (حلبى) ، عن وكيع ، وعن عفان. ورواه عقبة ابنه عبد الله عن شيبان. ورواه أحمد أيضاً ٥ : ٢٩ (حلبى) ، عن عبد الصمد . ورواه ابن سعد فى الطبقات ٧/١/٣٠ ، عن وكيع وعفان . ورواه أبو داود : ٢٤٠٨ ، عن شيبان بن فروخ . ورواه الترمذى ٢ : ٤٢ ، عن أبى كريب ويوسف بن عيسى ، عن وكيع . ورواه ابن ماجة : ١٦٦٧ ، عن أبى بكر بن أبى شيبة وعلى ابن محمد ، عن وكيع . ورواه البيهقى ٤ : ٢٣١ ، من طريق عبيد الله بن موسى ، وأبى نعيم . كل هؤلاء

وصفنا صفتهم. فأما الحامل والمرضع، فإنما علمنا أنهن غير معنيات بقوله : « وعلى الذين يُطيقونه » ، وخلا الرجال أن يكونوا معنيين به ،[1] لأنهن لو كن معنيات بذلك دون غيرهن من الرجال ، لقيل : وعلى اللواتى يُطقنه فدية طعامُ مسكين ، لأن ذلك كلام العرب ، إذا أفرد الكلامُ بالخبر عنهن دون الرجال . فلما قيل : « وعلى الذين يُطيقونه » ، كان معلوماً أن المعنىَّ به الرجالُ دون النساء ، أو الرجالُ والنساء . فلما صحّ بإجماع الجميع — على أن من أطاق من الرجال المقيمين الأصحاء صومُ شهر رمضان ، فغيرُ مرخص له فى الإفطار والافتداء ، فخرج الرجال من أن يكونوا معنيين بالآية، وعُلم أن النساء لم يُردن بها لما وصفنا : من أن الخبر عن النساء إذا انفرد الكلامُ بالخبر عنهن : « وعلى اللواتى يطقنه » ، والتنزيل بغير ذلك.

وأما الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه إن كان صحيحاً ، فإنما معناه : أنه وضَع عن الحامل والمرضع الصومّ ما دامتا عاجزتين عنه ، حتى تُطيقا فتقضيا ، كما وُضع عن المسافر فى سفره ، حتى يقيم فيقضيه — لا أنهما أُمرتا بالفدية والإفطار بغير وجوب قضاء ، ولو كان فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله وضع عن المسافر والمرضع والحامل الصوم » ، دلالةٌ على أنه صلى الله عليه وسلم إنما عنى أن الله تعالى ذكره وضع عنهم بقوله : « وعلى الذين يُطيقونه

وكيع ، وعفان ، وشيبان ، وعبد الصمد ، وعبيد الله بن موسى ، وأبو نعيم — رووه عن أبى هلال الراسبى ، عن عبد الله بن سوادة ، عن أنس الكعبى ، به مطولا ، فى قصة .

وهذا إسناد متصل بالسماع، لأن ابن سعد قال عقب روايته : « قال عفان فى الحديث كله : حدثنا، قال : حدثنا ، إلى آخره » . فهذا نص على سماع كل شيخ ممن قبله إلى الصحابى .

وقال الترمذى : « حديث أنس بن مالك الكعبى : حديث حسن . ولا نعرف لأنس بن مالك هذا ، عن النبى صلى الله عليه وسلم — غير هذا الحديث الواحد ». ونقل الحافظ فى التهذيب ١ : ٣٧٩ ، عن الترمذى أنه « صححه » . ولكن الذى فى أيدينا من نسخ الترمذى قوله « حديث حسن » فقط . فنستفاد زيادة تصحيحه من نقل الحافظ .

(١) « خلا الرجال » أى خرجوا. من قولهم : «أنا منك خلاء ، وخلى » ، أى برىء منك . ويقال : « هو خلو من هذا الأمر » أى خارج ، أو خال منه .

فدية طعامُ مسكين » ، لوجب أن لا يكون على المسافر إذا أفطر فى سفره قضاء ، وأن لا يلزمه بإفطاره ذلك إلا الفدية ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع بين حُكمه وبين حكم الحامل والمرضع . وذلك قولٌ ، إن قاله قائلٌ ، خلافٌ لظاهر كتاب الله ، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أنّ معنى قوله : « وعلى الذين يطيقونه » ، وعلى الذين يطيقون الطعام . وذلك لتأويل أهل العلم مخالفٌ .

* * *

وأما قراءة من قرأ ذلك : « وعلى الذين يُطوَّقونه » فقراءة لمصاحف أهل الإسلام خلافٌ ، وغير جائز لأحد من أهل الاسلام الاعتراض بالرأى على ما نقله المسلمون وِراثة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم نقلاً ظاهراً قاطعاً للعذر. لأن ما جاءت به الحجة من الدين ، هو الحق الذى لاشك فيه أنه من عند الله. ولا يُعترض على ما قد ثبت وقامت به حُجة أنه من عند الله ، بالآراء والظنون والأقوال الشاذة .

* * *

وأما معنى « الفدية » فإنه : الجزاء ، من قولك : « فديت هذا بهذا » ، أى جزيته به ، وأعطيته بدلاً منه .

* * *

ومعنى الكلام : وعلى الذين يُطيقون الصيام جزاءُ طعام مسكين ، لكلّ يوم أفطرَه من أيام صيامه الذى كتب عليه .

* * *

وأما قوله : « فدية طعامُ مسكين » ، فإنّ القرأة مختلفةٌ فى قراءته . فبعضٌ يقرأ بإضافة « الفدية » إلى « الطعام » ، وخفض « الطعام » — وذلك قراءة مُعظَم قراء أهل المدينة [٢] — بمعنى : وعلى الذين يطيقونه أن يفدوه طعامَ مسكين.

---

(١) انظر ما سلف فى صدر تفسير هذه الآية : ...

(٢) فى المطبوعة : « معظم قراء » ، وصواب لفظ الطبرى ما أثبت ، كما مضى مراراً ، وكما سيأتى بعد قليل على الصواب . ومعنى الحرفين سواء ، على كل حال .

فلما جعل مكان « أن يفديه» « الفدية »، أضيف إلى « الطعام » ، كما يقال « لزمنى غرامةُ درهم لك » ، بمعنى : لزمنى أن أغرَم لك درهماً .

وآخرون يقرأونه بتنوين « الفدية » ، ورفع « الطعام » ، بمعنى الإبانة فى « الطعام » عن معنى « الفدية » الواجبة على من أفطر فى صومه الواجب ، كما يقال : « لزمنى غرامةٌ ، درهمٌ لك » ، فتبين « بالدرهم » عن معنى « الغرامة » ما هى ؟ وما حدُّها ؟ وذلك قراءة مُعظم قُراء أهل العراق .

٨٣/٢

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بين الصواب قراءة من قرأ « فديةُ طعام » بإضافة « الفدية » إلى « الطعام »، لأن « الفدية » اسم للفعل ، وهى غير « الطعام » المفدىّ به الصوم .

وذلك أن « الفِدْية » مصدر من قول القائل: « فَديت صَوم هذا اليوم بطعام مسكين أفديه فدية »، كما يقال: « جلست جِلْسة، ومَشيتُ مِشْية » . « والفدية » فعل، و « الطعام » غيرها . فإذْ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ أن أصحّ القراءتين إضافة « الفدية » إلى « الطعام » ،[1] وواضحٌ خطأ قول من قال : إن ترك إضافة « الفدية » إلى الطعام، أصح فى المعنى ، من أجل أن « الطعام » عنده هو «الفدية».

فيقال لقائل ذلك : قد علمنا أن « الفدية » مقتضية مفديًّا، ومفديًّا به ، وفدية. فإن كان « الطعام » هو « الفدية » « والصوم » هو المفدىّ به ، فأين اسم فعل المفتدى الذى هو « فدية » إنّ هذا القول خطأ بين غير مشكل .

* * *

وأما « الطعام » فإنه مضاف إلى « المسكين » . والقرأة فى قراءة ذلك مختلفون .

فقرأه بعضهم بتوحيد « المسكين »، بمعنى : وعلى الذين يطيقونه فدية طعام

---

(١) فى المطبوعة : « فتبين أن أصح القراءتين . . . » ، ومثل هذا التحريف كثير فيما مضى، والصواب ما أثبت ، وقوله بعد : « وواضح خطأ قول القائل ... » ، معطوف عليه . فهذا هو صواب [illegible] .

مسكين واحد لكل يوم أفطره ، كما : —

٢٧٩٣ — حدثني محمد بن يزيد الرفاعي قال، حدثنا حسين الجعفي ، عن أبي عمرو أنه قرأ : « فدية » — رفع منون — « طعام » — رفع بغير تنوين — «مسكين» ، وقال : عن كل يوم مسكين . وعلى ذلك عُظْم قراء أهل العراق .

* * *

وقرأه آخرون بجمع « المساكين » ، « فدية طعام مَساكين » بمعنى : وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين عن الشهر ، إذا أفطر الشهر كله ، كما :—

٢٧٩٤ — حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعي ، عن يعقوب ، عن بشار ، عن عمرو ، عن الحسن : « طعام مساكين » ، عن الشهر كله .

* * *

قال أبو جعفر : وأعجبُ القراءتين إليّ في ذلك قراءة من قرأ : « طعام مسكين » على الواحد ، بمعنى : وعلى الذين يطيقونه عن كل يوم أفطروه فدية طعام مسكين . لأن في إبانة حُكم المفطر يوماً واحداً ، وصُولاً إلى معرفة حُكم المفطر جميع الشهر — وليس في إبانة حكم المفطر جميعَ الشهر ، وصولٌ إلى إبانة حكم المفطر يوماً واحداً ، وأياماً هي أقل من أيام جميع الشهر — ، وأن كل « واحد » يُترجم عن « الجميع » ، وأن « الجميع » لا يترجم به عن « الواحد » . فلذلك اخترنا قراءة تلك بالتوحيد .[1]

* * *

واختلف أهل العلم في مبلغ الطعام الذي كانوا يطعمون في ذلك إذا أفطروا .

فقال بعضهم : كان الواجبُ من طعام المسكين لإفطار اليوم الواحد نصف صاع من قمح .

وقال بعضهم : كان الواجب من طعام المسكين لإفطار اليوم ، مدًّا من قمح ومن سائر أقواتهم .

---

(١) الترجمة : البدل ، كما سلف مراراً . انظر ٢ : ٣٤٠ ، وفهرس المصطلحات .

وقال بعضهم : كان ذلك نصف صاع من قمح ، أو صاعاً من تمر أو زبيب .

وقال بعضهم : ما كان المفطر يتقوّته يومَه الذى أفطرَه .

وقال بعضهم : كان ذلك سحوراً وَعشاءً، يكون للمسكين إفطاراً .

وقد ذكرنا بعض هذه المقالات فيما مضى قبل ، فكرهنا إعادة ذكرها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم بما : —

٢٧٩٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وعطاء ، عن ابن عباس : « فمن تطوع خيرًا »، فزاد طعامَ مسكين آخر ، « فهو خيرٌ له وأن تصومُوا خيرٌ لكم » .

٢٧٩٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس مثله .

٢٧٩٧ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد فى قوله : « فمن تطوع خيرًا » ، قال : من أطعم المسكين صاعاً .

٢٧٩٨ — حدثنى المثنى قال ،حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس، عن أبيه : « فمن تطوّع خيرًا فهو خيرٌ له » ، قال : إطعامُ مَساكين عن كل يوم ، فهو خير له .

٢٧٩٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن حنظلة ، عن طاوس : « فمن تطوع خيرًا » ،قال : طعامُ مسكين .

٢٨٠٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثناسويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن

حنظلة ، عن طاوس نحوه .

٢٨٠١ — حدثنا محمد بن بشار قال ،حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن طاوس : « فمن تطوع خيرًا » ، قال : طعام مسكين .

٢٨٠٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن ليث عن طاوس مثله .

٢٨٠٣ — حدثنا أبو كريب قال،حدثنا عمرو بن هرون قال ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء أنه قرأ:« فمن تطوع » — بالتاء خفيفة [الطاء] — « خيرًا » ، قال : زاد على مسكين .[1]

٢٨٠٤ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن تَطوع خيرًا فهو خيرٌ له » ، فإن أطعم مسكينين فهو خير له

٢٨٠٥ — حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى ابن طاوس ، عن أبيه : « فمن تطوع خيرًا فهو خير له » ، قال : من أطعم مسكيناً آخر .

٨٤/٢

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، فمن تطوع خيرًا فصامَ مع الفدية .

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٠٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب : « فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له » ، يريد أن من صامَ مع الفدية فهو خير له .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن تطوع خيرًا فزاد المسكين على قَدر طعامه.

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها ، وإلا فسد الكلام. والقراءة الأخرى فى هذه الكلمة : « يَطَّوَّعْ » بياء الغيبة ، وفتح الياء ، وتشديد الطاء وفتحها ، وتشد الواو وفتحها ، وجزم العين .

٢٨٠٧ ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قال، مجاهد: « فمن تطوع خيرًا »، فزاد طعامًا، « فهو خير له » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره عمّ بقوله : « فمن تطوع خيرًا » ، فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض . فإنّ جَمْعَ الصَّوْم مع الفدية من تطوُّع الخير ، وزيادةُ مسكين على جزاء الفدية من تطوُّع الخير . وجائز أن يكون تعالى ذكره عنى بقوله : « فمن تطوع خيرًا »، أيَّ هذه المعاني تطوّع به المفتدي من صومه ، فهو خير له . لأن كل ذلك من تطوع الخير ، ونوافل الفضل .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٤)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وأنْ تصوموا » ، ما كتب عليكم من شهر رمضان، « فهو خير لكم » من أن تفطروه وتفتدوا ، كما : —

٢٨٠٨ ـ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وأنْ تصوموا خيرٌ لكم » ، ومن تكلف الصيامَ فصامه فهو خيرٌ له .

٢٨٠٩ ـ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني يونس ، عن ابن شهاب: « وأن تصوموا خيرٌ لكم »، أي: إن الصيامَ خير لكم من الفدية .

٢٨١٠ ـ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأن تصوموا خيرٌ لكم »... ...[1]

* * *

وأما قوله : « إن كنتم تعلمون » ، فإنه يعني : إن كنتم تعلمون خيرَ الأمرين لكم أيها الذين آمنوا ، من الإفطار والفدية ، أو الصوم على ما أمركم الله به .

* * *

القول في تأويل قوله جل ذكره ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾

قال أبو جعفر : « والشهر »، فيما قيل ، أصله من « الشهرة » . يقال منه : « قد شَهر فلانٌ سيْفه » — إذا أخرجه من غمده فاعترض به من أراد ضربه — « يشهرُه شهراً » . وكذلك « شَهر الشهر » ، إذا طلع هلاله ، « وأشهرْنا نحن » ، إذا دخلنا في الشهر .

* * *

وأما « رمضان » ، فإن بعض أهل المعرفة بلغة العرب كان يزعم أنه سمى بذلك لشدة الحرّ الذي كان يكون فيه ، حتى ترْمَض فيه الفِصَال،[2] كما يقال للشهر الذي يُحجّ فيه « ذو الحجة » ، والذي يُرتبع فيه « ربيع الأول ، وربيع الآخر » .

* * *

وأما مجاهد فإنه كان يكره أن يقال : « رمضان » ، ويقول : لعله اسمٌ من أسماء الله .

٢٨١١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن

---

(١) الأثر : ٢٨١٠ — سقط آخره ، ولم أجده في المراجع . ولكن صوابه كالذي قبله : من الإفطار والفدية ، كما هو ظاهر .

(٢) الفصال جمع فصيل : وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه . ورمض الفصال : أن تحترق الرمضاء — وهو الرمل — فتبرك الفصال من شدة حرها ، وإحراقها أخفافها وفراسنها . ورمضت قدمه من الرمضاء : احترقت .

مجاهد : أنه كره أن يقال : « رمضان » ، ويقول : لعله اسم من أسماء الله لكن نقول كما قال الله: « شهر رمضان » .

* * *

وقد بينت فيما مضى أن « شهر » مرفوع على قوله : « أياماً معدودات » ، هن شهر رمضان . (١) وجائز أن يكون رفعه بمعنى : ذلك شهر رمضان ، وبمعنى : كتب عليكم شهرُ رمضان.

وقد قرأه بعض القراء « شهرَ رَمضان » نصباً ، بمعنى : كتب عليكم الصيام أن تصوموا شهرَ رمضان . وقرأه بعضهم نصباً بمعنى : أن تصوموا شهرَ رمضان خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون . وقد يجوز أيضاً نصبه على وجه الأمر بصومه ، كأنه قيل : شهرَ رمضان فصومُوه . وجائز نصبه على الوقت ، كأنه قيل : كتب عليكم الصيام فى شهر رمضان .

* * *

وأما قوله: « الذى أنزل فيه القرآن »، فإنه ذكر أنه نَزَل فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، فى ليلة القدر من شهر رمضان . ثم أنزِل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أراد الله إنزاله إليه ، كما : —

٢٨١٢ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش، عن حسان بن أبى الأشرَس ، عن سعيد بن حبير ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملةً من الذكر فى ليلة أربع وعشرين من رمضان ، فُجعل فى بيت العزّة — قال أبو كريب : حدثنا أبو بكر ، وقال ذلك السدى .

٢٨١٣ — حدثنى عيسى بن عثمان قال، حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد بن جبير قال : نزل القرآن جملة واحدةً فى ليلة القدر فى شهر رمضان ، فجعل فى سماء الدنيا . (٢)

---

(١) انظر ما سلف آنفاً : ٤١٥، ٤١٧

(٢) الأثر : ٢٨١٣ — فى المطبوعة : «يحيى عن عيسى» ، وهو خطأ . وانظر التعليق على الأثر رقم : ٣٠٠ .

٢٨١٤ — حدثنا أحمد بن منصور قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء قال ، حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن واثلة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نزلت صُحُف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراةُ لست مَضَيْن من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاثَ عشرة خلت ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان . (١)

٢٨١٥ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « شهرُ رَمضان الذى أنزِل فيه القرآن » . أما « أنزل فيه القرآن » ، فإن ابن عباس قال : شهر رمضان ، والليلةُ المباركة ليلةُ القدر ، فإن ليلة القدر هى الليلة المباركة ، وهى فى رمضان ، نزل القرآن جملةً واحدة من الزُّبُر إلى البيت المعمور ، وهو « مواقع النجوم » فى السماء الدنيا حيث وقع القرآن ، ثم نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى الأمر والنهى وفى الحروب رَسَلاً رَسَلاً . (٢)

٨٥/٢

٢٨١٦ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر ، فكان الله إذا أراد أن يُوحِيَ منه شيئاً أوحاه ، فهو قوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [سورة القدر : ١] .

---

(١) الحديث : ٢٨١٤ — عبد الله بن رجاء بن عمرو الغدانى : ثقة من شيوخ البخارى . و « الغدانى » : بضم الغين المعجمة وتخفيف الدال المهملة .

عمران القطان : هو عمران بن داور ، مضى فى : ١٢٦ . وكنيته « أبو العوام » .

أبو المليح : هو ابن أسامة الهذلى ، وهو تابعى ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . ووقع فى المطبوعة « عن ابن أبى المليح » . وزيادة « ابن » خطأ واضح .

واثلة — بالثاء المثلثة : هو ابن الأسقع ، صحابى معروف . والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٧٠٥١ (٤ : ١٠٧ حلبى) ، عن أبى سعيد مولى بنى هاشم ، عن عمران أبى العوام ، بهذا الإسناد ، وهو إسناد صحيح .

ونقله ابن كثير ١ : ٤٠٦ ، عن المسند . وكذلك السيوطى ١ : ١٨٩ ، وزاد نسبته إلى محمد بن نصر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، والبيهقى فى الشعب .

(٢) رسلا رسلا : أى قطعة قطعة ، وفرقة فرقة .

٢٨١٧ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه — وزاد فيه : فكان من أوله وآخره عشرون سنة .

٢٨١٨ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أُنزِل القرآنُ كله جملةً واحدةً فى ليلة القدر فى رمضان، إلى السماء الدنيا ، فكان الله إذا أراد أن يحدث فى الأرض شيئاً أنزله منه ، حتى جمعه .

٢٨١٩ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن فى ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء جملة واحدة، ثم فرِّق فى السنين بعدُ . قال : وتلا ابن عباس هذه الآية : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [سورة الواقعة : ٧٥] ، قا ، : نزل مفرَّقاً .

٢٨٢٠ — حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن داود ، عن الشعبى قال : بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا .

٢٨٢١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك، قرْه ابن جريج فى قوله :(١) « شهرُ رَمضان الذى أنزل فيه القرآن » ، قال : قال ابن عباس : أنزل القرآن جملةً واحدة على جبريل فى ليلة القدر ، فكان لا ينزل منه إلا بأمر. قال ابن جريج : كان ينزَّل من القرآن فى ليلة القدر كلُّ شىء ينزل من القرآن فى تلك السنة . فنزل ذلك من السماء السابعة على جبريل فى السماء الدنيا ، فلا ينزِّل جبريلُ من ذلك على محمد إلاّ ما أمره به ربه . ومثل ذلك ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ و﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [سورة الدخان : ٣] .

(١) هكذا فى المطبوعة ، ولم أدر ما هو ، وأخشى أن يكون صوابه « قرأ ابن جريج قوله . . . »

٢٨٢٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدى، عن محمد بن أبي المجالد، عن مقسم، عن ابن عباس، قال له رجل: إنه قد وقع في قلبي الشك من قوله: «شهرُ رَمضان الذى أنزل فيه القرآن»، وقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ وقوله ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وقد أنزل الله في شوّال وذى القعدة وغيره! قال: إنما أنزل في رمضان في ليلة القدر وليلة مباركة جملة واحدةً، ثم أنزل على مَواقع النجوم رَسَلاً في الشهور والأيام.

* * *

وأما قوله: «هُدى للناس»، فإنه يعنى رَشاداً للناس إلى سبيل الحقّ وقَصْد المنهج.[1]

* * *

وأما قوله: «وبَيِّنات»، فإنه يعنى: وواضحات «من الهدى» — يعنى: من البيان الدالّ على حدود الله وفرائضه وحلاله وحرامه.[2]

* * *

وقوله: «والفرقان» يعنى: والفصل بين الحق والباطل،[3] كما: —

٢٨٢٣ — حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدى: أما «وبينات من الهدى والفرقان»، فبينات من الحلال والحرام.

* * *

(١) انظر تفسير «هدى» فيما سلف فى فهرس اللغة.

(٢) انظر تفسير «بينات» فيما سلف فى فهرس اللغة.

(٣) انظر تفسير «فرقان» فيما سلف ١ : ٩٨ — ٩٩.

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « شهود الشهر » .

فقال بعضهم : هو مُقام المقيم فى داره . قالوا : فمن دخل عليه شهرُ رمضان وهو مقيم فى داره ، فعليه صوم الشهر كله ، غابَ بعدُ فسافر ، أو أقام فلم يبرح .

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٢٤ — حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عيسى الدامغانى قالا ، حدثنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه » ، قال : هو إهلاله بالدار . يريد : إذا هلّ وهو مُقيم .

٢٨٢٥ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عمن حدثه ، عن ابن عباس أنه قال . فى قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، فإذا شهده وهو مقيم فعليه الصوم ، أقام أو سافر . وإن شهده وهو فى سَفر ، فإن شاء صامَ وإن شاء أفطر .

٢٨٢٦ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد ، عن عبيدة — فى الرجل يُدركه رمضان ثم يُسافر — قال : إذا شهدتَ أوله فصمْ آخره ، ألا تراه يقول : « فمن شَهدَ منكم الشهر فليصمه » ؟

٢٨٢٧ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن هشام القردوسى ، عن محمد بن سيرين قال ، سألت عَبيدة : عن رجل أدرك رمضان وهو مقيم ؟ قال : من صام أول الشهر فليصم آخره ، ألا تراه يقول : « فمنْ شَهد منكم الشهرَ فليصمه » .[1]

---

(١) الأثر : ٢٨٢٧ — فى المطبوعة : « الفردوسى » ، والصواب بالقاف المضمومة ، هشام بن حسان الأزدى القردوسى أبو عبد الله البصرى ، روى عن حميد بن هلال والحسن البصرى ومحمد وأنس وحفص بنى

٢٨٢٨ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أما « من شهد منكم الشهر فليصمه » ، فمن دخل عليه رمضان وهو مقيم في أهله فليصُمه ، وإن خرج فيه فليصُمه ، فإنه دخل عليه وهو في أهله.

٨٦/٢

٢٨٢٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا قتادة ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني ، عن علي — فيما يحسب حماد — قال : من أدرك رمضان وهو مقيم لم يخرج ، فقد لزمه الصوم ، لأن الله يقول : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه» .

٢٨٣٠ — حدثنا هناد بن السري قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن إسمعيل ابن مسلم ، عن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة السلماني عن قول الله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، قال : من كان مقيماً فليصُمه ، ومن أدركه ثم سافر فيه فليصمه .

٢٨٣١ — حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : من شهد أول رمضان فليصم آخرَه .

٢٨٣٢ — حدثنا هناد قال ، حدثنا عبدة ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة أن عليًّا كان يقول : إذا أدركه رمضان وهو مقيم ثم سافر ، فعليه الصوم .

٢٨٣٣ — حدثنا هناد ،قال ، حدثنا عبد الرحيم ، عن عُبيدة الضبي ، عن إبراهيم قال : كان يقول : إذا أدركك رمضانُ فلا تسافر فيه ، فإن صمت فيه يوماً أو اثنين ثم سافرت ، فلا تفطر ، صُمه .

٢٨٣٤ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري قال : كنا عند عُبيدة فقرأ هذه الآية :

سيرين وغيرهم ، وروى عنه عكرمة بن عمار وسعيد بن أبي عروبة وابن علية وغيرهم . يقال هو منسوب إلى درب بالبصرة يقال له «القراديس» ، وهو جمع قردوس ، وهو أبو حي من اليمن ، سمي الدرب بهم . ويقال : هو مولى لهذا الحي . قال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله . ومات سنة ١٤٦ .

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، قال : من صام شيئاً منه فى المصر فليصم بقيته إذا خرج . قال : وكان ابن عباس يقول : إن شاء صام وإن شاء أفطر .

٢٨٣٥ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب — وحدثنى يعقوب ابن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية — قالا جميعاً ، حدثنا أيوب ، عن أبى يزيد ، عن أم ذرة ، قالت : أتيت عائشة فى رمضان ، قالت : من أين جئتِ ؟ قلت : من عند أخى حنين . قالت : ما شأنه ؟ قالت : ودّعته يُريد يرتحل . قالت : فأقرئيه السلام ومُريه فليُقم ، فلو أدركنى رمضانُ وأنا ببعض الطريق لأقمت له .[1]

٢٨٣٦ — حدثنا هناد قال ، حدثنا إسحق بن عيسى ، عن أفلح ، عن عبد الرحمن ، قال : جاء إبراهيم بن طلحة إلى عائشة يُسلّم عليها ، قالت : وأين تريد ؟ قال : أردتُ العمرة . قالت : فجلستَ حتى إذا دخل عليك الشهر خرجتَ فيه ! قال : قد خرج ثَقَلى ! قالت : اجلس ، حتى إذا أفطرت فاخرج — يعنى شهرَ رمضان .[2]

* * *

(١) الخبر : ٢٨٣٥ — أبو يزيد : هو المدنى ، يعد فى أهل البصرة . وهو تابعى ثقة ، وثقه ابن معين . وترجمه البخارى فى الكنى ، رقم : ٧٨٤ ، وقال : « سمع ابن عمر » . وابن أبى حاتم ٤/٢/ ٤٥٨ — ٤٥٩ . وفى التهذيب عن الآجرى ، عن أبى داود : « سألت أحمد عنه ، فقال : تسأل عن رجل روى عنه أيوب ؟ »

أم ذرة — بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء — مولاة عائشة : تابعية ثقة . مترجمة فى التهذيب . وابن سعد ٨ : ٣٥٧ ، وذكر لها روايتين أخريين عن عائشة ، روى أحدهما مطولا قبل ذلك فى ترجمة عائشة ٨ : ٤٦ .

أما أخوها « حنين » : فإنى لم أجد له ذكراً فى غير هذا الموضع .

والخبر ذكره السيوطى ١ : ١٩١ ، بنحو معناه ، ونسبه لعبد بن حميد فقط . ولم يسم فيه « حنين » أخو « أم ذرة » ، بل ذكر أنه أخوها فقط .

(٢) الخبر : ٢٨٣٦ — إسحق بن عيسى : هو ابن الطباع البغدادى ، ثقة من الرواة عن مالك وطبقته .

أفلح : هو ابن حميد بن نافع المدنى ، وهو ثقة معروف ، روى له الشيخان .

عبد الرحمن هو ابن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، ثقة إمام ، من خيار المسلمين . ولد فى حياة عائشة .

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن شهد منكم الشهر فليصُمْ ما شهد منه

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٣٧ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق : أن أبا مَيسرة خرج فى رمضان ، حتى إذا بلغ القنطرة دعا ماءً فشرب .

٢٨٣٨ — حدثنا هناد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة قال : خرج أبو ميسرة فى رمضان مسافراً ، فمرّ بالفرات وهو صائم ، فأخذ منه كفًّا فشربه وأفطر .

٢٨٣٩ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن مرثد : أن أبا مَيسرة سافرَ فى رمضان ، فأفطر عند باب الجسر — هكذا قال هناد ، عن مرثد ، وإنما هو أبو مَرثد .

٢٨٤٠ — حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن مرثد : أنه خرج مع أبي ميسرة فى رمضان ، فلما انتهى إلى الجسر أفطر . (١)

إبرهيم بن طلحة : هو إبرهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمى ، نسب هنا إلى جده . وهو تابعى ثقة رفيع الشأن .

وهذا الخبر نقله السيوطى ١ : ١٩١ ، ونسبه لعبد بن حميد فقط . وفيه أنه « عن عبد الرحمن بن القاسم : أن إبرهيم بن محمد جاء إلى عائشة . . . » ، فذكر نحو مما هنا ، بمعناه .

(١) الخبران : ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠ — هما من رواية أبي إسحق السبيعى ، عن « مرثد » ، عن « أبي ميسرة » .

وقال الطبرى فى أولها : « هكذا قال هناد : عن مرثد ، وإنما هو : عن أبي مرثد » ! يعنى أن شيخه فى أولها ، وهو « هناد » ، أخطأ فى ذلك ، ومن عجب أنه يرويه عقبه فى الرواية الثانية ، عن شيخ آخر ، بإسناد آخر إلى أبي إسحق — كرواية هناد ، التى زعم أنه أخطأ فيها !

وعندى أن أبا جعفر — رحمه الله — هو الذى وهم ، أصاب الصواب فأخطأه :

أما أولا : فلاتفاق راويين حافظين ثقتين ، هما سفيان الثورى فى الإسناد الأول ، وإسرائيل بن يونس بن أبي اسحق السبيعى فى الإسناد الثانى — كلاهما عن أبي إسحق أنه « عن مرثد » .

وأما ثانياً : فلأننا لانعرف فى الرواة من كنيته « أبو مرثد » ، إلا « أبا مرثد الغنوى كناز بن الحصين » ، وهو صحابى قديم الوفاة ، مات سنة ١٢ . إلا أن يكون الطبرى يعرف راوياً آخر بهذه الكنية لم يصل إلينا خبره . وما أظن .

وأبو ميسرة ، صاحب الخبر فى الروايتين : هو عمرو بن شرحبيل الهمدانى الكوفى ، وهو تابعى كبير

٢٨٤١ ـ حدثنا هناد وأبو هشام قالا ، حدثنا وكيع ، عن المسعودى ، عن الحسن بن سعد ، عن أبيه قال : كنت مع علىّ فى ضيعة له على ثلاث من المدينة ، فخرجنا نريد المدينة فى شهر رمضان ، وعلىٌّ راكبٌ وأنا ماشٍ ، قال : فصام ـ قال : هناد : وأفطرت ـ قال أبو هشام : وأمرنى فأفطرتُ .

٢٨٤٢ ـ حدثنا هناد قال ، حدثنا عبد الرحيم ، عن عبد الرحمن بن عتبة ، عن الحسن بن سعد، عن أبيه قال : كنت مع علىّ بن أبى طالب وهو جاءٍ من أرض له ، فصام ، وأمرنى فأفطرت ، فدخل المدينة ليلاً ، وكان راكباً وأنا ماشٍ .

٢٨٤٣ـ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ـ وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن مهدى ـ قالا جميعاً ،حدثنا سفيان ، عن عيسى بن أبى عزة ، عن الشعبى : أنه سافر فى شهر رمضان فأفطر عند باب الجسر.

٢٨٤٤ ـ حدثنا ابن بشار قال،حدثنا عبد الرحمن قال ، قال لى سفيان : أحبُّ إلىّ أن تُتمه .

٢٨٤٥ ـ حدثنا ابن المثنى قال،حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة قال : سألت الحكمَ وحماداً ، وأردت أن أسافر فى رمضان ، فقالا لى : اخرج . وقال حماد ، قال إبراهيم : أما إذا كان العَشر ، فأحبُّ إلىّ أن يقيم .

٢٨٤٦ ـ حدثنا ابن المثنى قال،حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا حماد ، عن قتادة ، عن الحسن وسعيد بن المسيب قالا : من أدركه الصومُ وهو مقيم رمضان ثم سافر ، قالا: إن شاءَ أفطر .

* * *

ثقة ، من شيوخ أبى إسحق السبيعى . مات سنة ٦٣ ، وشهد السبيعى جنازته . ولو شاء أبو إسحق أن يروى هذا الخبر عنه دون واسطة ، لما دفع عن ذلك ، إذ عرف بالرواية عنه . ولكنه لم يشأ أن يدلس فى خبر لم يشهده بنفسه ، فرواه عن شهده . وهو « مرثد » .

والراجح عندى : أنه « مرثد بن عبد الله اليزنى » ، وهو تابعى أقدم قليلا من السبيعى . مات مرثد سنة ٩٠ . ومات السبيعى ـ وهو تابعى أيضاً ـ سنة ١٢٦ أو بعدها بقليل .

فمن هذا كله رجحت ـ بل استيقنت ـ أن أبا جعفر رحمه الله ، هو الذى وهم .

وقال آخرون: « فَمَن شهد منكم الشهر فليصمه » ، يعنى : فمن شهده عاقلاً بالغاً مُكلفاً فليصمه.

وممن قال ذلك أبو حنيفة وأصحابه ، كانوا يقولون : من دخل عليه شهرُ رمضان وهو صحيحٌ عاقلٌ بالغٌ فعليه صومه ، فإن جُنَّ بعد دُخوله عليه وهو بالصفة التى وصفنا ، ثم أفاقَ بعد انقضائه ، لزمه قضاءُ ما كان فيه من أيام الشهر مغلوباً على عقله ، لأنه كان ممن شهده ، وهو ممن عليه فُرض.

٨٧/٢ قالوا: وكذلك لو دخل عليه شهرُ رمضان وهو مجنونٌ ، إلاَّ أنه ممن لو كان صحيحَ العقل كان عليه صَوْمه، فلن ينقضى الشهر حتى صَح وَبرأ، أو أفاق قبل انقضاء الشهر بيوم أو أكثر من ذلك ، فإنَّ عليه قضاءُ صومْ الشهر كله ، سوى اليوم الذى صامه بَعد إفاقته ، لأنه ممن قد شَهد الشهر.

قالوا : ولو دَخل عليه شهرُ رمضان وهو مجنون، فلم يفق حتى انقضى الشهرُ كله، ثم أفاق ، لم يلزمه قضاء شىء منه، لأنه لم يكن ممن شَهده مكلَّفاً صَوْمَه.

* * *

قال أبو جعفر : وهذا تأويل لا معنًى له . لأنَّ الجنون إن كانَ يُسقط عمن كان به فَرْضَ الصوم ، من أجل فقد صاحبه عَقله جميع الشهر ، فقد يجب أن يكونَ ذلك سبيلَ كل من فقد عقله جميع شهر الصوم . وقد أجمع الجميعُ على أن من فقد عقله جميع شَهر الصوم بإغماء أو بِرْسام،[١] ثم أفاق بعد انقضاء الشهر ، أن عليه قضاءُ الشهر كله . لم يخالف ذلك أحدٌ يجوزُ الاعتراضُ به على الأمة . وإذ كان إجماعاً ، فالواجب أن يكون سبيلُ كل من كان زائلَ العقل جميع شهر الصوم ، سبيلَ المغمى عليه . وإذ كان ذلك كذلك ، كان معلوماً أن تأويل الآية غير الذى تأوَّلها قائلو هذه المقالة: من أنه شُهود الشهر أو بعضه مكلفاً صومَه . وإذا بطل ذلك ، فتأويل المتأوِّل الذى زعم أن معناه: فمن شهد أوله مقيماً حاضراً

(١) البرسام : علة يهذى فيها صاحبها . قالوا : هو ورم حار يعرض للحجاب الذى بين الكبد والأمعاء ، ثم يتصل إلى الدماغ .

فعليه صَوْم جميعه، أبطلُ وأفسدُ ، لتظاهر الأخبار عن رَسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج َعام الفتح من المدينة فى شهر رمضان بعد ما صَام بعضه ، وأفطرَ وأمر أصحابه بالإفطار.

٢٨٤٧ - حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن منصور ، عن مجاهد، عن ابن عباس قال : سافر َرسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان من المدينة إلى مكة ، حتى إذا أتى عُسْفان َنزل به، فدعا بإناء فوضعه على َيده ليراه الناسُ، ثم شربه .

٢٨٤٨ - حدثنا ابن حميد وسفيان بن وكيع قالا، حدثنا جرير، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه.

٢٨٤٩ - حدثنا هناد، حدثنا عبيدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه. (١)

٢٨٥٠ - حدثنا هناد وأبو كريب قالا ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره عام الفتح لعشر مضين من رمضان ، فصامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصامَ الناسُ معه ، حتى إذا أتى الكُدَيْد - ما بين ُعسْفان وأَمَج - أفطر.

٢٨٥١ - حدثنا هناد وأبو كريب قالا ، حدثنا عبدة، عن محمد بن إسحق، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال خرج رسول الله

---

(١) الأحاديث : ٢٨٤٧ - ٢٨٤٩ ، هى ثلاثة أسانيد لحديث واحد .

فأولها فيه « عن مجاهد ، عن ابن عباس » ، وفى الآخرين بينهما « طاوس » .

والحديث رواه الإمام أحمد فى المسند ، بأطول مما هنا : ٢٣٥٠ ، عن عبيدة ، عن منصور ، بالإسناد الثانى هنا ، ورواه أيضاً : ٢٢٥١ ، عن حسين ، عن شيبان ، عن منصور .

ورواه أيضاً - مطولا - الشيخان ، كما فى المنتقى : ٢١٧٥ . فهو حديث صحيح متفق عليه .

صلى الله عليه وسلم لعشرٍ — أو لعشرين — مضت من رَمضان عام الفتح ، فصام حتى إذا كان بالكديد أفطر .(١)

٢٨٥٢ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سالم بن نوح قال ، حدثنا عمر بن عامر ، عن قتادة ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرىّ قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم لثمان عشرةَ مضتْ من رمضان ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فلم يَعِبِ المفطرُ على الصائم ، ولا الصائم على المفطر .(٢)

* * *

فإذ كانا فاسدين هذان التأويلان،(٣) بما عليه َدللنا من فسادهما — َفبيِّنٌ أن الصحيح من التأويل هو الثالث ،(٤) وهو قول من قال : فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، جميعَ ما شهد منه مقيماً ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر .

* * *

(١) الحديثان : ٢٨٥٠ ، ٢٨٥١ — هما إسنادان آخران صحيحان ، للحديث السابق ، بلفظ أطول، ومن وجه آخر ، من رواية ابن إسحق، عن الزهرى . وهو فى سيرة ابن هشام ، (ص ٨١٠ أوربة — ٤ : ٤٢ طبعة الحلبى) ، بلفظ أطول مما هنا . وكذلك رواه أحمد فى المسند : ٢٣٩٢ ، من طريق ابن إسحق .

ورواه أحمد أيضاً : ١٨٩٢ ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، مختصراً ، ورواه بأطول منه : ٣٠٨٩ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى .

وانظر تاريخ ابن كثير ٤ : ٢٨٥ — ٢٨٧ .

(٢) الحديث : ٢٨٥٢ — سالم بن نوح ، أبو سعيد العطار : ثقة من شيوخ أحمد .

عمر بن عامر السلمى البصرى القاضى : ثقة ثبت فى الحديث ، كما قال أحمد .

والحديث رواه مسلم فى صحيحه ١ : ٣٠٨ ، بأسانيد كثيرة ، منها إسناد عن محمد بن المثنى ، عن سالم بن نوح ، عن عمر بن عامر ، عن قتادة ، بهذا الإسناد .

ثم رواه بأسانيد أخر ١ : ٣٠٨ — ٣٠٩ ، عن أبى نضرة عن أبى سعيد .

ونسبه السيوطى ١ : ١٩٠ — ١٩١ أيضاً للترمذى والنسائى .

(٣) فى المطبوعة : « فإذا كان فاسدين . . . » ، والصواب ما أثبته .

(٤) فى المطبوعة : « فتبين » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبته .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وَمَنْ كان مريضاً أو عَلى سفر فى الشهرَ فأفطر ، فعليه صيامُ عدة الأيام التى أفطرها ، من أيام أخرَ غير أيام شهر رمضان .

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى المرَض الذى أباح الله معه الإفطار ، وأوجب معه عدة من أيام أخر .

فقال بعضهم: هو المرض الذى لا يُطيق صاحبه معه القيام لصَلاته.

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٥٣ — حدثنا معاذ بن شعبة البصري قال، حدثنا شريك ، عن مغيرة ، عن إبراهيم وإسماعيل بن مسلم ، عن الحسن أنه قال : إذا لم يستطع المريضُ أن يُصلِّى قائماً أفطر . [1]

٢٨٥٤ — حدثنى يعقوب قال حدثنا هشيم ،عن مغيرة — أو عبيدة — عن إبراهيم ، فى المريض إذا لم يستطع الصلاةَ قائماً فليفطر . يعنى : فى رمضان.

٢٨٥٥ — حدثنا هناد قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن إسمعيل قال : سألت الحسن : متى يُفطر الصائم ؟ قال : إذا جَهده الصوم . قال: إذا لم

---

(١) الخبر : ٢٨٥٣ — معاذ بن شعبة البصرى، شيخ الطبرى: ترجمه ابن أبى حاتم ٤/١/٢٥١، قال : « معاذ بن شعبة أبو سهل البصرى ، روى عن عباد بن العوام ، وعثمان بن مطر . روى عنه موسى بن إسحق الأنصارى » . ولم أجد له ترجمة غير ذلك . فهو شيخ قديم من شيوخ الطبرى ، لأنه يروى عن « عباد بن العوام » المتوفى سنة ١٨٥ ، و « شريك بن عبد الله النخعى » المتوفى سنة ١٨٨ . وتلميذه الذى ذكره ابن أبى حاتم ، وهو « موسى بن إسحق بن موسى الأنصارى الخطمى ، قاضى الرى » ، من شيوخ ابن أبى حاتم ، كما فى ترجمته عنده ٤/١/١٣٥ .

يستطع أن يُصلى الفرائض كما أُمِر.(١)

* * *

وقال بعضهم : هو كل مرض كان الأغلبُ من أمر صاحبه بالصوم الزيادةُ فى علته زيادة غير مُحتملة.(٢) وذلك هو قول محمد بن إدريس الشافعى ، حدثنا بذلك عنه الربيع .

* * *

وقال آخرون : هو [كلّ] مرض يسمى مرَضاً .(٣)

* ذكر من قال ذلك :

٢/٨٨ ٢٨٥٦ - حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا الحسن بن خالد الربعى قال ، حدثنا طريف بن شهاب العُطاردى : أنه دخل على محمد بن سيرين فى رَمضان وهو يأكل ، فلم يسأله . فلما فرغ قال : إنه وَجِعتْ إصبعى هذه .(٤)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن «المرض» الذى أذن

---

(١) فى المطبوعة : « كما مر » ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « زيادة غير المحتملة » وهو كلام ليس بعربى . ونص عبارة الشافعى فى الأم ١ : ٨٩ « وإن زاد مرض المريض زيادة بينة أفطر ، وإن كان زيادة محتملة لم يفطر » .

(٣) فى المطبوعة : « هو مرض يسمى مرضاً » ، والصواب زيادة [كل] .

(٤) الخبر : ٢٨٥٦ - الحسن بن خالد الربعى : ترجمه ابن أبى حاتم ١/٢/١٠ ، قال : « الحسن بن خالد بن باب القريعى . روى عن طريف بن شهاب العطاردى . روى عنه محمد بن المثنى » . فهو الشيخ الذى هنا ، ولم أجد له ترجمة غيرها . وقد علق العلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى - مصحح الكتاب - عند قوله « القريعى » ، بأن فى بعض النسخ « القرايعى » ، وأنه سيأتى فى باب « خالد » « خالد بن باب الربعى » ، وأنه «يمكن أن يكون هو والد الحسن هذا » . وهذا نظر دقيق منه - حفظه الله - يؤيده نسبته هنا فى الطبرى «الربعى» . و «خالدبن باب الربعى» : مترجم فى الكبير ٢/١/١٣٠ - ١٣١ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٢٢ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٧٤ .

طريف بن شهاب العطاردى : ذكر فى المطبوعة اسم أبيه « تمام » ، وهو خطأ . وطريف هذا : هو أبو سفيان الأشل . وهو ضعيف . وقيل فى اسم أبيه « سعد » . والذى جود اسمه ونسبته هو البخارى فى ترجمته . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٥٨ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٩٢ - ٤٩٣ ، والضعفاء للبخارى ، ص : ١٨ - ١٩ .

الله تعالى ذكره بالإفطار معه فى شهر رمضان، من كان الصومُ جاهدَه جهداً غير محتمل، فكل من كان كذلك فله الإفطار وقضاء عدة من أيام أخر . وذلك أنه إذا بلغ ذلك الأمرَ ، فإن لم يكن مأذوناً له فى الإفطار فقد كلّف عُسراً، ومُنع يُسراً . وذلك غير الذى أخبر الله أنه أراده بخلقه بقوله : « يُريد اللهُ بكم اليسرَ وَلا يُريد بكم العسر » . وأما من كان الصوم غيرُ جاهدِه ، فهو بمعنى الصحيح الذى يُطيق الصوم ، فعليه أداءُ فرضه .

* * *

وأما قوله : « فعدة من أيام أخر » ، فإنّ معناها : أياماً معدودة سوى هذه الأيام .

وأما « الأُخَر » ، فإنها جمع « أخرى » كجمعهم « الكبرى » على « الكُبَر » و« القُربى » على « القُرَب » .[1]

* * *

فإن قال قائل : أوَليست « الأخر » من صفة « الأيام » ؟

قيل : بلى .

فإن قال : أوَ ليس واحدُ « الأيام » « يوم » وهو مذكر؟

قيل : بلى .

فإن قال : فكيف يكون واحدُ « الأخر » « أخرى »، وهى صفة لـ « اليوم »، ولم يكن « آخر »؟

قيل : إن واحد « الأيام » وإن كان إذا نُعت بواحد «الأخر» فهو « آخر »، فإن « الأيام » فى الجمع تصير إلى التأنيث، فتصير نعوتها وصفاتها كهيئة صفات المؤنث ، كما يقال : « مضت الأيامُ جُمعَ »، ولا يقال : أجمعون، ولا : أيام آخرون .

* * *

فإن قال لنا قائل : فإن الله تعالى قال : « فمن كانَ منكم مريضاً أو عَلى

---

(١) فى المطبوعة : « بجمعهم الكبرى » ، وكأن الصواب ما أثبت .

سفر فعدةٌ من أيام أخر »، ومعنى ذلك عندك : فعليه عدةٌ من أيام أخر ، كما قد وصفت فيما مضى . فإن كان ذلك تأويله، فما قولك فيمن كان مريضاً أو على سفر فصام الشهر ، وهو ممن له الإفطار ، أيجزيه ذلك من صيام عدة من أيام أخر ،أو غيرُ مُجزيه ذلك، وفَرْضُ صوم عدة من أيام أخر ثابتٌ عليه بهيئته ، وإن صام الشهر كله ؟ وهل لمن كان مريضاً أو على سفر صيامُ شهر رمضان ، أم ذلك محظور عليه ، وغير جائز له صومه ، والواجب عليه الإفطار فيه ، حتى يقيم هذا ويبرأ هذا ؟

قيل: قد اختلف أهل العلم فى كل ذلك، ونحن ذاكرو اختلافهم فى ذلك، ومخبرون بأولاه بالصواب إن شاء الله .

فقال بعضهم: : الإفطارُ فى المرض عَزْمة من الله واجبةٌ ، وليس بترخيص.

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٥٧ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى — وحدثنى يعقوب ابن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية — جميعاً، عن سعيد ، عن قتادة ، عن جابر ابن زيد ، عن ابن عباس قال : الإفطارُ فى السفر عَزْمة .

٢٨٥٨ — حدثنى محمد بن المثنى قال،حدثنا وهب بن جرير قال ، أخبرنا شعبة ، عن يعلى ، عن يوسف بن الحكم قال : سألتُ ابن عمر — أو : سئل — عن الصوم فى السفر فقال : أرأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ، ألم تغضب ؟ فإنها صَدقة من الله تصدق بها عليكم .[1]

---

(١) الخبر : ٢٨٥٨ — شعبة : هو ابن الحجاج ؛ إمام أهل الجرح والتعديل . وثبت فى المطبوعة « سعيد » . وهو خطأ ناسخ أو طابع فى هذا الإسناد ، كما يتبين مما سيأتى .

يعلى : هو ابن عطاء العامرى ، ثقة معروف .

يوسف بن الحكم أبو الحكم : تابعى ثقة . ذكره ابن حبان فى الثقات . وترجمه ابن أبى حاتم ٤/٢/ ٢٢٠ ، قال : « روى عن ابن عمر . روى عنه يعلى بن عطاء » . وترجمه البخارى فى الكبير ٤/٢/٣٧٦ باسم « يوسف أبو الحكم ، سمع ابن عمر . روى عنه يعلى بن عطاء». وثبت عقب ذلك فى بعض نسخ الكبير :

٢٨٥٩ — حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأزدى قال، حدثنا المحاربى، عن عبد الملك بن حميد قال ، قال أبو جعفر : كان أبى لا يَصُوم فى السفر ، وَيَنْهى عنه.(١)

٢٨٦٠ — وحدثنا ابن حميد قال،حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد ، عن الضحاك : أنه كره الصومَ فى السفر .

* * *

وقال أهل هذه المقالة : من صام فى السفر فعليه القضاءُ إذا أقام .

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٦١ — حدثنا نصر بن على الجهضمىّ قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا ربيعة بن كلثوم ، عن أبيه ، عن رجل : أن عمرَ أمرَ الذى صام فى السفر أن يُعيد. (٢)

٢٨٦٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن أبى عدى، عن سعيد

« هذا هو الأول أظنه » . يريد المترجم قبله « يوسف بن مهران » . وهذا الظن من البخارى ليس فى موضعه ، ولعله ظن ذلك إذ لم يقع له منسوباً لأبيه ، بل وقع له باسم « يوسف » وكنية « أبى الحكم » .

والذى يقطع فى ذلك ، ويرفع كل شبهة : أن الدولابى روى هذا الخبر ، فى الكنى والأسماء ١ : ١٥٤ — ١٥٥ « حدثنا محمد بن بشار . قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت يوسف بن الحكم أبا الحكم يقول : سمعت عبد الله بن عمر يسأل عن الصوم فى السفر . . . » فذكر نحواً مما هنا .

ووهب بن جرير يروى عن شعبة . ويعلى بن عطاء يروى عنه شعبة . فلا موضع فى هذا الإسناد لاسم « سعيد » . إلى ثبوت الخبر من رواية شعبة عند الدولابى ، كما ذكرنا .

وهذا الرأى لابن عمر — ثم لغيره من الصحابة — إنما هو فيمن أبى أن يقبل رخصة الله فى الإفطار فى السفر . قال ابن كثير ١ : ٤١٠ — ٤١١ « فأما إن رغب عن السنة ، ورأى أن الفطر مكروه — فهذا يتعين عليه الإفطار ، ويحرم عليه الصيام والحالة هذه . لما جاء فى مسند الإمام أحمد وغيره ، عن ابن عمر ، وجابر ، وغيرهما : من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة » . يشير ابن كثير فى ذلك إلى حديث ابن عمر فى المسند : ٥٣٩٢ . وانظر حديثين آخرين لابن عمر ، فى المسند : ٥٧٥٠ ، ٥٨٦٦ .

(١) الخبر : ٢٨٥٩ — نصر بن عبد الرحمن الأزدى . مضى فى : ٤٢٣ ، ٨٧٥ . ووقع فى المطبوعة هنا — كما وقع هناك : « الأودى » . وهو خطأ .

(٢) الخبر : ٢٨٦١ — نصر بن على بن نصر بن على الجهضمى : مضى فى : ٢٣٧٦ . ووقع

ابن عمرو بن دينار، عن رجل من بني تميم، عن أبيه قال: أمر عمر رجلاً صام في السفر أن يعيدَ صَوْمه.

٢٨٦٣ - حدثني ابن حميد الحمصي قال، حدثنا علي بن معبد، عن عبيد الله ابن عمرو، عن عبد الكريم، عن عطاء، عن المحرَّر بن أبي هريرة قال: كنت مع أبي في سفر في رمضان، فكنت أصوم ويُفطر. فقال لي أبي: أما إنك إذا أقمتَ قضيت.[1]

٢٨٦٤ - حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا سليمان بن داود قال، حدثنا شعبة، عن عاصم مولى قريبة، قال: سمعت عروة يأمر رجلا صام في السفر أن يَقضي.

٢٨٦٥ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الصمد قال، حدثنا شعبة، عن عاصم مولى قريبة: أن رجلا صامَ في السفر، فأمرَهُ عروة أن يَقضي.

٢٨٦٦ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن صبيح قال، حدثنا ربيعة ابن كلثوم، عن أبيه كلثوم: أنَّ قوماً قدموا على عُمرَ بن الخطاب وقد صاموا رمضانَ في سفر، فقال لهم: والله لكأنكم كنتم تصُومون! فقالوا: والله يا أمير المؤمنين

في المطبوعة هنا «الخثعمي». وهو تصحيف واضح.

وشيخه «مسلم بن إبرهيم الأزدي الفراهيدي»: مضى في: ١٢١٩. وقد ثبت في ترجمتيهما رواية نصر عن مسلم.

ربيعة بن كلثوم بن جبر البصري: ثقة، تكلم فيه بعضهم. مترجم في التهذيب، وابن سعد ٧/٢/٣٥، والكبير ٢/١/٢٦٦، وابن أبي حاتم ١/٢/٤٧٧ - ٤٧٨.

أبوه «كلثوم بن جبر»: ثقة من صغار التابعين، لم يدرك عمر بن الخطاب. ولذلك روى عنه هنا بواسطة رجل مبهم. فالإسناد لذلك ضعيف. وانظر الخبر الآتي: ٢٨٦٦.

(١) الخبر: ٢٨٦٣ - المحرر - براءين مع فتح الأولى مشددة: هو ابن أبي هريرة. وهو تابعي معروف، يروي عن أبيه، وعن ابن عمر. وله في المسند أحاديث عن أبيه، منها: ٢١٢، ٩٥٦٢.

وهذا الخبر ذكر السيوطي ١: ١٩١، نحو معناه. ونسبه لعبد بن حميد فقط. وثبت فيه اسم «المحرر»: «محرز» بالزاي في آخره، وهو تصحيف.

لقد صمنا ! قال: فأطقتموه ! قالو: نعم . قال : فاقضوه ، فاقضوه .[١]

* * *

وعلة مَنْ قال هذه المقالة: أن الله تعالى ذكره فرَضَ بقوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » صومَ شهر رمضان على من شهده مُقيماً غير مسافر ، وجعل على من كان مريضاً أو مسافراً صومَ عدة من أيام أخر غير أيام شهر رمضان بقوله: « وَمنْ كان مريضاً أو على سَفر فعدة من أيام أخر » . قالوا : فكما غيرُ جائز للمقيم إفطارُ أيام شهر رمضان وَصَوم عدة أيام أخر مكانها — لأن الذى فرضَه الله عليه بشهوده الشهرَ صومُ الشهر دون غيره — فكذلك غير جائز لمن لم يشهده من المسافرين مقيماً ، صوْمُه. لأن الذى فرضه الله عليه عدة من أيام أخر. واعتلوا أيضاً من الخبر بما : —

٨٩/٢

٢٨٦٧ — حدثنا به محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى قال ، حدثنا يعقوب ابن محمد الزهرى قال، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن أسامة بن زيد ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن عوف قال ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر .[٢]

٢٨٦٨ — حدثنى محمد بن عبيد الله بن سعيد قال ، حدثنا يزيد بن عياض ،

(١) الخبر : ٢٨٦٦ — إسناده ضعيف ، لانقطاعه ، فإن كلثوم بن جبر لم يدرك عمر بن الخطاب ، كما بينا ذلك فى : ٢٨٦١ .

(٢) الحديث : ٢٨٦٧ — محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى — شيخ الطبرى : لم أجد له ترجمة . وسيأتى بهذا الاسم أيضاً فى : ٢٨٨٨ . ولكن سيأتى فى الإسناد الذى عقب هذا باسم « محمد بن عبيد الله بن سعيد » — بجعل أبيه « عبيد الله » بدل « عبد الله » . وأنا أرجح الذى فى إسنادين على الذى فى إسناد واحد ، ترجيحاً بدائياً غير محقق .

يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى : مختلف فيه ، والظاهر أنه ثقة ، وإنما أخذوا عليه الرواية عن رجال مجهولين غير معروفى العدالة — مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٩٨/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٢١٤/٢/٤ — ٢١٥ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٩ — ٢٧١ .

عبد الله بن موسى بن إبراهيم — من ولد طلحة بن عبيد الله التيمى : مختلف فيه . وضعف أحمد جداً . وقال ابن حبان : « يرفع الموقوف ، ويسند المرسل ، لا يجوز الاحتجاج به » . ووقع فى المطبوعة هنا « عبيد الله بن موسى » . وهو خطأ ، فإن الحديث معروف من رواية « عبد الله بن موسى التيمى » . ثم هو الذى يروى عن أسامة بن زيد .

عن الزهرى ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصائمُ فى السفر كالمفطر فى الحضر.[1]

* * *

وقال آخرون: إباحة الإفطار فى السفر رُخصة من الله تعالى ذكره ، رخصها لعباده ، والفرضُ الصوم . فمن صام فرضَه أدَّى، ومن أفطر فبرُخصةالله له أفطر . قالوا : وإن صام فى سفر فلا قضاءَ عليه إذا أقام .

* ذكر من قال ذلك :

أسامة بن زيد : هو الليثى المدنى ، مختلف فيه . وقد رجحنا توثيقه فى شرح المسند : ١٠٩٨ .

وهذا الحديث رواه ابن ماجة : ١٦٦٦ ، عن إبرهيم بن المنذر الحزامى ، عن عبد الله بن موسى ، التيمى بهذا الإسناد .

وقد أطال الحافظ الزيلعى فى نصب الراية ٢ : ٤٦١ — ٤٦٣ فى تخريج رواياته . ورجح أنه موقوف من كلام عبد الرحمن بن عوف ، إلى انقطاع إسناده بين أبى سلمة بن عبد الرحمن وأبيه . فقد رجح الحفاظ أنه لم يسمع من أبيه شيئاً . وقد رجحنا فى شرح المسند : ١٦٦٠ أنه سمع ذلك الحديث من أبيه — وكان صغيراً حين مات عبد الرحمن . وليس معنى هذا أنه سمع منه كل ما يرويه عنه .

وذكر ابن أبى حاتم فى كتاب العلل ، رقم ٦٩٤ ، أنه سأل أباه عن هذا الحديث ، فقال أبو زرعة : « رواه أبو أحمد الزبيرى ، ومعن بن عيسى ، وحماد بن خالد الخياط ، عن ابن أبى ذئب ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة، عن أبيه، قوله . ورواه عنبسة بن خالد، عن يونس، عن الزهرى،عن أبى سلمة، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . ورواه ابن لهيعة ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . ورواه بقية ، عن آخر ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقال أبو زرعة: الصحيح عن الزهرى، عن أبى سلمة ، عن أبيه . موقوف » .

ونقل الحافظ ابن حجر فى التلخيص ، ص : ١٩٥ أن الدارقطنى فى العلل والبيهقى ، صححا أيضاً أنه موقوف . وانظر السنن الكبرى للبيهقى ٤ : ٢٤٤ ، وتعقيب ابن التركمانى عليه . والرواية الموقوفة على عبد الرحمن بن عوف رواها النسائى ١ : ٣١٦ ، بثلاثة أسانيد . هذا وسيأتى قول الطبرى فى ص: ٤٧٤ عن هذا الخبر والذى يليه وأشباههما، أنها : « واهية الأسانيد ، لا يجوز الاحتجاج بها فى الدين » .

(١) الحديث : ٢٨٦٨ — هو إسناد آخر للحديث السابق .

وهذا إسناد مشكل :

فشيخ الطبرى ذكر هنا باسم « محمد عبيد الله بن سعيد » . وذكر فى الإسناد السابق باسم « محمد بن عبد الله » .

وثانياً : قوله « حدثنا يزيد بن عياض » — غير معقول . يجب أن يكون بينهما راو على الأقل . فإن يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدبة الليثى قديم الوفاة ، مات فى خلافة المهدى . وذكره البخارى فى

٢٨٦٩ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب قال ، حدثنا عروة وسالم : أنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز إذ هو أميرٌ على المدينة ، فتذاكروا الصومَ فى السفر ، قال سالم : كان ابن عمر لا يصُوم فى السفر . وقال عروة . وكانت عائشة تصوم . فقال سالم : إنما أخذت عن ابن عمر . وقال عروة : إنما أخذتُ عن عائشة . حتى ارتفعت أصواتهما . فقال عمر ابن عبد العزيز : اللهم عفواً! إذا كان يُسراً فصوموا، وإذا كان عُسرًا فأفطروا.

٢٨٧٠ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن أيوب قال، حدثنى رجل قال : ذكر الصوم فى السفر عند عمر بن عبد العزيز ، ثم ذكر نحو حديث ابن بشار .

٢٨٧١ ــ حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن محمد بن إسحق ــ وحدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس، حدثنا ابن إسحق ــ عن الزهرى ، عن سالم بن عبد الله قال: خرج عمر بن الخطاب فى بعض أسفاره فى ليال بقيت من رمضان، فقال : إن الشهر قد تشعشع ــ قال أبو كريب فى حديثه : أو : تَسعسع ، ولم يشك يعقوب ــ فلو صمنا! فصام وصام الناس مَعه . ثم أقبل مرّةً قافلاً ، حتى إذا كان بالروحاء أهلّ هلالُ شهر رمضان ، فقال : إنّ الله قد

التاريخ الصغير ، ص : ١٧٢ ، فى فصل (من مات بين سنتى: ١٤٠ ــ ١٥٠) . فليس من المعقول أن يسمع منه أى شيخ للطبرى المتوفى سنة ٣١٠ . وأنا أرجح أن يكون بينهما « يزيد بن هرون » ، لما سنذكر ، إن شاء الله .

ويزيد بن عياض هذا : ضعيف جداً . قال البخارى فى الكبير ٣٥١/٢/٤ ــ ٣٥٢ ، والصغير : « منكر الحديث » . ورماه مالك وابن معين والنسائى وغيرهم بالكذب . و « جعدبة » بضم الجيم والدال المهملة بينهما عين مهملة ساكنة .

ونقل الزيلعى فى نصب الراية ٢ : ٤٦٢ ، أن هذا الحديث « رواه ابن عدى فى الكامل ، من حديث يزيد بن هرون : حدثنا يزيد بن عياض ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبيه ، مرفوعاً . قال ابن عدى : وهذا الحديث لا يرفعه عن الزهرى ــ غير يزيد بن عياض ، وعقيل من رواية سلامة بن روح عنه ، ويونس بن يزيد من رواية القاسم بن مبرور عنه ، وأسامة بن زيد من رواية عبد الله بن موسى التيمى عنه . والباقون من أصحاب الزهرى ــ رووه عنه ، عن أبى سلمة ، عن أبيه ، من قوله » .

َقَضَى السفر ، فلو صمنا ولم َنثْلم شهرنا ! قال : فصام وصام الناس معه.[١]

٢٨٧٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم بن بشير قال ، حدثنى أبى — وحدثنا محمد بن بشار قال ، أخبرنا عبيد الله قال ، أخبرنا بشير بن سلمان — عن خيثمةَ قال : سألت أنس بن مالك عن الصوم فى السفر ، قال : قد أمرتُ غلامى أن َيصوم فأبى . قلت : فأين هذه الآية : « ومن كان مريضاً أو َعلى سفر فعدة من أيام أخر » ؟ قال : نزلت ونحن يومئذ نرتحلُ جياعاً ، وننزل على غير شِبَع ، وإنا اليوم نرتحل شِباعاً وننزل على شِبَع .[٢]

٢٨٧٣ — حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن بشير بن سلمان ، عن خيثمة ، عن أنس نحوه .

٢٨٧٤ — حدثنا هناد وأبو السائب قالا ، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم ،

---

(١) تسعسع الشهر : أدبر وفنى إلا أقله من قولهم : « تسعسع الرجل » : إذا اضطرب من الكبر أو الهرم . وتشعشع الشهر : رق وتقضى وبقى أقله . ذهب به إلى رقة الشهر وقلة مابقى منه ، كما يشعشع اللبن بالماء أى يمزج ويخلط . وقوله « لم نثلم شهرنا » من ثلم الإناء أو السيف : كسر شفة الإناء أو حد السيف . أى لم ندخل الخلل على صومنا ونجرح شهرنا .

(٢) الخبر : ٢٨٧٢ — الحكم بن بشير بن سلمان : مضى فى : ١٤٩٧ .

أبوه « بشير بن سلمان النهدى » : ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما . وأبوه : « سلمان » ، بفتح السين وسكون اللام . ووقع فى كثير من المراجع المطبوعة « سليمان » . وهو خطأ مطبعى . وفى التهذيب وفروعه « الكندى » بدل « النهدى » . وهو خطأ ، صوابه فى الكبير للبخارى ١/٢/٩٩ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣٧٤ ، وابن سعد ٦ : ٢٥١ ، ورجال الصحيحين ، ص : ٥٥ .

خيثمة : هو ابن أبى خيثمة البصرى ، وهو تابعى ثقة . وقال ابن معين : « ليس بشىء » . كما فى ابن أبى حاتم ١/٢/٣٩٤ . ولكن ذكره ابن حبان فى الثقات ، وترجمه البخارى فى الكبير ٢/١/١٩٧ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، وأشار إلى هذا الحديث من روايته ، كعادته فى إشاراته الدقيقة — لله دره — فقال : « وقال أبو نعيم ، عن بشير بن سلمان ، عن خيثمة . قال : سألت أنس بن مالك عن الصوم فى السفر » . ولم يذكره هو ولا النسائى فى الضعفاء . وهذا كاف فى توثيقه والاحتجاج بروايته ، دون الجرح المجمل من ابن معين .

وهذا الخبر ذكره السيوطى ١ : ١٩١ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، والنسائى . ولم أجده فى النسائى ، ولعله فى السنن الكبرى .

عن أنس : أنه سئل عن الصوم فى السفر فقال : من أفطر فبرُخصة الله ، ومن صام فالصومُ أفضل .

٢٨٧٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة ، عن أشعث بن عبد الملك ، عن محمد بن عثمان بن أبى العاص قال : الفطر فى السفر رخصة ، والصوم أفضل .

٢٨٧٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الصمد قال، حدثنا شعبة ، قال ، حدثنا أبو الفيض قال : كان علىٌّ علينا أميراً بالشام ، فنهانا عن الصوم فى السفر. فسألت أبا قِرْصافة — رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من بنى ليث ، قال عبد الصمد : سمعتُ رجلاً من قومه يَقول : إنه واثلة بن الأسقع — قال : لو صمتَ فى السفر ما قضيت .(١)

---

(١) الخبر : ٢٨٧٦ — أبو الفيض : هو موسى بن أيوب المهرى الحمصى ، ويقال : ابن أبى أيوب ، وهو شامى ثقة ، وثقه ابن معين ، والعجلى .مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٣٤ .

أبو قرصافة ، بكسر القاف وسكون الراء بعدها صاد مهملة : هو « واثلة بن الأسقع » الصحابى ، من بنى ليث بن عبد مناة . يكنى « أبا الأسقع » ، ويقال « أبو قرصافة » ، كما فى ترجمته فى الإصابة والتهذيب وغيرهما . وهذا الخبر يؤيد هذه الكنية ، لأن عبد الصمد بن عبد الوارث يذكر فى أثنائه ، أنه سمع رجلا من قومه يقول « إنه واثلة بن الأسقع » .

وقد أوقعهم هذا الخبر — أو نحوه — فى وهم عجيب؛ لأن هناك رجلا آخر له صحبة، يكنى « أبا قرصافة » اسمه جندرة بن خيشنة » كنانى له صحبة ، مترجم فى التهذيب ٢ : ١١٩ ، والكبير ٢/١/٢٤٩، وابن أبى حاتم ١/١/٥٤٥ ، وأسد الغابة ١ : ٣٠٧ . فانتقل نظر صاحب التهذيب ، فى ترجمة «أبى الفيض موسى بن أيوب » ١٠ : ٣٣٧ فذكر أنه يروى عن « أبى قرصافة جندرة بن خيشنة » . ثم ذكر صاحب أسد الغابة ، فى ترجمة « جندرة » هذا أنه « جعله ابن ماكولا ليثياً ، وليس بشىء ! ! ». ولم يذكر صاحب التهذيب فى ترجمة « جندرة » أنه يروى عنه « أبو الفيض » ! !

فالظاهر عندى أن ابن ماكولا حين ذكر أن « أبا قرصافة» من بنى ليث ، أراد به « واثلة بن الأسقع » ، كما تدل عليه الرواية فى هذا الخبر . وأن صاحب التهذيب وهم حين ذكر أن أبا الفيض يروى عن « أبى قرصافة جندرة بن خيشنة » ، لأن روايته إنما هى عن « أبى قرصافة واثلة » ، وهو ليثى بلا خلاف فيه .

وأما قول أبى الفيض هنا : « كان على علينا أميراً بالشأم » — فلا أدرى ما هو ؟ وإنما اليقين أنه لا يريد به « على بن أبى طالب » ، إذ لم يكن ذلك قط . ولعله كان لهم أمير بالشأم يدعى « علياً » . ويحتمل أن يكون ما هنا فيه تحريف ، وأن يكون صوابه « كان علينا أمير بالشأم ، فنهانا . . . » إلخ .

ثم وجدت ما يؤيد ذلك : فى مجمع الزوائد ٣ : ١٦١ — ١٦٢ « عن أبى الفيض » قال : خطبنا

٢٨٧٧ ـــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن بسطام بن مسلم، عن عطاء قال : إن صمتم أجزأ عنكم، وإن أفطرتم فرُخصة .

٢٨٧٨ ـــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن كهمس قال : سألت سالم ابن عبد الله عن الصوم فى السفر قال: إن صمتم أجزأ عنكم، وإن أفطرتم فرُخصة.

٢٨٧٩ ـــ حدثنا هناد قال ، حدثنا عبد الرحيم، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء قال : من صام فحقٌّ أدّاه ، ومن أفطر فرُخصة أخذ بها .

٢٨٨٠ ـــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير قال : الفطر فى السفر رُخصة ، والصومُ أفضل .

٢٨٨١ ـــ حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن عطاء قال : هو تعليم وليس بعَزْم ـــ يعنى قول الله: « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، إن شاء صام وإن شاء لم يصم .

٢٨٨٢ ـــ حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن الحسن : فى الرجل يسافر فى رمضان ، قال : إن شاء صام وإن شاء أفطر .

٩٠/٢

٢٨٨٣ ـــ حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا سفيان بن حبيب قال ، حدثنا العوّام بن حوشب قال : قلت لمجاهد : الصوم فى السفر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم فيه ويفطر . قال : قلت : فأيهما أحب إليك ؟ قال : إنما هى رُخصة ، وأن تصوم رمضان أحب إلىّ .

٢٨٨٤ ـــ حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ،

مسلمة بن عبد الملك ، فقال : لا تصوموا رمضان فى السفر ، فمن صام فليقضه . قال أبو الفيض : فلقيت أبا قرصافة واثلة بن الأسقع ، فسألته ؟ فقال : لوما صمت ثم صمت ما قضيته . رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله ثقات » .

فهذه الرواية تماثل رواية الطبرى هنا ، وتدل على أن الأمير الذى نهاهم هو « مسلمة بن عبد الملك » . فأكبر الرأى أن يكون الصواب فى رواية الطبرى « كان عليا أمير بالشأم » ، كما ظننا من قبل .

ولفظ آخر الحديث – فى رواية الزوائد – أراه محرفاً ، وأوضح منه وأصوب لفظ أبى جعفر .

و « جندرة » و « خيشنة » – كلاهما بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه .

عن حماد ، عن سعيد بن جبير وإبراهيم ومجاهد ، أنهم قالوا : الصومُ فى السفر ، إن شاء صام وإن شاء أفطر ، والصوم أحب إليهم.

٢٨٨٥ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى إسحق قال ، قال لى مجاهد فى الصوم فى السفر — يعنى صوم رمضان — : والله ما منهما إلاّ حلال ، الصومُ والإفطار ، وما أراد الله بالإفطار إلا التيسير لعباده .

٢٨٨٦ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة ، عن الأشعث بن سليم قال : صحبت أبى والأسود بن يزيد وعمرو بن ميمون وأبا وائل إلى مكة ، وكانوا يصومون رمضانَ وغيرَه فى السفر .

٢٨٨٧ — حدثنا على بن حسن الأزدى قال ، حدثنا معافى بن عمران ، عن سفيان ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير : الفطرُ فى السفر رُخصة ، والصوم أفضل .

٢٨٨٨ — حدثنى محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى قال ، حدثنا يعقوب الزهرى قال ، حدثنا صالح بن محمد بن صالح ، عن أبيه قال : قلت للقاسم ابن محمد : إنا نسافر فى الشتاء فى رمضان ، فإن صمتُ فيه كان أهونَ علىّ من أن أقضيه فى الحرّ ! فقال : قال الله : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ ما كان أيسرَ عليك فافعل . [1]

* * *

(١) الخبر : ٢٨٨٨ — محمد بن عبد الله بن سعيد ، شيخ الطبرى : مضى فى : ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ .

صالح بن محمد بن صالح بن دينار التمار المدنى : ترجمه البخارى فى الكبير ٢/٢/٢٩٢ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وذكر أنه يروى عن أبيه . ولم يترجم له ابن أبى حاتم ، ولا التهذيب ، ولا لسان الميزان ولكن ذكر فى التهذيب فى ترجمة أبيه ، أنه يروى عنه .

أبوه محمد بن صالح بن دينار التمار : ثقة . مترجم فى التهذيب . والكبير ١/١/١١٧ ، وروى حديثاً آخر من رواية ابنه صالح ، عنه ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٨٧ .

قال أبو جعفر : وهذا القول عندنا أولى بالصواب ، لإجماع الجميع على أن مريضاً لو صام شهرَ رمضان — وهو ممن له الإفطار لمرضه — أنَّ صومه ذلك مجزئٌ عنه، ولا قضاء عليه إذا برأ من مرضه بعدة من أيام أخر. فكان معلوماً بذلك أن حكم المسافر حكمه فى أنْ لا قضاءَ عليه إن صامه فى سفره . لأن الذى جعل للمسافر من الإفطار وأمرَ به من قضاء عدة من أيام أخر ، مثلُ الذى جعل من ذلك للمريض وأمرَ به من القضاء . ثم فى دلالة الآية كفايةٌ مغنية عن استشهاد شاهد على صحّة ذلك بغيرها. وذلك قول الله تعالى ذكره: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ ، ولا عُسرَ أعظم من أن يُلزم من صامه فى سفره عدةً من أيام أخر ، وقد تكلف أداءَ فرضه فى أثقل الحالين عليه حتى قضاه وأدّاه .

فإن ظن ذو غَباوة أنَّ الذى صامه لم يكن فرضَهُ الواجبَ ، فإن فى قول الله تعالى ذكره : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيامُ » «شهرُ رَمضَان الذى أنزل فيه القرآن » ، ما ينبئ أن المكتوبَ صومُه من الشهور على كل مُؤمن ، هو شهرُ رمضان مسافرًا كان أو مقيماً ، لعموم الله تعالى ذكره المؤمنين بذلك بقوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكمُ الصيام » « شهر رمضان » = وأن قوله : « ومَنْ كان مريضاً أو عَلى سفر فعدةٌ من أيام أخر » معناه : ومن كان مريضاً أو على سفر فأفطرَ برُخصة الله ، فعليه صوم عدة أيام أخر مكانَ الأيام التى أفطر فى سفره أو مرضه = ثم فى تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله — إذْ سئل عن الصوم فى السفر : « إن شئتَ فصم ، وإن شئت فأفطر » — الكفايةُ الكافيةُ عن الاستدلال على صحة ما قُلنا فى ذلك بغيره .

٢٨٨٩ — حدثنا هناد قال، حدثنا عبد الرحيم ووكيع وعبدة ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه، عن عائشة : أن حَمزة سألَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصوم فى السفر — وكان يَسرُد الصوم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن شئتَ فصمْ ، وإن شئت فأفطر .(١)

٢٨٩٠ - حدثنا أبو كريب وعبيد بن إسمعيل الهبّارى قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه أن حمزة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه .(٢)

---

(١) الحديث : ٢٨٨٩ - هو حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، وأصحاب الكتب الستة ، كما فى المنتقى : ٢١٧١ .

و « حمزة » هذا : هو حمزة بن عمرو الأسلمى ، صحابى معروف . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٤٣ ، وابن سعد ٤/٢/٤٥ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢١٢، والاستيعاب ، ص : ١٠٥ ، وأسد الغابة ٢ : ٥٠ - ٥١ ، وتاريخ الإسلام للذهبى ٣ : ١٤ .

ومن عجب بعد هذا كله : أن يسهو الحافظ ابن حجر عن ترجمته فى الإصابة ، فى حين أنه أشار إليه فى ترجمة « حمزة بن عمر » بضم العين وفتح الميم . وهى ترجمة أخطأ فيها بعض من سبقه ، وبين هو هذا الخطأ كما بينه ابن الأثير ! !

وانظر الإسنادين بعد هذا .

سرد الصوم يسرده سرداً : إذا والاه وتابعه بعضه فى إثر بعض .

(٢) الحديث : ٢٩٩٠ - عبيد بن إسمعيل الهبارى ، شيخ الطبرى : ثقة من شيوخ البخارى . ترجمه فى الصغير ، ص : ٢٤٧ ، وهو مترجم أيضاً فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٤٠٢ .

ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودى ، مضى فى : ٤٣٨ ، ٢٠٣٠ . ووقع فى التهذيب ٧ : ٥٩ ، فى شيوخ « عبيد بن إسمعيل » - « وأبى إدريس » . وهو خطأ مطبعى .

وهذا الإسناد ظاهره أنه مرسل ، لأن عروة بن الزبير تابعى ، كما هو واضح .

والظاهر أن هشام بن عروة ، أو أباه عروة - كان أحدهما يصل هذا الحديث تارة ويرسله تارة . وعروة سمعه من خالته عائشة أم المؤمنين ، كما فى الإسناد السابق ، وسمعه أيضاً من أبى مراوح عن حمزة الأسلمى نفسه ، كما فى الإسناد التالى لهذا .

ومالك قد روى هذا الحديث فى الموطأ ، ص : ٢٩٥ ، « عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن حمزه بن عمرو الأسلمى . . . » - فذكره مرسلا ، كرواية ابن إدريس هنا ، عن هشام .

فقال ابن عبد البر فى التقصى ، رقم : ٦٤٣ « هكذا رواه يحيى ، لم يذكر عائشة . وخالفه أكثر رواة الموطأ ، فذكروا فيه عائشة » .

وقد رواه البخارى ٤ : ١٥٧ ، عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك - موصولا . وكذلك رواه غيره من الأئمة .

والظاهر عندى أن الذى كان يرسله ويصله - هو هشام أو أبوه ، وأن مالكاً رواه عن هشام على الوجهين . بدلالة رواية عبد الله بن إدريس المرسلة - هنا - عن هشام .

ورواه البخارى أيضاً ٤ : ١٥٦، ومسلم ١ : ٣٠٩ - ٣١٠ ، بأسانيد ، موصولا ، من طريق هشام ، عن أبيه ، عن عائشة .

٢٨٩١ — حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قال ، أخبرنا حيوة بن شريح قال ، أخبرنا أبو الأسود : أنه سمع عروة بن الزبير يحدث عن أبي مراوح ، عن حمزة الأسلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا رسول الله ، إني أسرد الصوم ، فأصومُ في السفر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هي رُخْصة من الله لعباده ، فمن فعلها فحسنٌ جميل ، ومن تركها فلا جُناح عليه . فكان حمزة يصوم الدهر ، فيصوم في السفر والحضر . وكان عروة بن الزبير يصوم الدهر ، فيصوم في السفر والحضر ، حتى إنْ كان ليمرضُ فلا يُفطر . وكان أبو مُرَاوح يصوم الدهر ، فيصوم في السفر والحضر .(١)

* * *

ففي هذا ، مع نظائره من الأخبار التي يطول باستيعابها الكتاب ، الدلالة الدالة على صحة ما قلنا : من أن الإفطارَ رخصةٌ لا عزم ، والبيانُ الواضح على صحة ما قلنا في تأويل قوله : « وَمن كانَ مَريضاً أو عَلى سَفر فعدةٌ من أيام أخر » .

* * *

(١) الحديث : ٢٨٩١ — أبو زرعة وهب الله بن راشد : مضى في : ٢٣٧٧ . ووقع في المطبوعة هنا — كما كان هناك : « أبو زرعة وعبد الله بن راشد قالا ... » . وهو خطأ ، كما بينا آنفاً .

حيوة — بفتح الحاء المهملة والواو بينهما ياء تحتية ساكنة — بن شريح التجيبي ، أبو زرعة المصري : فقيه عالم ثقة ثقة .

أبو الأسود : هو « يتيم عروة » ، واسمه « محمد بن عبد الرحمن بن نوفل » ، وقيل له « يتيم عروة » لأن أباه كان أوصى إليه .

أبو مراوح الغفاري المدني : تابعي ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

والحديث رواه مسلم ١ : ٣١٠ ، والنسائي ١ : ٣٤٣ — والبيهقي ٤ : ٤٣ ، ثلاثتهم من طريق ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي الأسود ، بهذا الإسناد .

وقصر السيوطي جداً ، فذكره ١ : ١٩٠ ، ونسبه للدارقطني « وصححه » ، فقط . وهو في أحد الصحيحين وأحد السنن الأربعة .

فظهر من هذا الإسناد أن عروة بن الزبير له في هذا الحديث طريقان : فسمعه من خالته عائشة . وسمعه مطولا من أبي مراوح ، عن حمزة الأسلمي نفسه ، صاحب السؤال . فليس هذا اختلافاً على عروة ، إنما هو توكيد رواية صحيحة ، بأخرى مثلها .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : إن الأخبار بما قلت، وإن كانت متظاهرةً، فقد تظاهرت أيضاً بقوله : « ليس من البر الصيامُ فى السفر » ؟

٩٢/٢

قيل : إن ذلك إذا كان الصيامُ فى مثل الحال التى جاء الأثرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى ذلك لمن قال له .

٢٨٩٢ ــ حدثنا الحسين بن يزيد السبيعى قال، حدثنا ابن إدريس، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن محمد بن عمرو بن الحسن ، عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رُجلاً فى سفره قد ظُلِّل عليه ، وعليه جماعة ، فقال : من هذا ؟ قالوا : صائم . قال : ليس من البر الصوم فى السفر .

* * *

= قال أبو جعفر : أخشى أن يكون هذا الشيخ غلط ، وبين ابن إدريس ومحمد بن عبد الرحمن ، شعبة.[1]

* * *

٢٨٩٢ م ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارى ، عن محمد بن عمرو بن الحسن بن على ، عن جابر بن عبد الله قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قد اجتمع الناس عليه وقد ظُلِّل عليه ، فقالوا : هذا رجل صائم ! فقال رسول الله صلى الله

---

(١) الحديث : ٢٨٩٢ – الحسين بن يزيد السبيعى ، شيخ الطبرى : هكذا ثبت هنا . وأخشى أن يكون نسبته « السبيعى » سهواً أو خطأً من الناسخين . والذى فى هذه الطبقة ، ويروى عن عبد الله بن إدريس – هو « الحسين بن يزيد بن يحيى الطحان الأنصارى » وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/٦٧ . روى عنه أبو داود ، والترمذى ، وأبو زرعة ، وذكر الحافظ أنه روى عنه مسلم خارج الصحيح . والذى يرجح عندى هذا : أن الطبرى روى خبراً آخر ، فى التاريخ ١ : ١٣٥ – ١٣٦ : « حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : حدثنا ابن إدريس . . . » . إلا أن يكون هذا شيخاً آخر للطبرى ، لم تصل إلينا معرفته .

وقد نبه الطبرى إلى غلط هذا الشيخ ، فى إسقاط « شعبة » بين « ابن إدريس » و « محمد بن عبد الرحمن » ، وهو كما قال . فإن عبد الله بن إدريس لم يدرك أن يروى عن محمد بن عبد الرحمن .

وسيأتى تخريج هذا الحديث ، فى الإسناد التالى له .

عليه وسلم : ليس من البر أن تصوموا فى السفر.[١]

* * *

فمن بلغ منه الصوم ما بلغ من الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، فليس من البر صومه . لأن الله تعالى ذكره قد حرّم على كل أحد تعريضَ نفسه لما فيه هلاكها ، وله إلى نجاتها سبيل . وإنما يُطلب البر بما نَدب الله إليه وحضَّ عليه من الأعمال ، لا بما نَهى عنه .

وأما الأخبار التى رويت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله : « الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر » ،[٢] فقد يحتمل أن يكون قيل لمن بلغ منه الصوم ما بلغ من هذا الذى ظُلِّل عليه ، إن كان قيل ذلك . وغيرُ جائز أن يُضاف إلى النبى صلى الله عليه وسلم قيلُ ذلك ، لأن الأخبار التى جاءت بذلك عن رسول الله صلى

---

(١) الحديث : ٢٨٩٢م – محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة : ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . وبعضهم ينسبه لجده لأمه ، فيقول : « محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة » . و « سعد ابن زرارة » ، وأخوه « أسعد بن زرارة » – صحابيان معروفان ، أنصاريان ، من بنى النجار .

ووقع فى هذا الإسناد فى المطبوعة « شعبة عن عبد الرحمن بن سعد . . . » ، وهو خطأ واضح من الناسخين سقط منهم « محمد بن » قبل « عبد الرحمن » .

محمد بن عمرو بن الحسن بن على بن أبى طالب : تابعى ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

والحديث رواه مسلم ١ : ٣٠٨ ، بأسانيد ، منها : عن محمد بن المثنى ، شيخ الطبرى هنا ، عن محمد بن جعفر ، بهذا الإسناد .

ورواه أحمد فى المسند : ١٤٢٤٢ (٣ : ٢٩٩ حلبى) ، عن محمد بن جعفر ، به .

ورواه أبو داود الطيالسى : ١٧٢١ ، عن شعبة ، به .

ورواه البخارى ٤ : ١٦١ – ١٦٢ (فتح) ، عن آدم ، عن شعبة . ورواه أيضاً – مختصراً – فى الكبير ١/١/١٨٩ – ١٩٠ ، عن آدم .

ورواه أبو نعيم فى الحلية ٧ : ١٥٩ ، بأسانيد من طريق شعبة ، ثم قال : « صحيح متفق عليه . واختلف فى محمد بن عبد الرحمن : فأخرجه سليمان فى ترجمة : شعبة عن أبى الرجال ، وغيره أخرجه فى ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة » .

وقد حقق الحافظ فى الفتح أن الصحيح ما ذكرنا . وهو الثابت فى صحيح مسلم ، وسنن أبى داود : ٢٤٠٧ ، وغيرهما .

وقصر السيوطى جداً ، إذ نسبه فى الدر المنثور ١ : ١٩١ لابن أبى شيبة ، وأبى داود ، والنسائى ، فقط ! وهو فى الصحيحين كما ترى .

(٢) انظر الأثرين رقم : ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ ، والتعليق عليهما .

الله عليه وسلم واهية الأسانيد ، لا يجوزُ الاحتجاجُ بها فى الدين .

* * *

فإن قال قائل : وكيف عطف على « المريض » ، وهو اسم بقوله : « أَوْ على سفر » و « على » صفة لا اسم .(١)

قيل : جاز أن ينسق بـ « على » على « المريض » ، لأنها فى معنى الفعل . وتأويل ذلك : أو مسافراً ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ [سورة يونس : ١٢] ، فعطف بـ « القاعد ، والقائم » على « اللام » التى فى « لجنبه » ، لأن معناها الفعل ، كأنه قال : دعانا مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : يريد الله بكم ، أيها المؤمنون — بترخيصه لكم فى حال مرضكم وسفركم فى الإفطار ، وقضاء عدة من أيام أخر من الأيام التى أفطرتموها بعد إقامتكم وبعد بُرئكم من مرضكم — التخفيفَ عليكم ، والتسهيل عليكم ، لعلمه بمشقة ذلك عليكم فى هذه الأحوال(٢) = « ولا يُريد بكم العسر » ، يقول : ولا يريد بكم الشدة والمشقة عليكم ، فيكلفكم صوم الشهر فى هذه الأحوال ، مع علمه شدة ذلك عليكم ، وثقل حمله عليكم لو حمّلكم صومه ، كما :—

٢٨٩٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « يُريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، قال : اليسر الإفطار فى السفر ، والعسر الصيام فى السفر .

٢٨٩٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

---

(١) قوله : « صفة » يعنى حرف جر . وحروف الصفات هى حروف الجر . وقد مضى بيان ذلك فى ١ : ٢٩٩ تعليق : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « بشقة ذلك عليكم » ، والصواب ما أثبت .

شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سألت ابن عباس عن الصوم فى السفر ، فقال : يُسرٌ وعُسرٌ . فخذ بيسر الله .

٢٨٩٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر . قال ، أخبرنا ابن المبارك، عن شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله : « يريد الله بكم اليسر » — قال : هو الإفطار فى السفر ، وَجعل عدةٌ من أيام أخر — « ولا يريد بكم العسر » .

٢٨٩٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « يريد الله بكمُ اليسر ولا يُريدُ بكم العسر » ، فأريدوا لأنفسكم الذى أراد الله لكم .

٢٨٩٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : لا تَعِبْ على من صام ولا على من أفطر — يعنِى فى السفر فى رمضان — « يريد الله بكم اليسر ولا يُريد بكم العسر» .

٢٨٩٨ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، حدثنا الفضيل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمانَ ، قال سمعت الضحاك بن مزاحم فى قوله : « يريد الله بكمُ اليسر » — الإفطارُ فى السفر — « ولا يريد بكم العسر » ، الصيام فى السفر .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله:[1] « ولتكملوا العدة» ، عدةَ ما أفطرتم ، من أيام أخر ، أوجبت عليكم قضاءَ عدة من أيام أخر بعد برئكم من مرضكم ، أو إقامتكم من سفركم ، كما : —

(١) فى المطبوعة : « بذلك » مكان « بقوله » ، وسياق الكلام يدل على صواب ما أثبت .

٢٨٩٩ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « ولتكملوا العدة » ، قال : عدة ما أفطر المريض والمسافر .

٢٩٠٠ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولتكملوا العدة » ، قال : إكمالُ العدة أن يَصومَ ما أفطر من رمضان فى سفر أو مرض [إلى] أنْ يُتمه ، فإذا أتمه فقد أكمل العدة .[1]

٩٢/٢

* * *

فإن قال قائل : ما الذى عليه = بهذه « الواو » التى فى قوله : « ولتكملوا العدة » = عَطفَتْ ؟[2]

قيل : اختلف أهل العربية فى ذلك .

فقال بعضهم : هى عاطفة على ما قبلها ، كأنه قيل : ويُريد لتكملوا العدة ولتكبروا الله .

وقال بعض نحويى الكوفة : وهذه « اللام » التى فى قوله : « ولتكملوا » لام « كى » لو ألقيتْ كان صواباً . قال : والعرب تُدخلها فى كلامها على إضمار فعل بعدها ، ولا تكون شرطاً للفعل الذى قبلها وفيها « الواو » ، ألا ترى أنك تقول : « جئتك لتحسن إلى» ، ولا تقول : « جئتك ولتحسن إلىّ » ، فإذا قلته فأنت تريد : ولتحسن جئتك . قال : وهذا فى القرآن كثيرٌ ، منه قوله : ﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٣] ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٥] ، لو لم تكن فيه « الواو » كان شرطاً على قولك : أريْناهُ ملكوت السموات والأرض

---

(١) الزيادة بين القوسين لا غنى عنها هنا .

(٢) السياق : وما الذى عليه عطفت .

ليكون. فإذا كانت « الواو » فيها فلها فعل « مضمر » بعدها، و« ليكون من الموقنين »، أريناه .[١]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بالصواب فى العربية . لأن قوله : « ولتكملوا العدة»، ليس قبله « لام » بمعنى « اللام » التى فى قوله : « ولتكملوا العدة » فتعطف بقوله : « ولتكملوا العدة » عليها — وأن دخول « الواو » معها ، يؤذن بأنها شرط لفعل بعدها ، إذ كانت « الواو » لو حذفت كانت شرطاً لما قبلها من الفعل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : ولتعظّموا الله بالذكر له بما أنعم عليكم به، من الهداية التى خذل عنها غيركم من أهل الملل الذين كتب عليهم من صوم شهر رمضان مثلَ الذى كتب عليكم فيه ، فضلّوا عنه بإضلال الله إياهم ، وخصّكم بكرامته فهداكم له ، ووفقكم لأداء ما كتبَ الله عليكم من صومه ، وتشكروه على ذلك بالعبادة لهُ .

* * *

والذكر الذى حضهم الله على تعظيمه به، « التكبير » يوم الفطر ، فيما تأوله جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٠١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن داود بن قيس ، قال :سمعت زيد بن أسلم يقول: « ولتكبروا الله على

---

(١) هذا قول الفراء ، وهو نص كلامه فى معانى القرآن ١ : ١١٣ .

ما هداكم » ، قال : إذا رأى الهلال ، فالتكبيرُ من حين يَرى الهلال حتّى ينصرف الإمام ، فى الطريق والمسجد ، إلاّ أنه إذا حضر الإمامُ كفّ ، فلا يكبِّر إلا بتكبيره .

٢٩٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك قال : سمعت سفيان يقول : « ولتكبِّروا الله على ما هداكم » ، قال : بلغنا أنه التكبير يوم الفطر .

٢٩٠٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : كان ابن عباس يقول : حقٌّ على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبِّروا الله حتّى يفرغوا من عيدهم ، لأن الله تعالى ذكره يقول : « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم » . قال ابن زيد : يَنبغى لهم إذا غَدوا إلى المصلَّى كبروا ، فإذا جلسوا كبروا ، فإذا جاء الإمام صَمتوا ، فإذا كبر الإمام كبروا ، ولا يكبرون إذا جاء الإمام إلا بتكبيره ، حتّى إذا فرغ وانقضت الصلاة فقد انقضى العيد . قال يونس : قال ابن وهب : قال عبد الرحمن بن زيد : والجماعةُ عندنا على أن يغدوا بالتكبير إلى المصلَّى .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق ، وتيسير ما لو شاء عسَّر عليكم .

و « لعل » فى هذا الموضع بمعنى « كى » ،[1] ولذلك عطف به على قوله : « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٣٦٤ ، والمراجع فى فهرس مباحث العربية .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره: بذلك وإذا سألك يا محمد عبادى عنى : أين أنا ؟ فإنى قريبٌ منهم أسمع دعاءهم ، وأجيب دعوة الداعى منهم .

* * *

وقد اختلف فيما أنزلت فيه هذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت فى سائل سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أقريبٌ ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريبٌ أجيبُ » الآية .

٢٩٠٤ ــ حدثنا بذلك ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عبدة السجستانى ، عن الصُّلب بن حكيم ، عن أبيه، عن جده .[1]

---

(١) الحديث : ٢٩٠٤ ــ جرير : هو ابن عبد الحميد الضبى ، مضى فى : ٢٠٢٨ ، ٢٣٤٦ .
عبدة السجستانى : هو عبدة بن أبى برزة ، ترجمه ابن أبى حاتم ٣/١/٩٠ ، ولم يذكر فيه جرحاً . ولم أجد له ترجمة عند غيره .

« السجستانى » : هذا هو الصحيح ، الثابت هنا ، وفى المصادر المعتمدة ، كما سيأتى . ووقع فى بعض المراجع « السختيانى » ، وهو خطأ مطبعى واضح .

الصلب بن حكيم : نص الحافظ عبد الغنى الأزدى المصرى ، فى كتاب المؤتلف والمختلف ، ص ٧٩ ، على أنه « صلب » : « بالباء معجمة من تحتها وضم الصاد » . وترجم له فقال : « صلب بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده . روى حديثه محمد بن حميد ، عن جرير ، عن عبدة بن أبى برزة السجستانى » .

وكذلك قال الذهبى فى المشتبه ، ص : ٣١٦ « وصلب بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده . يشتبه بالصلت بن حكيم » . وفى هامشه ، نقلا عن هامش إحدى مخطوطاته : « قال الخطيب : قيل إنه أخ لبهز ابن حكيم ، ولا يصح ذلك . ويشتبه أيضاً بالصلت بن حكيم ، بضم الحاء . ويقال : الحكيم بن الصلت » وكذلك قال الحافظ ابن حجر ، فى « تبصير المنتبه » (مخطوط مصور عندى) ، ونص على أنه « قيل : إن الصلب بن حكيم ، المتقدم ذكره ــ أخو بهز بن حكيم ، ولا يصح » .

٢٩٠٥ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن عوف ، عن الحسن قال : سأل أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم النبيَّ صلى الله عليه وسلم : أين ربُّنا ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : «وإذا سألك عبادى عَنى فإنّى قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان » الآية . (١)

* * *

ولكنه — مع هذا — ترجم له فى لسان الميزان ٣ : ١٩٥ ، فى باب « الصلت » ، نقلا عن الميزان ، وذكر هذا الحديث له . وذكر رواية الذهبى إياه بإسناده إلى « محمد بن حميد » . ثم ذكر — نقلا عن الذهبى أيضاً — أنه رواه ابن أبى خيثمة ، فى جزء جمعه فيمن روى عن أبيه عن جده ، وأنه « أخرجه العلائى فى كتاب الوشى ، عن إبرهيم بن محمد . وقال : لم أر للصلت ذكراً فى كتب الرجال » . ثم عقب الحافظ على ذلك بقوله : « قلت : ذكره الدارقطنى فى المؤتلف ، وحكى الاختلاف : هل آخره بالموحدة ، أو بالمثناة؟ وقال إنه ابن حكيم بن معاوية بن حيدة ، فهو أخو بهز بن حكيم ، المحدث المشهور . وليس للصلت ولا لأبيه ولا لجده — ذكر فى كتب الرواة ، إلا ما قدمت من ذكر ابن أبى خيثمة ، ولم يزد فى التعريف به على ما ها هنا » .

وهذا اضطراب شديد من الحافظ ابن حجر . ثم إن هذه التى نقلها عن ميزان الاعتدال للذهبى لم تذكر فى النسخة المطبوعة منه . فالظاهر أنها سقطت من الأصول التى طبع عنها الميزان .

والراجح عندى ما ذهب إليه الذهبى وابن حجر وابن أبى خيثمة وعبد الغنى الأزدى : أنه « صلب » بضم الصاد وبالموحدة فى آخره . وأنه مجهول هو وأبوه وجده . أما « حكيم بن معاوية بن حيدة القشيرى » : فإنه تابعى معروف ، وأبوه صحابى معروف . وقد روى عن حكيم بن معاوية بن حيدة — أبناؤه : بهز ، وسعيد ومهران . فلا صلة للذى يسمى « الصلب » هذا — بهؤلاء .

وهذا الحديث ضعيف جداً ، منهار الإسناد بكل حال .

وقد وهم الحافظ ابن كثير ، حين ذكره ١ : ٤١٣ — ٤١٤ ، وجعله من حديث « معاوية بن حيدة القشيرى » .

وذكره السيوطى أيضاً ١ : ١٩٤ ، وأخطأ فيه خطأ آخر : فجعله « من طريق الصلت بن حكيم ، عن رجل من الأنصار ، عن أبيه ، عن جده » ! ! وقد تكون زيادة « عن رجل من الأنصار » خطأ من الناسخين ، لا من السيوطى .

(١) الحديث : ٢٩٠٥ — جعفر بن سليمان : هو الضبعى ، بضم الضاد المعجمة ، وفتح الباء الموحدة . وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره .

عوف : هو ابن أبى جميلة الأعرابى ، وهو ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . وقد مضت له رواية فى : ٦٤٥ . وهو معروف بالرواية عن الحسن البصرى .

وهذا الإسناد صحيح إلى الحسن . ولكن الحديث ضعيف ، لأنه مرسل ، لم يسنده الحسن عن أحد من الصحابة .

وقد رواه أبو جعفر هنا ، من طريق عبد الرزاق ، ولم أجده فى تفسير عبد الرزاق . فلعله فى موضع آخر من كتبه .

وقال آخرون : بل نزلت جواباً لمسألة قوم ٍ سألوا النبي صلى الله عليه وسلم : أيّ ساعة يدعون الله فيها ؟

• ذكر من قال ذلك :

٢٩٠٦ ــ حدثنا سفيان ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال: لما نزلت : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة غافر : ٦٠] قالوا : في أي ساعة ؟ قال : فنزلت : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » إلى قوله : « لعلهم يرشدون » .

٩٣/٢

٢٩٠٧ ــ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء فى قوله : « أجيب دعوة الداع إذا دعان » ، قالوا : لو علمنا أيّ ساعة ندعو ! فنزلت : « و إذا سألك عِبادى عنّى فإنى قريب » الآية .

٢٩٠٨ ــ حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : زعم عطاء بن أبى رباح أنه بلغه : لما نزلت : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، قال الناس: لو نعلم أى ساعة ندعو ! فنزلت : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

٢٩٠٩ ــ حدثنا موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان » ، قال : ليس من عبد مؤمن يدعو الله إلا استجاب له ، فإن كان الذى يدعو به هو له رزق فى الدنيا أعطاه الله، وإن لم يكن له رزقاً فى الدنيا ذخره له إلى يوم القيامة ، ودفع عنه به مكروهاً .

٢٩١٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الليث بن سعد ، عن ابن صالح ، عمن حدثه : أنه بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أعطى أحدٌ الدعاءَ

ومَنْع الإجابة ، لأن الله يقول : ﴿ أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَـكُمْ ﴾ .

* * *

ومعنى متأوِّلى هذا التأويل : وإذا سألك عبادى عنى : أى ساعة يدعوننى ؟ فإنى منهم قريب فى كل وقت ، أجيب دعوة الداع إذا دعان .

* * *

وقال آخرون: بل نَزَلت جواباً لقول قوم قالوا — إذْ قالَ الله لهم: ﴿ أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَـكُم ﴾ — : إلى أين ندعوه !

* ذكر قال ذلك :

٢٩١١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج، قال مجاهد: ﴿ أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَـكُمْ ﴾ ، قالوا: إلى أين؟ فنزلت : ﴿ أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[سورة البقرة : ١١٥].

* * *

وقال آخرون : بل نزلت جواباً لقوم قالوا : كيف ندعو ؟

* ذكر من قال ذلك :

٢٩١٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أنه لما أنزل الله: « ادعُونى أَسْتَجِبْ لَـكُمْ » ، قال رجال : كيف ندعو يا نبي الله ؟ فأنزل الله: « وإذا سَألك عبادى عَنّى فإنّى قريبٌ » إلى قوله : « يرشدون » .

* * *

وأما قوله : « فليستجيبوا لى » ، فإنه يعنى : فليستجيبوا لى بالطاعة. يقال منه : « استجبت له ، واستجبته » ، بمعنى أجبته ، كما قال كعب بن سعد الغنوىّ :

وَدَاعٍ دَعَا : يَامَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى؟ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[1]

(١) سلف هذا البيت فى ١ : ٣٢٠ ، ونسيت هناك أن أشير إليه أنه سيأتى فى هذا الموضع من التفسير ، ثم فى ٤ : ١٤٤ (بولاق) .

يريد : فلم يجبه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال مجاهدٌ وجماعةٌ غيره .

٢٩١٣ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى الحجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد قوله : « فليستجيبوا لى » ، قال : فليطيعوا لى . قال : « الاستجابة » ، الطاعة .

٢٩١٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا حُبان بن موسى قال : سألت عبد الله ابن المبارك عن قوله : « فليستجيبوا لى » ، قال : طاعة الله .

* * *

وقال بعضهم : معنى « فليستجيبوا لى » : فليدعونى

* ذكر من قال ذلك :

٢٩١٥ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن أبى رجاء الخراسانى ، قال : « فليستجيبوا لى » ، فليدعونى .

* * *

وأما قوله : « وليؤمنوا بى » فإنه يعنى : وَليصدِّقوا . أى : وليؤمنوا بى ، إذا همُ استجابوا لى بالطاعة ، أنى لهم من وَرَاء طاعتهم لى فى الثواب عليها ، وإجزالى الكرامةَ لهم عليها .

* * *

وأما الذى تأوَّل قوله : « فليستجيبوا لى »، أنه بمعنى : فليدعونى ، فإنه كان يتأوّل قوله : « وليؤمنوا بى »، وليؤمنوا بى أنى أستجيب لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩١٦ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن أبى رجاء الخراسانى : « وليؤمنوا بى » ، يقول : أنى أستجيب لهم

* * *

وأما قوله : « لعلهم يَرشُدُون » فإنه يعنى : فليستجيبوا لى بالطاعة ، وليؤمنوا بى

فيصدّقوا على طاعتهم إياى بالثواب منى لهم ، وليهتدوا بذلك من فعلهم فيرشدوا ، كما : —

٢٩١٧ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا إسحق ، قال حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع فى قوله : «لعلهم يَرشدون »، يقول : لعلهم يهتدون .

* * *

فإن قال لنا قائل : وما معنى هذا القول من الله تعالى ذكره ؟ فأنت ترى كثيراً من البشر يدعون الله فلا يجابُ لهم دُعاء ، وقد قال : « أجيبُ دَعوة الداع إذا دَعان » ؟

قيل : إن لذلك وجهين من المعنى :

أحدهما : أن يكون معنيًّا « بالدعوة »، العملُ بما نَدب الله إليه وأمر به . فيكون تأويل الكلام . وإذا سألك عبادى عَنى فإنى قريبٌ ممن أطاعنى وعَمل بما أمرته به، أجيبه بالثواب على طاعته إياى إذا أطاعنى . فيكون معنى « الدعاء » : مسألة العبد ربَّه ما وعد أولياءه على طاعتهم بعملهم بطاعته ، ومعنى « الإجابة » من الله التى ضمنها له ، الوفاءُ له بما وعد العاملين له بما أمرهم به ، كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : « إنّ الدعاء هو العبادة » .

٢٩١٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جوير ، عن الأعمش ، عن ذر ، عن يُسَيْع الحضرمى ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ الدعاءَ هوَ العبادة . ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [سورة غافر : ٦٠] ٢/٩٤

* * *

(١) الحديث : ٢٩١٨ — أما الحديث فى ذاته — فإنه حديث صحيح . وأما هذا الإسناد بعينه، فلا أدرى كيف يستقيم ؟ مع ضعفه !

فإن ابن حميد — شيخ الطبرى — هو : محمد بن حميد الرازى ، سبق توثيقه : ٢٠٢٨ ، ٢٢٥٣ .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنّ دعاء الله إنما هو عبادته ومسألته ، بالعمل له والطاعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ذُكِر أن الحسن كان يقول :

٢٩١٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن عبد الله بن المبارك ، عن الربيع بن أنس ، عن الحسن أنه قال فيها : ﴿ أَدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، قال : اعملوا وأبشروا ، فإنه حقٌّ على الله أن يستجيب

ولكن من المحال أن يقول : « حدثنا جويبر » ، لأن ابن حميد مات سنة ٢٤٨ ، وجويبر بن سعيد الأزدى مات قبل ذلك بنحو مائة سنة ، فقد ذكره البخارى فى الصغير ، ص : ١٧٦ ، فيمن مات بين سنتى : ١٤٠ — ١٥٠ . فلا بد أن يكون قد سقط بينهما شيخ ، خطأ من الناسخين . ثم إن « جويبراً » هذا : ضعيف جداً ، كما بينا فى : ٢٨٤ .

الأعمش : هو سليمان بن مهران ، الإمام المعروف .

ذر ، بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء : هو ابن عبد الله المرهبى ، بضم الميم وسكون الراء وكسر الهاء بعدها باء موحدة . وهو ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

يسيع — بضم الياء الأولى وسكون الثانية بينهما سين مهملة مفتوحة : هو ابن معدان الحضرمى ، ويقال « الكندى » ، وهو تابعى ثقة . ويقال فى اسمه « أسيع » بقلب الياء الأولى همزة مضمومة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٤٢٥ — ٤٢٦ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٣١٣ . ووقع هنا فى المطبوعة « سبيع » ! وهو تصحيف .

والحديث سيأتى فى الطبرى ٢٤ : ٥١ — ٥٢ (بولاق) ، بستة أسانيد . ووقع اسم « ذر » هناك مصحفاً إلى « زر » ، بالزاى بدل الذال .

وهو حديث صحيح . رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٧١ (حلبى) ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، بهذا الإسناد . فليس فيه « جويبر » الضعيف المذكور هنا .

ونقله ابن كثير ٧ : ٣٠٩ ، عن ذلك الموضع من المسند ، وقال : وهكذا رواه أصحاب السنن : الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، وابن أبى حاتم ، وابن جرير — كلهم من حديث الأعمش ، به . وقال الترمذى : حسن صحيح . ورواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن جرير أيضاً ، من حديث شعبة ، عن منصور والأعمش — كلاهما عن ذر ، به » . ثم ذكر أنه رواه ابن حبان والحاكم أيضاً .

وهو عند الحاكم ١ : ٤٩٠ — ٤٩١ بأسانيد ، ثم قال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره السيوطى ٥ : ٣٥٥ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، والبخارى فى الأدب المفرد ، وابن المنذر ، والطبرانى ، وابن مردويه ، وأبى نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

للذين آمنوا وعَملوا الصالحات ويزيدُهم من فضله .

* * *

والوجه الآخر : أن يكون معناه : أجيب دعوة الداع إذا َدعان إن شئت . فيكون ذلك ، وإن كان عاماً مخرَجه فى التلاوة ، خاصًّا معناهُ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أحل لكم » ، أطلق لكم وأبيح .(١)

* * *

ويعنى بقوله : « ليلة الصيام » ، فى ليلة الصيام .

* * *

فأما « الرفث » فإنه كناية عن الجماع فى هذا الموضع ، يقال : « هو الرفثُ والرُّفوث » .(٢)

* * *

وقد روى أنها فى قراءة عبد الله : « أحل لكم ليلة الصيام الرفوثُ إلى نسائكم » .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى تأويل « الرفث » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٢٠ — حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ، حدثنا أيوب ابن سويد ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، عن ابن عباس قال : الرفث ، الجماعُ ، ولكن الله كريم ، يَكنِى .

---

(١) انظر تفسير « الحلال » فيما سلف من هذا الجزء ٣ : ٣٠٠ ، ٣٠١

(٢) انظر ما سيأتى فى معنى « الرفث » فى هذا الجزء (٢ : ١٥٣ — ١٥٥ بولاق)

٢٩٢١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عاصم ، عن بكر ، عن ابن عباس مثله .

٢٩٢٢ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : الرفث ، النكاح .

٢٩٢٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : الرفث ، غِشيانُ النساء .

٢٩٢٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال،حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » ، قال : الجماع .

٢٩٢٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٩٢٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : الرفث هو النكاح .

٢٩٢٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الكبير البصرى قال ، حدثنا الضحاك بن عثمان قال ، سألت سالم بن عبد الله عن قوله : « أحلّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم » ، قال : هو الجماع .

٢٩٢٨ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « أحِلّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم »، يقول : الجماع .

* * *

« والرفث » فى غير هذا الموضع ، الإفحاشُ فى المنطق ، كما قال العجاج:

* عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ (١) *

* * *

---

(١) ديوانه : ٥٩ ، وسيأتى مع البيت قبله فى التفسير ٢ : ٢٤٦ (بولاق) ، من رجز له طويل ، حمد فيه الله ومجده بقوله :

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : نساؤكم لباسٌ لكمُ وأنتم لباسٌ لهن .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يكون نساؤنا لباساً لنا ، ونحن لهن لباساً ، و« اللباس » إنما هو ما لبس ؟

قيل : لذلك وجهان من المعانى :

أحدهما : أن يكون كل واحد منهما جُعل لصاحبه لباساً ، لتجرُّدهما عند النوم ،[1] واجتماعهما فى ثوب واحد ، وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه ،

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْظَمِ ذِى الْجَبَرُوتِ وَالْجَلَالِ الْأَفْخَمِ
وَعَالِمِ الْإِعْلَانِ وَالْمُكَتَّمِ وربِّ كُلِّ كَافِرٍ ومُسْلِمِ

ثم عطف على قوله : « ورب كل كافر ومسلم » عطوفاً كثيرة ، حتى انتهى إلى ما أنشده الطبرى :

وربِّ أسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ عن اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ

والأسراب جمع سرب : وهو القطيع أو الطائفة من القطاو الظباء والشاء والبقر والنساء ، وجعله هذا للحجاج . والحجيج : الحجاج . وكظم جمع كاظم : وهو الساكت الذى أمسك لسانه وأخبت ، من الكظم (بفتحتين) وهو مخرج النفس . واللغا واللغو : السقط ومالا يعتد به من كلام أو يمين ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع .

هذا ، ومما يدل على أن أبا جعفر كان يختصر القول اختصاراً فى بعض المواضع ، أنه لم يفسر تعدية « الرفث » بحرف الجر « إلى » ، ولولا الاختصار لقال فيه مقالا على ما سلف من نهجه . وقد عدى « الرفث » بـ« إلى »، لأنه فى معنى الإفضاء . يقال: « أفضيت إلى امرأتى » ،فلما أراد هذا المعنى جاء بحرفه ليضمنه معناه ، إيذاناً بأن ذلك ما أراد بهذه الكناية

(١) فى المطبوعة : « لتخرجهما عند النوم » ، وأخشى أن يكون تصحيفاً . جعل الجيم خاء ، وألصق الدال بالهاء ، فظنها الناسخ خاء ، لتشابههما . ولم أجد فى مادة « خرج » « خرج » بتشديد الراء

بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه، فقيل لكل واحد منهما : هو « لباس » لصاحبه، كما قال نابغة بنى جعدة :

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهَا ، تَدَاعَتْ ، فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسَا[1]

ويروى : « تثنت » ، فكنى عن اجتماعهما متجردين فى فراش واحد بـ « اللباس» ، كما يكنى بـ « الثياب » عن جسد الإنسان ، كما قالت ليلى ، وهى تصف إبلاً ركبها قوم :

رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِفَافٍ ، فَلاَ تَرَى لَهَا شَبَهـاً إِلاَّ النَّعَامَ الْمُنَفَّرَا[2]

يعنى : رموها بأنفسهم فركبوها ، وكما قال الهذلى[3] :

تَبَرَّأُ مِنْ دَمِ القَتِيلِ وَوَتْرِهِ وَقَدْ عَلِقَتْ دَمَ القَتِيلِ إِزَارُهَا[4]

بمعنى التجرد من الثياب ، وإن كانوا يقولون: « خرج فلان من ثيابه » ولكنه هنا لا يظهر معناه لسقوط ذكره اللباس فى عبارته . وإن كنت أظنها بعيدة، ولو ذكر معها اللباس . ورجح هذا التصحيح عندى قوله بعد البيت الآتى : « متجردين فى فراش واحد » .

(١) الشعر والشعراء : ٢٥٥ من أبيات جياد، ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٦٧، وتأويل مشكل القرآن ١٠٧ ، وغيرها ، وقبله

أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَجْهًا أَغَـــرَّ مُلْتَبِسًا بِالفُؤَادِ الْتِبَاسَا
يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيـــطِ ، لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسَا
بِآنِسَةٍ غَيْرِ أُنْسِ القِرَافِ وَتَخْلِطُ بِالأُنْسِ مِنْهَا شِمَاسَا

وهو شعر كما ترى :

(٢) المعانى الكبير ١ : ٤٨٦ ، وتأويل مشكل القرآن: ١٠٧ وغيرها . وقولها : « رموها بأثواب » قالوا : تعنى بأجسام خفاف (المعانى).والصواب فى ذلك أن يقال : أن هؤلاء الرّكب قد لوحتهم البيد وأضنتهم ، فلم يبق فيهم إلا عظام معروقة عليها الثياب، لا تكاد ترى إلا ثوباً يلوح على كل ضاو وضامر ، ولذلك شبهت الإبل عليها ركبها بالنعام المنفر . والمنفر : الذى ذعر فانطلق هارباً يخفق فى الأرض .

(٣) هو أبو ذؤيب الهذلى .

(٤) ديوانه : ٢٦ ، والمعانى الكبير : ٤٨٣ ، ومشكل القرآن : ١٠٨ وغيرها . من قصيدة له

يعني : بـ « إزارها » ، نفسها . وبذلك كان الربيع يقول :

٢٩٢٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع : « هُنّ لباسٌ لكم وأنتم لباس لهنّ » ، يقول : هنّ لحاف لكم وأنتم لحاف لهن .(١)

* * *

والوجه الآخر : أن يكون جَعل كلّ واحد منهما لصاحبه « لباساً » ، لأنه سَكنٌ له ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [سورة الفرقان : ٤٧] ، يعني بذلك سكناً تسكنون فيه . وكذلك زوجة الرجل سَكنه يسكن إليها ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٩] ، ٩٥/٢

عجيبة ، يرثى بها صديقه وحميمه نشبة بن محرث ، استفتحها متغزلا مشبباً بصاحبته أم عمرو ، واسمها فطيمة ، وقال قبل هذا البيت ، يلوم نفسه على هجرها ويقول :

فَإِنَّكَ مِنْهَا وَالتَّعَذُّرَ ، بَعْدَ مَا لَجِجْتَ ، وشطَّتْ مِنْ فُطَيْمَةَ دَارُهَا
كَنَعْتِ الَّتِي ظَلَّت تُسَبِّعُ سُؤْرَهَا وَقَالَتْ : حَرَامٌ أَنْ يُرَجَّلَ جَارُهَا
تبَرَّأَ مِنْ دَمِ القَتِيلِ . . . .

يقول أنت في انتفاءك من حبها بعد اللجاجة فيه ، كهذه المرأة التي قتلت قتيلا وحازت بزه ، أي سلاحه ، وأخفته . قال الأصمعي في خبر هذه المرأة : هذه امرأة نزل بها رجل فتحرجت أن تدهنه وترجل شعره ، ثم جاء كلب فولغ في إنائها فغسلته سبع مرات . وذلك بعين الرجل ، فتعجب منها ومن ورعها . فبينا هو كذلك ، أتاها قوم يطلبون عندها قتيلا ، فانتفلت من ذلك — أي أنكرت — وحلفت . ثم فتشوا منزلها ، فوجدوا القتيل وسلاحه في بيتها » .

يقول أنت كهذه المرأة ، تجحد حب صاحبتك ، وتظهر أنك قد كبرت وانتهيت عن الجهل والصبا ، ولو فتش قلبك ، لرأوا حبك لها لا يزال يتأجج ويشتعل .

(١) الأثر : ٢٩٢٩ — في المطبوعة : « عبد الرحمن بن سعيد » ، وقد مضى برقم : ٢٩١٧ ، على الصواب كما أثبته . وعبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد القرظ المؤذن ، روى عن أبيه وعمه محمد وبني أعمامه . وجماعة من أهله ، وأبي الزناد وصفوان بن سليم ، وروى عنه إسحق بن راهويه وإبراهيم بن المنذر وغيرهما . ذكره ابن حبان في الثقات . وقال البخاري : فيه نظر . وقال الحاكم أبو أحمد : حديثه ليس بالقائم .

فيكون كل واحد منهما « لباساً » لصاحبه ، بمعنى سكونه إليه . وبذلك كان مجاهد وغيره يقولون فى ذلك .

وقد يقال لما سَتَر الشيء وَواراه عن أبصار الناظرين إليه : « هو لباسه وغشاؤه » ، فجائز أن يكونَ قيل : « هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن » ، بمعنى : أنّ كل واحد منكم ستر لصاحبه — فيما يكون بينكم من الجماع — عن أبصار سائر الناس .

وكان مجاهد وغيره يقولون فى ذلك بما : —

٢٩٣٠ — حدثنا به المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « هن لباس لكم وأنتم لباسٌ لهن » ، يقول : سكنٌ لهن .

٢٩٣١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « هن لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن » ، قال قتادة : هُنّ سكنٌ لكم ، وأنتم سكنٌ لهنّ .

٢٩٣٢ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « هن لباسٌ لكم » ، يقول : سكن لكم . « وأنتم لباس لهن » ، يقول : سكن لهن .

٢٩٣٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال عبد الرحمن بن زيد فى قوله : « هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن » ، قال : المواقعة .

٢٩٣٤ — حدثنى أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إبراهيم ، عن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قوله : « هن لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن » ، قال : هن سكنٌ لكم وأنتم سكنٌ لهن .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وما هذه الخيانة التى كانَ القوم يختانونها أنفسهم ، التى تابَ الله منها عليهم فعفا عنهم ؟

قيل : كانت خيانتُهم أنفسَهم التى ذكرها الله فى شيئين، أحدهما : جماع النساء ، والآخر : المطعم والمشربُ فى الوقت الذى كانَ حراماً ذلك عليهم ، كما :—

٢٩٣٥ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال ، حدثنا ابن أبى ليلى : أن الرجل كان إذا أفطرَ فنام لم يأتها ، وإذا نام لم يطعم ، حتى جاء عمر بن الخطاب يُريد امرأته ، فقالت امرأته : قد كنتَ نمتَ! فظنَّ أنها تعتلُّ فوقع بها . قال : وجاء رجل من الأنصار فأراد أن يطعم ، فقالوا : نسخّن لك شيئاً ؟ . . . . . . [1] قال : ثم أنزلت هذه الآية : « أحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم » الآية .

---

(١) الأثر : ٢٩٣٥ — موضع هذه النقط خرم فى النسخ . وخبر عبد الرحمن بن أبى ليلى هذا أخرجه وكيع وعبد بن حميد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وهو فى الدر المنثور ١ : ١٩٨ ، بغير هذا اللفظ . ولو أريد إتمامه لكان :

[نسخّن لك شيئاً تفطرُ عليه ؟ فغلبته عيناهُ فنام . فجاؤوا وقد نام ، فقالوا : كُلْ ! فقال : قد كنتُ نمتُ ! فترك الطعام و بات ليلته يتقلّبُ . فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له . فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، إنى أردتُ أهلى البارحة على ما يريدُ الرجلُ أهله ، فقالت: إنّها قد نامت ! فظننتها تعتلّ ، فواقعتها ، فأخبرتنى أنها كانت نامت] .

٢٩٣٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا حصين ابن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : كانوا يصومون ثلاثة أيام من كل شهر ، فلما دخل رَمضان كانوا يصومون ، فإذا لم يأكل الرجل عند فطره حتى ينام ، لم يأكل إلى مثلها ، وإن نام أو نامت امرأته لم يكن له أن يأتيها إلى مثلها . فجاء شيخٌ من الأنصار يقال له صرمة بن مالك، فقال لأهله : أطعمونى. فقالت : حتى أجعل لك شيئاً سُخناً ! قال: فغلبته عينه فنام . ثم جاء عمر فقالت له امرأته : إنى قد نمت ! فلم يعذرها ، وظن أنها تعتلّ ، فواقعها . فبات هذا وهذا يتقلبان ليلتهما ظهراً وبطناً ، فأنزل الله فى ذلك : « وكلوا واشرَبوا حتى يَتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر » ، وقال : « فالآن بَاشروهن » ، فعفا الله عن ذلك ، وكانت سُنّةً .

٢٩٣٧ — حدثنا أبو كريب قال حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن معاذ بن جبل قال : كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساءَ ما لم يناموا ، فإذا ناموا تركوا الطعامَ والشرابَ وإتيانَ النساء . فكان رجل من الأنصار يدعى أبا صِرْمة يعمل فى أرض له ، قال : فلما كان عند فطره نام ، فأصبح صائماً قد جُهد . فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال : مالى أرى بك جَهداً ! فأخبره بما كان من أمره . واختان رَجل نفسه فى شأن النساء ، فأنزل الله : « أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » ، إلى آخر الآية .[1]

هذا لفظ آخر، ولكنه دال على المعنى الذى ذكره عبد الرحمن بن أبى ليلى ، والذى استدل به الطبرى . ثم انظر الآثار التالية ٢٩٣٦ — ٢٩٣٨ عن ابن أبى ليلى .

(١) الحديث : ٢٩٣٧ — هو قطعة من حديث طويل ، سبق بعضه بهذا الإسناد : ٢٧٢٩ ، ٢٧٣٣ . ووقع فى المطبوعة هنا تحريف فى الإسناد، هكذا : « حدثنا عبد الرحمن بن عبيد الله عن عتبة » ! وصوابه : « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة » ، وهو المسعودى ، كما بينا فيما مضى .

وقد أشرنا فيما مضى إلى أن أبا داود روى هذا الحديث المطول : ٥٠٧ ، من طريق يزيد بن هرون ،

٢٩٣٨ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثني أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء — نحو حديث ابن أبي ليلى الذي حدّث به عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى — قال : كانوا إذا صاموا ونام أحدهم ، لم يأكُل شيئاً حتى يكون من الغد . فجاء رجلٌ من الأنصار وقد عمل في أرض له وقد أعيا وكلَّ ، فغلبته عينه فنام ، وأصبح من الغد مجهوداً ، فنزلت هذه الآية : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » .(١)

٢٩٣٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن رجاء البصري قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فنام قبل أن يفطر ، لم يأكل إلى مثلها ، وإنّ قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً ، وكان توجَّه ذلك اليوم فعمِل في أرضه ، فلما حضر الإفطارُ أتى امرأته فقال : هل عندكم طعام ؟ قالت : لا ، ولكن أنطلق فأطلب لك . فغلبته عينه فنام ، وجاءت امرأته قالت : قد نمت ! فلم ينتصف النهارُ حتى غُشي عليه ، فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت فيه هذه الآية : « أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » إلى « من الخيط الأسود » ففرحوا بها فرحاً شديداً.(٢)

٢/٩٦

عن المسعودي . ولكنه لم يذكر فيه القسم الذي هنا كاملا ، بل أشار إليه ، إحالة على الرواية قبله ، فقال : « وجاء صرمة وقد عمل يومه . وساق الحديث » .

والحديث مطول في مسند أحمد ٥ : ٢٤٦ — ٢٤٧ ، من رواية أبي النضر ويزيد بن هرون — كلاهما عن المسعودي ، به . كما أشرنا إليه مفصلا ، فيما مضى : ٢١٥٦ . وفيه القسم الذي هنا . ولكن فيه أن الرجل الأنصاري « يقال له صرمة » ، كما في رواية أبي داود .

وقد مضى في الرواية السابقة : ٢٩٣٦ . أنه « صرمة بن مالك ». وفي هذه الرواية — هنا — : « يدعى أبا صرمة » .

والرواية السابقة مرسلة . وهذه الرواية منقطعة ، لأن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يدرك معاذ بن جبل .
وسيأتي مزيد بيان عن اسم هذا الأنصاري ، في الرواية الآتية : ٢٩٣٩ .

(١) الحديث : ٢٩٣٨ — هذا إسناد صحيح ، لولا ضعف سفيان بن وكيع — كما قلنا مراراً — ولكنه ثابت في تفسير وكيع ، كما ذكره السيوطي .

والطبري لم يذكر لفظه كاملا ، أحال على الروايات قبله . وسيذكره كاملا عقب هذا .

(٢) الحديث : ٢٩٣٩ — وهذا إسناد صحيح . عبد الله بن رجاء الغداني : سبق توثيقه : ٢٨١٤ .

٢٩٤٠ — حدثنى المثنى قال حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قول الله تعالى ذكره : « أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » ، وذلك أن المسلمين كانوا فى شهر رمضان إذا صلوا العشاء حُرِّم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة . ثم إن ناساً من المسلمين أصابوا الطعام والنساء فى رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتابَ عليكم وعَفا عنكم فالآن باشروهن » يعنى : انكحوهن ، « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » .[1]

٢٩٤١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة قال ، حدثنى موسى بن جبير مولى بنى سلمة: أنه سمع عبدالله بن كعب ابن مالك يحدث عن أبيه قال : كان الناسُ فى رمضان إذا صامَ الرجل فأمسَى فنام ، حُرِّم عليه الطعام والشراب والنساءُ حتى يفطر من الغد . فرجع عمر بن

والحديث ثابت من حديث أبى إسحق السبيعى ، عن البراء بن عازب الأنصارى :

فرواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٩٥ (حلبى) ، عن أسود بن عامر ، وأبى أحمد الزبيرى . والبخارى ٤ : ١١١ — ١١٢ (فتح) ، عن عبيد الله بن موسى . وأبو داود : ٢٣١٤ ، من طريق أبى أحمد . والترمذى ٤ : ٧١ — ٧٢ ، من طريق عبيد الله بن موسى — كلهم عن إسرائيل ، عن جده أبى إسحق السبيعى . ورواه النسائى ١ : ٣٠٥، من طريق زهير ، عن أبى إسحق . ورواه البخارى أيضاً ٨ : ١٣٦، مختصراً . عن عبيد الله بن موسى ، وبإسناد آخر عن أبى إسحق .

وذكره السيوطى ١ : ١٩٧ ، وزاد نسبته إلى وكيع ، وعبد بن حميد ، والنحاس فى ناسخه ، وابن المنذر ، والبيهقى فى السنن .

وقد أطال الحافظ فى الفتح ٤ : ١١١ — ١١٢ ، فى بيان الاختلاف فى اسم الأنصارى ، والروايات فى ذلك . ورجح أنه « أبو قيس صرمة بن أبى أنس قيس بن مالك بن عدى . . . » . وأنه عن هذا جاء الاختلاف فيه : فبعضهم أخطأ اسمه وسماه بكنيته ، وبعضهم نسبه لجده ، وبعضهم قلب نسبه . وبعضهم صحفه « ضمرة بن أنس » ، وأن صوابه « صرمة بن أبى أنس » .

وكذلك صنع فى الإصابة بأطول من ذلك ٣ : ٢٤١ — ٢٤٣ ، ٢٨٠ .

« صرمة » : بكسر الصاد المهملة وسكون الراء وفتح الميم .

(١) الحديث : ٢٩٤٠ — ذكره ابن كثير ١ : ٤١٨ — ٤١٩، من غير تخريج . والسيوطى ١ : ١٩٧ ، ونسبه لابن جرير ، وابن المنذر ، فقط .

الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سَمَر عنده ، فوجد امرأته قد نامت ، فأرادها فقالت : إنى قد نمت ! فقال : ما نمت ! ثم وقع بها . وصنع كعب بن مالك مثل ذلك ، فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأنزل الله تعالى ذكره :«علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتابَ عليكم وعفا عنكم فالآنَ باشرُوهن » الآية .[١]

٢٩٤٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد بن سلمة قال ، حدثنا ثابت : أن عمر بن الخطاب واقَع أهله ليلةً فى رمضان ، فاشتد ذلك عليه ، فأنزل الله : « أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » .[٢]

٢٩٤٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ،

---

(١) الحديث : ٢٩٤١ — سويد : هو ابن نصر بن سويد المروزى ، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب ، ونص البخارى فى الكبير ٢/٢/١٤٩ على أنه سمع ابن المبارك . وذكر أنه مات سنة ٢٤٠ عن ٩١ سنة .

ابن لهيعة — بفتح اللام وكسر الهاء : هو عبد الله ، الفقيه القاضى المصرى . مختلف فيه كثيراً ، والتحقيق أنه ثقة صحيح الحديث . وقد فصلنا القول فيه فى شرح المسند : ٨٧ ، ٦٦١٣ .

موسى بن جبير المدنى الحذاء : ثقة ، يخطىء فى بعض حديثه . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/ ٢٨١ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٣٩ ، ولم يذكرا فيه جرحاً . وهو مولى « بنى سلمة » ، بفتح السين وكسر اللام ، من الأنصار . انظر المشتبه للذهبى ، ص : ٢٧٠ .

عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى السلمى — بفتح اللام ، نسبة إلى « بنى سلمة » بكسرها : تابعى ثقة ، كان قائد أبيه حين عمى ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٥٨٦٠ (٣ : ٤٦٠ حلبى) ، عن عتاب بن زياد ، عن عبد الله ابن المبارك ، بهذا الإسناد .

وذكره ابن كثير ١ : ٤٢٠ ، عن الطبرى ، فقط .

وذكره السيوطى ١ : ١٩٧ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبى حاتم « بسند حسن » . وإنما حسن إسناده ، من أجل ابن لهيعة — فيما أرجح — وعندى أنه إسناد صحيح .

(٢) الحديث : ٢٩٤٢ — ثابت : هو ابن أسلم البنانى ، بضم الباء الموحدة وتخفيف النون الأولى . وهو تابعى ثقة ، ولكنه يروى عن صغار الصحابة ، كأنس ، وابن الزبير ، وابن عمر . لم يدرك أن يروى عن عمر بن الخطاب . فهذا إسناد منقطع ، ضعيف لذلك .

والحديث ذكره السيوطى ١ : ١٩٧ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم هُنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن » إلى « وعفا عنكم » . كان الناس أوّلَ ما أسلموا إذا صام أحدُهم يصوم يومه ، حتى إذا أمسى طَعِم من الطعام فيما بينه وبين العتمة ، حتى إذا صُلّيت حُرّم عليهم الطعامُ حتى يمسى من الليلة القابلة . وإنَّ عمر بن الخطاب بينما هو نائم إذ سوّلت له نفسه فأتى أهله لبعض حاجته ، فلما اغتسلَ أخذ يبكى ويلوم نفسه كأشد ما رأيتَ من الملامة ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، إنى أعتذر إلى الله وإليك من نفسى هذه الخاطئة ، فإنها زيَّنت لى فواقعتُ أهلى ! هل تجد لى من رخصة يا رسول الله ؟ قال : لم تكن حقيقاً بذلك يا عمر ! فلما بلغ بيته أرسل إليه فأنبأه بعُذره فى آية من القرآن ، وأمر الله رسوله أن يَضَعها فى المئة الوسطى من سورة البقرة فقال : « أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » إلى« علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم » ، يعنى بذلك : الذى فعل عمر بن الخطاب فأنزل الله عفوه . فقال : « فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن بَاشِرُوهن » إلى « من الخيط الأسود »،فأحل لهم المجامعة والأكل والشرب حتى يتبين لهم الصبح .[1]

---

(١) الحديث : ٢٩٤٣ — هذا الحديث بالإسناد المسلسل بالضعفاء ، الذى شرحناه مفصلا فى : ٣٠٥ . وقد ذكره السيوطى ١ : ١٩٧ ، ونسبه للطبرى وابن أبى حاتم .

ولم تكن بنا حاجة للكلام عليه هنا ، إلا أننا أردنا أن نمهد به لحديث لأبى هريرة فى معناه . نقله السيوطى ١ : ١٩٧ ، ونسبه للطبرى فقط ، قال : « وأخرج ابن جرير ، عن أبى هريرة . . . » .

وذكره ابن كثير ١ : ٤١٩ مع أواخر إسناده ، ولم يذكر من خرجه . والظاهر من تتبع صنيعه أنه نقله عن الطبرى أيضاً .

ولم نجده فى الطبرى ، فإما سقط من الناسخين ، وإما هو فى موضع آخر من الطبرى لما تصل إلينا معرفته . فرأينا إثباته — تماماً للفائدة ، وحفظاً لما ينسب لهذا التفسير العظيم .

قال ابن كثير : « وقال سعيد بن أبى عروبة ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى هريرة ، فى قول الله تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، قال : كان المسلمون

٢٩٤٤ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » . قال : كان الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصوم الصيام بالنهار ، فإذا أمسى أكل وشرب وَجامع النساء ، فإذا رَقد حرَّم ذلك كله عليه إلى مثلها من القابلة . وكان منهم رجال يَختانون أنفسهم فى ذلك ، فعفا الله عنهم ، وأحل [ذلك] لهم بعد الرقاد وَقبله فى الليل كله .[1]

قبل أن تنزل هذه الآية — إذا صلَّوا العشاء الآخِرةَ حَرُمَ عليهم الطعامُ والشرابُ والنساء حتى يُفطروا. و إن عمر بن الخطاب أصاب أهلَه بعد صلاة العشاء ، و إن صِرْمَةَ بن قيس الأنصارى غَلَبَتْهُ عيناه بعد صلاة المغرب ، فنام ولم يشبع من الطعام، ولم يستيقظ حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء،فقام فأكل وشرب،فلما أصبح أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم،فأخبره بذلك، فأنزل الله عند ذلك : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ، يعنى بالرفث مجامعةَ النساء ، ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ، يعنى: تجامعون النساء وتأكلون وتشربون بعد العشاء ، ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ، فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ ، يعنى : جامِعُوهنّ ، ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾ ، يعنى: الولد ، ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ، ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، فكان ذلك عفواً من الله ورَحْمَةً » .

هذا لفظ رواية ابن كثير . والسيوطى اختصره قليلا .

فهذا إسناد صحيح من سعيد بن أبي عروبة إلى أبي هريرة . أما ما وراءه سعيد بن أبي عروبة، فلا ندرى ما حاله ، حتى نعرف رواته .

وقيس بن سعد : هو المكى ، أبو عبد الملك ، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/١٥٤ . وابن أبي حاتم ٣/٢/٩٩ ، وابن سعد ٥ : ٣٥٥ ، ولكن ذكر أن كنيته « أبو عبيد الله » . وقال : « كان قد خلف عطاء بن أبي رباح فى مجلسه » .

وكنية قيس عند البخارى « أبو عبد الله » . والظاهر أن هذا هو الصحيح ، لأن الدولابى ذكره فى الكنى ٢ : ٥٩ ، فى باب « أبو عبد الله » .

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها ، استظهرتها من الأثر الذى يليه ومن السياق .

٢٩٤٥ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصوم الصائم في رمضان ، فإذا أمسى ــ ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو ، وزاد فيه : وكان منهم رجال يختانون أنفسهم ، وكان عمر بن الخطاب ممن اختانَ نفسه ، فعفا الله عنهم ، وأحل ذلك لهم بعد الرقاد وقبله وفي الليل كله .

٢٩٤٦ ــ حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، أخبرني إسمعيل بن شَرُوس ، عن عكرمة مولى ابن عباس : أن رجلاً ــ قد سَمَّاه [فنسيته]ــ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، جاء ليلةً وهو صائم ، فقالت له امرأته : لا تَنَمْ حتى نصنعَ لك طعاماً ! فنام ، فجاءت فقالت : نمت والله ! فقال : لا والله ! قالت : بلى والله ! فلم يأكل تلك الليلة ، وأصبح صائماً فَغُشِي عليه ، فأنزلت الرخصة فيه .[1] ٩٧/٢

---

(١) الحديث : ٢٩٤٦ ــ إسمعيل بن شروس ، أبو المقدام الصنعاني : ذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات ، كما في لسان الميزان . وذكره ابن سعد في الطبقات ٥ : ٣٩٧ ، ولم يذكر فيه أكثر من قوله « قد روى عنه » . وترجمه ابن أبي حاتم ١/١/١٧٧ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، والبخاري في الكبير ١/١/٣٥٩ ــ ٣٦٠ ، وذكر أنه يروى عن عكرمة ، من قوله ــ يعني غير متصل ، فهو إشارة إلى هذه الرواية ، لأنها من قول عكرمة ، مرسلة ، لم يسندها عن أحد من الصحابة ، ثم قال البخاري : « قال عبد الرزاق ، عن معمر : كان يثبج الحديث » . ونقل مصححه العلامة الشيخ عبد الرحمن اليماني ، عن هامش إحدى نسخ التاريخ الكبير : « أي لا يأتي به على الوجه » . وهذا هو الصواب في هذا الحرف ، أنه « يثبج » من « التثبيج » بالثاء المثلثة والجيم ، في شرح القاموس ٢ : ١٣ « يقال ثبج الكتاب والكلام تثبيجاً : لم يبينه . وقيل : لم يأت به على وجهه . وقال الليث : التثبيج التخليط » . ونقلت هذه الكلمة في لسان الميزان ١ : ٤١١ محرفة إلى « يضع الحديث » ! وهو تحريف قبيح . فما رمي هذا الرجل بالوضع قط . ولم يذكره البخاري ولا النسائي في الضعفاء .

و « شروس » : من الأسماء النادرة ، ولم أجد نصاً على ضبطه ، إلا أنه ضبط بالقلم في تفسير عبد الرزاق بفتحة فوق الشين المعجمة وضمة فوق الراء وكسرتين تحت السين المهملة في آخره . ونقل الشيخ عبد الرحمن اليماني هذا الضبط أيضاً عن إحدى نسخ التاريخ الكبير ، وأن بهامشها نسخة أخرى مضبوطة بفتحة فوق الشين وأخرى فوق الواو مع سكون فوق الراء .

وهذا الحديث مرسل ــ كما ترى . وهو في تفسير عبد الرزاق ، ص : ١٨ . ولم أجده في غير هذين الموضعين .

٢٩٤٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم » . وكان بدء الصيام أمروا بثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتين غدوة وركعتين عشية ، فأحل الله لهم فى صيامهم — فى ثلاثة أيام ، وفى أول ما افترض عليهم فى رمضان — إذا أفطروا ، وكان الطعام والشرابُ وغشيان النساء لهم حلالاً ما لم يرقدوا ، فإذا رقدوا حُرم عليهم ذلك إلى مثلها من القابلة . وكانت خيانة القوم أنهم كانوا يُصيبون أو ينالون من الطعام والشراب وغشيان النساء بعد الرقاد ، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم . ثم أحل الله لهم [بعد] ذلك الطعام والشراب وغشيانَ النساء إلى طلوع الفجر .(١)

٢٩٤٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « أحل لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » ، قال : كان الناس قبل هذه الآية إذا رقد أحدُهم من الليل رَقدةً ، لم يحل له طعامٌ ولا شرابٌ ولا أن يأتى امرأته إلى الليلة المقبلة ، فوقع بذلك بعض المسلمين ، فمنهم من أكل بعد هجعته أو شرب ، ومنهم من وقع على امرأته ، فرخص الله ذلك لهم .

٢٩٤٩ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كُتب على النصارى رَمضان ، وكُتب عليهم أن لا

وقد زدنا كلمة [فنسيته] ، بعد كلمة « سهاه » — من تفسير عبد الرزاق . وكان فى المطبوعة « وأنزلت الرخصة » ، بالواو بدل الفاء . وأثبتنا الفاء من تفسير عبد الرزاق ، إذ هى أجود هنا .

(١) الأثر : ٢٩٤٧ — الذى بين القوسين زيادة لابد منها . وسياق هذا الأثر فيه بعض الغرابة ، ولم أجده بنصه هذا فى مكان آخر . ولكن جاء فى الدر المنثور ١ : ١٩٨ أثر مثله ، قال فى صدره : « وأخرج عبد حميد وابن جرير عن قتادة » ، وساق أثراً يخالفه كل المخالفة فى أكثر لفظه ، وإن وافقه فى بعض المعنى : قال .

[كان هذا قبل صوم رمضان ، أمروا بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، من كل عشرة أيام يوماً . وأمروا بركعتين غدوة وركعتين عشية . فكان هذا بدء الصلاة والصوم . فكانوا فى صومهم هذا ، وبعد ما فرض الله رمضان ، إذا رقدوا لم يمسوا النساء والطعام إلى مثلها من القابلة . وكان أناس من المسلمين يصيبون من النساء والطعام بعد رقادهم ، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم ، فأنزل الله فى ذلك من القرآن : « علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم » ، الآية] .

يأكلوا ولا يَشربوا بَعد النوم ، ولا ينكحوا النساء شهر رمضان. فكتب على المؤمنين كما كُتب عليهم . فلم يزل المسلمون على ذلك يَصنعون كما تصنع النصارى، حتى أقبل رجل من الأنصار يقال له أبو قيس بن صرمة ، وكان يَعمل فى حيطان المدينة بالأجر ، [1] فأتى أهله بتمر فقال لامرأته : استبدلى بهذا التمر طحيناً فاجعليه سَخينةً ، لعلىّ أن آكله ، فإن التمر قد أحرق جَوفى ! فانطلقت فاستبدلت له ، ثم صنعتْ فأبطأتْ عليه ، فنام ، فأيقظته ، فكره أن يعصى الله ورسوله ، وأبى أن يأكل وأصبح صائماً . فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعشىّ . فقال : مالك يا أبا قيس ! أمسيتَ طليحاً ؟[2] فقص عليه القصة .

وكان عمر بن الخطاب وقع على جارية لهُ — فى ناس من المؤمنين لم يملكوا أنفسهم — فلما سمع عمر كلام أبى قيس ، رَهبَ أن ينزل فى أبى قيس شىء ، فتذكّرَهُ ، فقام فاعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى أعوذُ بالله ، إنىّ وقعتُ على جاريتى ولم أملك نفسى البارحة ! فلما تكلم عُمر ، تَكلم أولئك الناس ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما كنتَ جديراً بذلك يا ابن الخطاب ! فنُسِخ ذلك عنهم ، فقال : « أحِلّ لكم ليلةَ الصيام الرفث إلى نسائكم هُن لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن عَلم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم » ، — يقول : إنكم تقعون عليهن خيانةً — « فتابَ عليكم وَعفا عنكم فالآنَ باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم » — يقول : جامعوهن ، ورجع إلى أبى قيس فقال — : « وكلوا واشربوا حتى يَتبين لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » .

٢٩٥٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء : « أحِلّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم » ، قال :

---

(١) الحيطان جمع حائط : وهو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط ، فإذا لم يكن عليه حائط فهو ضاحية ، وجمعه الضواحى .

(٢) الطليح : الساقط من الإعياء والجهد والهزال .

كانوا فى رمضان لا يمسُّون النساءَ ولا يطعمون ولا يشربون بعد أن يناموا حتّى الليل من القابلة ، فإن مسُّوهن قبل أن يناموا لم يروا بذلك بأساً . فأصاب رجل من الأنصار امرأته بعد أن نام ، فقالَ : قد اختنت نفسى ! فنزل القرآن ، فأحل لهم النساء والطعام والشرابَ حتّى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . قال : وقال مجاهد : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصوم الصائم مُنهم فى رمضان، فإذا أمسى أكل وشرب وَجامع النساء ، فإذا رَقد حرُم ذلك عليه كله حتّى كمثلها من القابلة : وكان منهم رجال يختانون أنفسَهم فى ذلك، فعفا عنهم وأحلّ لهم بعد الرقاد وَقبله فى الليل فقال : « أُحِلّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » الآية .

٢٩٥١ ـــ حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية : « أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » مثل قول مجاهد ـــ وزاد فيه : أن عمر بن الخطاب قال لأمرأته : لا ترقدى حتّى أرْجع من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرقدت قبل أن يرجع ، فقال لها : ما أنت براقدة ! ثم أصابها، حتّى جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فنزلت هذه الآية . قال عكرمة : نزلت : « وكلوا واشربوا » الآية فى أبى قيس بن صرْمة ، من بنى الخزرج ، أكل بعد الرقاد .

٢/٩٨

١٩٥٢ ـــ حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا محمد بن إسحق ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، أن صرمة بن أنس أتى أهله ذات ليلة وهو شيخٌ كبيرٌ ، وهو صائم فلم يُهيئوا له طعاماً ، فوضع رأسه فأغفى ، وجاءته امرأته بطعامه فقالت له : كل . فقال : إنى قد نمتُ ! قالت : إنك لم تنم ! فأصبح جائعاً مجهوداً ، فأنزل الله : « وكلوا واشربوا حتّى يَتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر » .

* * *

فأما « المباشرة » فى كلام العرب ، فإنه مُلاقاة بَشَرة ببَشرة . و « بشرة » الرجل جلدته الظاهرة .

* * *

وإنما كنى الله بقوله : « فالآن بَاشروهن » عن الجماع . يقول : فالآن إذ أحللتُ لكم الرفثَ إلى نسائكم ، فجامعوهن فى ليالى شهر رمضان حتى يطلع الفجر ، وهو تبيُّنُ الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

* * *

وبالذى قلنا فى « المباشرة » قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٥٣ ــ حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان = وحدثنا عبد الحميد بن سنان قال ، حدثنا إسحق ، عن سفيان = وحدثنى محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أيوب بن سويد ، عن سفيان = ، عن عاصم ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، عن ابن عباس قال : المباشرة الجماع ، ولكنّ الله كريمٌ ، يكنى .

٢٩٥٤ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عاصم ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، عن ابن عباس نحوه .

٢٩٥٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فالآن باشرُوهن » ، انكحُوهنّ .

٢٩٥٦ ــ حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : المباشرة النكاحُ .

٢٩٥٧ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء ، قوله : « فالآن باشرُوهن » ، قال : الجماع .

وكل شيء في القرآن من ذكر « المباشرة » فهو الجماع نفسه . وقالها عبد الله بن كثير مثل قول عطاء : في الطعام والشراب والنساء .

٢٩٥٨ ــ حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا شعبة = وحدثنا ابن بشار قال ،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة =، عن أبي بشر ،عن سعيد بن جبير ،عن ابن عباس قال: المباشرة الجماع ،ولكن الله يكني ما شاء بما شاء .(١)

٢٩٥٩ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، قال أبو بشر ، أخبرنا عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

٢٩٦٠ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فالآن باشروهن » ، يقول : جامعوهن .

٢٩٦١ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال : المباشرةُ الجماع .

٢٩٦٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن عطاء مثله .

٢٩٦٣ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن الأوزاعي قال ، حدثني عبدة بن أبي لبابة قال: سمعت مجاهداً يقول : المباشرة، في كتاب الله، الجماع.

٢٩٦٤ ــ حدثنا ابن البرق، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ،قال، قال الأوزاعي : حدثنا من سمع مجاهداً يقول : المباشرة، في كتاب الله، الجماع .

* * *

(١) الأثر : ٢٩٥٨ – في المطبوعة : « محمد بن مسعدة » ، والصواب ما أثبت ، وقد سلف في رقم ٢٧٧٤ ، ٢٨٨٣ ، وهو حميد بن مسعدة بن المبارك الباهلي البصري . ذكره ابن حبان في الثقات . وتوفي سنة ٢٤٤ .

واختلفوا فى تأويل قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم » . فقال بعضهم : الولد .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٦٥ — حدثنى عبدة بن عبد الله الصفّار البصرى قال ، حدثنا إسماعيل بن زياد الكاتب ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : « وابتغوا ما كتب الله لكم » قال : الولد . (١)

٢٩٦٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا سهل بن يوسف وأبو داود ، عن شعبة قال : سمعت الحكم : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، قال : الولد

٢٩٦٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو تميلة قال ، حدثنا عبيد الله ، عن عكرمة قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، قال : الولد .

٢٩٦٨ — حدثنى على بن سهل قال ، حدثنا مؤمل ، حدثنا أبو مودود بحر بن موسى قال : سمعت الحسن بن أبى الحسن يقول فى هذه الآية : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، قال : الولد .

٦٩٦٩ حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، فهو الولد .

٢٩٧٠ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، يعنى : الولد

٢٩٧١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنى

---

(١) الخبر : ٢٩٦٥ — عبدة بن عبد الله بن عبدة الصفار : ثقة من شيوخ البخارى . وهو من نوادر الشيوخ الذين روى عنهم فى صحيحه وهم أحياء . لأنه مات سنة ٢٥٨ ، أى بعد البخارى بسنتين . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٩٠ ، ورجال الصحيحين ، ص : ٣٣٦ .

إسمعيل بن زياد الكاتب : لم أعرف من هو يقينا ، وفى هذه الترجمة بضع شيوخ فى التهذيب ١ : ٢٩٨ — ٣٠١ ، ولسان الميزان ١ : ٤٠٥ — ٤٠٧ ، ولكنى أكاد أرجح أنه هو الذى روى له ابن ماجة حديثاً : ١٣١٤ ، عن ابن جريج ، باسم « إسمعيل بن زياد » دون لقب أو وصف .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : الولد ، فإنْ لم تلد هذه فهذه .

٢٩٧٢ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

٢٩٧٣ ــ حدثنا الحسن بن يحيي ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عمن سمع الحسن فى قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : هو الولد .

٢٩٧٤ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : ما كتب لكم من الولد. ٩٩/٢

٢٩٧٥ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : الجماع .

٢٩٧٦ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، حدثنا الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سلمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم ، قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : الولد . [1]

* * *

وقال بعضهم معنى ذلك : ليلة القدر .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٧٧ ــ حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : ليلةُ القدر . قال أبو هشام . هكذا قرأها معاذ .

٢٩٧٨ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا الحسن ابن أبي جعفر قال ، حدثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن

(١) الخبر : ٢٩٧٦ ــ « الحسين بن الفرج » : ثبت هنا فى المطبوعة « الحسن بن الفرج » ، وهو خطأ تكرر مراراً ، منها : ٢٧١٩ . ولا نرى داعياً لتكرار التنبيه عليه بعد .

عباس فى قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، قال : ليلة القدر.[١]

* * *

وقال آخرون : بل معناه : ما أحله الله لكم ، ورَخَّصه لكم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٧٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، يقول : ما أحله الله لكم .

٢٩٨٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال قتادة فى ذلك : ابتغوا الرخصة التى كُتبتُ لكم

* * *

وقرأ ذلك بعضهم : « وَأْتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَـكُمْ » .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٨١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء بن أبى رباح قال : قلت لابن عباس : كيف تقرأ هذه الآية . « وابتغوا » أو « اتبعوا » ؟ قال : أيتهما شئتَ! قال: عليك بالقراءةِ الأولى .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى تأويل ذلك عندى أن يقال : إن الله تَعالى ذكره قال: « وابتغوا » — بمعنى : اطلبوا — « ما كتب الله لكم » — يعنى : الذى قَضَى الله تعالى لَكم .

وإنما يريد الله تعالى ذكره : اطلبوا الذى كتبتُ لكم فى اللوح المحفوظ أنه يُباح فيطلقُ لكم . وطلب الولد إنْ طلبه الرجل بجماعه المرأةَ ، مما كتب الله له

(١) الخبران : ٢٩٧٧ — ٢٩٧٨ — عمرو بن مالك ، فى الإسنادين : هو النكرى ، بضم النون وسكون الكاف ، نسبة إلى « بنى نكرة » من عبد القيس . وهو ثقة .

أبو الجوزاء : هو أوس بن عبد الله الربعى ، وهو تابعى ثقة معروف ، أخرج له الشيخان ، وسائر أصحاب الكتب الستة . وقد بينا حاله وحال عمرو بن مالك الراوى عنه ، فى شرح المسند : ٢٦٢٣ .

« الربعى » : بفتح الراء والباء ، نسبة إلى « ربعة الأزد » ، كما فى اللباب لابن الأثير ١ : ٤٥٩ .

فى اللوح المحفوظ . وكذلك إن طلب ليلةَ القدر ، فهو مما كتب الله له . وكذلك إن طلب ما أحلّ الله وأباحه ، فهو مما كتبه له فى اللوح المحفوظ .

وقد يدخل فى قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم » جميعُ معانى الخير المطلوبة ، غيرَ أن أشبه المعانى بظاهر الآية قول من قال : معناه وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد ،لأنه َعقيبُ قوله: « فالآن باشرُوهن »، بمعنى جامعوهنّ ، فَلأنْ يكون َقوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، بمعنى : وابتغوا ما كتب الله فى ُمباشرتكم إياهن من الولد والنسل ، أشبهُ بالآية من غيره من التأويلات التى ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل، ولا خبرٌ عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسود من الفجر » .

* * *

فقال بعضهم : يعنى بقوله : « الخيط الأبيض » ، ضوءَ النهار ، وبقوله : « الخيطِ الأسود »، سوادَ الليل .

فتأويله على قول قائلى هذه المقالة : وكلوا بالليل فى شهر صوْمكم واشربوا وَباشروا نساءكم مبتغين َما كتب الله لكم من الولد ، من أول الليل ، إلى أن يقع لكم ضوءُ النهار بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده .

• ذكر من قال ذلك :

٢٩٨٢ — حدثني الحسن بن عرفة قال، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا أشعث ، عن الحسن في قوله الله تعالى ذكره : « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ، قال : الليل من النهار .

٢٩٨٣ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ، قال : حتى يتبين لكم النهار من الليل ، « ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

٢٩٨٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكلوا واشربوا حين يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيامَ إلى الليل » ، فهما عَلَمان وحدّان بيِّنان، فلا يمنعكم أذانُ مُؤذّن مُراءٍ أو قليل العقل من سَحُوركم ، فإنهم يؤذنون بهجيع من الليل طويل . وقد يُرى بياضٌ ما على السحر يقال له : « الصبح الكاذب » كانت تسميه العرب ، فلا يمنعكم ذلك من سَحوركم ، فإن الصبح لا خفاء به : طريقةٌ مُعترِضة في الأفق . وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الصبح ، فإذا رأيتم ذلك فأمسكوا .[1]

٢٩٨٥ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود منَ الفجر » ، يعني الليل من النهار ، فأحلّ لكم المجامعة والأكل والشربَ حتى يتبين لكم الصبح ، فإذا تبين الصبح حُرِّم عليهم

١٠٠/١

---

(١) الأثر : ٢٩٨٤ — الهجيع : الطائفة من الليل . يقال : مر هجيع — أو هزيع — من الليل ، أي ساعة وطائفة منه . والسحر الثلث الآخر من الليل قبيل طلوع الفجر . والطريقة : الخط الممتد في الشيء يكون ظاهراً باختلاف لون ، أو اختلاف ظاهر .

المجامعة والأكل والشربُ حتى يُتمُّوا الصيامَ إلى الليل . فأمر بصوم النهار إلى الليل ، وأمر بالإفطار بالليل .

٢٩٨٦ ـ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، وقيل له : أرأيتَ قولَ الله تعالى : « الخيط الأبيضُ من الخيط الأسْود من الفجر » ؟ قال : إنك لعريض القفا ، قال : هذا ذهابُ الليل ومجيءُ النهار — قيل له : الشعبي عن عدى بن حاتم ؟ قال : نعم ، حدثنا حصين . (١)

* * *

وعلَّة من قال هذه المقالة ، وتأوَّل الآية هذا التأويل، ما : —

---

(١) الحديث : ٢٩٨٦ — حصين : هو ابن عبد الرحمن السلمى ، الثقة المأمون ، من كبار أئمة الحديث . مضت له رواية فى : ٥٧٩ .

وهذا الحديث اختصره أبو بكر بن عياش جداً ، وحذف إسناده حين حدث به ، ثم سئل عنه ، فبين أنه سمعه من حصين عن الشعبى عن عدى بن حاتم .

وسيأتى : ٢٩٨٧ ، ٢٩٨٩ مختصراً ، و ٢٩٨٨ مطولا ، ولكنه ثابت فى الصحيحين وغيرهما ، مطولا بسياق صحيح واضح :

فرواه أحمد فى المسند ٤ : ٣٧٧ (حلبى) عن هشيم : « أخبرنا حصين ، عن الشعبى ، أخبرنا عدى ابن حاتم، قال : لما نزلت هذه الآية (فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ، قال : عمدت إلى عقالين ، أحدهما أسود ، والآخر أبيض ، فجعلتهما تحت وسادى ، قال : ثم جعلت أنظر إليهما ، فلا يتبين لى الأسود من الأبيض ، ولا الأبيض من الأسود ، فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بالذى صنعت ، فقال : إن كان وسادك إذاً لعريض ، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل » .

وقول عدى: « لما نزلت هذه الآية » ، يريد : لما تليت عليه عند إسلامه ، لأن فرض الصوم كان فى أوائل الهجرة ، وعدى أسلم بعد ذلك بدهر ، فى السنة التاسعة أو العاشرة .

ورواه البخارى ٤ : ١١٣ (فتح) ، من طريق هشيم ، ورواه مسلم ١ : ٣٠١ ، وأبو داود : ٢٣٤٩ — كلاهما من طريق عبد الله بن إدريس ، عن حصين . ورواه البخارى ٨ : ١٣٧ (فتح) مختصراً ، من طريق أبى عوانة ، عن حصين .

وذكره ابن كثير ١ : ٤٢١ ، من رواية أحمد ، ثم قال : « أخرجاه فى الصحيحين من غير وجه ، عن عدى » . وذكره السيوطى ١ : ١٩٩ ، وزاد نسبته لسفيان بن عيينة ، وسعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، والترمذى ، وابن المنذر ، والبيهق .

قوله : « عريض القفا » ، كناية عن السمن وطول النوم . وذلك دليل على الغفلة والركود .

٢٩٨٧ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثناحفص بن غياث ، عن مجالد ابن سعيد ، عن الشعبي ، عن عدى بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله ، قول الله : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر »؟ قال : هو بياض النهار وسوادُ الليل . [١]

٢٩٨٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن نمير وعبدالرحيم بن سليمان ، عن مجالد بن سعيد ، عن عامر ، عن عدى بن حاتم قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلّمنى الإسلام ، ونَعت لىَ الصلوات كيفَ أصلى كلَّ صلاة لوقتها ، ثم قال : إذا جاء رمضان فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتم الصيامَ إلى الليل . ولم أدر ما هو ، ففتلتُ خيطين من أبيض وأسود ، فنظرت فيهما عند الفجر ، فرأيتهما سواءً . فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، كل شىء أوصيتنى قد حفظتُ ، غير « الخيط الأبيض من الخيط الأسود » ! قال : وما منعك يا ابن حاتم ؟ وتبسَّم كأنه قد علم ما فعلت . قلتُ : فتلت خيطين من أبيض وأسود ، فنظرتُ فيهما من الليل فوجدتهما سواء ! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رُؤِى نَواجذُه ، ثم قال : ألم أقلْ لك « من الفجر »؟ ، إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل . [٢]

٢٩٨٩ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مالك بن إسمعيل قال ، حدثنا داود وابن علية جميعاً ، عن مطرِّف ، عن الشعبي ، عن عدى بن حاتم قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما « الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود » أهما

---

(١) الحديث : ٢٩٨٧ — مجالد بن سعيد : مضت ترجمته فى : ١٦١٤ . والحديث تكرار للذى قبله فى معناه .

(٢) الحديث : ٢٩٨٨ — مجالد بن سعيد ، ثبت فى المطبوعة هنا محرفاً : « مجالد عن سعيد » ؛ وهذا السياق المطول ذكره السيوطى ١ : ١٩٩ ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبى حاتم ، فقط .

ورواه أحمد فى المسند ٤ : ٣٧٧ (حلبى) ، عن يحيى ، وهو القطان ، عن مجالد ، عن عامر ، وهو الشعبى . ولكنه مختصر قليلا عما هنا .

خيطان أبيض وأسود ؟ فقال : إنك لعريضُ القفا ، إن أبصرْت الخيطين . ثم قال : لا ، ولكنه سوادُ الليل وبياضُ النهار .(١)

٢٩٩٠ - حدثني أحمد بن عبد الرحيم البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا أبو حازم ، عن سهل بن سعد قال : نزلت هذه الآية : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيضُ من الخيط الأسود »، فلم ينزل « من الفجر » . قال : فكان رجال إذا أرادوا الصومَ ربط أحدهم في رجليه الخيطَ الأسود والخيط الأبيض، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيَّن له . فأنزل الله بعد ذلك : « من الفجر » ، فعلموا أنما يعني بذلك الليلَ والنهارَ .(٢)

* * *

وقال متأولو قول الله تعالى ذكره : « حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ، أنه بياض النهار وسواد الليل - : صفة ذلك البياض أن يكون

---

(١) الحديث : ٢٩٨٩ - مالك بن إسماعيل بن زياد بن درهم ، أبو غسان النهدي : حافظ ثقة . من شيوخ البخاري وغيره من الأئمة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٣١٥، وابن سعد ٦ : ٢٨٢ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٠٦ - ٢٠٧ .

داود ، شيخ مالك بن إسماعيل : لم أستطع معرفته ، فني هذه الطبقة ممن يسمى « داود » كثرة . وأيا ما كان فالحديث صحيح ، من جهة رواية ابن علية معه عن مطرف .

مطرف : هو ابن طريف الحارثي ، مضت ترجمته في : ٢٢٤ .

والحديث مختصر - كما أشرنا آنفاً . وقد رواه البخاري ٨ : ١٣٧ ، عن قتيبة بن سعيد ، عن جرير ، وهو ابن عبد الحميد الضبي ، عن مطرف ، بهذا الإسناد ، نحوه .

(٢) الحديث : ٢٩٩٠ - أحمد بن عبد الرحيم البرقي : هو أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، مضى في : ٢٢ ، ١٦٠ .

ابن أبي مريم: هوسعيد بن الحكم،ثقة معروف، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، مضى في : ٢٢.

أبو غسان : هو محمد بن مطرف - بكسر الراء المشددة - الليثي المدني ، أحد العلماء الأثبات ، روى له أصحاب الكتب الستة .

أبو حازم : هو سلمة بن دينار الأعرج التمار ، المدني ، تابعي ثقة ، لم يكن في زمانه مثله .

والحديث رواه البخاري ٤ : ١١٤ - ١١٥ ، و ٨ : ١٣٧ ، عن ابن أبي مريم ، بهذا الإسناد . ورواه مسلم ١ : ٣٠١ ، عن شيخين ، عن ابن أبي مريم .

ورواه أيضاً النسائي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في سننه، كما في الدر المنثور ١: ١٩٩.

منتشراً مستفيضاً فى السماء، يملأ بياضه وضوءُهُ الطرق. فأما الضوء الساطع فى السماء، فإن ذلك غير الذى عناه الله بقوله : « الخيط الأبيض من الخيط الأسود ».

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٩١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانى قال، حدثنا معتمر بن سليمان قال : سمعت عمران بن حدير ، عن أبى مجلز : الضوء الساطعُ فى السماء ليس بالصبح ، ولكن ذاك « الصبح الكاذب » ، إنما الصبح إذا انفضح الأفق.[1]

٢٩٩٢ – حدثنى سَلْم بن جنادة السوائى قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم قال : لم يكونوا يعدُّون الفجر فجركم هذا ، كانوا يعدُّون الفجرَ الذى يملأ البيوتَ والطرُق.[2]

٢٩٩٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثام ، عن الأعمش ، عن مسلم : ما كانوا يرون إلاّ أنّ الفجر الذى يَستفيض فى السماء.

٢٩٩٤ – حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنا روح بن عبادة قال : حدثنا ابن جريج قال ، أخبرنى عطاء أنه سمع ابن عباس يقول : هما فجران، فأما الذى يسطَع فى السماء فليس يُحِلّ ولا يُحرّم شيئاً ، ولكن الفجر الذى يستبين على رؤوس الجبال هو الذى يحرِّم الشرابَ.

٢٩٩٥ – حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعى قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن محمد بن أبى ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن ثوبان قال ، [قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم] : الفجر فجران ، فالذى كأنه ذَنَب السِّرحان لا يحرّم شيئاً ، وأما

---

(١) فضحه الصبح : دهمته فضحة الصبح ، وهى بياضه فكشفه وبينه للأعين بضوئه . والأفضح : الأبيض ليس شديد البياض .

(٢) الأثر : ٢٩٩٢ – فى المطبوعة : « مسلم بن جنادة » والصواب ما أثبت ، وانظر ما سلف رقم : ٤٨ ، ومواضع أخرى كثيرة .

المستطير الذى يأخذ الأفق، فإنه يُحل الصلاة ويُحرّم الصوم.(١)

٢٩٩٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع وإسمعيل بن صبيح وأبو أسامة، عن أبي هلال، عن سَوادة بن حنظلة، عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يمنعكم من سُحُورِكم أذانُ بلال، ولا الفجر المستطيل، ولكن الفجرُ المستطيرُ فى الأفق.(٢)

---

(١) الخبر: ٢٩٩٥ — الحسن بن الزبرقان النخعى، شيخ الطبرى: ترجمه ابن حاتم ١/٢/١٥، قال: «الحسن بن الزبرقان الكوفى، سكن قزوين، ويكنى بأبي الخزرج. روى عن مندل بن على، وشريك، وفضيل بن عياض، والمطلب بن زياد، ومحمد بن صبيح السماك. روى عنه أبي، والفضل بن شاذان. سئل أبي عنه، فقال: هو شيخ». ولم أجد له ترجمة عند غيره.

أبو أسامة: هو حماد بن أسامة بن زيد الكوفى، ثقة حافظ ثبت، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

محمد بن أبي ذئب: هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، القرشى العامرى المدنى، نسب إلى جده الأعلى، وهو إمام ثقة حافظ، يقرن بمالك أو يفضل عليه. وثبت فى المطبوعة هنا «محمد بن أبي ذؤيب»؛ وهو خطأ بين.

الحارث بن عبد الرحمن القرشى العامرى — من أنفسهم — المدنى: ثقة، وهو خال «ابن أبي ذئب»، وهو أيضاً ابن عم أبيه، كما فى نسب قريش، ص: ٤٢٣.

محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان القرشى العامرى — مولاهم — المدنى: تابعى ثقة معروف، قال أبو حاتم «لا يسأل عن مثله».

وقد زدنا بين قوسين، عقب قوله «عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان قال» — (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)، لأنه هكذا نقله ابن كثير ١: ٤٢٤، عن هذا الموضع من الطبرى، بهذه الزيادة، فيكون حديثاً مرسلا. وهكذا قال ابن كثير، عقب نقله: «وهذا مرسل جيد». يريد: جيد الإسناد إلى ابن ثوبان التابعى، ولكنه لا يكون صحيحاً مرفوعاً، لأن المرسل لا تقوم به حجة.

وكذلك رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٤: ٢١٥، من طريق ابن وهب، عن ابن أبي ذئب، بهذا الإسناد. من رواية ابن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرفوعاً، مرسلا.

وكذلك ذكره السيوطى ١: ٢٠٠ «عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان: أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ...». ثم قال السيوطى: «وأخرجه الحاكم من طريقه، عن جابر، موصولا»، وكذلك ذكر البيهقى أنه «قد روى موصولا، بذكر جابر بن عبد الله فيه». وقد جهدت أن أجده فى المستدرك، فخفى على موضعه.

ويكون ما وقع من الناسخين، فى الطبرى هنا، من حذف (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) — خطأ يقيناً. إذ يكون حينئذ موقوفاً على ابن ثوبان. وقد تضافرت الدلائل على أنه عن ابن ثوبان، مرفوعاً مرسلا، فى رواية الطبرى ورواية غيره.

والسرحان: الذئب. وذلك كناية عن استطالته وامتداده.

(٢) الحديث: ٢٩٩٦ — إسمعيل بن صبيح — بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة — اليشكرى

٢٩٩٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا معاوية بن هشام الأسدى قال ، حدثنا شعبة ، عن سوادة قال : سمعت سمرة بن جندب يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمعه وهو يقول : لا يغرّنكم نداء بلال ، ولا هذا البياضُ ، حتى يبدوَ الفجرُ ويَنفجر.[1]

١٠١/٢

* * *

الكوفى : ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/١٧٨ .

أبو هلال : هو الراسبى محمد بن سليم ، وهو ثقة .

سوادة بن حنظلة القشيرى البصرى : تابعى ثقة .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٥ : ١٣ – ١٤ (حلبى) ، عن وكيع ، بهذا الإسناد ، نحوه . وكذلك رواه الترمذى ٢ : ٣٩ ، من طريق وكيع . .

وسيأتى مزيد تخريجه ، فى الحديث بعده .

(١) الحديث : ٢٩٩٧ – معاوية بن هشام الأسدى القصار : ثقة ، وثقه أبو داود وابن حبان . و « الأسدى » بفتح السين ، لأنه « مولى بنى أسد » ، كما فى ابن سعد ٦ : ٢٨٢ ، والتقريب ، وكذلك ثبت فى الصحيحين : ٩٢ . ووقع فى التهذيب والخلاصة « الأزدى » بالزاى ، هو خطأ .

وهذا الحديث فى معنى الذى قبله .

وقد رواه أبو داود الطيالسى : ٨٩٧ ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، نحوه . وكذلك رواه النسائى ١ : ٣٠٥ ، من طريق الطيالسى .

ورواه أحمد فى المسند ٥ : ٧ (حلبى) : « حدثنا محمد بن جعفر ، وروح ، قالا : حدثنا شعبة ، عن شيخ من بنى قشير ، قال روح : قال (يعنى شعبة) : سمعت سوادة القشيرى ، وكان إمامهم » فذكر الحديث .

ورواه مسلم ١ : ٣٠٢ ، من طريق معاذ ، وهو العنبرى ، ومن طريق أبى داود ، وهو الطيالسى – كلاهما عن شعبة .

وقد سقط فى هذا الموضع إسنادان آخران لهذا الحديث ، ذكرهما ابن كثير ١ : ٤٢٣ . فرأينا إثباتهما ، تماماً لنص أبى جعفر ما استطعنا :

قال ابن كثير : « وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن المثنّى ، حدثنا عبدالرحمن بن مهدى ، حدثنا شعبة ، عن شيخ من بنى قُشَيْر سمعت سمُرة بن جندُب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يَغرُنّكم نداء بلال وهذا البياض ، حتى ينفجر الفجر ، أو يطلع الفجر » .

« ثم رواه من حديث شعبة وغيره ، عن سَوادَةَ بن حنظلة ، عن سمرة ، قال :

وقال آخرون : الخيطُ الأبيض : هو ضوءُ الشمس . والخيط الأسود : هو سودُ الليل.

* ذكر من قال ذلك:

٢٩٩٨ — حدثنا هنّاد بن السرى قال ، حدثنا عبيدة بن حميد، عن الأعمش،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يمنعنّكم من سَحُورِكم أذانُ بلال ، ولا الفجر المستطيل ، ولكن الفجر المستطيرُ فى الأفق » .

وهذا هذا هو لفظ الحديث : ٢٩٩٦ هنا ، ولكنه من غير طريق شعبة .

ثم قال ابن كثير، نقلاً عن أبي جعفر : « قال : وحدثني يعقوب بن إبرهيم ، [عن] ابن علية ، عن عبد الله بن سَوَادَةَ القُشَيْرِى ، عن أبيه ، عن سَمُرة بن جُنْدُب، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لا يَغُرَّنّكم أذانُ بلال، ولا هذا البياض ، لِعَمُود الصبح ، حتى يَسْتَطِيرَ » .

فهذان الإسنادان اللذان لم يذكرا هنا ، ثابتان فى ابن كثير نقلا عن ابن جرير.

والأول منهما يوافق رواية أحمد فى المسند — التى ذكرنا آنفاً — عن محمد بن جعفر عن شعبة ، التى أبهم فيها « شيخ من بنى قشير » .

والثانى منهما : وقع فيه خطأ مطبعى فى ابن كثير ، لأن الطبرى يرويه عن يعقوب بن إبرهيم ، وهو الدورق الحافظ ، عن ابن علية ، عن عبد الله بن سوادة ، عن أبيه . فسقط فى مطبوعة ابن كثير حرف [عن] فزدناه ضرورة . لأن الحديث ثابت من رواية ابن علية ، وهو « إسمعيل بن إبرهيم » المعروف بابن علية .

والحديث ثابت من رواية ابن علية : فرواه مسلم ١ : ٣٠٢ ، عن زهير بن حرب ، « حدثنا إسمعيل ابن علية . . . » .

وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٤٢٥ ، من طريق مسدد ، « حدثنا ابن علية » .

وعبد الله بن سوادة القشيرى — شيخ ابن علية فى هذا الإسناد — : ثقة ، كما بينا فى تخريج حديث آخر مضى ، برقم : ٢٧٩٢ .

والحديث رواه أيضاً أحمد فى المسند ٥ : ١٨ (حلبى) ، عن يزيد بن هرون ، عن شعبة .

ورواه الطيالسى أيضاً : ٨٩٨ ، عن محمد بن مسلم ، قال : « حدثنا سوادة بن حنظلة القشيرى . . . »

ورواه أيضاً مسلم ١ : ٣٠٢ ، وأبو داود : ٢٣٤٦ ، والبيهقى ٤ : ٢١٥ — ثلاثتهم من طريق حماد ابن زيد ، عن عبد الله بن سوادة ، عن أبيه .

عن إبراهيم التيمى قال : سافر أبى مع حذيفة ، قال : فسار ، حتى إذا خشينا أن يفجأنا الفجرُ قال : هل منكم من أحد آكلٍ أو شاربٍ ؟ قال : قلت له : أمّا من يريد الصوم فلا . قال : بلى! قال : ثم سار ، حتى إذا استبطأنا الصلاة نزل فتسحّر .(١)

٢٩٩٩ — حدثنا هناد وأبو السائب قالا ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : خرجت مع حذيفة إلى المدائن فى رمضان ، فلما طلع الفجر قال : هل منكم من أحد آكل أو شارب؟ قلنا : أمّا رجل يريدُ أن يصوم فلا . قال : لكنّى! قال : ثم سرنا حتى استبطأنا الصلاة ، قال : هل منكم أحد يريد أن يتسحّر؟ قال : قلنا : أمّا من يريد الصوم فلا . قال : لكنّى . ثم نزل فتسحّر ثم صلى .(٢)

٣٠٠٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر قال : ربما شربت بعد قول المؤذن — يعنى فى رمضان — : « قد قامت الصلاة » . قال : وما رأيت أحداً كان أفعلَ له من الأعمش ، وذلك لما سمع قال : حدثنا إبراهيم التيمى ، عن أبيه قال : كنا مع حذيفة نسير ليلاً فقال : هل منكم متسحّرٌ الساعة ؟ قال : ثم

(١) الخبر : ٢٩٩٨ — هذا موقوف على حذيفة بن اليمان ، وإسناده صحيح . إلا أنه وقع فى المطبوعة خطأ فى موضعين . وسيأتى عقب هذا موقوفاً بإسنادين آخرين . ثم يأتى معناه مرفوعاً ، من حديث حذيفة نفسه : ٣٠١١ — ٣٠١٤ .

هناد بن السرى — شيخ الطبرى فى هذا الإسناد : وقع فى المطبوعة « هشام بن السرى » ؛ وهو خطأ يقيناً ، ليس من راو بهذا الاسم — فيما علمنا — وإنما هو « هناد » . وقد ترجمنا له فى : ٢٠٥٨ .

عبيدة — بفتح العين — بن حميد ، بضم الحاء المهملة : مضى فى : ٢٧٨١ ، ووقع فى المطبوعة « عبادة بن حميد » ؛ وهو خطأ أيضاً .

إبراهيم التيمى : هو إبراهيم بن يزيد بن شريك ، وهو وأبوه تابعيان ثقتان ، أخرج لهما أصحاب الكتب الستة .

وظاهر هذا الإسناد الانقطاع ، لأن إبراهيم التيمى لم يدرك حذيفة ، ولم يشهد سفر أبيه معه . ولكن تبين من الإسنادين بعده أنه روى ذلك عن أبيه ، فاتصل الإسناد .

(٢) الخبر : ٢٩٩٩ — إسناده صحيح متصل .

وقوله : « لكنى » ، اختصار قوله : لكنى أريد الصوم ، مثل ذلك كثير فى كلامهم .

سار ، ثم قال حذيفة : هل منكم متسحِّر الساعة ؟ قال : ثم سار حتى استبطأنا الصلاة ، قال : فنزل فتسحَّر.[١]

٣٠٠١ - حدثنا هرون بن إسحق الهمداني قال ، حدثنا مصعب بن المقدام قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن هبيرة ، عن علي : أنه لما صلى الفجرَ قال : هذا حين يتبيّن الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.[٢]

---

(١) الخبر : ٣٠٠٠ - هذا إسناد صحيح متصل أيضاً .

أبو بكر : هو ابن عياش ، وقد مضى مراراً ، منها : ٢١٥٠ . وهذا الإسناد صريح في سماعه من الأعمش ، ورؤيته إياه يفعل ما حكى من سحوره بعد الأذان .

وقال الحافظ في الفتح ٤ : ١١٧ « وذهب جماعة من الصحابة ، وبه قال الأعمش من التابعين ، وصاحبه أبو بكر بن عياش - : إلى جواز السحور إلى أن يتضح الفجر » .

وقال أيضاً : « وقد روى ابن أبي شيبة وعبد الرزاق - ذلك عن حذيفة ، من طرق صحيحة » .

وانظر لهذه المسئلة - المحلى لابن حزم ، في المسئلة : ٧٥٦ (ج ٧ ص ٢٢٩ - ٢٣٥) .

وسيأتي مزيد تخريج ، عند حديثه المرفوع : ٣٠١١ - ٣٠١٣ ، إن شاء الله .

(٢) الخبر : ٣٠٠١ - هرون بن إسحق الهمداني ، شيخ الطبري : كوفي حافظ ثقة ، من شيوخ البخاري في غير الصحيح ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم من الأئمة . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٨٩ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٨٧ - ٨٨ . وهو من الشيوخ الذين روى عنهم البخاري وهم أحياء ، مات سنة ٢٥٨ ، بعد البخاري بستين .

مصعب بن المقدام : مضت ترجمه : ١٢٩١ .

هبيرة - بضم الهاء : هو ابن يريم ، بفتح الياء التحتية وكسر الراء ، الشبامي ، بكسر الشين المعجمة وتخفيف الباء الموحدة وبعد الألف ميم ، نسبة إلى « شبام » ، وهو « عبد الله بن أسعد بن جشم بن حاشد » ، قال ابن سعد : « وسمى شبام ، بجبل لهم » .

ووقع في التهذيب والتقريب والخلاصة « الشيباني » ، وهو تصحيف . وهبيرة : تابعي ثقة ، تكلم فيه بعضهم ، لم يرو عنه غير أبي إسحق السبيعي ، وهو خال العالية امرأة أبي إسحق . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٤١ ، وابن سعد ٦ : ١١٨ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/١٠٩ - ١١٠ .

وهذا الخبر سيأتي بإسناد آخر ، بنحوه : ٣٠١٠ .

وقد ذكره الحافظ في الفتح ٤ : ١١٧ ، قال : « روى ابن المنذر بإسناد صحيح ، عن علي : أنه صلى الصبح ثم قال : الآن حين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود » . ولكن ذكره السيوطي ١ : ١٩٩ ، بنحوه ، بلفظ « أنه قال حين طلع الفجر . . . » ! ونسبه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير . وأنا أكاد أرجح أن قوله « طلع الفجر » تحريف من الناسخين ، لأن روايتي الطبري ، هذه والآتية ، فيهما « صلى الفجر » ، وأيده ما نقله الحافظ من رواية ابن المنذر .

٣٠٠٢ـ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن الصلت قال ، حدثنا إسحق ابن حذيفة العطار ، عن أبيه ، عن البراء قال : تسحرت فى شهر رمضان ، ثم خرجت فأتيت ابن مسعود فقال : اشربْ . فقلت : إنىّ قد تسحَّرت ! فقال : اشرب ! فشربنا ، ثم خرجنا والناس فى الصلاة .(١)

٣٠٠٣ـ حدثنا أبو كريب قال،حدثنا أبو معاوية ، عن الشيبانى ، عن جبلة بن سحيم ، عن عامر بن مطر قال : أتيت عبد الله بن مسعود فى داره ، فأخرج َفضلاً من َسحُوره فأكلنا معه ، ثم أقيمت الصلاة فخرجنا فصلينا.(٢)

٣٠٠٤ـ حدثنا خلاد بن أسلم قال،حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى

---

(١) الخبر : ٣٠٠٢ - هذا إسناد مشكل ، لا أدرى ما هو ؟

فابن الصلت : يدور بين اثنين فى هذه الطبقة ، « محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدى » ، و « محمد بن الصلت التوزى » . فلا أدرى أيهما هو ؟ أم هو غيرهما .

و إسحق بن حذيفة العطار ، وأبوه : لم أجد لهما ترجمة ، ولا ذكراً ، فى شىء مما بين يدى من المراجع . وأخشى أن يكون فيهما معاً تحريف ، فلئن تركوا ترجمة « إسحق » ليبعدن أن يتركوا ترجمة أبيه ، وهو فى ظاهر هذا الإسناد تابعى ، يروى عن صحابى ، وهو البراء بن عازب .

وانظر الخبر الذى بعده .

(٢) الخبر : ٣٠٠٣ - أما هذا فإسناده صحيح .

الشيبانى : هو أبو إسحق سليمان بن أبى سليمان ، مضت ترجمته : ١٠٣٧ .

جبلة بن سحيم - بضم السين المهملة ، التيمى الشيبانى : تابعى ثقة ، ينسب إلى « تيم بن شيبان » ، فهو « تيمى » ، و « شيبانى » .

عامر بن مطر الشيبانى : تابعى ثقة . مترجم فى ابن سعد ٦ : ٨٢، وابن أبى حاتم ٣٢٨/١/٣ ، ولسان الميزان ٣ : ٢٢٥ . وروى ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن الحكم بن بشير ، قال : « أبو مطر ، الذى يروى عنه جبلة بن سحيم : هو عامر بن مطر ، شيبانى ، رجل له شأن فى المسلمين » .

وهذا الخبر رواه ابن حزم فى المحلى ٧ : ٢٣٣ ، من طريق ابن أبى شيبة : « حدثنا أبو معاوية ، عن الشيبانى - هو أبو إسحق . . . » فذكره ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ١٥٤ مختصراً ، هكذا : « وعن مطر الشيبانى ، قال : تسحرنا مع عبد الله ، ثم خرجنا فأقيمت الصلاة ، رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » . فسمى التابعى « مطر الشيبانى » . وهو تحريف - فيما أرجح - فليس فى الرواة من هذا اسمه . وما أدرى : التحريف من رواة الطبرانى ، أم من الهيثمى ، أم من ناسخ أو طابع ؟ ولكنه - عندى - تحريف على كل حال .

إسحق ، عن عبد الله بن معقل ، عن سالم مولى أبى حذيفة قال : كنت أنا وأبو بكر الصديق فوق سَطحٍ واحد فى رمضان ، فأتيت ذات ليلة فقلت : ألا تأكل يا خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأومأ بيده : أنْ كُفَّ. ثم أتيته مرة أخرى فقلت له : ألا تأكلُ يا خليفة رسول الله ؟ فأومأ بيده : أنْ كُف . ثم أتيته مرة أخرى فقلت : ألا تأكل يا خليفةَ رسول الله ؟ فنظر إلى الفجر ثم أومأ بيده : أنْ كُفّ . ثم أتيته فقلت : ألا تأكل يا خليفة رسول الله ؟ قال : هات غَداءك ! قال : فأتيته به فأكل ، ثم صلى ركعتين ، ثم قام إلى الصلاة .(١)

---

(١) الخبر : ٣٠٠٤ — هذا إسناد ضعيف ، لانقطاعه .

خلاد بن أسلم ، أبو بكر الصفار ، شيخ الطبرى : ثقة ، من شيوخ عبد الله بن أحمد ، والترمذى والنسائى ، مات فى جمادى الآخرة سنة ٢٤٩ . مترجم فى التهذيب ، والصغير للبخارى ص : ٢٣٧ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٣٤٢ — ٣٤٣ .

عبد الله بن معقل — بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف — بن مقرن — بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المشددة — المزنى : تابعى ثقة ، يروى عن أبيه ، وهو صحابى ، وعن على ، وابن مسعود ، وغيرهم . ولكنه لم يدرك أن يروى عن سالم مولى أبى حذيفة ، لأنه مات سنة ٨٨ ، وسالم قتل باليمامة سنة ١٢ فى خلافة أبى بكر . ولذلك تعقب الحافظ ابن حجر فى التهذيب ، ما ذكره أصله ، فقال : « وأطلق المؤلف روايته عن سالم مولى أبى حذيفة . والظاهر أنها مرسلة ، لأنه قتل باليمامة » . وابن معقل هذا مترجم فى التهذيب . والصغير للبخارى ، ص : ٩٣ — ٩٤ ، وابن سعد ٦ : ١٢١ — ١٢٢ ، والإصابة ٥ : ١٤٤ . ووقع فى المطبوعة هنا « عبيد الله » ، بالتصغير ، وهو خطأ .

سالم مولى أبى حذيفة : صحابى قديم الموت ، كما قلنا آنفاً . وهو الذى وردت فى شأنه سنة إرضاع الكبير . وهو مولى ثبيتة بنت يعار الأنصارية زوج أبى حذيفة ، هى التى أعتقته ، فتولى أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشى زوجها . قال ابن سعد : « فسالم يذكر فى الأنصار فى بنى عبيد ، لعتق ثبيتة بنت يعار إياه ، ويذكر فى المهاجرين ، لموالاته لأبى حذيفة » . وهو مترجم فى الكبير ٢/٢/١٠٨ ، والصغير ، ص : ٢١ ، ٢٢ ، وابن سعد ٣/١/٦٠ — ٦٢ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٨٩ ، والإصابة ٣ : ٥٦ — ٥٧ . وقال ابن أبى حاتم : « لا أعلم روى عنه » . وتعقبه الحافظ فى الإصابة ، فذكر له رواية حديثين مرفوعين ، ثم قال : « وفى السندين جميعاً ضعف وانقطاع . فيحمل كلام ابن أبى حاتم على أنه لم يصح عنه شىء » . ولم يذكر الحافظ رواية الطبرى هذه ، وهى منقطعة أيضاً .

وهذا الخبر ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤ : ١٥٤ ، مختصراً قليلا ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » . هكذا قال ، فلم يشر إلى علته بالانقطاع ، إلا أن يكون إسناد الطبرانى متصلا براو آخر فوق عبد الله بن معقل ، فلعل . ولكنى لا أظن ذلك .

ثم ذكر الحافظ فى الفتح ٤ : ١١٧ ، أن ابن المنذر « روى بإسناد صحيح ، عن سالم بن عبيد

٣٠٠٥ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : الوتر بالليل، والسَّحور بالنهار .

وقد رُوى عن إبراهيم غير ذلك :

٣٠٠٦ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : السحور بليل ، والوتر بليل.

٣٠٠٧ — حدثنا حكام، عن ابن أبى جعفر ، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال : السحور والوتر ما بين التَّثْويب والإقامة .

٣٠٠٨ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،

الأشجعى ، وله صحبة : أن أبا بكر قال له : اخرج فانظر هل طلع الفجر ؟ قال : فنظرت ثم أتيته ، فقلت : قد ابيض وسطع ، ثم قال : اخرج فانظر هل طلع ؟ فنظرت فقلت : قد اعترض ، فقال : الآن أبلغنى شرابى » . فهذا سالم بن عبيد صحابى معروف من أهل الصفة . والرواية عنه تأتى من وجه آخر غير رواية سالم مولى أبى حذيفة . فإن كان الإسناد إليه صحيحاً كما قال الحافظ ، فهو ذلك ، إلا أن يكون ذكر سالم بن عبيد » خطأ من بعض الرواة ، فليس عندى بيان آخر عن إسناد ابن المنذر .

وقد روى ابن حزم فى المحلى ٦ : ٢٣٢ ، نحو هذا المعنى ، بألفاظ أخر ، عن أبى بكر :

فقال ابن حزم : « روينا من طريق معمر ، عن أبان ، عن أنس ، عن أبى بكر الصديق ، أنه قال : إذا نظر الرجلان إلى الفجر ، فشك أحدهما ، فليأكلا حتى يتبين لهما » .

« ومن طريق أبى أحمد الزبيرى ، عن سفيان الثورى ، عن منصور بن المعتمر ، عن هلال بن يساف ، عن سالم بن عبيد ، قال : كان أبو بكر الصديق يقول لى : قم بينى وبين الفجر حتى أتسحر » .

ومن طريق ابن أبى شيبة ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن منصور بن المعتمر ، عن هلال بن يساف ، عن سالم بن عبيد الأشجعى ، قال : قم فاسترنى من الفجر ، ثم أكل » .

وهذا اللفظ الأخير مختصر ، يفهم مما قبله أنه حكاية عن أبى بكر أيضاً ، ولعله سقط منه شىء من ناسخى المحلى .

ثم قال ابن حزم : « سالم بن عبيد هذا : أشجعى كوفى ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه أصح طريق يمكن أن تكون » .

وأنا أرجح أن يكون طريق ابن المنذر — الذى نقله الحافظ فى الفتح — مثل هذين الطريقين الأخيرين ، اللذين نقلهما ابن حزم ، فيكون من رواية هلال بن يساف عن سالم بن عبيد . واستبعد جداً أن يكون طريق الطبرانى ، الذى ذكره الهيثمى — : من هذا الوجه .

ثم روى ابن حزم ٦ : ٢٣٣ ، نحو هذا المعنى ، من رواية أبى السفر ، ومن رواية أبى قلابة — كلاهما عن أبى بكر . وهما إسنادان منقطعان ، فإن أبا السفر وأبا قلابة لم يدركا أبا بكر يقيناً .

عن شيبب بن غرقدة ، عن عروة ، عن حبان قال : تسحرنا مع علىّ ، ثم خرجنا وقد أقيمت الصلاة ، فصلينا.[1]

٣٠٠٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن

---

(١) الخبر : ٣٠٠٨ — شبيب بن غرقدة السلمى : تابعى ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٣٢ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٥٧ .

عروة : هو ابن أبى الجعد الأزدى البارق : صحابى معروف . قال البخارى : « وبارق : جبل ، نزله بعض الأزد » .

حبان — بكسر الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة : هو ابن الحارث ، أبو عقيل ، وهو تابعى ثقة . ترجمه البخارى فى الكبير ٢/١/٧٧، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٦٩ ، والدولابى فى الكنى ٢ : ٣٣ .

وهكذا وقع فى الطبرى ، عن شيخه محمد بن المثنى — فى هذا الإسناد — زيادة « عروة البارق » بين « شبيب » و «حبان بن الحارث » . وسيأتى الخبر عقب هذا : ٣٠٠٩ ، من رواية سفيان بن عيينة ، عن شبيب ، عن حبان ، مباشرة دون واسطة ، وهو الثابت المحفوظ عن شبيب . فلعل ابن المثنى — شيخ الطبرى — وهم فى هذه الزيادة ، أو لعله كان من رواية شبيب ، عن عروة وعن حبان ، كلاهما عن على ، ثم اختلط فى الإسناد على الناسخين .

فإن البخارى روى هذا الخبر ، فى ترجمة « حبان » فى التاريخ الكبير ، موجزاً بالإشارة كعادته — على الصواب ، من الوجه الذى رواه الطبرى هنا :

فقال البخارى : « حدثنا محمد ، قال : حدثنا غندر ، قال : حدثنا شعبة ، عن شبيب ، عن حبان : تسحرنا مع على » .

فمحمد — شيخ البخارى : هو محمد بن بشار الحافظ . وغندر : هو محمد بن جعفر شيخ ابن المثنى فى إسناد الطبرى هذا . وهو قد رواه — كما ترى — دون واسطة بين شبيب وحبان .

وكذلك رواه البخارى بثلاثة أسانيد عن شبيب عن حبان ، فقال : « قال ابن محبوب ، عن عمر الأبار ، عن منصور ، عن شبيب ، عن حبان بن الحارث : تسحرنا مع على . وقال جرير ، عن منصور ، عن شبيب ، عن أبى عقيل . قال حسين ، عن زائدة ، عن شبيب ، عن طارق بن قرة ، وحبان بن الحارث ، بهذا ». وقد زاد فى الإسناد الأخير للبخارى : أن شبيباً رواه عن طارق بن طارق بن قرة ، عن على ، كمثل روايته إياه عن حبان، عن على. و « طارق بن قرة» : تابعى، لم يترجمه البخارى فى الكبير ، ولكن ترجمه ابن أبى حاتم ٢/١/٤٨٦ ، قال : « طارق بن قرة : روى عن على ، روى عنه شبيب بن غرقدة » . وبذلك ترجمه أيضاً ابن حبان فى الثقات ، ص : ٢٢٩ .

ورواية البخارى ، من طريق جرير عن منصور — رواها ابن حزم فى المحلى ٦ : ٢٣٣ مفصلة ، قال : « ومن طريق ابن أبى شيبة : حدثنا جرير ، هو ابن عبد الحميد ، عن منصور بن المعتمر ، عن شبيب بن غرقدة ، عن أبى عقيل ، قال : تسحرت مع على بن أبى طالب ، ثم أمر المؤذن أن يقيم الصلاة » .

فهذه أسانيد تدل على أن ذكر « عروة البارق » فى إسناد الطبرى هنا — إما سهو من ابن المثنى ، وإما إضافة فى الرواية مع حبان — لا رواية عنه — ثم حرفت من الناسخين .

شبيب ، عن حبان بن الحارث قال : مررت بعلىّ وهو فى دار أبى موسى وهو يتسحّر ، فلما انتهيتُ إلى المسجد أقيمت الصلاة.(١)

٣٠١٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ،عن منصور ، عن أبى إسحق ، عن أبى السفر قال: صلى علىٌّ بن أبى طالب الفجرَ ، ثم قال: هذا حين يتبيَّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.(٢)

* * *

وعلة من قال هذا القول : أنّ الوقت إنما هو النهارُ دون الليل . قالوا : وأول النهار طلوعُ الشمس ، كما أنّ آخرَه غروبُها . قالوا: ولو كان أوله طلوعُ الفجر ، لوَجب أن يكون آخرَه غروبُ الشفق . قالوا: وفى إجماع الحجة على أنّ آخر النهار غروب الشمس ، دليلٌ واضح على أن أوله طلوعها . قالوا : وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تسحر بعد ُطلوع الفجر ، أوضحُ الدليل على صحة قولنا.

* ذكر الأخبار التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك:

٣٠١١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة ، قال ، قلت : تسحرّتَ مع النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال: لو أشاءُ لأقولُ هو النهارُ إلاّ أنّ الشمس لم تطلع.(٣) ١٠٢/٢

---

(١) الخبر : ٣٠٠٩ — سفيان : هو ابن عيينة . والخبر تكرار فى معناه للخبر قبله . ورواه أيضاً ابن حزم فى المحلى ٦ : ٢٣٣ ، قال : «وعن سفيان بن عيينة ، عن شبيب بن غرقدة ، عن حبان ابن الحارث : أنه تسحر مع على بن أبى طالب، وهما يريدان الصيام ، فلما فرغ قال للمؤذن : أقم الصلاة» .

(٢) الخبر : ٣٠١٠ — أبو السفر — بفتح الفاء — : هو سعيد بن يحمد ، بضم الياء التحتية وسكون الحاء المهملة وكسر الميم ، وهو تابعى ثقة ، يروى عن متوسطى الصحابة ، كابن عباس وابن عمر. وهذا الإسناد منقطع ، لأن أبا السفر لم يدرك أن يروى عن على بن أبى طالب . وقد مضى معناه عن على ، بإسناد آخر متصل : ٣٠٠١ .

(٣) الحديث : ٣٠١١ — عاصم : هو ابن بهدلة ، وهو ابن أبى النجود — بفتح النون — الكوفى المقرئ ، أحد القراء السبعة . وهو ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . زر — بكسر الزاى وتشديد الراء: هو ابن حبيش، التابعى الثقة . مضى فى : ٢٧٤ . حذيفة : هو ابن اليمان العبسى ، صحابى مشهور ، مناقبه كثيرة معروفة .

٣٠١٢ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر قال : ما كذب عاصمٌ على زرّ ، ولا زرّ على حذيفة ، قال : قلتُ له : يا أبا عبد الله تسحرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، هو النهارُ إلا أن الشمس لم تطلع .(١)

٣٠١٣ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتسحَّر وأنا أرى مواقعَ النَّبل . قال قلت : أبعدَ الصبح ؟ قال : هو الصبح ، إلاّ أنه لم تطلع الشمس .(٢)

٣٠١٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير قال، حدثنا عمرو بن قيس وخلاد الصفار ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش قال: أصبحت ذات يوم فغدوتُ إلى المسجد، فقلت: لو مررت على باب حذيفة! ففتح لى فدخلتُ، فإذا هو يسخّن له طعامٌ، فقال: اجلس حتى تطعمَ. فقلت : إنّى أريد الصوم . فقرّب طعامه فأكل وأكلت معه، ثم قام إلى لِقْحة فى الدار ، فأخذ يحلُب من جانب وأحلُب أنا من جانب ، فناولنى فقلت : ألا ترى الصبح ؟ فقال : اشرب ! فشربتُ ، ثم جئتُ إلى باب المسجد فأقيمت الصلاة ، فقلت له : أخبرنى بآخر

وهذا الحديث رواه ابن ماجة : ١٦٩٥ ، عن على بن محمد ، هو الطنافسى ، عن أبى بكر بن عياش ، بهذا الإسناد نحوه ، مختصراً .

وسيأتى مزيد تخريج له فى الثلاثة بعده .

(١) الحديث : ٣٠١٢ — هو الحديث السابق بمعناه ، بالإسناد نفسه . ولكن هذا جاء بصيغة فى التوكيد موثقة ، قصد بها أبو بكر بن عياش رفع شبهة الخطأ أو التزيد فى الرواية .

(٢) الحديث : ٣٠١٣ — سفيان : هو الثورى .

والحديث فى معنى الحديثين قبله . وقد رواه أحمد فى المسند ٥ : ٤٠٠ (حلبى) ، عن وكيع ، عن سفيان ، بهذا الإسناد نحوه . وكذلك رواه النسائى ١ : ٣٠٣ ، وابن حزم فى المحلى ٦ : ٢٣٢ — كلاهما من طريق وكيع .

وفى الفتح ٤ : ١١٧ أنه رواه « سعيد بن منصور ، عن أبى الأحوص ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة ، قال : تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو والله النهار ، غير أن الشمس لم تطلع »

سَحور تسحَّرته مع رَسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هو الصبح ، إلا أنه لم تطلع الشمسُ . (١)

٣٠١٥ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا حماد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا سَمع أحدكم النداءَ والإناءُ على يده ، فلا يضعه حتى يقضىَ حاجته منه . (٢)

---

(١) الحديث : ٣٠١٤ - الحكم بن بشير النهدى : مضت ترجمته : ١٤٩٧ . وعمرو بن قيس هو الملائى ، مضت ترجمته : ٨٨٦ .

خلاد الصفار : هو خلاد بن عيسى العبدى ، ويقال : خلاد بن مسلم . وهو ثقة . مترجم فى التهذيب والكبير ٢/١/١٧١ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٦٧ .

وهذا الحديث تكرار للثلاثة قبله فى معناها ، إلا أنه مطول فى قصة .

وقد روى نحو هذه القصة - حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة :

فرواها أحمد ٥ : ٣٩٦ (حلبى) ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة .

وكذلك رواه الطحاوى فى شرح معانى الآثار ١ : ٣٢٤ ، وابن حزم فى المحلى ٦ : ٢٣١ : ٢٣٢ ، كلاهما من طريق روح بن عبادة ، عن حماد بن سلمة .

ورواه أحمد أيضاً ٥ : ٤٠٥ (حلبى) ، من طريق شريك بن عبد الله - هو النخعى القاضى - عن عاصم ، عن زر ، قال : « قلت ، يعنى لحذيفة : يا أبا عبد الله ، تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قلت : أكان الرجل يبصر مواقع نبله ؟ قال : نعم ، هو النهار ، إلا أن الشمس لم تطلع » .

وقد ذكر ابن كثير ١ : ٤٢٢ رواية حماد بن سلمة عن عاصم - مختصرة ، ونسبها لأحمد ، والنسائى وابن ماجة ، وقال : « وهو حديث تفرد به عاصم بن أبى النجود ، قاله النسائى » . ولم أجده فى النسائى من رواية حماد ، ولم أجد كلمة النسائى أيضاً . فلعل ذلك فى السنن الكبرى .

وقال الحافظ فى الفتح ٤ : ١١٧ ، بعد نقله رواية سعيد بن منصور وإشارته إلى رواية الطحاوى عن حذيفة : « روى ابن أبى شيبة وعبد الرزاق ذلك عن حذيفة ، من طرق صحيحة » .

« اللقحة » : الناقة القريبة العهد بالولادة ، فهى من ذوات الألبان .

(٢) الحديث : ٣٠١٥ - هذا إسناد صحيح .

روح بن عبادة القيسى ، من بنى قيس بن ثعلبة : ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، ووثقه ابن معين وغيره . تكلم فيه بعضهم بغير حجة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٢٨٢ - ٢٨٣ ، وابن سعد ٧/٢/٥٠ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٤٩٨ - ٤٩٩ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٤٠١ - ٤٠٦ .

٣٠١٦ ـ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا حماد ، عن عمار بن أبي عمار ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ـ وزاد فيه : وكان المؤذن يؤذن إذا بَزَغ الفجر .[١]

٣٠١٧ ـ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين = وحدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال ، سمعت أبي قال ، أخبرنا الحسين ابن واقد = قالا جميعاً ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : أقيمت الصلاة والإناءُ في يد عمر ، قال : أشربُها يا رسول الله ؟ قال : نعم ! فشربها .[٢]

« عبادة » : بضم العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة . ووقع في المطبوعة ، في هذا الإسناد والذي بعده « روح بن جنادة » ! وهو تصحيف ، ولا يوجد راو بهذا الاسم .

حماد : هو ابن سلمة .

محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي : ثقة ، أخرج له الجماعة أيضاً .

أبو سلمة : هو ابن عبد الرحمن بن عوف .

والحديث رواه أحمد في المسند : ١٠٦٣٧ (٢ : ٥١٠ حلبي) ، عن روح بن عبادة ، بهذا الإسناد واللفظ .

ورواه أحمد أيضاً : ٩٤٦٨ (٢ : ٤٢٣ حلبي) ، عن غسان بن الربيع ، عن حماد بن سلمة ، بهذا الإسناد . وقرن إليه إسناداً آخر مرسلا ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه أبو داود : ٢٣٥٠ ، عن عبد الأعلى بن حماد النرسي . عن حماد بن سلمة ، به . وكذلك رواه الحاكم في المستدرك ١ : ٤٢٦ ، من طريق عبد الأعلى ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

وانظر تعليقنا على الحديث ، فيما كتبنا على مختصر السنن للمنذري : ٢٢٤٩ (٣ : ٢٣٣ ، ٢٣٤).

(١) الحديث : ٣٠١٦ ـ عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم : تابعي ثقة ، أخرج له مسلم في صحيحه .

والحديث رواه أحمد في المسند : ١٠٦٣٨ ، عن روح بن عبادة ، بهذا الإسناد ، عقب الحديث السابق ، كما صنع الطبري تماماً .

وذكره ابن حزم في المحلى ٦ : ٢٣٢ ، من رواية حماد بن سلمة ، به ، وساق لفظه كاملا . وزاد في آخره : وقال حماد ، عن هشام بن عروة : كان أبي يفتي بهذا » .

(٢) الحديث : ٣٠١٧ ـ رواه الطبري بإسنادين : فرواه عن ابن حميد ، عن يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد ـ ثم استأنف إسناداً آخر ، فرواه عن محمد بن علي بن الحسن ، عن أبيه ، عن الحسين بن واقد ، فاجتمع الطريقان في الحسين بن واقد ، عن أبي غالب ، إلخ .

ويحيى بن واضح : هو أبو تميلة ، مضت ترجمته : ٣٩٢ .

٣٠١٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا يونس، عن أبيه، عن عبد الله قال، قال بلال: «أتيتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم أُوذِنه بالصلاة وهو يريد الصوم، فدعا بإناء فشرب، ثم ناولني فشربتُ، ثم خرج إلى الصلاة.»(١)

٣٠١٩ — حدثني محمد بن أحمد الطوسى قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحق، عن عبد الله بن معقل، عن بلال قال: أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم أوذنه بصلاة الفجر وهو يريد الصيام، فدعا بإناء فشرب، ثم ناولني فشربتُ، ثم خرجنا إلى الصلاة(٢)

* * *

أبو غالب: هو صاحب أبي أمامة، وقد اختلف في اسمه: فقيل: «حزور»، بفتح الحاء المهملة والزاى والواو المشددة وآخره راء. وقيل: «سعيد بن الحزور»، وهو الذى اقتصر عليه ابن سعد ٧/٢/٧. واختصر البخارى فى الكبير ١٢٤/١/٢ على «حزور». وترجمه ابن أبي حاتم فى الترجمتين ٣١٥/٢/١ - ٣١٦، ثم ١٣/١/٢، وقال فى الموضع الثانى: «وحزور أصح». وهو ثقة، وتكلم فيه بعضهم. ووثقه الدارقطنى، وحسن الترمذى بعض أحاديثه، وصحح بعضها. مترجم فى التهذيب ١٢: ١٩٧ - ١٩٨.

أبو أمامة: هو الباهلى، واسمه: «صدى» بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وتشديد الياء «بن عجلان». وهو صحابى معروف مات سنة ٨٦ وقد جاوز المئة، لأنه ثبت أنه كان ابن ٣٠ سنة أو ٣٣. ووقع فى ابن سعد ١٣١/٢/٧ - ١٣٢ أنه مات وهو ابن ٦١ سنة! وهو خطأ فاحش.

وهذا الحديث صحيح الإسناد. ولم أجده فى غير هذا الموضع من تفسير الطبرى.

(١) الحديث: ٣٠١٨ - يونس: هو ابن أبى إسحق السبيعى، وهو ثقة، وثقه ابن معين وابن سعد وغيرهما. مترجم فى التهذيب، والكبير ٤٠٨/٢/٤، وابن سعد ٦: ٢٥٢، وابن أبى حاتم ٢٤٣/٢/٤ - ٢٤٤.

عبد الله: هو ابن معقل بن مقرن المزنى، مضت ترجمته: ٣٠٠٤.

بلال: هو ابن رباح، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من المهاجرين الأولين، مات فى طاعون عمواس، سنة: ١٧، أو ١٨. ولم يدركه عبد الله بن معقل المتوفى سنة: ٨٨. فالإسناد إليه ضعيف لانقطاعه.

وسيأتى تخريج الحديث فى الإسناد التالى.

(٢) الحديث: ٣٠١٩ - محمد بن أحمد الطوسى، شيخ الطبرى: لم أعرف من هو؟

«عبد الله بن معقل»: بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف. وثبت فى المطبوعة هنا «مغفل»، وهو تصحيف.

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية ، التأويلُ الذى رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الخيط الأبيض » بياض النهار ، « والخيط الأسود » سوادُ الليل . وهو المعروف فى كلام العرب ، قال أبو دُؤاد الإيادىّ :

فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سُدْفَةٌ وَلَاحَ مِنَ الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارَا [1]

* * *

وأما الأخبارُ التى رويتْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه شرب أو تسحَّر ، ثم خرج إلى الصلاة ، فإنه غير دافع صحةَ ما قلنا فى ذلك . لأنه غير مستنكر أن يكون صلى الله عليه وسلم شَرب قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة ، إذ كانت الصلاةُ — صلاة الفجر — هى على عهده كانت تُصلى بعد ما يطلع الفجر ويتبيَّن طلوعه ، ويؤذَّن لها قبل طلوعه .

وأما الخبر الذى رُوِى عن حذيفة : « أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان يتسحر وأنا أرى مَواقعَ النَّبل » ، فإنه قد استُثبتَ فيه فقيل له : أبعد الصبح ؟ فلم يجب

والحديث رواه أحمد فى المسند ٦ : ١٢ (حلبى) عن يحيى بن آدم ، وأبى أحمد الزبيرى — كلاهما عن إسرائيل ، بهذا الإسناد ، نحوه . ثم رواه ٦ : ١٣ ، عن حسين بن محمد ، عن إسرائيل ، به .

وهو حديث ضعيف ، لانقطاعه بين ابن معقل بن مقرن وبلال ، كما بينا .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ١٥٢ ، من رواية أحمد الأولى ، وقال : « رواه أحمد ، والطبرانى فى الكبير » . ثم ذكر رواية أحمد الثانية ، ثم قال : « ورجالها رجال الصحيح » . ففاته أن يعلمه بالانقطاع .

وروى أحمد أيضاً ٦ : ١٣ ، عن وكيع ، عن جعفر بن برقان ، عن شداد مولى عياض بن عامر ، عن بلال : « أنه جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يؤذنه بالصلاة ، فوجده يتسحر فى مسجد بيته » . وهذا ذكره الهيثمى أيضاً عن المسند ، ثم قال : « وشداد مولى عياض : لم يدرك بلالا » . وهو كما قال .

(١) الأصمعيات : ٢٨ من أبيات . يصف فرساً خرج عليه للصيد ، واللسان (خيط) . وفى الأصمعيات : « خيرٌ أنارا » ولا معنى لها . والسدفة : ظلمة الليل فى لغة نجد ، والضوء فى لغة قيس ، وهى أيضاً : اختلاط الضوء والظلمة جميعاً ، كوقت ما بين صلاة الفجر إلى أول الإسفار . قال عمارة : ظلمة فيها ضوء من أول الليل وآخره ، ما بين الظلمة إلى الشفق ، وما بين الفجر إلى الصلاة . وأراد أبو دؤاد اختلاط الظلمة والضوء . ولاح : بدا وظهر من بعيد . والخيط : اللون هنا يكون ممتداً كالخيط .

فى ذلك بأنه كان بعد الصبح ، ولكنه قال : « هو الصبح » . وذلك من قوله يُحتمل أن يكون معناهُ : هو الصبح لقر به منه ، وإن لم يكن هو بعينه ، كما تقول العرب : « هذا فلان » ، شبهاً ، وهى تشير إلى غير الذى سمَّته فتقول : « هو هو » ، تشبيهاً منها له به . فكذلك قول حذيفة : « هو الصبح » ، معناه : هو الصبح شبهاً به وقرباً منه .

* * *

وقال ابن زيد فى معنى « الخيط الأبيض والأسود » ، ما : —

٣٠٢٠ — حدثنى به يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « حتى يتبيَّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ، قال : « الخيط الأبيض » الذى يكون من تحت الليل ، يكشف الليلَ — « والأسود » ما فوقه .

* * *

وأما قوله : « من الفجر » ، فإنه تعالى ذكره يعنى : حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود الذى هو من الفجر ، وليس ذلك هو جميعَ الفجر ، ولكنه إذا تبيَّن لكم أيها المؤمنون من الفجر ذلك الخيط الأبيض الذى يكون من تحت الليل الذى فوقه سواد الليل ، فمن حينئذ فصُوموا ، ثم أتِمُّوا صيامكم من ذلك إلى الليل .

وبمثل ما قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول :

٣٠٢١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « منَ الفجر » ، قال : ذلك الخيط الأبيضُ هو من الفجر نسبةٌ إليه ، وليس الفجر كله . فإذا جاء هذا الخيط ، وهو أوله ، فقد حلت الصلاةُ وحَرُم الطعام والشراب على الصائم . ١٠٣/٢

* * *

قال أبو جعفر : وفى قوله تعالى ذكره : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيامَ إلى الليل » ، أوضحُ

الدلالة على خطأ قول من قال: حلالٌ الأكلُ والشربُ لمن أراد الصوم إلى طلوع الشمس. لأن الخيط الأبيض من الفجر، يتبين عند ابتداء طلوع أوائل الفجر . وقد جعل الله تعالى ذكره ذلك حدًّا لمن لزمه الصوم فى الوقت الذى أباح إليه الأكل والشرب والمباشرة .

فمن زعم أنّ له أنْ يتجاوز ذلك الحدّ ، قيل له : أرأيتَ إن أجازَ له آخرُ ذلك ضحوةً أو نصف النهار؟

فإن قال: إنّ قائلَ ذلك مخالف للأمة .

قيل له: وأنتَ لما دلّ عليه كتاب الله ونقلُ الأمة مخالفٌ، فما الفرق بينك وبينه من أصْل أو قياس ؟

فإن قال : الفرق بينى وبينه أن الله أمرَ بصوم النهار دون الليل ، والنهارُ من طلوع الشمس .

قيل له : كذلك يقول مخالفوك، والنهار عندهم أوّله طلوع الفجر ، وذلك هو ضوء الشمس وابتداءُ طلوعها دون أن يتتامّ طلوعها ، كما أن آخر النهار ابتداءُ غروبها دون أن يتتامّ غروبها .

ويقال لقائلى ذلك:[1] إن كان « النهار » عندكم كما وصفتم ، هو ارتفاع الشمس ، وتكامل طُلوعها، وذهاب جميع سُدْفة الليل وَغبَس سواده ــ فكذلك عندكم « الليل » : هو تتامُّ غروب الشمس ، وذهاب ضيائها ، وتكامل سواد الليل وظلامه ؟

فإن قالوا : ذلك كذلك !

قيل لهم : فقد يجبُ أن يكون الصوم إلى مَغيب الشفق وذهاب ضوء الشمس وبياضها من أفق السماء !

---

(١) جمع القائلين ، بعد الإفراد .

فإن قالوا : ذلك كذلك ! أوجبوا الصومَ إلى مغيب الشفق الذى هو بياضٌ .
وذلك قولٌ إنْ قالوه مدفوعٌ بنقل الحجة، التى لا يجوز فيما نقلته مجمعةً عليه — الخطأُ والسهوُ ، [وكفى بذلك شاهداً] على تخطئته.[١]

وإن قالوا: « بل أول الليل » ابتداء سُدْفته وظلامه، ومَغيبُ عَين الشمس عنا .

قيل لهم: وكذلك « أول النهار » : طلوع أوّل ضياء الشمس، ومغيب أوائل سُدفة الليل.

ثم يعكس عليه القول فى ذلك ،[٢] ويُسأل الفرقَ بين ذلك ، فلن يقول فى أحدهما قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

* * *

وأما « الفجر » فإنه مصدر من قول القائل : « تفجَّر الماءُ يتفجَّرُ فَجراً »،[٣] إذا انبعثَ وجرى. فقيل للطالع من تباشير ضياء الشمس من مطلع الشمس« فجر»، لانبعاث ضوئه عليهم، وتورُّده عليهم بطرُقهم ومحاجّهم، تفجُّرَ الماء المتفجّر من منبعه.

* * *

وأما قوله :« ثم أتموا الصيامَ إلى الليل»، فإنه تعالى ذكره حَدَّ الصوم بأن آخرَ وقته إقبالُ الليل — كما حدَّ الإفطارَ وإباحةَ الأكل والشرب والجماع وأوّل الصوم، بمجىء أول النهار وأوّل إدبار آخر الليل . فدلَّ بذلك على أن لا صومَ بالليل، كما لا فطر بالنهار فى أيام الصوم = وعلى أنَّ المواصل مجوِّعٌ نفسه فى غير طاعة ربه ، كما : —

---

(١) ما بين القوسين زيادة لابد منها لسياق الجملة .

(٢) عاد مرة أخرى فأفرد القائل بعد جمع القائلين . ولولا الضمائر الكثيرة التى تمنع ظن التحريف أو التصحيف فى جمل متتابعة . لغيرتها . ولعل أبا جعفر كان يسهو أحياناً عن مثل ذلك . لجوازه فى العربية .

(٣) هكذا جاء فى المطبوعة ، ولم أملك أن أغيره ، لأن كلامه دال على أنه يجعله مصدراً ، لقولهم : « تفجر » بالتاء وتشديد الجيم . وكأنه يحمله على أنه من المصادر التى جاءت على غير بناء أفعالها . كما مضى ذلك آنفاً فى ١ : ١١٦ — ١١٨ . وانظر تفسير « التفجر » فيما سلف ٢ : ٢٣٨ .

٣٠٢٢ — حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو معاوية ووكيع وعبدة ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عاصم بن عمر ، عن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أقبل الليل وأدبر النهارُ وغابت الشمس ، فقد أفطر الصائم.(١)

٣٠٢٣ — حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا أبو إسحق الشيباني = وحدثنا هناد بن السري قال ، حدثنا أبو عبيدة وأبو معاوية ، عن الشيباني = وحدثنا ابن المثنى قال حدثنا أبو معاوية = وحدثني أبو السائب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن الشيباني = قالوا جميعاً في حديثهم ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وهو صائم ، فلما غَرَبت الشمسُ قال لرجل : انزل فاجدَحْ لي . قالوا : لو أمسيتَ يا رسول الله ! فقال : انزل فاجدح . فقال الرجل : يا رسول الله لو أمسيت ! قال : انزل فاجدح لي . قال : يا رسول الله إنّ علينا نهاراً ! فقال له الثالثة ، فنزل فجدح له . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذ أقبل الليل من ههنا — وضرب بيده نحو المشرق — فقد أفطر الصائم.(٢)

---

(١) الحديث : ٣٠٢٢ — عبدة : هو ابن سليمان .

عاصم : هو ابن عمر بن الخطاب ، وهو تابعي ثقة ، ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووقع في المطبوعة هنا « عاصم بن عمرو » ، وهو خطأ .

والحديث رواه بنحوه ، أحمد في المسند : ١٩٢ ، ٣٨٣ ، عن وكيع ، عن هشام ، بهذا الإسناد .

ورواه أيضاً : ٢٣١ ، عن ابن نمير ، و ٣٣٨ ، عن سفيان بن عيينة — كلاهما عن هشام .

ورواه البخاري ٤ : ١٧١ (فتح) ، من طريق ابن عيينة .

ورواه مسلم ١ : ٣٠٣ ، من طريق أبي معاوية ، وابن نمير ، وأبي أسامة — ثلاثتهم عن هشام .

ورواه أبو داود : ٢٣٥١ ، عن أحمد بن حنبل ، عن وكيع ، وعن مسدد ، عن عبد الله بن داود — كلاهما عن هشام بن عروة .

(٢) الحديث : ٣٠٢٣ — رواه الطبري بأسانيد ، تجتمع كلها في أبي إسحق الشيباني .

فرواه عن هناد بن السري ، عن ثلاثة شيوخ : عن أبي بكر بن عياش ، وأبي عبيدة ، وأبي معاوية . ورواه عن محمد بن المثنى ، عن أبي معاوية . ورواه عن أبي السائب سلم بن جنادة ، عن عبد الله بن إدريس الأودي — كلهم عن أبي إسحق الشيباني ، واسمه : سليمان بن أبي سليمان ، عن عبد الله بن أبي أوفى .

٣٠٢٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن رفيع قال: فرض الله الصيام إلى الليل، فإذا جاء الليل فأنت مفطر ، إن شئت فكل ، وإن شئت فلا تأكل.[1]

٣٠٢٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبي العالية : أنه سُئل عن الوصال في الصوم فقال : افترض الله على هذه الأمّة صومَ النهار ، فإذا جاءَ الليل فإن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل.

٣٠٢٦ — حدثني يعقوب قال ، حدثني ابن علية ، عن داود بن أبي هند قال ، قال أبو العالية في الوصال في الصوم قال : قال الله: «ثم أتموا الصيام إلى الليل » ، فإذا جاء الليل فهو مفطر ، فإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل.

٣٠٢٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا ابن دكين ، عن مسعر ، عن قتادة قال: قالت عائشة : أتموا الصيامَ إلى الليل — يعني: أنها كرهت الوصال .

* * *

أبو عبيدة : هو عبد الواحد بن واصل الحداد ، وهو ثقة من شيوخ أحمد . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٤، وتاريخ بغداد ١١ : ٣ — ٥ .

ووقع في المطبوعة في هذا الجزء من الإسناد : «حدثنا أبو عبيدة وأبو معاوية ، عن شيبان » . وهو خطأ واضح ، ليس لشيبان صلة بهذا الإسناد . صوابه : « عن الشيباني » ، كما أثبتناه .

والحديث رواه البخاري ٤ : ١٥٦ ، من طريق سفيان بن عيينة ، و ١٧١ — ١٧٢ ، من طريق خالد بن عبد الله الواسطي ، و ١٧٢ ، من طريق عبد الواحد بن زياد العبدي ، و ١٧٣ ، من طريق أبي بكر بن عياش . ورواه مسلم ١ : ٣٠٣ ، من طريق هشيم ، وعلي بن مسهر ، وعباد بن العوام ، وعبد الواحد بن زياد ، وسفيان ، وجرير ، وشعبة . ورواه أبو داود : ٢٣٥٢ ، من طريق عبد الواحد ابن زياد — كلهم عن أبي إسحق الشيباني ، به ، نحوه .

جدح السويق في اللبن أو الماء : إذا خاضه وحركه حتى يختلط ويستوي . وقوله : « ضرب بيده » ، يعني أشار بيده مادأ يده كفعل الضارب . و « ضرب » فعل من الأفعال التي تقع على كثير من الأعمال إلا قليلا . يقال: « ضرب في الأرض » ، و « ضرب بيده إلى الشيء » ، أهوى إليه ، و « ضرب على يده » ، و «ضرب يده إلى عمل كذا» .

(١) الأثر : ٣٠٢٤ — رفيع ، هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي ، ذكر مئات من المرات بكنيته . أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين . مات سنة ٩٠ . وداود هو ابن أبي هند . وانظر الإسنادين التاليين .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فما وجه وِصال مَنْ واصَل؟ فقد علمت بما : —

٣٠٢٨ — حدثكم به أبو السائب قال، حدثنا حفص، عن هشام بن عروة قال : كان عبد الله بن الزبير يُواصل سبعة أيام، فلما كبِر جعلها خمساً، فلما كبِر جدًّا جعلها ثلاثاً. ١٠٤/٢

٣٠٢٩ — حدثنا أبو السائب قال، حدثنا حفص، عن عبد الملك قال : كان ابن أبي يعمر يفطر كل شهر مرة.

٣٠٣٠ — حدثنا ابن أبي بكر المقدّمى قال، حدثنا الفروى . قال سمعت مالكاً يقول : كان عامر بن عبد الله بن الزبير يواصل ليلةَ ستَّ عشرة وليلة سبعَ عشرة من رمضان، لا يفطر بينهما، فلقيته فقلت له : يا أبا الحارث ماذا تجدُه يقوّيك فى وصالك؟ قال : السمنُ، أشرُبه أجده يُبلّ عروقى، فأما الماء، فإنه يخرج من جسدى.[1]

= وما أشبه ذلك، ممن فعل ذلك، ممن يطولُ بذكرهم الكتاب؟

قيل : وجه من فعل ذلك إن شاء الله تعالى على طلب الخموصة لنفسه والقوة،[2] لا على طلب البرّ لله بفعله. وفعلهم ذلك نظيرُ ما كان عمر بن الخطاب يأمرهم به بقوله :

« اخشَوشِنوا وتَمعْددوا، وانزوا على الخيل نَزواً، واقطعوا الرُّكُب، وامشوا حُفاة ».[3]

---

(١) الخبر : ٣٠٣٠ — ابن أبي بكر المقدمى : هو أبو عثمان أحمد بن محمد بن أبي بكر المقدمى، شيخ الطبرى. و « الفروى »، بفتح الفاء وسكون الراء : هو إسحق بن محمد بن أبي فروة، وقد سبق مثل هذا الإسناد إلى مالك : ٨٧٦. ولكن قال الطبرى هناك : « حدثنا أبو عثمان المقدمى ». وهنا لم يذكر اسمه ولا كنيته، بل نسبه إلى جده.

(٢) « الخموصة » مصدر خمص بطنه خمصاً (بسكون الميم وفتحها) وخماصة. ولم يذكروا « الخموصة » فى كتب اللغة، وهو عربى عريق كقولهم : الفسالة والفسولة، والرذالة والرذولة، وفارس بين الفراسة والفروسة، ورجل جلد بين الجلادة والجلودة، وبطل بين البطالة والبطولة، وأشباه ذلك.

(٣) اخشوشن الرجل : لبس الخشن وتعوده، وأكل الخشن، وعاش عيشاً خشناً وبالغ فى

يأمرهم فى ذلك بالتخشن فى عيشهم ، لئلا يتنعموا فيركنوا إلى خَفْض العيش ، ويميلوا إلى الدعة فيجبُنوا ويحتموا عن أعدائهم .

= وقد رَغِب - لمن واصل - عن الوصال كثيرٌ من أهل الفضل : .

٣٠٣٢ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق : أنّ ابن أبى نُعم كان يواصل من الأيام ، حتى لا يستطيع أن يقومَ ، فقال عمرو بن ميمون : لو أدرَك هذا أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم رَجَمُوه .(١)

= ثم فى الأخبار المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهى عن الوصال ، التى يطول بإحصائها الكتاب ، تركنا ذكر أكثرها استغناءً بذكر بعضها ، إذ كان فى ذكر ما ذكرنا مُكتفًى عن الاستشهاد على كراهة الوصال بغيره .

٣٠٣٣ - حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله قال ، أخبرنى نافع ، عن ابن عمر : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهى عن الوصال ، قالوا : إنك تواصلُ يا رسول الله ! قال : إنى لست كأحدٍ منكم ، إنى أبيت أُطعَم وأسقَى .(٢)

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم الإذنُ بالوصال من السحر إلى السَّحر .

٣٠٣٤ - حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ، حدثنا

التخشن . وتمعدد الرجل : تشبه بعيش معد بن عدنان فى التشظف وترك التزيى بزى العجم . يعنى : اصبروا على عيش معد فى الحضر والسفر ، وتشبهوا بلباسه ، ودعوا زى الأعاجم . النزو : الوثب ، يأمرهم أن يثبوا على الخيل وثباً بلا استعانة بركاب . والركب جمع ركاب : وهو ما يكون فى سرج الفرس يضع الراكب فيه رجله ، فإذا كان مثله فى رحل البعير سمى « الغرز » .

(١) الأثر : ٣٠٣٢ - ابن أبى نعم ، هو « عبد الرحمن بن أبى نعم البجلى » الكوفى العابد . قال بكير بن عامر : لو قيل لعبد الرحمن : « قد توجه ملك الموت إليك يريد قبض روحك ! » ما كانت عنده زيادة على ما هو فيه . وكان صبوراً على الجوع الدائم ، وهو الذى دخل على الحجاج فى أيام الجماجم فوعظه . وأخذه الحجاج ليقتله ، وأدخله بيتاً مظلماً ، وسد الباب خمسة عشر يوماً ، ثم أمر بالباب ففتح ليخرج فيدفن . فدخلوا عليه فإذا هو قائم يصلى . فقال له الحجاج : سر حيث شئت .

(٢) الحديث : ٣٠٣٣ - يحيى بن سعيد : هو القطان .

شعيب ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الله بن خباب ، عن أبي سعيد الخدري : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تواصلوا، فأيُّكم أراد أن يُواصل فليواصل حتى السَّحر . قالوا : يا رسول الله ، إنك تواصل ! قال : إني لست كهيئتكم ، إنّى أبيت لى مُطعم يُطعمنى ، وَساقٍ يسقينى .(١)

٣٠٣٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو إسرائيل

عبيد الله : هو ابن عمر بن حفص بن عاصم ، مضت ترجمته : ٢٧٤٠ . ووقع فى المطبوعة هنا « عن عبد الله » — يعنى بالتكبير . و « عبد الله » : هو العمرى ، وهو أخو « عبيد الله » . وقد روى هذا الحديث من روايته أيضاً عن نافع ، كما سنذكر . ولكنا جزمنا بصحة « عبيد الله » — بالتصغير — فى هذا الإسناد ، لأن القطان رواه عن « عبيد الله » ، ولأن القطان كان لا يحدث عن « عبد الله » ، كما روى ذلك عند ابن أبى حاتم ٢/٢/١٠٩ فى ترجمة « عبد الله » ، وكذلك نقل فى التهذيب فى ترجمته .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٤٧٢١ ، عن يحيى القطان ، عن عبيد الله ، بهذا الإسناد .

ورواه أيضاً : ٥٧٩٥ ، عن محمد بن عبيد ، و ٦٢٩٩ ، عن ابن نمير — كلاهما عن عبيد الله . وكذلك رواه مسلم ١ : ٣٠٣ ، من طريق ابن نمير .

ورواه مالك فى الموطأ ، ص : ٣٠٠ ، عن نافع ، عن ابن عمر . وكذلك رواه أحمد : ٥٩١٧ ، ٦١٢٥ . والبخارى ٤ : ١٧٧ — كلاهما من طريق مالك .

ورواه أحمد أيضاً : ٦٤١٦ ، ومسلم ١ : ٣٠٣ — كلاهما من طريق عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافع .

وأما رواية « عبد الله » العمرى — فقد رواه أحمد : ٤٧٥٢ ، عن وكيع ، عن العمرى ، عن نافع .

(١) الحديث : ٣٠٣٤ — شعيب : هو ابن الليث بن سعد الإمام ، وهو ثقة معروف ، أخرج له مسلم وغيره . ووقع فى المطبوعة « أبو شعيب » ! وزيادة « أبو » خطأ ، لا معنى لها ولا موضع .

يزيد بن الهاد : هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، مضت ترجمته فى : ٢٠٣١ .

عبد الله بن خباب — بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء الموحدة — مولى بنى عدى بن النجار : تابعى ثقة ، وثقه أبو حاتم والنسائى ، وروى له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه البخارى ٤ : ١٧٧ ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، بهذا الإسناد .

ورواه أحمد فى المسند : ١١٠٧٠ (٣ : ٨ حلبى) ، عن قتيبة بن سعيد ، عن بكر بن مضر ، عن ابن الهاد — وكذلك رواه أبو داود : ٢٣٦١ ، عن قتيبة .

ورواه أحمد أيضاً : ١١٨٤٥ (٣ : ٨٧ حلبى) ، عن أبى سعيد ، عن عبد الله بن جعفر ، عن ابن الهاد .

العبسى ، عن أبى بكر بن حفص ، عن أمّ ولد حاطب بن أبى بلتعة : أنها مرّت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتسحّر ، فدعاها إلى الطعام فقالت : إنّى صائمة . قال : وكيف تصومين ؟ فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : أين أنت من وصال آل محمد صلى الله عليه وسلم ، من السَّحر إلى السَّحر .[1]

* * *

فتأويل الآية إذاً : ثم أتموا الكفّ عما أمركم الله بالكفّ عنه ، من حين يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، إلى الليل . ثم حلّ لكم ذلك بعده إلى مثل ذلك الوقت ، كما : —

٣٠٣٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ثم أتمّوا الصيامَ إلى الليل » ، قال : من هذه الحدود الأربعة ، فقرأ « أحِلّ لكم

ورواه البخارى أيضاً ٤ : ١٨١ ، من طريق ابن أبى حازم ، عن ابن الهاد .

وذكره السيوطى ١ : ٢٠٠ ، ونسبه للبخارى وأبى داود .

وذكره أيضاً ابن كثير ١ : ٤٢٦ ، وقال : « أخرجاه فى الصحيحين » فوهم وهماً شديداً ، رحمه الله ، فإن مسلماً لم يخرجه فى صحيحه . وقد نص الحافظ فى الفتح ٤ : ٢١٧ ، فى آخر كتاب الصيام ، على أنه من أفراد البخارى .

(١) الحديث : ٣٠٣٥ — أبو نعيم : هو الفضل بن دكين — بضم الدال المهملة وفتح الكاف — ثقة حافظ من شيوخ أحمد ، قال أحمد : « هو على قلة روايته أثبت من وكيع » ، وقال أيضاً : « كان يقظان فى الحديث ، عارفاً به » .

أبو إسرائيل العبسى : هو إسمعيل بن خليفة الملائى — بضم الميم وتخفيف اللام وهمزة بعد الألف . وهو ضعيف ، بينا ضعفه فى شرح المسند : ٩٧٤ .

أبو بكر بن حفص : هو عبد الله بن حفص بن عمر بن سعد بن أبى وقاص . وهو تابعى ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

أم ولد حاطب بن أبى بلتعة : لم أعرف من هى ، ولا وجدت لها ترجمة ولا ذكراً . ولو صح الإسناد إليها لم يكن بذلك بأس ، لأن جهالة الصحابى لا تضر . ولكن الإسناد ضعيف .

وهذا الحديث لم أجده عند أحد غير الطبرى . وقد نقله عنه ابن كثير ١ : ٤٢٦ ، بإسناده . ولم يزد شيئاً فى تخريجه . ولم يذكره السيوطى .

ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم» فقرأ حتى بَلغ « ثم أتمُّوا الصيام إلى الليل ». وكان أبى وغيره من مَشيختِنا يقولون هذا ويتلونه علينا.[١]

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره — بقوله: « ولا تباشرُوهن » ، لا تجامعوا نساءكم.[٢]

* * *

= وبقوله: « وأنتم عاكفونَ فى المساجد » ، يقول: فى حال عُكوفكم فى المساجد ، وتلك حال حَبْسهم أنفسَهم على عبادة الله فى مساجدهم.

* * *

« والعكوف» أصله المقام، وحبسُ النفس على الشىء،[٣] كما قال الطِّرِمَّاح ابن حَكيم:

فَبَاتَ بَنَاتُ اللَّيلِ حَوْلِىَ عُكَّفًا عُكُوفَ البواكِى بَيْنَهُنَّ صَرِيعُ[٤]

---

(١) الأثر : ٣٠٣٦ — أبوه ، هو زيد بن أسلم العدوى أبو أسامة الفقيه مولى عمر . روى عن أبيه وابن عمر وأبى هريرة وعائشة وطائفة من أصحاب رسول الله ، كان ثقة من أهل الفقه والعلم ، وكان عالماً بتفسير القرآن . مات سنة ١٣٦ .

(٢) انظر تفسير « المباشرة » فيما سلف قريباً : ٥٠٣ — ٥٠٥ .

(٣) انظر تفسير « العكوف » فيما سلف من هذا الجزء ٣ : ٤١، ٤٢ .

(٤) ديوانه : ١٥٣ ، واللسان (بنو) غير منسوب عن ثعلب ، ورواه : « بينهن قتيل » . وقال الثعالبى فى المضاف والمنسوب : ٢١٩ : « بنات الليل » : الأحلام ، والنساء ، وأهوال الليل ، والمنى ، وبكلها جاء الشعر » . وأراد الطرماح : ما يعالج من ذكرى صاحبته ، وما يخالط ذلك من منى وهموم وشقاء يشق به من حسرة وشوق ولهفة . وهو بيت جميل المعنى ، جيد التصوير . جعل ذكرياته قد استدارت حوله تبكى عليه ، وهو بينهن صريع قد قضى نحبه .

يعنى بقوله : « عكفاً » ، مقيمة ، وكما قال الفرزدق :

تَرَى حَوْلَهُنَّ المُعْتَفِينَ كأَنَّهُمْ عَلَى صَنَمٍ فِى الجاهِلِيَّةِ عُكَّفُ[1]

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى « المباشرة » التى عنى الله بقوله : « ولا تُباشروهن » .

١٠٥/٢ فقال بعضهم : معنى ذلك : الجماعُ دون غيره من معانى « المباشرة » .

* ذكر من قال ذلك :

٣٠٣٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « ولا تُباشروهنّ وأنتم عاكفون فى المساجد » — فى رمضان أو فى غير رمضان ، فحرَّم الله أن يَنكح النساء ليلاً ونهاراً حتى يَقضى اعتكافه .

٣٠٣٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قال : قال لى عطاء : « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد » ، قال : الجماع .

---

(١) ديوانه : ٥٦١ ، والنقائض : ٥٦٣ ، من أبيات جياد يصف فيها قدور أهله الكرام ، يقول قبله :

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوامُ أَنَّ قُدُورنَا ضَوَامِنُ للأَرْزَاقِ والرِّيحُ زَفْزَفُ
نُعَجِّلُ للضِّيفَانِ فِى المَحْلِ بالقِرَى قُدُوراً بِمَعْبُوطٍ ، تُمَدُّ وتُغرَفُ
تُفَرَّغُ فِى شِيزَى كأَنَّ جِفَانَهَا حِيَاضُ جِبًى ، منها مِلاَءٌ ونُصَّفُ

الشيزى : خشب منه القدور تصنع . حياض جبى : حياض يجمع فيها الماء فهى ملأى أبداً . والمعتفون : الذين جاءوا يطلبون الرزق . يصفهم جياعاً قد ثبتوا فى أماكنهم ينتظرون ، متلهفين وهم يكظمون أنفسهم ، قد ماتت أصواتهم ، كأنهم عباد قد خشعوا وخضعوا وأملوا .

٣٠٣٩ ــ حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن علقمة ابن مرثد، عن الضحاك قال: كانوا يُجامعون وهم مُعتكفون، حتى نزلت: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد».

٣٠٤٠ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن الضحاك فى قوله: «ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون فى المساجد»، قال: كان الرجل إذا اعتكف فخرّج من المسجد جامع إن شاء، فقال الله: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد»، يقول: لا تقرّبوهن مادمتم عاكفين، فى مسجد ولا غيره.

٣٠٤١ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن جويبر، عن الضحاك نحوه.

٣٠٤٢ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: كان أناس يُصيبون نساءهم وهم عاكفون فيها، فنهاهم الله عن ذلك.

٣٠٤٣ ــ وحدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد»، قال: كان الرجل إذا خرج من المسجد وهو معتكف ولقى امرأته باشَرها إن شاء، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، وأخبرهم أنّ ذلك لا يصلح حتى يَقضىَ اعتكافه.

٣٠٤٤ ــ حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد»، يقول: من اعتكف فإنه يصوم، لا يَحل له النساء ما دام معتكفاً.

٣٠٤٥ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد»، قال: الجوارُ، فإذا خرج أحدكم من بيته إلى بيت الله فلا يقرب النساء.

٣٠٤٦ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : كان ابن عباس يقول : من خرج من بيته إلى بيت الله فلا يقرَب النساء.

٣٠٤٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد » ، قال : كان الناس إذا اعتكفوا يخرُج الرجل فيباشر أهله ثم يرجع إلى المسجد ، فنهاهم الله عن ذلك .

٣٠٤٨ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس ، كانوا إذا اعتكفوا فخرج الرجل إلى الغائط جامع امرأته ثم اغتسل ، ثم رجع إلى اعتكافه . فنُهوا عن ذلك = قال ابن جريج : قال مجاهد : نُهوا عن جماع النساء في المساجد، حيث كانت الأنصار تجامع ، فقال : «لا تباشروهن وأنتم عاكفون » ، قال : « عاكفون » ، الجوارُ = قال ابن جريج : فقلت لعطاء : الجماعُ المباشرة ؟ قال : الجماع نفسه ! فقلت له : فالقُبلة في المسجد والمسَّة؟ فقال: أما ما حُرِّم فالجماع ، وأنا أكره كل شيء من ذلك في المسجد .

٣٠٤٩ ــ حدثت عن حسين بن الفرج قال، حدثنا الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك: « ولا تباشروهن » ، يعني الجماع .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك على جميع معاني «المباشرة» ، من لَمْس وقُبلة وجماع .

* ذكر من قال ذلك :

٣٠٥٠ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال مالك بن أنس : لا يمس المعتكف امرأته، ولا يباشرُها ، ولا يتلذذ منها بشيء ، قُبلةٍ ولا غيرها .[١]

---

(١) في الموطأ : ٣١٨ بنصه .

٣٠٥١ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تُباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد » ، قال : المباشرة الجماعُ وغيرُ الجماع ، كلُّه محرم عليه . قال : « المباشرة » بغير جماع ، إلصاقُ الجلد بالجلد.

* * *

قال أبوجعفر : وعلة من قال هذا القول : أن الله تعالى ذكره عمّ بالنهى عن المباشرة ، ولم يخصص منها شيئاً دون شىء . فذلك على ما عمَّه ، حتى تأتى حجة يجب التسليم لها بأنه عنى به مباشرةً دون مباشرةٍ .

* * *

وأولى القولين عندى بالصواب قول من قال : معنى ذلك : الجماعُ، أو ما قام مقامَ الجماع ،مما أوجبَ غسلاً إيجابَه. وذلك أنه لا قول فى ذلك إلا أحد قولين : إما جعل حكم الآية عامًّا ، أو جعل حكمها فى خاصٍّ من معانى المباشرة . وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن نساءه كنّ يُرجِّلنه وهو معتكف . فلمّا صح ذلك عنه ، عُلِم أنّ الذى عنى به من معانى المباشرة ، البعض دون الجميع

٣٠٥٢ — حدثنا على بن شعيب قال، حدثنا معن بن عيسى القزاز قال ، أخبرنا مالك ، عن الزهرى ، عن عروة وعن عمرة، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اعتكف يُدنى إلىّ رأسه فأرَجِّله.[1] ١٠٦/٢

---

(١) الحديث : ٣٠٥٢ — هكذا رواه مالك فى الموطأ ، ص : ٣١٢ ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة . فزاد فى الإسناد « عمرة » بين عروة وعائشة .

وكذلك رواه مسلم ١ : ٩٥ ، وأبو داود : ٢٤٦٧ — كلاهما من طريق مالك . وكذلك رواه الترمذى ٢ : ٧٢ ، من طريقه ، مع خطأ من الناسخين . وقال أبو داود : « لم يتابع أحد مالكاً على « عروة عن عمرة » . ورواه معمر وزياد بن سعد وغيرهما : عن الزهرى : عن عروة ، عن عائشة » . وقال الترمذى : « هكذا رواه غير واحد : عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عمرة ، عن عائشة . والصحيح : عن عروة وعمرة ، عن عائشة . هكذا روى الليث ، عن ابن شهاب ، عن عروة وعمرة ، عن عائشة » .

وقال الحافظ فى الفتح ٤ : ٢٣٦ « واتفقوا على أن الصواب قول الليث ، وأن الباقين اختصروا منه ذكر عمرة ، وأن ذكر عمرة فى رواية مالك — من المزيد فى متصل الأسانيد » . وهذا

٣٠٥٣ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، وعمرة : أن عائشة قالت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل البيتَ إلا لحاجة الإنسان ، وكان يدخل عليّ رأسَه وهو في المسجد فأرجِّله.(١)

٣٠٥٤ ــ حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا أبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه، عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُدني إليّ رأسه وهو مُجاورٌ في المسجد ، وأنا في حجرتي ، وأنا حائض ، فأغسله وأرَجِّله.(٢)

٣٠٥٥ ــ حدثنا سفيان قال ، حدثنا ابن فضيل ويعلى بن عبيد، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة، عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم

من الحافظ – عندي – تكلف لا داعي له . ومالك ، على إمامته وعلمه وحفظه . يخطيء كما يخطيء الناس ، فالظاهر أنه نسي في بعض أحيانه ، فجعل « عروة عن عمرة » بدل « عروة وعمرة » . وقد ثبت عن مالك أنه كان يرويه أحياناً على الصواب ، كما يظهر مما يأتي في : ٣٠٥٦ .

(١) الحديث : ٣٠٥٣ – يونس ، شيخ الطبري : هو ابن عبد الأعلى الصدفي – بفتح الصاد والدال المهملتين . مضت ترجمته : ١٦٧٩ .

ويونس – شيخ ابن وهب : هو ابن يزيد الأيلي . مضت ترجمته : ٢٣٧٧ .

وهذا الحديث تكرار للذي قبله . وقد رواه يونس عن الزهري ، عن عروة بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن – معاً – عن عائشة ، على الصواب .

وقد تابعه على ذلك الليث بن سعد عن الزهري. فرواه البخاري ٤ : ٢٣٦ ، ومسلم ١ : ٩٥ – ٩٦ . وأبو داود : ٢٤٦٨ ، والترمذي ٢ : ٧٢ – كلهم من طريق الليث ، عن الزهري ، عن عروة وعمرة – معاً – عن عائشة .

(٢) الحديث : ٣٠٥٤ – سفيان بن وكيع : فيه ضعف ، كما قلنا مراراً . ولكنه لم ينفرد بروايته من هذا الوجه ، كما سنذكر .

فقد رواه ابن ماجة : ١٧٧٨ ، عن علي بن محمد ، عن وكيع ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه البخاري ٤ : ٢٣٦ ، من طريق يحيى و ١٠ : ٣١٠ ، من طريق مالك . ورواه مسلم ١ : ٩٦ ، من طريق أبي خيثمة . ورواه أبو داود : ٢٤٦٩ ، من طريق حماد بن زيد . والنسائي ١ : ٦٨ ، من طريق مالك أيضاً – كلهم عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة .

والحديث مكرر ما قبله .

يعتكفُ فيخرجُ إليّ رأسه من المسجد وهو عاكفٌ ، فأغسِله وأنا حائض .[١]

٣٠٥٦ — حدثني محمد بن معمر قال ، حدثنا حماد بن مسعدة قال ، حدثنا مالك بن أنس ، عن الزهري وهشام بن عروة جميعاً ، عن عروة ، عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُخرج رأسه فأرجّله وهو معتكف .[٢]

* * *

فإذْ كان صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا من غَسل عائشة

---

(١) الحديث : ٣٠٥٥ — سفيان : هو ابن وكيع . ابن فضيل : هو محمد .
تميم بن سلمة السلمي الكوفي : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره .
والحديث رواه أيضاً النسائي ١ : ٦٨ ، من طريق الفضيل بن عياض ، عن الأعمش . بهذا الإسناد .
وهو مكرر ما قبله .

(٢) الحديث : ٣٠٥٦ — محمد بن معمر ، شيخ الطبري : مضت ترجمته : ٢٤١ .
حماد بن مسعدة البصري : ثقة من شيوخ أحمد وإسحق ، وثقه ابن سعد ، وأبو حاتم . وغيرهما .
والحديث مكرر ما قبله .

وقد روى حماد بن مسعدة هذا الحديث عن مالك — على الصواب : أنه من رواية مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة ، وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، دون وساطة « عمرة » بين عروة وخالته عائشة . خلافاً للرواية التي في الموطأ بإثبات الوساطة . والتي مضى مثلها : ٣٠٥٢ من رواية معن بن عيسى عن مالك . فكأن مالكاً سها في تلك الرواية ، حين جعل « عمرة » بين عروة وعائشة ، وكان يذكر الصواب أحياناً ، فيرويه من حديث عروة عن عائشة مباشرة . والحديث ثابت من رواية عروة عن عائشة ، ومن رواية عمرة عن عائشة ، سمعه الزهري كذلك من عروة ، ومن عمرة ، كما بينا في : ٣٠٥٣ . وسمعه هشام بن عروة من أبيه عن عائشة ، كما مضى في ٣٠٥٤ ، وفي طرقه التي خرجناها هناك .

وكذلك رواه البخاري من هذا الوجه ، ولكنه فرقه حديثين بإسناد واحد : فرواه ١٠ : ٣١٠ ، عن عبد الله بن يوسف : « أخبرنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة » — فذكره مختصراً . ثم قال : « حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة — مثله » .

وقد تابعه على ذلك معمر — في الزهري . فرواه البخاري ٤ : ٢٤٦ ، من طريق هشام بن يوسف . ورواه النسائي ١ : ٦٨ ، من طريق عبد الأعلى — كلاهما عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة .

ويؤيده هذه الروايات — في أن عروة رواه عن عائشة مباشرة : رواية مسلم إياه ١ : ٩٦ ، من رواية عمرو بن الحارث ، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ، عن عروة ، عن عائشة ، دون واسطة .

رأسه وهو معتكف ، فمعلوم أن المراد بقوله : « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد » ، غيرُ جميع ما لزمه اسم « المباشرة » = وأنه معنىٌّ به البعض من معانى المباشرة دون الجميع . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان مجمَعاً على أنّ الجماع مما عُنى به ، كان واجباً تحريم الجماع على المعتكف وما أشبهه ، وذلك كلُّ ما قام فى الالتذاذ مقامه من المباشرة .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : هذه الأشياء التى بيّنتها : من الأكل والشرب والجماع فى شهر رمضان نهاراً فى غير عذر ، وجماع النساء فى الاعتكاف فى المساجد ، يقول : هذه الأشياء حَدّدتها لكم ، وأمرْتكم أن تجتنبوها فى الأوقات التى أمرتكم أن تجتنبوها ، وحرّمتها فيها عليكم ، فلا تقرَبوها ، وابعُدوا منها أن تركبوها ، فتستحقّوا بها من العقوبة ما يستحقه من تعدّى حُدودى ، وخالف أمرى ، وركب معاصىَّ .

• • •

وكان بعض أهل التأويل يقول : « حدود الله » : شروطه . وذلك معنى قريب من المعنى الذى قلنا ، غيرَ أن الذى قلنا فى ذلك أشبه بتأويل الكلمة .

وذلك أن « حد » كل شىء : ما حَصره من المعانى وميّز بينه وبين غيره . فقوله : « تلك حدود الله » من ذلك ، يعنى به المحارم التى ميّزها من الحلال المطلق ، فحدّدها بنعوتها وصفاتها ، وعرّفها عبادَه .

• • •

• ذكر من قال إنّ ذلك بمعنى الشُّروط :

٣٠٥٧ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد . قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أما « حدود الله » ، فشروطه .

• • •

وقال بعضهم : « حدود الله » ، معاصيه .

• ذكر من قال ذلك :

٣٠٥٨ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك : « تلك حدود الله » ، يقول : معصية الله — يعنى المباشرةَ فى الاعتكاف

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٨٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : كما بينت لكم أيها الناس واجبَ فرائضى عليكم من الصوم ، وعرّفتكم حدودَه وأوقاته ، وما عليكم منه فى الحضر ، وما لكم فيه فى السفر والمرض ، وما اللازم لكم تجنُّبه فى حال اعتكافكم فى مساجدكم ، فأوضحت جميعَ ذلك لكم — فكذلك أبيِّن أحكامى ، وحلالى وحرامى ، وحدودى ، وأمرى ونهيى ، فى كتابى وتنزيلى ، وعلى لسان رسولى صلى الله عليه وسلم للناس .

• • •

ويعنى بقوله : « لعلهم يتقون » ، يقول : أبيِّن ذلك لهم ليتقوا محارمى ومعاصىَّ ، ويتجنَّبوا سَخطى وَغضبى ، بتركهم رُكوبَ ما أبيِّن لهم فى آياتى أنى قد حرَّمته عليهم ، وأمرتهم بهجره وتركه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ولا يأكل بعضُكم مالَ بعض بالباطل . فجعل تعالى ذكره بذلك آكلَ مال أخيه بالباطل ، كالآكل مالَ نَفسه بالباطل.

ونَظيرُ ذلك قولهُ تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : ١١]، وقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة النساء : ٢٩] ، بمعنى : لا يلمزْ بعضكم بعضاً ، ولا يقتلْ بعضكم بعضاً [١] لأن الله تعالى ذكره جعل المؤمنين إخوة ، فقاتل أخيه كقاتل نفسه ، ولامزُه كلامز نفسه . وكذلك تفعل العرب ، تكنى عن نفسها بأخواتها ، وعن أخواتها بأنفسها، فتقول : « أخى وأخوك أيُّنا أبطش » . يعنى : أنا وأنت نصْطرع ، فننظر أيُّنا أشدّ [٢] — فيكنى المتكلم عن نفسه بأخيه، لأن أخا الرجل عندها كنفسه ، ومن ذلك قول الشاعر : [٣]

١٠٧/٢ أَخِى وَأَخُوكَ بِبَطْنِ النُّسَيْـرِ ، لَيْسَ بِهِ مِنْ مَعَدٍّ عَرِيبْ [٤]

* * *

(١) انظر ما سلف مثل ذلك فى ٢ : ٣٠٠ ، ثم الآية : ٨٥ من سورة البقرة ٢ : ٣٠٣ لم يذكر فيها شيئاً من ذلك . ولم يبين هذا البيان فيما سلف . وهذا دليل على أنه كان أحياناً يختصر الكلام اختصاراً ، اعتماداً على ما مضى من كلامه ، أو ما يستقبل منه . كما قلت فى مقدمة التفسير .

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن : ١١٤ ، هذا بنصه .

(٣) هو ثعلبة بن عمرو (حزن) العبدى ، ابن أم حزنة . ويقال هو من بنى شيبان حليف فى عبد القيس . وكان من الفرسان (الاشتقاق لابن دريد : ١٩٧) . وانظر التعليق التالى .

(٤) المفضليات : ٥١٣ ، وتأويل مشكل القرآن : ١١٤ ، معجم ما استعجم : ١٠٣٨ . وفى المطبوعة : « ليس لنا » ، وأثبت ما فى المراجع ، وكأنها الصواب . ويقال : ليس بالدار عريب ،

فتأويل الكلام : ولا يأكلْ بعضكم أموال بعضٍ فيما بينكم بالباطل .

« وأكله بالباطل » : أكله من غير الوجه الذى أباحه الله لآكليه .

* * *

وأما قوله : « وتُدلوا بها إلى الحكام » ، فإنه يعنى : وتخاصموا بها — يعنى : بأموالكم — إلى الحكام «لتأكلوا فريقاً» = طائفة =[1] من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون .

أى ليس بها أحداً . و « النسير » ، تصغير « النسر » ، وهو مكان بديار بنى سليم . بيد أن ياقوت نقل عن الحازمى أنه بناحية نهاوند، واستشهد بهذا البيت. فإن يكن ذلك فابن أم حزنة هذا إسلامى : قال ياقوت ، قال سيف : « سار المسلمون من مرج القلعة نحو نهاوند ، حتى انتهوا إلى قلعة فيها قوم ، ففتحوها ، وخلفوا عليها النسير بن ثور فى عجل وحنيفة . وفتحها بعد فتح نهاوند ، ولم يشهد نهاوند عجلى ولا حنفى، لأنهم أقاموا مع النسير على القلعة ، فسميت به » (انظر تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٣ ، ٢٥١) .

فإن صح أن ابن أم حزنة كان فى بعث المسلمين ، كان هذا البيت مؤيداً لهذا القول . فإنه يقول له : أنا وأنت ببطن النسير ، ليس معنا فيه من أبناء معد (وهم العرب) أحد . وأما عن الحازمى إذا كان الموضع ببلاد العرب ، فهو يقول : ليس به أحد ، وقوله « من معد » فضول من القول . وقد ترجح عندى أنه شاعر إسلامى ، من بعض شعره فى المفضليات رقم ٧٤ ، وفى الوحشيات رقم : ٢١٧ ، (وانظر من نسب إلى أمه رقم : ٢٢ ، ٣٢) ، وله شعر فى حماسة البحترى : ٩٧ ، ١٠٣ .

وإن صحت رواية الطبرى : « ليس لنا من معد عريب » . فعريب، فى هذا البيت، هو صاحبه الذى ذكره فى أول الشعر فقال :

إنَّ عَرِيبًا وَإنْ سَاءنى أَحَبُّ حَبِيبٍ وَأَدْنَى قَرِيبْ

فيكون قوله : « معد » مصدر « عد يعد » . يقول : أنا وأنت ببطن النسير وحدنا ، لا يعد معنا أحد . يعنى أنهما خاليين بالمكان، ليس لك من ينصرك ولا لى من ينصرنى ، فهنالك يظهر صاحب البأس منهما، وقال بعد البيت :

فأقسَم بِاللهِ لا يَأتَلِي وأقْسَمْتُ إنْ نلتُهُ لا يَؤُوبْ

فَأَقْبلَ نَحْوِى عَلَى قُدْرةٍ فَلَمَّا دَنا صَدَقَتْهُ الكَذُوبْ

(١) انظر ما سلف فى تفسير «فريق» ٢ : ٢٢٤ ، ٤٠٢ .

ويعنى بقوله : « بالإثم » ، بالحرام الذى قد حرمه الله عليكم ،[١] « وأنتم تعلمون » ، أى : وأنتم تتعمَّدون أكل ذلك بالإثم ، على قصدٍ منكم إلى ما حرّم الله عليكم منه ، ومعرفةٍ بأن فعلكم ذلك معصية لله وإثم ،[٢] كما : —

٣٠٥٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتُدلوا بها إلى الحكام » ، فهذا فى الرجل يكون عليه مالٌ ، وليس عليه فيه بيِّنة ، فيجحد المال ، فيخاصمهم فيه إلى الحكام وهو يعرف أنّ الحق عليه ، وهو يعلم أنه آثم : آكلٌ حراماً .

٣٠٦٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وتُدلوا بها إلى الحكام » ، قال : لا تخاصم وأنت ظالم .

٣٠٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٠٦٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام » ، وكان يقال : من مشى مَع خصمه وهو له ظالم ، فهو آثم حتى يرجع إلى الحق . واعلم يا ابنَ آدم أن قَضاء القاضى لا يُحِلّ لك حراماً ولا يُحِقّ لك باطلاً ، وإنما يقضى القاضى بنحو ما يرىَ ويشهدُ به الشهود ، والقاضى بَشر يخطئ ويصيب . واعلموا أنه من قد قُضى له بالباطل ، فإن خصومته لم تنقض حتّى يجمع الله بينهما يوم القيامة ، فيقضى على المُبطل للمحق ، بأجوَد مما قُضى به للمبطل على المحقّ فى الدنيا .[٣]

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « الإثم » من هذا الجزء ٣ : ٣٩٩ — ٤٠٨ .

(٢) فى المطبوعة : « معصية الله » ، خطأ .

(٣) فى المطبوعة : « ويأخذ مما قضى به ... » ، والصواب ما أثبت من تفسير ابن كثير ١ : ٤٣٠ .

٣٠٦٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وتدلوا بها إلى الحكام » ، قال : لا تدلِ بمال أخيك إلى الحاكم وأنتَ تعلم أنك ظالم ، فإن قضاءه لا يُحلّ لك شيئاً كان حراماً عليك .

٣٠٦٤ — حدثنى موسى بن هرون قال،حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون »، أما « الباطل »، يقول: يظلم الرجل منكم صاحبَه ، ثم يخاصمه ليقطع ماله وهو يعلم أنه ظالم ، فذلك قوله : « وتدلوا بها إلى الحكام ».

٣٠٦٥ — حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثنى خالد الواسطى ، عن داود بن أبى هند، عن عكرمة قوله : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »، قال : هو الرجل يشترى السِّلعة فيردُّها ويردُّ معها دَراهم .

٣٠٦٦ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « ولا تأكلوا أموالكم بَينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام »، يقول: يكون أجدل منه وأعرَف بالحجة ، فيخاصمه فى ماله بالباطل ، ليأكل ماله بالباطل ، وقرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء : ٢٩]. قال: هذا القِمار الذى كان يَعمل به أهل الجاهلية .

* * *

وأصل « الإدلاء » : إرسال الرجل الدلو فى سَبب متعلقاً به فى البئر.[١] فقيل للمحتج لدعواه: « أدلَى بحجة كيت وكيت »، إذا كان حجته التى يحتج بها سَبباً

(١) السبب : الحبل .

له ، هو به متعلقٌ فى خصومته ، كتعلّق المستقى من بئر بدَلو قد أرسلها فيها بسببها الذى الدلو به متعلقة. يقال فيهما جميعاً — أعنى من الاحتجاج ، ومن إرسال الدلو فى البئر بسبب : « أدلى فلان بحجته ، فهو يُدلى بها إدلاء = وأدلى دلوه فى البئر ، فهو يدليها إدلاء » .

* * *

فأما قوله : « وتدلوا بها إلى الحكام »، فإن فيه وَجهين من الإعراب :

أحدهما : أن يكون قوله : « وتُدْلوا » جزماً عطفاً على قوله : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »، أى : ولا تدلوا بها إلى الحكام. وقد ذُكر أن ذلك كذلك فى قراءة أبَىٍّ بتكرير حرف النهى : « ولا َتدلوا بها إلى الحكام » .

والآخر منهما : النصب على الصرْف ،[1] فيكون معناه حينئذ : لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وأنتم تدلون بها إلى الحكام ، كما قال الشاعر :

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ، عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ[2]

يعنى : لا تنه عن خلق وأنتَ تأتى مثله .

وهو أنْ يكون فى موضع جزم — على ما ذُكر فى قراءة أبىّ — أحسن منه أن يكون َنصباً .

* * *

(١) فى المطبوعة : « على الظرف » ، وهو محض خطأ . وقد مضى تفسير معنى « الصرف » فى ١ : ٥٦٩ — ٥٧٠ ، والتعليق : ١ .

(٢) سلف تخريج هذا البيت فى ١ : ٥٦٩ ، إلا أنى سهوت فلم أذكر أنه آت فى هذا الموضع من التفسير ، وفى ٩ : ١٤٦ (بولاق) ، فقيده . وانظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ١١٥ .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾

قال أبو جعفر : ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن زيادة الأهلة ونقصانها واختلاف أحوالها ، فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية ، جواباً لهم فيما سألوا عنه . ١٠٨/٢

* ذكر الأخبار بذلك :

٣٠٦٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يَسألُونك عن الأهلة قُلْ هيَ مواقيت للناس » ، قال قتادة : سألوا نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك : لم جُعلت هذه الأهلة ؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون : « هى مَواقيت للناس » ، فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم ، ولمناسكهم وحجّهم ، ولعدة نسائهم ، ومَحلّ دَينهم ، فى أشياء . والله أعلم بما يُصلح خلقه .

٣٠٦٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : ذكر لنا أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : لم خُلقت الأهلة ؟ فأنزل الله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيتُ للناس والحج » ، جعلها الله مواقيتَ لصوم المسلمين وإفطارهم ، ولحجهم ومناسكهم ، وعدّة نسائهم ، وَحلّ ديونهم[1]

٣٠٦٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

(١) هكذا جاء فى هذه الآثار ٣٠٦٨ ، ٣٠٧٠ ، ٣٠٧٢ ، ٣٠٧٣ « حل ديونهم » . والذى فى كتب اللغة : « حل الدين يحل حلولا ومحلا (بكسر الحاء) » : أى وجب . وأستظهر أن يكون هذا المصدر « حلا » بفتح الحاء كنظائرها من اللغة كقولهم : « صد يصد صداً وصدوداً » ، ولو كسرت الحاء لكان وجهاً . وهذه الرواية قاضية على صحة هذا المصدر .

معمر ، عن قتادة فى قوله : « مواقيتُ للناس والحج » ، قال : هى مواقيت للناس فى حجهم وصومهم وفطرهم ونُسكهم .

٣٠٧٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال الناس : لم خلقت الأهلة ؟ فنزلت : « يسألونك عن الأهلة قُل هى مواقيت للناس » ، لصَومهم وإفطارهم وحَجهم ومَناسكم — قال : قال ابن عباس : ووقت حَجهم ، وعدة نسائهم ، وحَلّ دَينهم .

٣٠٧١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يسألونك عن الأهلة قلْ هى مواقيت للناس » ، فهى مواقيتُ الطلاق والحيض والحج .

٣٠٧٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، حدثنا الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس » ، يعنى : حَلّ دينهم ، ووقت حجهم ، وعدة نسائهم .

٣٠٧٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : سأل الناسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة ، فنزلت هذه الآية : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس » ، يعلمون بها حَلّ دينهم ، وعدة نسائهم ، ووقت حجهم .

٣٠٧٤ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد ، عن شريك ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن على : أنه سئل عن قوله : « مواقيت للناس » ، قال : هى مواقيتُ الشهر : هكذا وهكذا وهكذا — وقبض إبهامه — فإذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا ، فإن غُمّ عليكم فأتموا ثلاثين .[١]

* * *

(١) الخبر : ٣٠٧٤ — جابر : هو ابن يزيد الجعفى ، بينا أنه ضعيف جداً ، فى : ٢٣٤٠ . وأما شيخه « عبد الله بن يحيى » : فما عرفت من هو ؟ وأكبر ظنى أن الاسم محرف ، لم أستطع الوصول إلى صحته .

قال أبو جعفر : فتأويل الآية — إذ كان الأمرُ على ما ذكرنا عمن ذكرنا عنهُ قوله في ذلك — : يسألونك يا محمد عن الأهلة ومحاقها وسِرَارِها وتمامها واستوائها، وتغير أحوالها بزيادة ونُقصان ومَحاق واستسرار ، وما المعنى الذي خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة أبدًا على حال واحدة لا تتغير بزيادة ولا نقصان ؟ — فقلْ يا محمد : خالف بين ذلك ربُّكم لتصييره الأهلة = التي سألتم عن أمرها ، ومخالفة ما بينها وبين غيرها فيما خالف بينها وبينه = مواقيتَ لكم ولغيركم من بنى آدم في معايشهم ، ترقبون بزيادتها ونقصانها ومحاقها واستسرارها وإهلالكم إياها، أوقات حَلّ ديونكم، وانقضاء مدة إجارة من استأجرتموه ، وتصرُّم عدة نسائكم ، ووقت صومكم وإفطاركم ، فجعلها مواقيت للناس.

* * *

وأما قوله « والحج » ، فإنه يعنى : وللحجِّ. يقول : جعلها أيضاً ميقاتاً لحجكم ، تعرفون بها وقت مناسككم وحجكم

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٨٩)

قال أبو جعفر : قيل: نزلت هذه الآية في قوم كانوا لا يدخلون — إذا أحرموا — بيوتَهم من قبل أبوابها.

وهذا الخبر لم يذكره ابن كثير ، ولا السيوطى . وإنما أشار إليه ابن كثير إشارة ١ : ٤٣٠ .
وقد ورد معناه مرفوعاً ، في حديث صحيح ، رواه الحاكم ١ : ٤٢٣ ، من حديث عبد الله ابن عمر . وصححه ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير ١ : ٤٣٠ ، من رواية عبد الرزاق ، ثم أشار إلى رواية الحاكم إياه . وذكره السيوطى ١ : ٢٠٣ – ٢٠٤ ، ونسبه أيضاً للبيهقى .

* ذكر من قال ذلك :

٣٠٧٥ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن أبي إسحق قال : سمعت البراء يقول : كانت الأنصار إذا حجوا ورجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها. قال : فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه ، فقيل له فى ذلك، فنزلت هذه الآية: « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها». (١)

٣٠٧٦ — حدثنى سفيان بن وكيع قال، حدثنى أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن البراء قال : كانوا فى الجاهلية إذا أحرموا، أتوا البيوت من ظهورها ولم يأتوا من أبوابها ، فنزلت : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » الآية. (٢)

٣٠٧٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال، سمعت داود ، عن قيس بن حبتر : أن ناساً كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا حائطاً من بابه، ولا داراً من بابها أو بيتاً . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه داراً، وكان رجل من الأنصار يقال له : « رفاعة بن تابوت » فجاء فتسوّر الحائط ، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما خرج من باب الدار — أو قال : من باب البيت — خرج معه رفاعة ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حملك على ذلك؟ قال: يا رسول الله، رأيتك خرجت منه فخرجت منه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رجل أحمس! فقال: إن تكن رجلاً أحمس، فإن ديننا واحد! فأنزل الله تعالى ذكره : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن

٢/١٠٩

---

(١) الحديث : ٣٠٧٥ — رواه أبو داود الطيالسى : ٧١٧ ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، نحوه . ورواه البخارى مطولا ٣ : ٤٩٤ ، عن أبى الوليد ، عن شعبة ، بهذا الإسناد .

وذكره السيوطى ١ : ٢٠٤ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم . وسيأتى معناه بإسناد آخر ، عقبه .

(٢) الحديث : ٣٠٧٦ — هو مكرر ما قبله . وهو فى تفسير وكيع ، كما ذكر السيوطى ١ : ٢٠٤ .

ورواه البخارى ٨ : ١٣٧ ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، بهذا الإسناد .

البر من اتقى وأتوا البيوتَ من أبوابها » . (١)

٣٠٧٨ ــ حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « وليس البرُّ بأن تأتوا البيوتَ من ظُهورها » ، يقول : ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من كُوَّات في ظهور البيوت ، وأبواب في جنوبها ، تجعلها أهل الجاهلية . فنُهوا أن يدخلوا منها ، وأمِروا أن يدخلوا من أبوابها .

٣٠٧٩ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٠٨٠ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم

---

(١) الحديث : ٣٠٧٧ – داود : هو ابن أبي هند ، مضت ترجمته : ١٦٠٨ .

قيس بن حبتر النهشلي التميمي : تابعي ثقة ، وثقه أبو زرعة ، والنسائي ، وغيرهما .

« حبتر » : بفتح الحاء المهملة والتاء المثناة بينهما باء موحدة ساكنة . ووقع في المطبوعة هنا « جبير » ، وهو تصحيف . ووقع أيضاً هكذا مصحفاً في المواضع التي سنشير إليها من الفتح والإصابة والدر المنثور ، في هذا الحديث .

وهذا إسناد مرسل ، لأنه عن تابعي مرفوعاً ، فهو ضعيف .

والحديث ذكره السيوطي ١ : ٢٠٤ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

وذكره الحافظ في الإصابة ٢ : ٢٠٩ ، من تفسير عبد بن حميد . وذكره أيضاً في الفتح ٣ : ٤٩٤ ، مختصراً ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن جرير . وصرح في الموضعين بأنه حديث مرسل .

الأحمس : هو المتشدد في دينه الصلب . ثم كانت الحمس (جمع أحمس) هم قريش . وخزاعة ، لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً ، وكل من ولدت قريش من العرب وكنانة ، وجديلة قيس – وهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان ، وبنو عامر بن صعصعة ، وكل من نزل مكة من قبائل العرب . فكانت الحمس قد شددوا في دينهم على أنفسهم ، فكانوا إذا نسكوا لم يسلأوا سمناً ، ولم يطبخوا أقطاً ، ولم يدخروا لبناً ، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه ، ولم يحركوا شعراً ولا ظفرا ، ولا يبتنون في حجهم شعراً ولا وبراً ولا صوفاً ولا قطناً ، ولا يأكلون لحماً ، ولا يلبسون إلا جديداً ، ولا يطوفون بالبيت إلا في حذائهم وثيابهم ، ولا يمشون المسجد بأقدامهم تعظيما لبقعته ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، ولا يخرجون إلى عرفات ، يقولون : « نحن أهل الله » ، ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم ، ويطوفون بالصفا والمروة إذا انصرفوا من مزدلفة ، ويسكنون في ظعنهم قباب الأدم الحمر (المحبر لابن حبيب : ١٧٨ – ١٨٠ ، ثم سيرة ابن هشام ١ : ٢١١ – ٢١٦ / والطبري في التفسير رقم : ٣٨٤٠) .

قال : كان ناسٌ من أهل الحجاز إذا أحرموا لم يدخلوا من أبواب بيوتهم ودخلوا من ظهورها ، فنزلت : « ولكنِ البر من اتقى » الآية.

٣٠٨١ ـ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « وليس البر بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها ولكنَّ البر من اتقى وأتوا البيوتَ من أبوابها » ، قال : كان المشركون إذا أحرم الرجل منهم نَقب كُوَّةً فى ظهر بيته ، فجعل سُلَّماً ، فجعل يدخل منها . قال: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ومعه رجل من المشركين ، قال : فأتى الباب ليدخل فدخل منه . قال : فانطلق الرجل ليدخل من الكوة . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما شأنك ؟ فقال : إنىّ أحمس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أحمس.

٣٠٨٢ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال،أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن الزهرى قال : كان ناسٌ من الأنصار إذا أهلُّوا بالعمرة لم يَحل بينهم وبين السماء شيء ، يتحرَّجون من ذلك . وكان الرجل يخرج مُهلاً بالعمرة ، فتبدو له الحاجة بعد ما يخرج من بيته ، فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سَقف الباب أن يحول بينه وبين السماء ، فيفتح الجدار من وَرَائه ، ثم يقوم فى حجرته ، فيأمر بحاجته . فتخرج إليه من بيته ، حتى بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَّ زمنَ الحديبية بالعمرة، فدخل حجرة، فدخل رجل على أثره ، من الأنصار من بنى سَلِمة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إنىّ أحمس! قال الزهرى : وكانت الحُمس لا يبالون ذلك ، فقال الأنصارى : وأنا أحمس ! يقول : وأنا على دينك ، فأنزل الله تعالى ذكره : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظُهورها » .

٣٠٨٤ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وليس البر بأن تأتوا البيوت » الآية كلها ، قال قتادة : كان هذا الحى من الأنصار فى الجاهلية ، إذا أهلَّ أحدُهم بحجّ أو عمرة لا يدخلُ داراً من بابها ، إلا أن يتسور حائطاً تسوُّرًا ، وأسلموا وهم كذلك، فأنزل الله تعالى ذكره

فى ذلك ما تسمعون ، ونهاهم عن صنيعهم ذلك ، وأخبرهم أنه ليس من البر صنيعهم ذلك ، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها .

٣٠٨٥ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » ، فإن ناساً من العرَب كانوا إذا حجُّوا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، كانوا يَنقبون فى أدبارِها . فلما حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَجة الوداع ، أقبل يمشى ومعه رجل من أولئك وهو مسلم . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم باب البيت ، احتبس الرجل خلفه وأبى أن يدخل ، قال : يا رسول الله ، إنى أحمس ! — يقول : إنىّ محرم — وكان أولئك الذين يفعلون ذلك يسمون « الُحمس » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أيضاً أحمس ! فادخل . فدخل الرجل ، فأنزل الله تعالى ذكره : « وأتوا البيوت من أبوابها » .

٣٠٨٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وليس البر بأن يأتوا البيوت من ظُهورها ولكنّ البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها » ، وأنّ رجالاً من أهل المدينة كانوا إذا خاف أحدُهم من عَدوّه شيئاً أحرم فأمِن . فإذا أحرم لم يلج من باب بيته ، واتخذ نَقباً من ظَهر بيته . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، كان بها رجلٌ محرم كذلك — وأنّ أهل المدينة كانوا يُسمُّون البستان « الُحشّ » — وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دَخل بُستاناً ، فدخله من بابه ، ودخل معه ذلك المحرم . فناداه رجلٌ من ورائه : يا فلان ، إنك محرم وقد دخلت ! فقال : أنا أحمس ! فقال : يا رسول الله ، إن كنت محرماً فأنا محرم ، وإن كنت أحمسَ فأنا أحمسُ ! فأنزل الله تعالى ذكره : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظُهورها » ، إلى آخر الآية ، فأحل الله للمؤمنين أن يدخلوا من أبوابها .

٣٠٨٧ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ،

١١٠/٢ عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها » ، قال : كان أهل المدينة وغيرهم إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها ، وذلك أن يتسوّروها . فكان إذا أحرم أحدُهم لا يدخل البيت إلا أن يتسوّره من قِبَل ظهره . وأن النبي صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار ، فدخل رجلٌ على أثره ممن قد أحرم ، فأنكروا ذلك عليه ، وقالوا : هذا رجل فاجرٌ ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لم دخلت من الباب وقد أحرمت؟ فقال : رأيتُك يا رسول الله دخلتَ فدخلتُ على أثرك! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني أحمس ! — وقريش يومئذ تُدعى الحُمس — فلما أن قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الأنصاري : إن ديني دينك ! فأنزل الله تعالى ذكره : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » الآية .

٣٠٨٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : قلت لعطاء قوله : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » ، قال : كان أهل الجاهلية يأتون البيوت من ظهورها ويرَوْنه برًّا ، فقال : « البر » ، ثم نعت « البر » ، وأمر بأن يأتوا البيوت من أبوابها = قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله ابن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : كانت هذه الآية في الأنصار ، يأتون البيوت من ظهورها ، يتبرَّرُون بذلك.

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : وليس البر أيها الناس بأن تأتوا البيوت في حال إحرامكم من ظهورها ، ولكن البر من اتقى الله ، فخافه وتجنب محارمه ، وأطاعه بأداء فرائضه التي أمره بها . فأما إتيانُ البيوت من ظهورها فلا برَّ لله فيه ؛ فأتوها من حيثُ شئتم من أبوابها وغير أبوابها ، ما لم تعتقدوا تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال ، فإن ذلك غيرُ جائزٍ لكم اعتقادُه ، لأنه مما لم أحرمه عليكم.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : واتقوا الله أيها الناس ، فاحذروه وارهبوه ، بطاعته فيما أمركم به من فرائضه ، واجتناب ما نهاكم عنه ، لتفلحوا فتنجحوا فى طلباتكم لديه ، وتدركوا به البقاءَ فى جَنَّاته ، والخلودَ فى نعيمه .

* * *

وقد بينا معنى « الفلاح » فيما مضى قبلُ بما يدل عليه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (١٩٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فى تأويل هذه الآية .

فقال بعضهم : هذه الآية هى أول آية نَزلت فى أمر المسلمين بقتال أهل الشرك . وقالوا : أمر فيها المسلمون بقتال من قاتلهم من المشركين ، والكف عمن كفَّ عنهم ، ثم نُسخت بـ « براءة » .

* ذكر من قال ذلك :

٣٠٨٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبى جعفر ، عن أبى جعفر ، عن الربيع فى قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تَعتدوا إن الله لا يحبّ المعتدين » ، قال : هذه أوّل آية نزلت فى القتال

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٤٩ — ٢٥٠ .

بالمدينة . فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله ، ويكفُّ عمن كفَّ عنه، حتى نزلت« براءة » — ولم يذكر عبد الرحمن: « المدينة ».

٣٠٩٠ — حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وقاتِلوا فى سبيل الله الذين يُقاتلونكم » إلى آخر الآية ، قال: قد نسخ هذا ! وقرأ قول الله: ﴿ وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾[سورة التوبة: ٣٦]، وهذه الناسخة، وقرأ: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، حتى بلغ ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَاقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ إلى ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ١ — ٥]

* * *

وقال آخرون : بل ذلك أمر من الله تعالى ذكره للمسلمين بقتال الكفار ، لم ينسخ. وإنما الاعتداءُ الذى نهاهم الله عنه ، هو نهيه عن قتل النساء والذَّرارىّ. قالوا : والنهى عن قتلهم ثابتٌ حُكمه اليوم . قالوا : فلا شىء نُسخ من حكم هذه الآية .

* ذكر من قال ذلك :

٣٠٩١ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن صَدقة الدمشقى، عن يحيى بن يحيى الغسانى قال : كتبتُ إلى عمر بن العزيز أسألهُ عن قوله : « وقاتلوا فى سَبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يُحب المعتدين » ، قال : فكتب إلىّ : «إنّ ذلك فى النساء والذرية ومن لم يَنصِبْ لك الحرْب منهم ».

٣٠٩٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يُقاتلونكم » ، لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أمروا بقتال الكفار .

٣٠٩٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٠٩٤ — حدثنى على بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس: «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين»، يقول: لا تقتلوا النساء، ولا الصِّبيان، ولا الشيخ الكبير، ولا من ألقى إليكم السَّلَمَ وكفَّ يده. فإن فعلتم هذا فقد اعتديتم.

١١١/٢

٣٠٩٥ — حدثنى ابن البرقى قال، حدثنا عمرو بن أبى سلمة، عن سعيد ابن عبد العزيز قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدىّ بن أرطاة: «إنى وَجدتُ آية فى كتاب الله: «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين»، أى: لا تقاتل من لا يقاتلك، يعنى: النساء والصبيان والرُّهبان».

* * *

قال أبو جعفر: وأولى هذين القولين بالصواب، القولُ الذى قاله عمر بن عبد العزيز. لأن دعوى المدَّعى نَسْخَ آية يحتمل أن تكون غيرَ منسوخة، بغير دلالة على صحة دعواه، تحكُّم. والتحكم لا يعجِز عنه أحد.

* * *

وقد دللنا على معنى «النسخ»، والمعنى الذى من قبَله يَثبت صحة النسخ، بما قد أغنى عن إعادته فى هذا الموضع[1].

* * *

فتأويل الآية — إذا كان الأمر على ما وصفنا —: وقاتلوا أيها المؤمنون فى سبيل الله = وسبيلُه: طريقه الذى أوضحه، ودينه الذى شرعه لعباده = يقول لهم تعالى ذكره: قاتلوا فى طاعتى وعلى ما شرعت لكم من دينى، وادعوا إليه من وَلّى عنه واستكبر بالأيدى والألسن، حتى يُنيبوا إلى طاعتى، أو يعطوكم الجزية صَغاراً إن كانوا أهل كتاب. وأمرهم تعالى ذكره بقتال مَنْ كان منه قتال من مُقاتِلة أهل الكفر، دون من لم يكن منه قتال،[2] من نسائهم وذراريهم، فإنهم أموال وخَوَلٌ لهم، إذا غُلب المقاتلون منهم فقُهروا. فذلك معنى قوله: «قاتلوا فى سبيل الله الذين

(١) انظر ما سلف ٢: ٤٧١ — ٤٨٣، وهذا الجزء ٣: ٣٨٥

(٢) فى المطبوعة فى الموضعين: «فيه قتال»، وهو خطأ.

يقاتلونكم » . لأنه أباح الكف عمّن كف فلم يُقاتل من مشركى أهل الأوثان ، والكافّين عن قتال المسلمين من كفار أهل الكتاب على إعطاء الجزية صَغاراً .

فمعنى قوله : « ولا تعتدوا » : لا تقتلوا وليداً ولا امرأةً ، ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابيّين والمجوس ، « إنّ الله لا يُحب المعتدين » ، الذين يجاوزون حدوده ، فيستحلُّون ما حرَّمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حرَّم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين حيث أصبتم مَقاتلهم وأمكنكم قتلهم . وذلك هو معنى قوله : « حيث ثقفتموهم » .

* * *

ومعنى « الثِّقْفَة » بالأمر[2] : الحذق به والبصر ، يقال : « إنه لثَقِف لَقِفٌ » ، إذا كان جيد الحذر فى القتال ، بصيراً بمواقع القتل . وأما « التَّثْقيف » ، فمعنى غير هذا ، وهو التقويم .

* * *

فمعنى : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » ، اقتلوهم فى أى مكان تمكنتم من قتلهم ، وأبصرتم مقاتلهم .

* * *

(١) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف ٢ : ٣٠٧ ، وهذا الجزء ٣ : ٣٧٦ ثم : ٥٧٣

(٢) هذا مصدر لم أجده فى كتب اللغة ، وكأنه كما ضبطته بكسر الثاء على وزن « حكمة ونشدة » . والذى ذكروه : « ثقف الشىء ثقفاً وثقافاً وثقوفة » .

وأما قوله : «وأخرجوهم من حيث أخرجوكم» ، فإنه يُعنى بذلك المهاجرين الذين أخرِجوا من ديارهم ومنازلهم بمكة، فقال لهم تعالى ذكره : أخرجوا هؤلاء الذين يقاتلونكم — وقد أخرجوكم من دياركم — من مساكنهم وديارهم كما أخرجوكم منها.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : «والفتنة أشد من القتل» ، والشرك بالله أشدُّ من القتل.

* * *

وقد بينت فيما مضى أن أصل «الفتنة»، الابتلاءُ والاختبار.[1]

* * *

فتأويل الكلام : وابتلاءُ المؤمن فى دينه حتى يرجعَ عنه فيصير مشركاً بالله من بعد إسلامه ، أشدُّ عليه وأضرُّ من أن يُقتل مقيماً على دينه،متمسكاً عليه ، مُحقًّا فيه ، كما :—

٣٠٩٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : «والفتنة أشدُّ من القتل» ، قال : ارتداد المؤمن إلى الوثن أشدُّ عليه من القتل.

٣٠٩٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله.

٣٠٩٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «والفتنة أشدُّ من القتل» ، يقول : الشرك أشدُّ من القتل.

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٤٤ .

٣٠٩٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٣١٠٠ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « والفتنة أشدُّ من القتل »، يقول : الشرك أشدُّ من القتل .

٣١٠١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « والفتنة أشدُّ من القتل » ، قال : الشرك .

٣١٠٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد في قوله : « والفتنة أشدُّ من القتل » ، قال : الفتنة الشركُ .

٣١٠٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك: « والفتنة أشدُّ من القتل » ، قال: الشرك أشدُّ من القتل .

٣١٠٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله جل ذكره : « والفتنة أشدُّ من القتل » ، قال : فتنة الكفر.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ (١٩١)

١١٢/٢

قال أبو جعفر : والقَرَأَةُ مختلفة في قراءة ذلك .

فقرأته عامّة قراء المدينة ومكة : « ولا تُقاتلوهم عندَ المسجد الحرام حتى يُقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم » ، بمعنى : ولا تبتدئوا – أيها المؤمنون –

المشركين بالقتال عند المسجد الحرام ، حتى يبدأوكم به ، فإن بدأوكم به هناك عند المسجد الحرَام فى الحرم ، فاقتلوهم ، فإن الله جعل ثواب الكافرين على كفرهم وأعمالهم السيئة ، القتلُ فى الدنيا ، والخزى الطويل فى الآخرة ، كما :—

٣١٠٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تقاتلوهم عندَ المسجد الحرام حتى يُقاتلوكم فيه » ، كانوا لا يُقاتاون فيه حتى يُبدأوا بالقتال ، ثم نسخ بعدُ ذلك فقال : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » = حتى لا يكون شركٌ = « ويكون الدين لله » = أن يقال : لا إله إلا الله ، عليها قاتل نبىُّ الله ، وإليها دعا .

٣١٠٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ، عن قتادة : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم » ، فأمر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن لا يقاتلهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدأوا فيه بقتال . ثم نسخ الله ذلك بقوله : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥] ، فأمر الله نبيَّه إذا انقضى الأجل أن يقاتلهم فى الحِلِّ والحرَم وعند البيت ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسولُ الله .

٣١٠٧ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتاوكم فيه » ، فكانوا لا يقاتلونهم فيه ، ثم نسخ ذلك بعدُ فقال : « قاتلوهم حتى لا تكون فتنة » .

* * *

وقال بعضُهم : هذه آيةٌ محكمة غيرُ منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٠٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فإن قاتلوكم » ، فى الحرم فاقتلوهم كذلك جزاءُ الكافرين ،

لا تقاتل أحداً فيه ، فمن عدا عليك فقاتلك ، فقاتله كما يقاتلك .

* * *

وقرأ ذلك عُظْم قراء الكوفيين : « ولا تَقْتلوهم عند المسجد الحرام حتى يَقْتلوكم فيه فإن قَتلوكم فاقتلوهم » ، بمعنى : ولا تبدأوهم بقتل حتى يبدأوكم به .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٠٩ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، عن أبي حماد ، عن حمزة الزيات قال : قلت للأعمش : أرأيت قراءتك : « ولا تَقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يَقتلوكم فيه فإن قَتلوكم فاقتلوهم كذلك جَزاءُ الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفورٌ رَحيم » ، إذا قَتلوهم كيف يقتلونهم ؟ قال : إن العرب إذا قُتل منهم رجل ، قالوا : « قُتلنا » ، وإذا ضُرب منهم رجل قالوا : « ضربنا » .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هاتين القراءتين بالصواب ، قراءةُ من قرأ : « ولا تُقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم » . لأن الله تعالى ذكره لم يأمر نبيَّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حالٍ — إذا قاتلهم المشركون — بالاستسلام لهم حتى يَقتلوا منهم قتيلاً ، بعد ما أذن لهُ ولهم بقتالهم ، فتكونَ القراءة بالإذن بقتلهم بعد أن يَقتلوا منهم ، أولى من القراءة بما اخترنا . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أنه قد كان تعالى ذكره أذِن لهم بقتالهم ، إذا كان ابتداء القتال من المشركين ، قَبل أن يقتلوا منهم قتيلاً وبعد أن يقتلوا منهم قتيلاً .

وقد نسخ الله تعالى ذكره هذه الآية بقوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ،

---

(١) الخبر : ٣١٠٩ — عبد الرحمن بن أبي حماد سكين الكوفي : ترجمه ابن الجزري في طبقات القراء ١ : ٣٦٩ — ٣٧٠ ، وذكر أنه أخذ القراءة عن حمزة الزيات ، « وهو أحد الذين خلفوه في القيام بالقراءة » .

وأما شيخه — في هذا الإسناد — « أبو حماد » : فلا ندري من هو ؟ والظن أنه زيادة خطأ من الناسخين . وهكذا ظن أخي السيد محمود ، أيضاً .

وقوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾[سورة التوبة : ٥] ونحو ذلك من الآيات .

* * *

وقد ذكرنا بعضَ قول من قال هي منسوخة ، وسنذكر قول من حضرنا ذكرُه ممن لم يُذكر .

٣١١٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ولا تُقاتلوهم عندَ المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » ، قال : نسخها قوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾

٣١١١ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يُقاتلوكم فيه » ، قال : حتى يبدأوكم ، كان هذا قد حُرِّم فأحل الله ذلك له ، فلم يزل ثابتاً حتى أمره الله بقتالهم بعدُ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٩٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : فإن انتهى الكافرون الذين يقاتلونكم عن قتالكم وكفرهم بالله ، فتركوا ذلك وتابوا ، « فإن الله غَفورٌ» لذنوب من آمن منهم وتاب من شركه ،وأناب إلى الله من معاصيه التى سلفت منه ،وأيامه التى مَضت =«رحيم» به فى آخرته ، بفضله عليه ، وإعطائه ما يعطى أهل طاعته من الثواب ، بإنابته إلى محبته من مَعصيته ، كما :—

٣١١٢ — حدثنا المثنى قال،حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « فإن انتهوا » = فإن تابوا = « فإن الله غفورٌ رَحيم » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾

١١٣/٢

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتّى لا تكون فتنة = يعنى : حتّى لا يكون شركٌ بالله ، وحتّى لا يُعبد دونه أحدٌ ، وتضمحلّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكونَ العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان ، كما قال قتادة فيما : —

٣١١٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة » ، قال : حتّى لا يكون شرك .

٣١١٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة » ، قال : حتّى لا يكون شرك .

٣١١٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة » ، قال : الشرك ، « ويكون الدّين لله » .

٣١١٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣١١٧ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة » ، قال : أما الفتنة فالشرك .

٣١١٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وقاتلوهم حتّى لا تكونَ فتنة » ، يقول : قاتلوا حتّى لا يكون شرك .

٣١١٩ — حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : «وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنة» ، أى شركٌ

٣١٢٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة» ، قال : حتى لا يكون كفر ، وقرأ{ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ } [سورة الفتح : ١٦].

٣١٢١ — حدثني على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة» ، يقول : شركٌ .

* * *

وأما «الدين» ، الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، [1] فهو العبادة والطاعة لله فى أمره ونهيه ، من ذلك قول الأعشى :

هُوَ دَانَ الرِّبَابَ ، إذْ كَرِهُوا الدِّيـ نَ ، دِرَاكاً بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ [2]

يعنى بقوله : «إذ كرهوا الدين» ، إذ كرهوا الطاعة وأبَوْها .

* * *

(١) انظر معنى «الدين» فيما سلف ١ : ١٥٥ ، ٢٢١ .

(٢) ديوانه : ١٢ وسيأتى فى التفسير ٣ : ١٤١ (بولاق) ، قالها فى مدح الأسود بن المنذر اللخمى ، أخى النعمان بن المنذر لأمه ، وأم الأسود من تيم الرباب . هذا قول أبى عبيدة ، والصواب ما قال غيره: أنه قالها فى مدح المنذر بن الأسود ، وكان غزا الحليفين أسداً وذبيان ، ثم أغار على الطف ، فأصاب نعماً وأسرى وسبياً من رهط الأعشى بنى سعد بن ضبيعة بن ثعلبة ، والأعشى غائب . فلما قدم وجد الحى مباحاً . فأتاه فأنشده ، وسأله أن يهب له الأسرى ويحملهم ، ففعل .

والرباب (بكسر الراء) هم بنو عبد مناة بن أد : تيم وعدى وعوف وثور ، اجتمعوا فتحالفوا مع بنى عمهم ضبة بن أد ، على بنى عمهم تميم بن أد . فجاؤوا برب (تمر مطبوخ) فغمسوا فيه أيديهم ، فسموا «الرباب» ، ثم خرجت ضبة عنهم ، واكتفت بعددها .

وقوله : «دان الرباب» أى أذلهم واستعبدهم وحملهم على الطاعة . وقوله : «دراكاً» ، متتابعاً يدرك بعضه بعضاً . والصيال : السطوة . صال على عدوه : وثب عليه وسطا . يقول تابع غزوهم والسطو عليهم حتى دانوا بالطاعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٢٢ — حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع : «ويكونَ الدِّينُ لله» ، يقول : حتى لا يُعبد إلا الله ، وذلك «لا إله إلا الله» ، عليه قاتل النبيُّ صلى الله عليه وسلم وإليه دعا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «إنى أمرتُ أن أقاتِل الناسَ حتى يَقولوا لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك فقد عَصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها ، وحسابهم على الله» .

٣١٢٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : «ويكون الدِّينُ لله» = أن يقال: «لا إله إلا الله»، ذُكِر لنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «إنَّ الله أمرَنى أنْ أقاتِل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلاَّ الله»، ثم ذكر مثل حديث الربيع .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : «فإن انتهوا»، فإن انتهى الذين يقاتلونكم من الكفار عن قتالكم ، ودخلوا فى ملتكم ، وأقرُّوا بما ألزمكم الله من فرائضه ، وتركوا ما هم عليه من عبادة الأوثان ، فدعوا الاعتداءَ عليهم وقتالَهم وجهادَهم ، فإنه لا ينبغى أن يُعتدى إلا على الظالمين — وهم المشركون بالله ، والذين تركوا عبادته وعبدوا غيرَ خالقهم .

* * *

فإن قال قائل : وهل يجوز الاعتداء على الظالم فيقال : « فَلا عُدوان إلاّ على الظالمين » ؟ (١)

قيل: إن المعنى فى ذلك على غير الوجه الذى إليه ذهبتَ. وإنما ذلك على وجه المجازاة ، لما كان من المشركين من الاعتداء . يقول : افعلوا بهم مثل الذى فعلوا بكم ، كما يقال : « إن تَعاطيتَ منّى ظلماً تعاطيته منك » ، والثانى ليس بظلم ، كما قال عمرو بن شأس الأسدىّ :

جَزَيْنَا ذَوِى العُدْوَانِ بِالأَمْسِ قَرْضَهُمْ قِصَاصاً ، سَواءً حَذْوَكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ (٢)

وإنما كان ذلك نظير قوله : ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : ١٥] ، وَ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٧٩] ، وقد بينا وجه ذلك ونظائره فيما مَضى قبلُ (٣) .

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك من التأويل قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٢٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلا عُدوان إلا على الظالمين » ، والظالم الذى أبى أن يقول : « لا إله إلا الله » .

٣١٢٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فلا عُدوان إلاّ على الظالمين » ، قال : هم المشركون . ١١٤/٢

٣١٢٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا عثمان بن غياث قال ، سمعت عكرمة فى هذه الآية : « فلا عدوان إلاّ على الظالمين » ،

---

(١) انظر معنى « العدوان » فيما سلف ٢ : ٣٠٧ ، وهذا الجزء ٣ : ٣٧٦ ، ٥٦٤
(٢) لم أجد البيت ، وشعر عمرو بن شأس على كثرته وجودته ، قد ضاع أكثره .
(٣) انظر ما سلف ١ : ٣٠١ – ٣٠٦ .

قال : هُم من أبى أن يقول : « لا إله إلاّ الله » .

* * *

وقال آخرون معنى قوله : « فلا عدوان إلاّ على الظالمين » ، فلا تقاتل إلا من قاتل .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٢٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فإن انتهوا فلا عُدوان إلاّ على الظالمين » ، يقول : لا تقاتلوا إلاّ من قاتلكم .

٣١٢٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣١٢٩ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « فإن انتهوا فلا عُدوان إلاّ على الظالمين » ، فإنّ الله لا يحب العُدوان على الظالمين ولا على غيرهم، ولكن يقول : اعتدُوا عليهم بمثل ما اعتدوْا عليكم .

* * *

قال أبو جعفر : فكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول فى قوله : « فإن انتهوْا فلا عُدوان إلا على الظالمين » ، لا يجوز أن يقول : « فإن انتهوا » إلاّ وقد علم أنهم لا يَنتهون إلاّ بعضهم ، فكأنه قال : فإن انتهى بعضُهم ، فلا عُدوان إلاّ على الظالمين منهم . فأضمر ، كما قال : ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦]، يريد: فعليه ما استيسر من الهدى ، وكما يقول : « إلى مَن تقصد أقصد » ، يعنى : إليه .

وكان بعضهم ينكر الإضمار فى ذلك ، ويتأوله : فإن انتهوا فإن الله غفورٌ رحيم لمن انتهى ، ولا عُدوان إلاّ على الظالمين الذين لا ينتهون .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « الشهر الحرام بالشهر الحرام » ، ذا القعدة ، وهو الشهر الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اعتمر فيه عُمرة الحديبية ، فصدّه مشركو أهل مكة عن البيت ودخول مكة ، سنة ست من هجرته . وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين فى تلك السنة ، على أن يعود من العام المقبل فيدخل مكة ويقيم ثلاثاً . فلما كان العامُ المقبل ، وذلك سنة سبع من هجرته ، خرج معتمراً وأصحابه فى ذى القَعدة — وهو الشهر الذى كان المشركون صدُّوه عن البيت فيه فى سنة ست — وأخلى له أهل مكة البلد حتى دخلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقضى حاجته منها ، وأتم عمرته ، وأقام بها ثلاثاً — ثم خرج منها منصرفاً إلى المدينة. فقال الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمسلمين مَعه «الشهرُ الحرام» = يعنى ذا القَعدة ، الذى أوصَلكم الله فيه إلى حَرَمه وبيته ، على كراهة مشركى قُريش ذلك ، حتى قضيتم منه وَطَركم = « بالشهر الحرام » ، الذى صدكم مشركو قريش العامَ الماضىَ قَبله فيه حتى انصرفتم عن كره منكم عن الحرم ، فلم تدخلوه ، ولم تصلوا إلى بيت الله ، فأقصَّكم الله أيها المؤمنون من المشركين بإدخالكم الحرم فى الشهر الحرام على كره منهم لذلك ، بما كان منهم إليكم فى الشهر الحرام من الصدّ والمنْع من الوصول إلى البيت ، كما : —

٣١٣٠ — حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ، حدثنا يوسف — يعنى : ابن خالد السَّمْتىّ — قال ، حدثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « والحرمات قصاص » ، قال : هم المشركون ، حبسوا محمداً صلى الله عليه وسلم

فى ذى القَعدة، فرَجّعه الله فى ذى القَعدة فأدخله البيتَ الحرام، فاقتص له منهم.[1]

٣١٣١ - حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله جل ثناؤه: «الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحرُماتُ قِصَاص»، قال: فخرت قريش بردِّها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم الحُديبية محرِماً فى ذى القَعدة عن البلد الحرام، فأدخله الله مكة فى العام المقبل من ذى القَعدة، فقضى عُمرته، وأقصَّه بما حيل بينه وبينها يوم الحديبية.

٣١٣٢ - حدثنى المثنى قال، حدثنى أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد مثله.

٣١٣٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحرُمات قِصَاص»، أقبل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاعتمروا فى ذى القَعدة ومعهم الهدى، حتى إذا كانوا بالحديبية صدّهم المشركون. فصالحهم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم على أن يرجع من عامه ذلك، حتى يرجع من العام المقبل فيكون بمكة ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بسلاح راكب ويخرج، ولا يخرج بأحدٍ من أهل مكة، فنحروا الهدْى بالحديبية، وحلَّقوا وقصَّروا. حتى إذا كان من العام المقبل، أقبل نبيُّ الله وأصحابه حتى دخلوا مكة، فاعتمروا فى ذى القَعدة، فأقاموا بها ثلاث ليال. فكان المشركون قد فخروا عليه حين ردُّوه يوم الحديبية، فأقصَّه الله منهم، فأدخله مكة فى ذلك الشهر الذى كانوا ردُّوه فيه فى ذى القَعدة. فقال الله: «الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحرُمات قِصَاص». ١١

(١) الخبر: ٣١٣٠ - محمد بن عبد الله بن بزيع - بفتح الباء الموحدة وكسر الزاى - شيخ الطبرى: ثقة، وثقه أبو حاتم وغيره، وروى عنه مسلم فى صحيحه. وقد مضى مثل هذا الإسناد، ولكن حرف فيه اسم جده إلى «زريع»، وذكرنا أنه غير معروف، واحتمال أن يكون صوابه «بن بزيع» فى: ٢٤٥١ - فقد تبين الصواب هنا.

يوسف بن خالد السمتى: ضعيف جداً كذاب، كما ذكرنا فى ذاك الإسناد، ووقع فى المطبوعة هنا «السهمى»، بدل «السمتى». وهو خطأ.

٣١٣٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة وعن عثمان ، عن مقسم فى قوله : « الشهرُ الحرام بالشهر الحرام والحرُمات قصَاص ». قالا : كان هذا فى سَفر الحديبية ، صدّ المشركون النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت فى الشهر الحرام ، فقاضوا المشركين يومئذ قضيّة :[1] أنّ لكم أن تعتمروا فى العام المقبل ــ فى هذا الشهر الذى صدُّوهم فيه . فجعل الله تعالى ذكره لهم شهراً حراماً يعتمرون فيه ، مكانَ شهرهم الذى صُدُّوا ، فلذلك قال : « والحرُمات قصَاص » .

٣١٣٥ ــ حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « الشهرُ الحرام بالشهر الحرام والحرمات قِصَاص »، قال : لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمرة الحديبية فى ذى القعدة سنة ستٍّ من مُهاجَره ، صدّه المشركون وأبوا أن يتركوه . ثم إنهم صالحوه فى صُلحهم على أن يُخلّوا له مكة من عام قابل ثلاثةَ أيام ، يخرجون ويتركونه فيها . فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خَيْبر من السنة السابعة ، فخلَّوْا له مكة ثلاثة أيام ، فنكح فى عُمرته تلك مَيمونة بنت الحارث الهلالية .

٣١٣٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « الشهرُ الحرَام بالشهر والحرماتُ قِصاص »، أحصَرُوا النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القَعدة عن البيت الحرام ،[2] فأدخله الله البيت الحرامَ العامَ المقبلَ ، واقتصّ له منهم ، فقال : « الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحرُمات قصاص » .

٣١٣٧ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

(١) قاضى الرجل يقاضيه قضاء وقضية . حاكمه فى مخاصمة ، وانتهى معه إلى قضاء فصل وحكم يتراضيانه . وفى صدر صلح الحديبية : « هذا ما قاضى عليه محمد » أى صالح . وبذلك سميت عمرة الحديبية هذه « عمرة القضية » ، و « عمرة الصلح » .

(٢) أحصره المرض وغيره : منعه وحبسه .

عن أبيه ، عن الربيع قال : أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأحرموا بالعمرة فى ذى القَعدة ، ومعهم الهدْى ، حتى إذا كانوا بالحديبية صدهم المشركون ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع ذلك العامَ حتى يرجع العامَ المقبل ، فيقيم بمكة ثلاثة أيام ولا يخرج معه بأحد من أهل مكة . فنحروا الهديَ بالحديبية وحلّقوا وقصّروا . حتى إذا كانوا من العام المقبل ، أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى دخلوا مكة ؛ فاعتمروا فى ذى القَعدة ، وأقاموا بها ثلاثة أيام . وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردُّوه يوم الحديبية ، فقاصّ الله له منهم ، وأدخله مكة فى ذلك الشهر الذى كانوا ردُّوه فيه فى ذى القعدة . قال الله جل ثناؤه : « الشهرُ الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » .

٣١٣٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والحرُمات قصاص » ، فهم المشركون ، كانوا حبسوا محمداً صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة عن البيت ، ففخروا عليه بذلك ، فرجعه الله فى ذى القعدة ، فأدخله الله البيت الحرام ، واقتصّ له منهم .

٣١٣٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام » ، حتى فرغ من الآية ، قال : هذا كله قد نُسخ ، أمرَه أن يجاهد المشركين ، وقرأ : ﴿ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ٣٦] ، وقرأ : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٣] ، العرب . فلما فرغ منهم قال الله جل ثناؤه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ حتى بلغ قوله : ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٢٩] ، قال : وهم الروم . قال فوجّه إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣١٤٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى هذه الآية : « الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام

والحرماتُ قصاص »، قال: أمركم الله بالقصاص، [ويأخذ] منكم العدوانَ.[(١)]

٣١٤١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال، قلت لعطاء، وسألته عن قوله: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحُرُمات قصاص»، قال: نزلت في الحديبية، مُنعوا في الشهر الحرام فنزلت: «الشهر الحرام بالشهر الحرام»: عمرة في شهر حرام، بعمرة في شهر حرام.

* * *

قال أبو جعفر: وإنما سمى الله جل ثناؤه ذا القَعدة «الشهرَ الحرام»، لأن العرب في الجاهلية كانت تحرِّم فيه القتال والقتل، وتضع فيه السلاح، ولا يقتل فيه أحدٌ أحداً، ولو لقي الرجل فيه قاتل أبيه أو ابنه. وإنما كانوا سموه «ذا القَعدة» لقعودهم فيه عن المغازي والحروب، فسماه الله بالاسم الذي كانت العرب تُسمِّيه به.

* * *

وأما «الحرمات» فإنها جمع «حُرْمة»، «كالظلمات» جمع «ظلمة» «والحجرات» جمع «حُجرة»، وإنما قال جل ثناؤه: «والحرمات قصاص» فجمع، لأنه أراد: الشهرَ الحرام، والبلد الحرام، وحُرمة الإحرام.

* * *

فقال جل ثناؤه لنبيه محمد والمؤمنين معه: دخولكم الحرَم، بإحرامكم هذا، في شهركم هذا الحرام، قصاصٌ مما مُنعتم من مثله عامَكم الماضي. وذلك هو «الحرمات» التي جعلها الله قصَاصاً.

* * *

وقد بينا أن «القصاص» هو المجازاة من جهة الفعل أو القول أو البَدن، وهو في هذا الموضع من جهة الفعل.[(٢)] ١١٦/٢

* * *

---

(١) ما بين القوسين هكذا في الأصل. ولم أجد الخبر في مكان. وهو خطأ لا شك فيه، أو بين الكلامين خرم لم أتبينه. والمعنى على كل حال: أمركم الله بالقصاص، وكره منكم العدوان، أي أمرهم أن يقتصوا ولا يعتدوا. هذا ما أرجحه إن شاء الله.

(٢) انظر ما سلف في هذا الجزء ٣: ٣٥٧ — ٣٦٦.

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيما نزل فيه قوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

فقال بعضهم : بما : —

٣١٤٢ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، فهذا ونحوه نَزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل ، وليس لهم سلطانٌ يقهرُ المشركين . وكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والأذى ، فأمر الله المسلمين ، مَنْ يجازى منهم أن يجازِىَ بمثل ما أُتى إليه ، أو يصبر ، أو يعفوَ فهو أمثل . فلما هاجرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأعزّ الله سلطانه ، أمرَ المسلمين أن ينتهوا فى مظالمهم إلى سُلطانهم ، وأن لا يعدوَ بعضهم على بعض كأهل الجاهلية .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمن قاتلكم أيها المؤمنون من المشركين ، فقاتلوهم كما قاتلوكم . وقالوا : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وبعد عُمرة القضيَّة .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٤٣ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، فقاتلوهم فيه كما قاتلوكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه التأويلين بما دلّ عليه ظاهر الآية ، الذى حُكى عن

مجاهد . لأن الآيات قبلها إنما هى أمرٌ من الله للمؤمنين بجهاد عدوهم على صفة ، وذلك قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يُقاتلونكم » والآيات بعدها . وقوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » ، إنما هو فى سياق الآيات التى فيها الأمرُ بالقتال والجهاد . واللهُ جل ثناؤه إنما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة .

فمعلوم بذلك أن قوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» مدنىّ لا مكىّ ، إذ كان فرضُ قتال المشركين لم يكن وَجب على المؤمنين بمكة ، وأنّ قوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، نظيرُ قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » ، وأن معناه : فمن اعتدى عليكم فى الحرَم فقاتَلكم فاعتدوا عليه بالقتال نحو اعتدائه عليكم بقتاله إياكم ، لأنى قد جعلتُ الحرُمات قصاصاً ، فمن استحلّ منكم أيها المؤمنون من المشركين حُرْمةً فى حَرَمى ، فاستحلوا منه مثله فيه .

وهذه الآية منسوخة بإذن الله لنبيه بقتال أهل الحرَم ابتداءً فى الحرم وقوله : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ٣٦] . . . .

* * *

. . . .[1] على نحو ما ذكرنا ، من أنه بمعنى : المجازاة ، وإتباع لفظٍ لفظاً ، وإن

---

(١) وضعت هذه النقط ، وفصلت بين قوله : « وقاتلوا المشركين كافة » وقوله : « على نحو ما ذكرنا » لوجود خرم لا شك فيه . فإنه سيقول بعد أسطر : « والآخر : أن يكون بمعنى العدو » . فهو بصدد تفسير قوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، من جهة اللغة . ولا صلة بين كلامه فى الآية أهى منسوخة أم غير منسوخة . وقوله : « والآخر » دليل على أنه يذكر وجهين من تفسير « اعتدى » أهى من « العدوان » ، أم من « العدو » . وكأن كلام الطبرى فى موضع هذا الخرم كان :

[وأما قوله : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ . ففى « الاعتداء » وجهان من التأويل :

أحدهما : أن يكون « الاعتداء » من « العُدْوَان » ، وَهوَ مجاوزة الحدّ ظُلْماً وَ بغياً . ويكون معنى الآية : فمن جاوز حدّه ظُلْماً وَ بغيًا ، فقاتلكم فى الشهر الحرام فكافِئوه بمثل ما فعل بكم ، على نحو ما ذكرنا من أنه . . .]

اختلف معنياهما، كما قال: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤]، وقد قال: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة التوبة: ٧٩]، وما أشبه ذلك مما أتبع لفظٌ لفظاً واختلف المعنيان[1]

* * *

والآخر: أن يكون بمعنى « العدو » الذى هو شدٌّ ووثوب . من قول القائل: «عدا الأسد على فريسته ». فيكون معنى الكلام: فمن عَدا عليكم — أى فمن شد عليكم ووَثب — بظلم، فاعدوا عليه — أى فشُدُّوا عليه وثبُوا نحوَه — قصاصاً لما فعل بكم لا ظلماً . ثم تُدخل «التاء» «فى عدا» فتقال: «افتعل» مكان «فعل»، كما يقال: « اقترب هذا الأمر » بمعنى « قرب »، و « اجتلب كذلك » بمعنى « جَلب » وما أشبه ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٩٤)

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بذلك: واتقوا أيها المؤمنون فى حُرُماته وحدوده أن تعتَدُوا فيها، فتتجاوزوا فيها ما بيَّنه وحدَّه لكم، واعلموا أن الله يُحب المتقين، الذين يتقونه بأداء فرائضه وتجنب محارمه .

* * *

هذا ما استظهرته من تفسير الطبرى فيما سلف ٢ : ٣٠٧ ، وهذا الجزء ٣ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٥٦٤ ، ٥٧٣ ثم يبقى خرم قبل ذلك فى كلامه عن الآية ، منسوخة هى أم غير منسوخة .

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٠٧ ، وهذا الجزء ٣ : ٣ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٥٦٤ ، ٥٧٣ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل هذه الآية ، ومن عَنى بقوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

فقال بعضهم: عنى بذلك: « وأنفقوا فى سبيل الله » — و « سبيل الله » :[1] طريقه الذى أمر أن يُسلك فيه إلى عدوّه من المشركين لجهادهم وحَرْبهم = « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » — يقول : ولا تتركوا النفقة فى سبيل الله ، فإن الله يُعوِّضكم منها أجراً ويرزقكم عاجلاً.[2]

* ذكر من قال ذلك :

٣١٤٤ — حدثنى أبو السائب سلم بن جُنادة والحسن بن عرفة قالا، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن حذيفة : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة »، قال : يعنى فى ترك النفقة.

٣١٤٥ — حدثنى محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا شعبة = وحدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حذيفة = وحدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الأعمش = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم = جميعاً ، عن شقيق ، عن حذيفة قال : هو ترك النفقة فى سبيل الله.

١١٧/٢

(١) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف ٢ : ٤٩٧ ، وهذا الجزء ٣ : ٥٦٤

(٢) هكذا فى المطبوعة: « أجراً » وأخشى أن تكون محرفة عن « آجلا » ، ليكون السياق مطرداً على وجهه ، وذلك أحب إلى .

٣١٤٦ — حدثنا ابن المثنى قال ،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي صالح ، عن عبد الله بن عباس أنه قال في هذه الآية : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة »، قال : تنفق في سبيل الله ، وإن لم يكن لك إلا مِشْقَص — أو : سهم — شعبة الذي يشك في ذلك .[1]

٣١٤٧ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن منصور ، عن أبي صالح الذي كان يحدث عنه الكلبي ، عن ابن عباس قال : إن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص أنفقته .

٣١٤٨ — حدثني ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : في النفقة .

٣١٤٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء، عن سعيد بن جبير ،عن ابن عباس : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة »، قال : ليس التهلكة أن يُقتل الرجل في سبيل الله ، ولكن الإمساك عن النفقة في سبيل الله .

٣١٥٠ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل ابن أبي خالد ، عن عكرمة قال : نزلت في النفقات في سبيل الله ، يعني قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

٣١٥١ — حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن وهب قال، أخبرني أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في هذه الآية : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»، قال : كان القوم في سبيل الله ،فيتزوّد الرجل،فكان أفضل زاداً من الآخر. أنفقَ البائسُ من زاده حتى لا يبقى من زاده شيء ، أحبَّ أن

(١) المشقص : نصل السهم ، إذا كان طويلا غير عريض .

يواسيَ صاحبه . فأنزل الله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

٣١٥٢ — حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا شيبان ، عن منصور بن المعتمر ، عن أبى صالح مولى أم هانئ ، عن ابن عباس فى قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : لا يقولنّ أحدكم إنى لا أجد شيئاً. إن لم يجد إلاّ مشقصاً فليتجهزّ به فى سبيل الله .

٣١٥٣ — حدثنا ابن عبد الأعلى الصنعانى قال ، حدثنا المعتمر قال ، سمعت داود — يعنى : ابنَ أبى هند — عن عامر : أن الأنصارَ كان احتبس عليهم بعضُ الرزق ، وكانوا قد أنفقوا نَفقاتٍ . قال : فساءَ ظنُّهم ،[1] وأمسكوا . قال : فأنزل الله : « وأنفقوا فى سَبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : وكانت التهلكة سوء ظنهم وإمساكهم .

٣١٥٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل = عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : تمنعكم نَفقةً فى حقّ خيفةُ العَيْلة. [2]

٣١٥٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » — قال : وكان قتادة يحدّث أن الحسن حَدّثه — : أنهم كانوا يُسافرون ويَغزُون ولا ينفقون من أموالهم = أو قال : ولا ينفقون فى ذلك = فأمرهم الله أن يُنفقوا فى مَغازيهم فى سبيل الله .

---

(١) قوله : « ساء ظنهم » ، أى خامرتهم الظنون السيئة القبيحة ، وشكوا . والعرب تستعمل « ساء ظنه » فى مواضع كثيرة للدلالة على معانى مختلفة ، وقد بينت ذلك فى مجلة الرسالة ، العدد : ٩١٠ (٢٠ صفر سنة ١٣٧٠ ، ديسمبر ١٩٥٠) وفى طبقات فحول الشعراء : ٥١٠ ، تعليق : ١ .

(٢) عال الرجل يعيل عيلا وعيلة: افتقر . وفى كتاب الله : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ العائل : الفقير المحتاج .

٣١٥٦ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله: « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التّهلكة »، يقول: لا تمسكوا بأيديكم عن النفقة فى سبيل الله .

٣١٥٧ ـ حدثنى موسى بن هرون قال ،حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأنفقوا فى سبيل الله » = أنفق فى سبيل الله ولو عقالاً= « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التّهلكة » ـ تقول : ليس عندى شىء .[1]

٣١٥٨ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا زهير قال ، حدثنا خصيف ، عن عكرمة فى قوله : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التّهلكة » قال : لما أمر الله بالنفقة ، فكانوا ـ أو بَعضُهم ـ يقولون : ننفق فيذهبُ مالنا ولا يبقى لنا شىء ! قال : فقال : أنفقوا ولا تلقوا بأيديكم إلى التّهلكة . قال : أنفقوا وأنا أرزقكم .

٣١٥٩ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس، عن الحسن قال : نزلت فى النفقة .

٣١٦٠ ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا ابن همام الأهوازى قال ، أخبرنا يونس ، عن الحسن فى « التّهلكة » ، قال : أمرهم الله بالنفقة فى سبيل الله ، وأخبرهم أن َترك النفقة فى سبيل الله التّهلكة .

٣١٦١ ـ حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن قوله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التّهلكة » ، قال : يقول : أنفقوا فى سبيل الله ما َقل وكثر ـ قال : وقال لى عبد الله بن كثير : نزلت فى النفقة فى سبيل الله .

٣١٦٢ ـ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى

---

(١) العقال : الحبل الذى يعقل به البعير ، أى يشد به وظيفه مع ذراعه ، حتى لا يقدر على الحركة .

صالح ، عن ابن عباس قال : لا يقولنّ الرجل لا أجد شيئاً ! قد هلكتُ ! فليتجهّز ولو بمشقَص .

٣١٦٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، يقول : أنفقوا ما كان من قليل أو كثير ، ولا تستسلموا ولا تنفقوا شيئاً فتهلكوا . ١١٨/٢

٣١٦٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « التهلكة » : أن يمسك الرجل نفسه وماله عن النفقة فى الجهاد فى سبيل الله .

٣١٦٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن الحسن فى قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، فتدعوا النفقة فى سبيل الله .

* * *

وقال آخرون ، ممن وجّهوا تأويل ذلك إلى أنه معنيّة به النفقة : معنى ذلك : وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، فتخرجوا فى سبيل الله بغير نفقة ولا قوة .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٦٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : إذا لم يكن عندك ما تنفق ، فلا تخرج بنفسك بغير نفقة ولا قوة : فتلقى بيدَيك إلى التهلكة .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : أنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم — فيما أصبتم من الآثام — إلى التهلكة ، فتيأسوا من رحمة الله ، ولكن ارجوا رحمته واعملوا الخيرات .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٦٧ - حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبى إسحق ، عن البراء بن عازب فى قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : هو الرجل يُصيبُ الذنوبَ فيُلقى بيده إلى التهلكة ، يقول : لا توبة لى .

٣١٦٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء قال : سأله رجل : أَحْمِل على المشركين وَحدى فيقتلونى ، أكنت ألقيتُ بيدى إلى التهلكة ؟ فقال : لا ، إنما التهلكة فى النفقة . بعثَ الله رسوله فقال : ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾ [سورة النساء : ٨٤].

٣١٦٩ - حدثنا الحسن بن عرفة وابن وكيع قالا، حدثنا وكيع بن الجراح، عن سفيان الثورى ، عن أبى إسحق السبيعى ، عن البراء بن عازب فى قوله الله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : هو الرجل يُذنب الذنبَ فيقول : لا يغفر الله لهُ .

٣١٧٠ - حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق قال : سمعت البراء = وسأله رجل فقال : يا أبا عُمارة ، أرأيتَ قول الله : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، أهو الرجل يتقدم فيقاتل حتى يُقتل ؟= قال : لا ، ولكنه الرجل يعمل بالمعاصى ، ثم يلقى بيده ولا يتوب .

٣١٧١ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا الحسين ، عن أبى إسحق قال : سمعت البراء ، وسأله رَجل فقال : الرجلُ يحمل على كتيبةٍ وحده فيقاتل ، أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة ؟ فقال : لا ، ولكن التهلكة أن يُذنب الذنبَ فيلقى بيده فيقول: لا تقبل لى توبة .

٣١٧٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن الجراح ، عن أبى إسحق قال : قلت لبراء بن عازب : يا أبا عمارة، الرجل يَلقى ألفاً من العدو فيحمل عليهم ، وإنما هو وحده ، أيكون ممن قال : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ؟

فقال : لا ، ليقاتل حتى يُقتل ! قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ .

٣١٧٣ — حدثنا مجاهد بن موسى قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا هشام = وحدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن هشام = ، عن محمد قال : وسألت عَبيدة عن قول الله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » الآية ، فقال عبيدة : كان الرجل يذنب الذنبَ — قال : حسبْته قال : العظيم — فيلقى بيده فيستهلك = زاد يعقوب فى حديثه : فنُهوا عن ذلك ، فقيل : « أنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

٣١٧٤ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عَبيدة السلمانى عن ذلك فقال : هو الرجل يذنب الذنبَ فيستسلم ، ويلقى بيده إلى التهلكة ، ويقول : لا توبة له ! — يعنى قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

٣١٧٥ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن محمد ، عن عبيدة فى قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : كان الرجل يصيب الذنب فيلقى بيده .

٣١٧٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : القُنوط .

٣١٧٧ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن يونس وهشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة السلمانى قال : هو الرجل يذنب الذنب فيستسلم ، يقول : لا توبة لى ! فيلقى بيده .

٣١٧٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، حدثنى أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة أنه قال : هى فى الرجل يصيبُ الذنبَ العظيم فيلقى بيده ، ويَرى أنه قد هلك .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تتركوا الجهاد فى سبيله .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٧٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى حَيْوَة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أسلم أبى عمران قال : غَزونا المدينة ، يريد بالقسطنطينية ، وعلى أهل مصر عُقبة بن عامر ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، قال : فصففنا صفَّين لم أرصَفين قط أعرضَ ولا أطولَ منهما ، والروم مُلصقون ظهورهم بحائط المدينة . قال : فحمل رجل منا على العدو ، فقال الناس : مَهْ ! لا إله إلا الله ، يلقى بيده إلى التهلكة ! قال أبو أيوب الأنصارى : إنما تتأوّلونَ هذه الآية هكذا ، أنْ حَمل رجلٌ يُقاتل يلتمس الشهادة ، أو يُبلى من نفسه ! إنما نزلت هذه الآية فينا مَعشرَ الأنصار ! إنا لما نَصرَ الله نبيه وأظهرَ الإسلام ، قُلنا بيننا معشرَ الأنصار خَفيًّا من رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا قد كنا تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيمُ فيها ونصلحها حتى نصر الله نبيه ، هلم نقيم فى أموالنا ونصلحها ! فأنزل الله الخبرَ من السماء : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » الآية ، فالإلقاء بالأيدى إلى التهلكة : أن نُقيم فى أموالنا ونُصلحها ، وندعُ الجهاد . قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يُجاهدُ فى سبيل الله حتى دُفن بالقسطنطينية .[1]

١١٩/٢

٣١٨٠ — حدثنى محمد بن عمارة الأسدى وعبد الله بن أبى زياد قالا حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد قال ، أخبرنى حيوة وابن لهيعة قالا ، حدثنا يزيد بن أبى حبيب قال ، حدثنى أسلم أبو عمران مولى تُجيب قال : كنا بالقسطنطينية ، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهنى صاحب رسول الله صلى الله

---

(١) الحديث : ٣١٧٩ — حيوة : هو ابن شريح . أسلم أبو عمران : نسبه التهذيب بأنه « أسلم بن يزيد » وهو تابعى ثقة ، كان وجيها بمصر . وهو مولى تجيب . وسيأتى تخريج الحديث ، فى الرواية التالية .

عليه وسلم ، وعلى أهل الشام َفضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة صفٌّ عظيم من الروم ، قال : وصففنا صفاً عظيماً من المسلمين ، فحمل رجل من المسلمين على صَفّ الروم حتى دخلَ فيهم ، ثم خرج إلينا مقبلاً ، فصاح الناس وقالوا : سبحان الله ! ألقى بيده إلى التَّهلكة ! فقام أبو أيوب الانصارى صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس إنكم تتأوّلون هذه الآية على هذا التأويل ! وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ! إنا لما أعزّ الله دينه وكثَّر ناصريه، قلنا فيما بيننا بعضُنا لبعض سرًّا من رسول الله : إن أموالنا قد ضاعت، فلو أنا أقمنا فيها ، فأصلحنا ما ضَاع منها ! فأنزل الله فى كتابه يرُدُّ علينا ما هممنا به، فقال: « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التَّهلكة »، بالإقامة التى أردنا أن نقيم فى الأموال ونصلحها، فأمرنا بالغزو . فما زال أبو أيوب غازياً فى سبيل الله حتى قبضَه الله . [1]

* * *

(١) الحديث : ٣١٨٠ – أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ : ثقة معروف، من شيوخ أحمد والبخارى ، وكان إماماً فى الحديث ، مشهوراً فى القراءات ، أقرأ القرآن بالبصرة ٣٦ سنة ، ثم بمكة ٣٥ سنة . وهو مولى آل عمر بن الخطاب . ووهم ابن حزم فيه وهماً عجيباً ، فأخطأ خطأ طريفاً : جعله عربياً حميرياً ، ثم من « بنى سبيع » ! ثم نسبه إلى حى زعم أن اسمه « مقر » ، بضم الميم وسكون القاف ! فقال فى جمهرة الأنساب ، ص : ٤٠٩ « ومن ولد سبيع المذكور : مقر ، حى ضخم ، إليه ينسب عبد الله بن يزيد المقرى (يعنى بدون همزة) ، ولم يكن مقرئاً للقراءات ، وإنما كان محدثاً » !! وأخطأ ابن حزم وشبه له ، فأتى بقبيلة لم يذكرها أحد قط – فيما نعلم . وإنما انتقل نظره إلى شىء آخر بعيد ، إلى « عبد الرحمن بن عبد القارى » بتشديد الياء دون همزة ، من ولد « القارة بن الديش » . وهو تابعى ، ولم يك مقرئاً . فإلى هذا ذهب وهمه . ثم لا ندرى كيف وضع القبيل الذى اخترعه ، فى « بنى سبيع » !!

ووقع فى المطبوعة هنا « ثنا أبو عبد الرحمن عن عبد الله بن يزيد » . وهو خطأ فى زيادة « عن » . و « أبو عبد الرحمن » كنية « عبد الله بن يزيد » ، ليس راوياً آخر .

والحديث رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده : ٥٩٩ ، عن عبد الله بن المبارك ، عن حيوة .

ورواه أبو داود السجستانى : ٢٥١٢ ، من طريق ابن وهب ، عن حيوة وابن لهيعة .

ورواه الترمذى ٤ : ٧٢ – ٧٣ ، من طريق أبى عاصم النبيل ، عن حيوة . وقال : « حديث حسن غريب صحيح » .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنْ يُقال : إنّ الله جل ثناؤه أمرَ بالإنفاق فى سبيله بقوله : « وأنفقوا فى سبيل الله » — وسبيلُه : طريقهُ الذى شرَعه لعباده وأوضحه لهم . ومعنى ذلك : وأنفقوا فى إعزاز دينى الذى شرعتُه لكم ، بجهاد عدوّكم الناصبين لكم الحربَ على الكفر بى ، ونَهاهم أن يلقوا بأيديهم إلى التَّهلكة فقال : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التَّهلكة » .

* * *

وذلك مثلٌ ، والعرب تقول للمستسلم للأمر : « أعطَى فلان بيديه » ، وكذلك

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٧٥ ، من طريق عبد الله بن يزيد المقرىء ، عن حيوة ، وحده . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

ورواه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر : ٢٦٩ — ٢٧٠ ، بإسنادين : رواه عن عبد الله ابن صالح ، عن الليث بن سعد . ورواه عن عبد الله بن يزيد المقرىء ، عن حيوة بن شريح — كلاهما عن يزيد بن أبى حبيب ، به .

وقوله فى الرواية الماضية « غزونا المدينة ، يريد القسطنطينية » — هكذا ثبت فى المطبوعة هنا . ولفظ أبى داود السجستانى : « غزونا من المدينة ، نريد القسطنطينية » . ولعل ما هنا أجود وأصح ، فإن أسلم أبا عمران مصرى . والظاهر من السياق أن الجيش كان من مصر والشام .

وقوله فى تلك الرواية : « وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد » يدل على أن هذه الغزوة كانت فى سنة ٤٦ أو قبلها ، لأن عبد الرحمن مات تلك السنة . وهذه الغزوة غير الغزوة المشهورة التى مات فيها أبو أيوب الأنصارى . وقد غزاها يزيد بن معاوية بعد ذلك سنة ٤٩ ، ومعه جماعات من سادات الصحابة . ثم غزاها يزيد سنة ٥٢ ، وهى التى مات فيها أبو أيوب رضى الله عنه ، وأوصى إلى يزيد أن يحملوه إذا مات ، ويدخلوه أرض العدو ، ويدفنوه تحت أقدامهم حيث يلقون العدو . ففعل يزيد ما أوصى به أبو أيوب . وقبره هناك إلى الآن معروف . انظر طبقات ابن سعد ٣/٢/٤٩ — ٥٠ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ١٢٨ ، ١٣٠ ، وتاريخ ابن كثير ٨ : ٣٠ — ٣١ ، ٣٢ ، ٥٨ — ٥٩ . وتاريخ الإسلام للذهبى ٢ : ٢٣١ ، ٣٢٧ — ٣٢٨ .

وقوله فى هذه الرواية الثانية « وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد » — هذا هو الصواب الثابت فى رواية الطيالسى ، وابن عبد الحكم ، والحاكم . ووقع فى رواية الترمذى « وعلى الجماعة فضالة بن عبيد » . وهو وهم ، لعله من الترمذى أو من شيخه عبد بن حميد .

والحديث ذكره ابن كثير ١ : ٤٣٧ — ٤٣٨ ، من رواية الليث بن سعد ، ولم ينسبها . ثم خرجه من أبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وعبد بن حميد فى تفسيره ، وابن أبى حاتم ، وابن جرير ، وابن مردويه ، وأبى يعلى ، وابن حبان ، والحاكم . ثم ذكر رواية منه ، على أنها لفظ أبى داود — ولا توافق لفظه ، وفيها تحريف كثير .

وذكره السيوطى ١ : ٢٠٧ — ٢٠٨ ، وزاد نسبته للطبرانى ، والبيهقى فى سننه .

يقال للممكن من نفسه مما أريد به: «أعطى بيديه».

* * *

فمعنى قوله: «ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة»، ولا تستسلموا للهلكة، فتُعطوها أزمَّتكم فتهلكوا.

والتاركُ النفقةَ فى سبيل الله عند وجوب ذلك عليه، مستسلم للهلكة بتركه أداءَ فرضِ الله عليه فى ماله. وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحدِ سهام الصدقات المفروضات الثمانية «فى سبيله»، فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ إلى قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [سورة التوبة: ٦٠]. فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك فى سبيل الله على ما لزمه، كان للهلكة مستسلماً، وبيديه للتهلكة ملقياً.

وكذلك الآيسُ من رحمة الله لذنب سلف منه، مُلقٍ بيديه إلى التهلكة. لأن الله قد نهى عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٨٧].

وكذلك التاركُ غزوَ المشركين وجهادَهم، فى حال وجوب ذلك عليه، فى حال حاجة المسلمين إليه، مُضيعٌ فرضاً، مُلقٍ بيده إلى التهلكة.

فإذ كانت هذه المعانى كلها يحتملها قوله: «ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة»، ولم يكن الله عز وجلّ خصَّ منها شيئاً دون شىء، فالصواب من القول فى ذلك أن يقال: إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا، والاستسلام للهلكة — وهى العذاب — بترك ما لزمنا من فرائضه. فغيرُ جائز لأحد منا الدخول فى شىء يكرهه الله منا، ممَّا نستوجب بدخولنا فيه عذابَه.

غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الأغلب من تأويل الآية: وأنفقوا، أيها المؤمنون، فى سبيل الله، ولا تتركوا النفقة فيها، فتهلكوا باستحقاقكم — بترككم ذلك — عذابى، كما: —

٣١٨١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية، عن

على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التّهلكة » ، قال: التّهلكة عذابُ الله.

* * *

١٢٠/٢ قال أبو جعفر : فيكون ذلك إعلاماً منه لهم — بعد أمره إياهم بالنفقة — ما لمن ترك النفقة المفروضة عليه فى سبيله ، منَ العقوبة فى المعاد.

* * *

فإنْ قال قائل: فما وجه إدخال « الباء » فى قوله : « ولا تلقوا بأيديكم » ، وقد علمت أن المعروف من كلام العرب : « ألقيت إلى فلان درهماً » دون « ألقيتُ إلى فلان بدرهم » ؟

قيل : قد قيل إنها زيدت نحو زيادة القائل « الباء » فى قوله : « جذبتُ بالثوب ، وجذبت الثوب » « وتعلَّقتُ به وتَعلَّقته » ، و﴿ تَنبُتُ بالدُّهْنِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٢٠] ، وإنما هو: تُنبت الدهنَ .(١)

* * *

وقال آخرون: « الباء » فى قوله: « ولا تُلقوا بأيديكم » ، أصلٌ للكنية.(٢) لأن كل فعل وَاقع كُنِىَ عنه ، فهو مضطرٌ إليها .(٣) نحو قولك فى رجل « كلَّمته » فأردت الكناية عن فعله ، فإذا أردت ذلك قلت : « فعلت به » ، قالوا: فلما كان « الباء » هى الأصل ، جاز إدخال « الباء » وإخراجها فى كل «فعلٍ» سبيلُه سبيلُ كُنْيته .(٤)

* * *

وأما « التّهلكة » ، فإنها « التفعُلة» من « الهلاك » .

* * *

(١) انظر الإنصاف لابن الأنبارى : ١٢٨ .

(٢) فى المطبوعة : « أصل للكلمة » ، وهو تحريف ، وانظر التعليقات الآتية .

(٣) الفعل الواقع : هو الفعل المتعدى، ضريع الفعل اللازم . ويقال له أيضاً « الفعل المجاوز» (انظر بغية الوعاة ٢ : ٨١) .

(٤) فى المطبوعة : « سبيل كلمته » ، وهو تحريف كأخيه السالف . وأراد الطبرى بالكناية عن الفعل : أن تستبدل به لفظ « فعل » . و « الفعل » : كناية عن كل عمل . تقول : « ضربت الرجل » ثم تريد الكناية عن الفعل فتقول : « فعلت به » ، وهذا الذى تقوله هو « الكنية » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وأحسنوا » ، أحسنوا أيها المؤمنون فى أداء ما ألزمتكم من فرائضى ، وتجنُّب ما أمرتكم بتجنبه من معاصىَّ ، ومن الإنفاق فى سبيلى ، وَعوْدِ القوى منكم على الضعيف ذى الخَلَّة ،[1] فإنّى أحبّ المحسنين فى ذلك ،[2] كما :-

٣١٨٢ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا زيد بن الحباب قال ، أخبرنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن رجل من الصحابة فى قوله : « وأحسنوا إنّ الله يُحب المحسنين » ، قال : أداء الفرائض .

* * *

وقال بعضهم : معناه : أحسنوا الظن بالله .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٨٣ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة « وأحسنوا إنّ الله يُحب المحسنين » : قال : أحسنوا الظن بالله ، يبرَّكم .

* * *

وقال آخرون : أحسنوا بالعَوْد على المحتاج .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٨٤ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وأحسنوا إنّ الله يحب المحسنين » ، عودوا على من ليس فى يده شىء .

* * *

---

(١) ذو الخلة : المحتاج والفقير ، والمختل الحال بفساد أو وهن .

(٢) انظر ما سلف فى معنى « الإحسان » ٢ : ٢٩٢ .

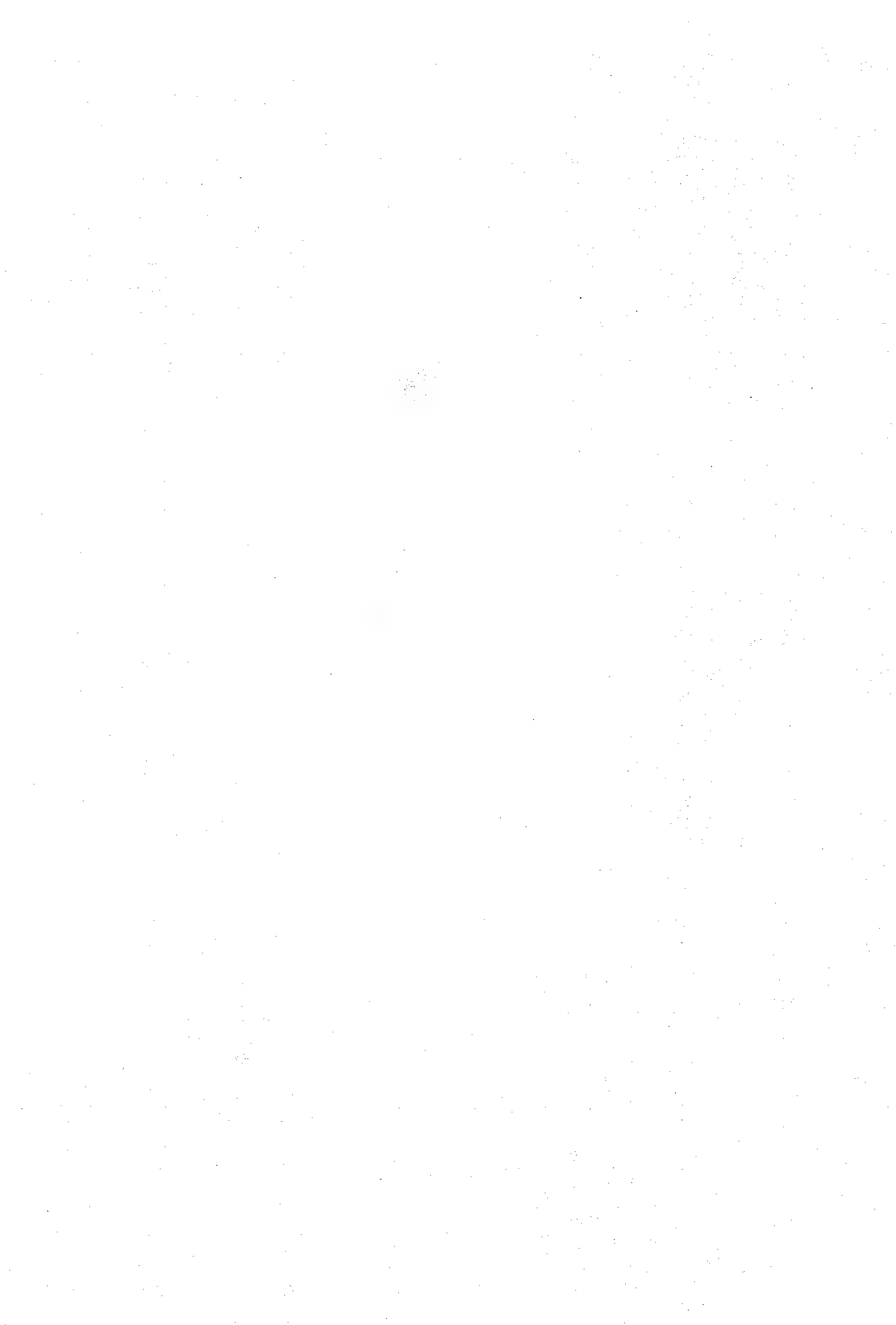
تم الجزء الثالث من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الرابع وأوّله

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

الفهارس



فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

فهرس اللغــــة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلا .

أعلام المترجمين فى التعليق

[الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات]

فهرس المصطلحات

مباحث العربية والنحو وغيرها

* تمييز المضاف إلى معرفة ، لأنه فى تأويل نكرة ، مثل قوله « سفه نفسه » : ٩٠
* حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه نحو : « حسبتُ بُغَام راحلتى عَنَاقاً » ، أى صوت عناق : ١٠٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩
* قولهم « مر عمرو بأخيك مثل ما مررت به » ، أى : مثل مرورى به ، فالتمثيل بين المرورين ، لا بين عمرو والمتكلم : ١١٤
* إضافة الشيء إلى الشيء إذا كان بسببه مثل « أجوع فى غير بطنى » يعنى جوع أهله وعياله : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣٢٩
* الجزاء مشابه اليمين ، فى أن كل واحد منهما لا يتم أوّله إلاّ بآخره ، ولا يتم وحده ، ولا يصحّ إلا بما يؤكد به بعده : ١٨٥
* الأمر وخروجه إلى شخص بعينه ، والمراد به أصحابه : ١٩٢
* الاستثناء : يثبت فيه لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفياً عما قبله ، مثل : « ما سار من الناس أحدٌ إلاّ أخوك » : ٢٠٤
* الجزاء الذى يجاب بجوابين ، كقول القائل : « إذا أتاك فلانٌ فأته ترضه » : ٢٠٩
* جمع « صفا » على « أصفاء ، وصُفِىّ ، وصِفِى » مثل : « عصا » على « أعصاء ، وعُصِىّ ، وعِصِىّ » : ٢٢٥
* الفعل الماضى مع الجزاء بمعنى المستقبل : ٢٤٧
* من شأن العرب إذا وصفت شيئاً من البهائم أو غيرها — مما حكم جمعه أن يكون بالتاء ، وبغير صورة جمع ذكور بنى آدم — بما هو من صفة الآدميين ، أن يجمعوه جمع ذكورهم ، كما قال : « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا »، و «الشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » : ٢٥٦
* « الأرض » ، لم تجمع كما جمعت « السموات » : ٢٧١

* * *

* غير جائز فى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بعضها دافعاً بعضاً ، إذا ثبتت صحتّها : ٥١

* غير جائز الاعتراضُ بِمَن كان جائزاً عليه فى نقله الخطأ والسهوُ، على من كان ذلك غير جائزٍ عليه فى نقله : ٥٤

* الحقائق التى لا تدرك إلا بخبرٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالنقل المستفيض : ٦٤

* المعانى التى لا يدلّ عليها بالاستدلال والمقاييس ، فتمثل بغيرها ويستنبط علمها من جهة الاجتهاد : ٦٤

* إنما يجوز توجيه معانى كتاب الله ، إلى ما كان موجوداً مثله فى كلام العرب ، دون ما لم يكن فى كلامها : ١٦١

* ما جاء به النقلُ مستفيضاً فهو حجة ، وما انفرد به من كان جائزاً عليه السهو والغلط ، فغير جائزٍ الاعتراض به على الحجة : ١٩٥ ، ٢٦٤

* تأويل كتاب الله بالأفصح الأعرف من كلام العرب ، دون الأنكر الأجهل من منطقها : ٢١٠

* غير جائز لأحد أن يزيد فى مصاحف المسلمين ما ليس فيها ، واستحقاق من يقرأ كذلك العقوبة : ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

فهرس التفسير